

نويل ماللوك

البوسنة

ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد



المكتبة المصرية
العامية للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ محمد العزيز توفيق جلود

شيخ المترجمين - القاهرة

البوينة

الألف كتاب الثاني

الإدارة العلم

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

محسنة عطية

مكتبة
شيخ المرحومين
عبد العزيز توفيق جاويدة

البوستان

تأليف
نويل مالكوم

ترجمة
عبد العزيز توفيق جاويدة
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
المكتبة الاسكندرانية

١٩٥٧٧



مكتبة الإسكندرية

١٩٩٧

هذه هي الترجمة العربية الكاملة للكتاب :

BOSNIA

A SHORT HISTORY

by

Noel Malcolm

مقدمة
شيخ المترجمين
عبد العزيز توفيق جابري
فهرس

الموضوع	الصفحة
تعريف المؤلف والمترجم	٩
كلمة المترجم	١١
الاعتراف بالفضل	١٧
ملاحظة حول الاسماء وطريقة النطق	١٩
مقدمة	٢٥

الفصل الأول

الاجناس والاساطير والاصول البوذية حتى ١١٨٠	٣١
--	----

الفصل الثاني

الدولة البوذية القروسطية	٤٤
--------------------------	----

الفصل الثالث

الكنيسة البوذية	٥٩
-----------------	----

الفصل الرابع

الحرب والنظام العثماني (١٤٦٣ - ١٦٠٦)	٧٧
--------------------------------------	----

الفصل الخامس

اعتناق البوذة الاسلام	٨٩
-----------------------	----

الفصل السادس

الحرب والافلاق	١٠٦
----------------	-----

الفصل السابع

- الحرب والتشئون السياسية في البوسنة العثمانية
١١٩ (١٦٠٦ - ١٨١٥)

الفصل الثامن

- الحياة الاقتصادية والثقافة والمجتمع في البوسنة
١٢١ (١٦٠٦ - ١٨١٥)

الفصل التاسع

- يهود ونجر البوسنة
١٢٦

الفصل العاشر

- المقاومة والاصلاح (١٨١٥ - ١٨٧٨)
١٥٩

الفصل الحادي عشر

- البوسنة تحت الحكم النمساوى المجرى (١٨٧٨ - ١٩١٤)
١٧٨

الفصل الثاني عشر

- الحرب والمملكة : البوسنة (١٩١٤ - ١٩٤١)
٢٠٠

الفصل الثالث عشر

- البوسنة والحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٥)
٢١٩

الفصل الرابع عشر

- البوسنة في يوغوسلافيا تيتو (١٩٤٥ - ١٩٨٩)
٢٤٠

الفصل الخامس عشر

- البوسنة ومنية يوغوسلافيا (١٩٨٨ - ١٩٩٢)
٢٦١

الفصل السادس عشر

- نمير البوسنة (١٩٩٢ - ١٩٩٢)
٢٨٤

- معجم توضيحي
٣٠٥

- الهوامش
٣١٢

- نيت المراجع
٣٦٢

« تقع اليوسنة في قلب الحضارات التاريخية
العظمى ومن العسير كتابة تاريخها ، لأنه يحتاج الى عدة
لغات ومعرفة حواش غاية في التعقيد » وبالنظر الى
كاثرة اليوسنة اليوم ، فإنه يحتاج ايضا لفهم لعالم ما
بعد الحرب الباردة » وان تجتمع كل هذه الموصفات في
كتاب يمكن قراءته فهو مجهود عظيم لا يخدر عليه
الا صنديد مثل نويل مالكوم فهو يتفوق على نفسه
هنا ، ولا توجد صفحة من هذا الكتاب في غير موضعها ،
بدا من بينات العفائر وحتى الحكم الأخلاقي في
النهاية »

نوعان مستون

المؤلف

ولد توماس مالكوم في ١٩٥٦ ، وتلقى تعليمه في مدرسة ايتون وجامعة كامبريدج ، حيث حصل على مرتبة الشرف ودرجة الدكتوراه في التاريخ ، وعمل زميل كليتي جوفيل وكايوس في جامعة كامبريدج من عام ١٩٨١ حتى ١٩٨٨ ، ثم أصبح بعد ذلك محرر الشئون الخارجية بجريدة السبكتاتور *The Spectator* وحاليا محرر عموده السياسي في جريدة الديل تلجراف . وهو يعيش في لندن ، ويكتب حاليا على كتابة تاريخ حياة توماس هوبز *Thomas Hobbes* .

الترجم

ولد بالقاهرة وتخرج في كلية المعلمين العليا الادبية عام ١٩٢٩ . اشتغل بالتدريس حتى رقي وكيلا لمدرسة مصر الجديدة الثانوية عام ١٩٥١ ، فمديرا للمركز الرئيس للتدريب بمشية البكرى عام ١٩٦٣ . شغل بأداب العربية والانجليزية والفرنسية منذ ختائه وانضم لعضوية لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٨٦ . حاز جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة عام ١٩٨١ وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى . عنى بنقل أهم الكتب الانجليزية وبعض الفرنسية : في التاريخ ، معالم تاريخ الانسانية لولز وستوه هوبز تاريخ العالم ، وفي تاريخ الحضارات ، حضارة الاسلام (جرونيباوم) ، الحضارة البيزنطية (وانسيما) ، الحضارة الهلنستية (تاون) ، ميلاد المصور الوسطى (موص) ، اضمحلال المصور الوسطى (هوبزنكا) .

فى علم النفس والتربية ، مدخل الى علم النفس الحديث
 (وانجيل) ، ثلاثة ارغولد جزل فى تربية الاطفال :
 الحضانة والطفل - الطفل من الخامسة الى العاشرة -
 الشباب ، الطفولة وما بعدها (سموزان ايزاكس) ،
 سلوك الاطفال (فرنسيس ايلج) ، فى السياسة
 ومعتقدات اخرى ، اسباب والسيطرة الغربية (بانيكار) ،
 حول مبع الحرب (جون امترانشى) ، اعلام وافكار
 (هوزيتجا) ، التاريخ وكيف يفسرته (ويدجرى) ،
 التربية عن طريق الفن (هريوت ريد) ، وللأطفال
 ليس فى أرض السجائب .

كلمة المترجم

هذا الكتاب يؤرخ لأمة عقدت نصيبها بالقتال والحرب ، وعاشت تاريخها الطويل مدى ستة قرون أو تزيد في مضيق جيهودها البشرية وتبديد لها ، في أتون الحديد والبار ، تريد حق قومية لها ، والقومية عصبية ، ولكن عصبية هؤلاء القوم كانت من النوع الدامي المنمر ، من النوع الذي يريد أن يستأصل شافة كل من اعترضه ولو ألقه اعتراض وأن يحثه من الأرض اجثثاتا .

عندما اشتراء حفيدي الدكتور حاتم توفيق أثناء رحلة له ببلاد الانجليز ، سرى أنه وقع على كتاب مشكلة الساعة ، فاقبلت على الاطلاع عليه بطريقة الهوى ، والأحداث التي تحدث ببلاد البلقان دامية شائكة . وتذكرت ما قاله المؤرخ الانجليزى هـ . ج . ولز في كتابه المعالم (*) عن السلطان وأنها عويصة المشكلات لا قبل لأحد بحلها . لم أعر ذلك الكتاب كثيراً من الاهتمام حتى عام ١٩٩١ عندما بدأ المؤلفان على حقيقته : دار وشرر ولبيب وعداء بين أخوة في العرق والدم ، ولكن الاثنان (الأخاد) تنور بينهم لسبب لا يدويه الا الراسيخون في العلم والباحثون وراء أسباب الأحرار . وأول سبب ظهر لي أن عدم الأمم ذات الأصل الواحد القادمة من شمال أوروبا اختلف عند حلولها بديار البلقان مزاجها : فاتحة بعضها الى مسيحية مصطبقة بالصباغ المائوي ، فهي تمكر الصليب ولا تعترف بالصليب والأيقونات . وأهل عسوتهم الآخرون تأثروا بصيرنطة وعقيدتها فكان الصرب الأرثوذكس ، والفرقة الثالثة المدعوة بالكروات كانت أقرب الى روما موقها فاتفقت مذهبها الكاثوليكي سنة ومزاجها .

ومن هنا بدأت الشحنة وبدا التاريخ المقد . وزاد في أوار الجحيم تباعد الثقة وعودة البلاد وكثرة ما فيها من آكام وتلال وجبال .

(*) انظر هـ . ج . ولم معالم تلويح الاسلانية للمترجم . طعة هيئة الكتاب

١٩٩٤ .

وكلنا تقادم الزمن تصبغت المداوات والحزازات وزادت شقة الخلاف والتباعد .

وفي العصر الحديث ، لم يعمم الأوربيون حقيقة الوضع ، أو أنهم لظاية في نفس يعقوب ، تظاهروا بالقباه . مثال ذلك أن جون ميجور ، رئيس وزراء بريطانيا ، كتب إلى وزير خارجته دوجلاس هيرد في مايو ١٩٩٣ موضحاً أسباب احتياج الحكومة البريطانية عن نصرة المظلومين في البوسنة والهرسك وكوسوفو ، وهو تشهد صراع مئات الألوف منهم وتهجير المئات الآخرين ، ودمار مدنهاهم ومقدماتهم ، وانتهاك أعراض عشرات الآلاف من تسائهم واقتناهم بقذائف الصرب والكروات الذين نهال عليهم أسلحة الغرب جزافاً :

١ - لا نوافق الآن كما أننا لم نوافق في المستقبل على تزويد مسلمي البوسنة والهرسك بالسلاح أو تدريبهم على استخدامه .

٢ - أننا ستواصل دعمنا الحازم لابقاء حظر بيع السلاح المرفوض من قبل الأمم المتحدة رغم معلوماتنا الموثقة الواردة عن دعم دول اليونان وروسيا وبلغاريا للجيش الصربي ، وقيامهم بتدريبه وتزويده بالسلاح والمعلومات ، فضلاً عن قيام ألمانيا والنمسا وسلوفينيا وحتى الفاتيكان بالنور المائل لدعم كرواتيا والقوات الكرواتية في البوسنة .

٣ - نحن علينا اتباع هذه السياسة حتى لحظة الوصول إلى الهدف النهائي وهو تقسيم جمهورية البوسنة والهرسك ، ومنع قيام الدولة الإسلامية في أوروبا .

٤ - يجب أن تؤكد ضرورة إخفاء حقيقة التحركات السياسية الغربية وبأنى ثمن عن كل الدول التي يسكن أن نسيها بالإسلامية ، بالذات عن تركيا فيما يتعلق بهذه المنطقة ، إلى أن تهبط الأسود في يوغوسلافيا السابقة ، ومن أجل هذا السبب نفسه يتعين علينا الاستمرار في الخدمة التي سمينها بنقطة فانس - أوبن لاحتلاله السلام بهدف عرقلة كل التحركات إلى أن نقضى على دولة البوسنة والهرسك ويتم تهجير المسلمين منها ، (٥) .

(٥) انظر كتاب « قضية البوسنة » ديموس وغيره ، تأليف اشرف المهدي .

حجج دار الخلافات يقدولف ، ص ٦٤ .

ولا شك في أن منطقة البلقان تختلف - في بعض جوانبها الاجتماعية وخلفيتها التاريخية - عن كثير من مناطق العالم التي وصلتها الرسالة الإسلامية ونشطت بها قرونا من الزمن - أن جدور هذه الخلفية التاريخية ترتد في لبها إلى تأثير الأديان المنتشرة في المنطقة كما أسلفنا .
وخير دليل على ما ذهبنا إليه وجود صراع مرير بين قبائل البلقان - رغم استعراضها في الجملة - من أصل صقلي (صلافي) واحد .

واليكم ملخصا لما ورد بصواب « البوسنة والهرسك » في دائرة معارف اثريمان : *Eyerman* : هي ولاية من ولايات يوغوسلافيا . ومساحتها الكلية ١٩٧٦٨ ميلا مربعا . كما أن الشطر الأعظم منها يسجل في حوض الدانوب . تكاد كلها أن تكون جبلية وعرة ، والألب الدينارية المطلة على الأدرياتي هي سلسلة الجبال الرئيسية فيها . والأنهار الرئيسية بها هي نهر سافا في البوسنة ونهر ناريتسا في الهرسك . وهي البوسنة تغطي الغابات على مساحات الألب الدينارية قدرا وفيرا من الأحشاب . كما أن كلا المراعي من نوع طيب جدا . كما يزرع القمح ، والشعير . والذرة بمقادير كافية للاستهلاك المحلي . بينما يزرع التبغ والكروم في أقصى الجنوب . وتروى الفاكهة أيضا إلى حد كبير . كما أن برقوق هو أعظم صادرات الفاكهة . وهناك تجارة ضخمة بين تركيا وبين هاتين الولايتين . وفي عهد الإدارة النمساوية السابقة أنشئت خطوط السكك الحديدية لتتصل بخطوط سكك حديد المجر ، كما أنشئت المواصلات البريكية والبرقية . ولم يفلد النمساويون إلا أقل الجهد في حل الصعوبات الزراعية بالبوسنة ، بيد أن كثيرا من الفلاحين أصبحوا الآن يملكون أراضيهم بحكم حقوق الإرث ، بينما وضعت الترميمات لنظام تمويضات لصالح الملاك السابقين . ويقوم بالبوسنة أيضا بمضي مصانع الحديد ، ومناجم الفحم . والتعليم لجاري في البوسنة والهرسك وذلك ضمن النظام الجاري في سائر أرجاء يوغوسلافيا .

• التاريخ : إن تاريخ هاتين الولايتين إنما هو تاريخ الجبلين على شاطئ الأدرياتي . ومع هذا فالذي حدث بالتدريج بعد الهجرات السلافية ، أن الضغط الخارجي وبخاصة من قبل المجر دفعهم إلى الاتحاد تحت حاكم واحد . ولكن تاريخ ذلك الحين إلى زمن نعتقم من الفترة الوسطى يمكن اعتباره تاريخ جنس بشري معتمد على الامبراطورية البيزنطية أو على المجر . وأجرا في القرن الثالث عشر ، وقعت وقوعا

نما سمحت حينئذ الخبز والحب أصبحت أرضاً طبرية هضبا وتضيها .
ولكنها ما لبثت في القرون الرابع عشر أن أصبحت مملكة مستقلة .
ولم تلبث حتى وقعت في النهاية في القرى الخامس عشر في قبضة
الترك . وأصبح تاريخها تاريخ جنس قهقور . وسرعان ما استولى
المسلمون في البلاد على السلطة كاملة وترك السكان المسيحيون تحت
رحمتهم إلى حد كبير . وفي ١٨٧٥ حدث قوربان مسيحي وانقسم إلى
المسيحيين في السنة التالية كل من الصرب والجبل الأسود ، وأجيرا في
١٨٧٧ أعلنت الرومانيا الحرب على تركيا . وبمقتضى معاهدة برلين في
١٨٨٨ ، سقطت الولايات في الاحتلال العسكري النمساوي . وتم الاحتلال
في ظل ظروف صعبة أقصى صعوبة ، ولكن حدث في ظل الاحتلال
النمساوي تحسين عظيم في مركز البوسنية (البوسنيان) . كانت
الولايات في ١٩٠٧ قد بلغت درجة أكثر رعايا ما كان منذ أول عهد
بالاحتلال التركي قبل ذلك بأربعة عشر عام ، وذكرت حركة « تركيا الفتاة »
التي أن الإصلاح الجولي حوته بتركيا ربما أدى إلى تقوية شديدة
لمبادئ العسكرية . بحيث تستطيع المطالبة بإخلاء المقاطعتين ، وبذلك
يصبح حقا للترك شرعا ، التقدم لجميع الإصلاحات التي تمت تحت ظل
الإدارة النمساوية . واتهمزت النمسا فرصة ضمها روسيا والاعلان
المفرض لاستقلال بلغاريا . فاعلنت ضم البوسنة والهرسك إليها في الثامن
من أكتوبر ١٩٠٨ ، وهناك نتيجة لذلك انضم النمساوي هي اثارة خلاف
بين الكروات والصرب ، فاما الأولون فقد ساءلوا النمسا على أساس من
رابطة الدين ، بينما راح الصرب يستفدون أنه على أساس اجتماع قوة
الترك ، قد كان ينبغي أن تلتحق البوسنة بهم لأصباغ تاريخية وعرقية ،
وفي اليوم الثامن والعشرين من يونيو ١٩١٤ اغتيل ولي العهد الهابسبرجي
سدينة سراييفو على يد شابين بوسنيين من رعايا النمسا . وتبع ذلك قيام
الحرب العالمية الأولى ، وفيها لقيت البوسنة آلام ما شهدت من انفجار نار
الحرب بين النمسا والصرب . وبانتهاء الإمبراطورية النمساوية تحققت
الحلم في قيام اتحاد صربو كروات ، وبمقتضى دستور يونيو ١٩٢١
اندمجت خطوط البوسنة بخط المملكة الجديدة للصرب والكروات
« المتوحد » (٣٧) .

فما أشقى هؤلاء القوم الذين يعذبون بعضهم بعضا . . . والتسامح
أكرم وأصلح ! . .

وظلت أوروبا تتفاحس وتسلط بقيادة إنجلترا وفرنسا وأمريكا تعذبنا
على وضع حد للتدابير البشعة . فلا تحركنا ساكنا . حتى دفعت بعض
الدوافع بالرئيس كلينتون . فتمثل في الأمر وجع الجميع في دايتون
حيث أتم ضربا من المصاهرة التي تقع جدا لسفك الدماء . وتحرر الجميع
الى احقاق الحق ورفع الاجرام البشع عن مسلمي البوسنة . حتى بدأت
الظلمات تنقشع اليوم . ولكن على خط شديد وتمتع عنيف من صربيا
التي يريد أهلها بالقوة والبهتان والمناورة أن يشيدوا صربيا العظمى .
ويستولوا على ما ليس لهم من بقاع .

وقد شرعت في قراءة هذا الكتاب ونقله الى العربية بوصفه موضوع
الساعة المائل امام كل رأى وكل فكر . بجميع اركان المسورة .
وأنا متوجس شرا من المؤلف ، خوفا من ان يمد على طريقة بعض المؤرخين
الأوربيين الى قصر موضوعه على النيل من الاسلام والمسلمين ، جريا على
عادة كثير من الصحفيين ، ومن المؤرخين غير المتثبتين . ولكني وجدته
يتبع طريقة شيخ المؤرخين بريطانيا في هذا الزمان . ارنولد توينبي .
من احقاق الحق وازعاق الباطل . ولأن اناس من الاشياء لا اناس قوله
مصدق من شأن اسرائيل : « لا أدري كيف يمكن أن شعبا من ياروس
أو سكن بها خمسة وسبعين عاما ، أن يدعى ملكيتها وملكية ما جاورها
من بلدان ؟ » (١) . على هذا النهج سار المؤلف بويل مالتكولم عادلا
متوازنا ، يقول كلمة الحق في وجه دوجلاس هيرد ولورد أوبن ، وروري
خارجية بلاده وناش الأمريكى حتى ينزعون عن طريق العدل المستقيم .
ثم رأيت لا يتم الاسلام والمسلمين ولا يحصلها تبعة أى شئ ، وإنما يحلل
كل شئ تحليلًا منهجيا ، مع الرجوع الدائم الى المراجع الثبوتية والأسانيد
المصيبة المدعمة بالمصادر والتواريخ . انه لا يخفى في قوله الحق لومة
لأنه اتباعا للسهج العلمي الصحيح . ومن هنا أدركت أن هذا الكتاب ،
بما فيه من مادة علمية صحيحة ، هو الجدير بأن يطلع عليه أبناء الضاد
واتباع الاسلام الذين يضيق بهم وربما يحصلون من الحق ، الناس الذين
ينشؤونهم من بين أيديهم ومن خلفهم .

ويعد طبع الكتاب ونشره بالانجليزية ظلت معركة البوسنة عزى
« إيران ضيرى » ، يضم المسلمين ويتكل بهم ويقتلهم جماعات وزعمرا ،
ويقتلهم أحياء وامواتا بالبنات في مدافن جماعية بصورة تشييب لهولها

الوليدان دون أن تتحسرك دول الغرب خاصة بريطانيا وفرنسا قادة السياسة الأوروبية . اللتين حولتا كلف يد أمريكا عن الموضوع كله وتركته تحت أراجيف أكهوية « فانس - ألين » ، الى أن تنبه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بيل كلينتون عرض ترحات أوروبا وجالسهها المناقشة . وحسم الجميع بأمريكا في مؤتمر دايون (ديسمبر ١٩٩٥) ودعاهم الى بوفيات . ثم لاحقهم بالجيش في عقر دارهم . حتى اذا رأهم أخذوا يساوشون وينحتون لالتقاط أسلحتهم أوقفهم عند حشم وجمعهم في مؤتمر ثان بروما . حيث أرجعهم الى صوابهم ثم أعادهم لبلادهم . واحد يملك اشتياكاتهم . وبعد ما في المعاهدة من الغباء لتقسيم المدن والأراضي والبلدان ووضع كل شيء موصمه الصحيح . ومن عجب ان العرب كلما اخلت مكانا ليهود لاستلامه المسلمون دعرته وأعطيت فيه التفجير والبار . ويطالبونهم بتسليم مجرمي الحرب ليحاكموا في المحكمة المقامة بهولندا . فينسلخ المجرمون وكلهم مجرمون . وعلى كل . فان الوضع اليوم أفضل كثيرا عن ذي قبل . فلا قتل ولا دس لمنازل . بل يلزم كل حدوده . حتى تهدأ النفوس .

ويحسني أن أوجه نظر القارئ الى المجسم التوضيحي الى حاسب الفهرس الأبجدي اللذين وصعها المؤلف خدمة للمادة العلمية بالكتاب .

ويسرني ان قد اعانني في هذا الكتاب ابنتي الهندسة شيرين توفيق خريز التي سجلته لي على شرائط باللغة الانجليزية . فقامت بترجمته على شرائط بالعربية . ثم عادت فاستخرجته على جهاز الكمبيوتر . فلها الشكر والدعاء أن يباركها الله . والى القارئ هذا الكتاب السبح الصادق -

ع.ت.ع

حي شيراتون المطار

٢٧ مارس ١٩٩٦

الاعترافي بالفضل

إن اعظم ما انا آسف له هو أنني لم نتح لي فرصة العمل في مكتبات سراييفو عندما كان ذلك الأمر لا يزال ممكناً . واني لمدني بالشكر الى حيثات العمل القائمين على تلك المكتبات التي قمت بين اكتافها بكثير من أعمال البحث العلمي اللازم لهذا الكتاب : وهي دار الكتب القومية بباريس ، ومكتبة بودليان بأكسفورد ، والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبة جامعة كمبريدج ، ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن ، وفوق كل شيء مدرسة الدراسات السلافونية والأوربية الشرقية بلندن . واني شاكراً بوجه خاص أفضال كل من أنطوني هول وجون فلانك وجون لندن ويرانكا حاجاش وجورج ستامكوسكي ، على تلك المساعدة التي بذلوها في توفير أو البحث عن أماكن تواجد المطبوعات التي يمر الوصول اليها . كما أنني مدني أيضاً بالشكر الى اندرو حواتكي على المساعدة التي أسداها في عملية معالجة النصوص ، وإلى مارك والينجيل وكريس بورك على تصميمهم وإخراجهم الخرافات لهذا المجلد . وإن ما أنا مدني به من دين لمن سبقوني من كتاب حول اليوستة ، سيتجل بأوني صورة في تلك الملحوظات التي أوردتها في آخر الكتاب ، ولكنني أتمنى أن أذكر بالتفويه الخاص إلى الأمثلة البينة الواضحة لجون فاين ، التي أفدت منها فائدة عظمى . واني لأحب أن أسجل ديناً على من الشكر أن لجون يارنولد وسايا رسال الدين وبين كوهين وجورج ستامكوسكي ومايو توبولوفاك على كل ما فعلوه أثناء السنة الماضية لتوفير المعلومات الصحيحة المضبوطة لوسائل الإعلام البريطانية وللمعالم كله حول ما كان يجري حقاً باليومنة .

توماس ماكوم

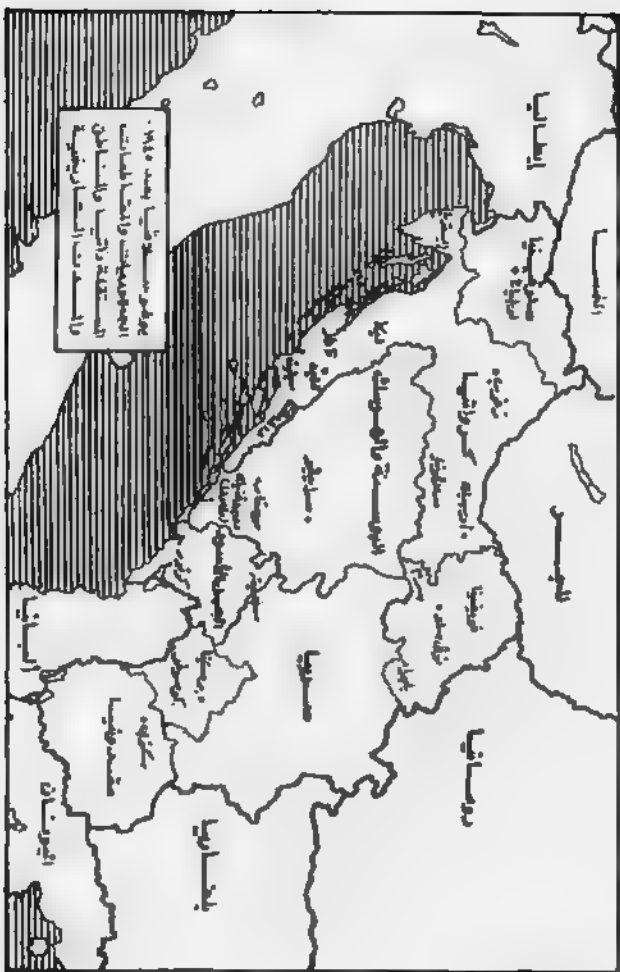
اليوستة - ١٧

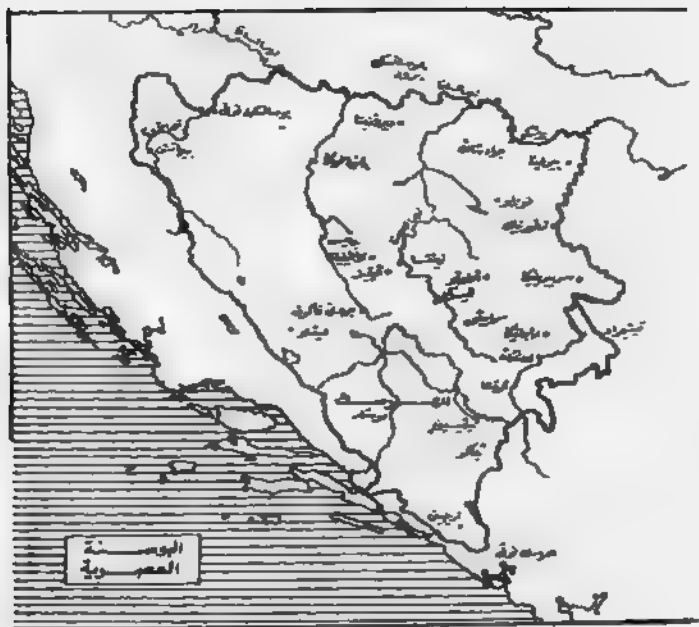
ملاحظة حول الأسماء وطريقة النطق

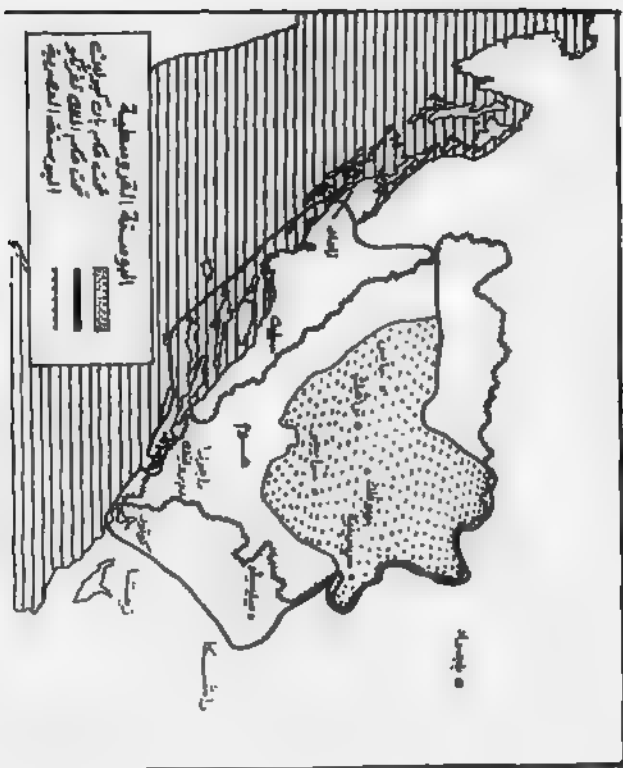
سيلاحظ القراء أني استخدمت مصطلح « راجوزا » حتى زمن عبري من القرن التاسع عشر . و « دوبروفنيك » بعد ذلك . ولأسباب مماثلة اشترت إلى اليوسنيتين الأرثوذكس واليوسنيتين الكاثوليك حتى أغسريات القرن التاسع عشر أو أوليات العشرين . وإلى الصرب اليوسنيتين والكروات اليوسنيتين بعد ذلك . أما أسماء الأقاليم مثل صربيا . فإنها تستخدم بصورة عامة ما لم يكن السياق يدل على خلاف ذلك - للإشارة إلى مناطقها الجغرافية فيما بعد ١٩٤٥ . وحيثما استخدمت اليوسنة كمصطلح جغرافي ، فإن معناها في المادة كامل الأراضي التي تضمنها اليوسنة والهرسك . والاستثناءات الوحيدة في هذا الوضع هي عندما أشير إلى « اليوسنة الحقة » (وهو أمر معناه : أسقاط الهرسك من الموضوع) ، أو عندما يدل السياق بوضوح على أني أشير إلى اليوسنة في تميز بالتباين مع الهرسك .

وعندما يكتب عن كيان متعدد اللغات ومتعدد القوميات كالإمبراطورية العثمانية مثلاً ، فإن من الضروري أن نستخدم مصطلحات مأخوذة من أكثر من لغة واحدة . ولقد جنحت إلى استخدام الأشكال التركيبية للمؤسسات العامة التابعة للإمبراطورية (مثل الدوشيرمة) والأشكال الصربوكرواتية للدلالة على تلك التي أما كانت مما تخص به اليوسنة . أو أدمجت في المصطلحات الجغرافية المحلية (مثل قابيطانية أو منجقية) . وعند توافر الشكل الإنجليزي (مثل « سباهي ») ، فقد استخدمته . وأما في حالة أسماء الأشخاص فأنى حولت للإنجليزية عندما قليلاً من الأسماء القروسطية من التي جاءت في وفرة مربكة من الأشكال (مثل مسيفان وستيبان وستيبان) ، كما أنى حاولت أن ألزم بشكل أو (قورمة) موحدة لتلك الأسماء العثمانية التي تنمى بها الألقاب (مثل حسين قابيطان وسيفوش باشا) .

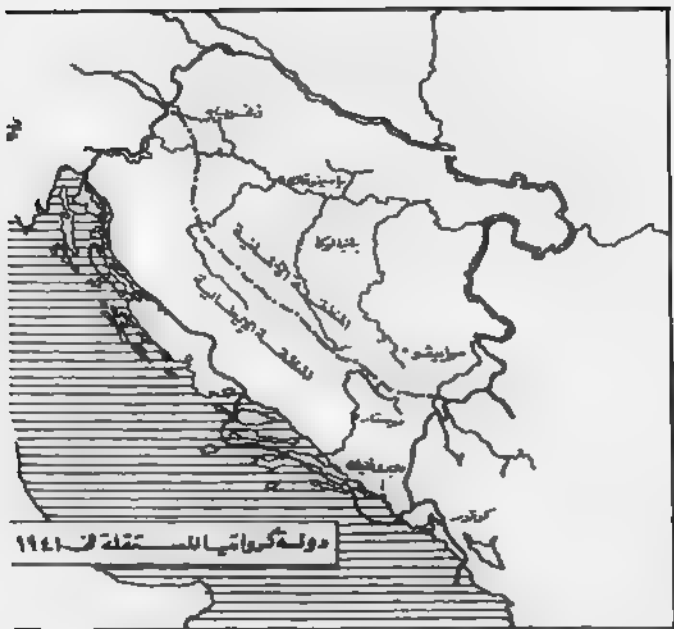
توبيل مذكور











مقدمة

سيدكر الاسباسى ١٩٩٢ و ١٩٩٣ على أنهما السنتان اللتان دمرت
فيهما دولة اوزبكية . كانت دولة تاريخها السياسى والثقافى مختلف عن
عشيليهما فى كل دول أوروبا الأخرى . وتراكبت فيها الأدب الكبرى والقوى
العظمى فى التاريخ الأوروبى وامتزجت هناك : امبراطوريات روما وشارلمان
والعثمانيين والممسا والمجر ، فضلا عن المسيحية الغربية والمسيحية
الشرقية واليهودية الاسلام . ولا عراء فى أن هذه الحقائق وحدها تمد
سببا كافيا لدراسة تاريخ الوسنة بوصفها موصفا له أهميته القريفة .
ولكن الحرب التى غمرت باتونها هذا القطر فى ١٩٩٢ . اضافت سببين
محزين يدعوان الى دوامة تاريخها دوامة تحيى وتبقى : فاما اول
السببين فهو الحاجة الى فهم اصول ذلك القتال . وثانيهما هو الحاجة الى
تنديد بعض حواش سوء الفهم . والمخافات والجهل المطبق بالامور التى
اكتشفت جميع شئون البوسنة وتاريخها .

والثانية من هاتين الحاجتين هى لسهما بكل تأكيد . ومن المتناقضات
الصحية أن أهم دواع يدعو الى دراسة تاريخ البوسنة هو أنه يمكن المرء من
أن يرى أن تاريخ البوسنة فى حد ذاته لا يحسر قصول هذه الحرب .
ولا شك فى أن الحرب لم تكن لتنبش لولا أن الوسنة هى ذلك الشيء
الغريب الذى كافته ، والذى جعل منا هدفا للطامع ومصالح خاصة . على
أن هذه المطامع كانت موجهة الى الوسنة من خارج الحدود البوسنية .
وأعظم عائق حال دون فهم ما كان يحدث إنما هو افتراض أن كل ما حدث
فى ذلك القطر جاء نتاجا - طبيعيا وتلقائيا وفى نفس الوقت ضروريا - لقوى
تلك كلها فى تاريخ البوسنة الداخلى - تلك هى الخرافة التى أشيعت
طول الأرض وعرضها بحرس شديد على لسان الذين تسببوا فى الصراع .
والذين أرادوا أن يجعلونا نعتقد أن ما يفصلونه هم وحيلة البنادق من رجالهم
لم يتم بأيديهم ، بل على أيدي قوى تاريخية لا مسيل لأحد الى التحكم
فيهما .

وصدقهم العالم مع الالف ! وعلى مؤرخي المستقبل أن يحكموا أي
الحج كان لها وزنها حقا في عقول رجال السياسة في أوروبا وأمريكا ،
عندما كانت ردود أفعالهم وراء القتال الناشب في اليوسنة ، هي اتخاذ
سياسات لم تقف عند حد الاحقاق في حل المشكلة بل زادت بها بالعمل وبالا-
والشيء الواضح هو أن عمولهم كانت مملوكة مسبقا بضباب من الجهالة
التاريخية . واليك مثلا الرأي المتروى لرئيس الوزارة البريطانية
جون ميجور حيث قال في مجلس العموم بعد نشوب الحرب بأكثر من
سنة كاملة :

« ان أعظم عنصر متغور يقف وراء ما حدث في اليوسنة
هو انهيار الاتحاد السوفييتي وذلك الانضباط الذي فرضه
في يوغوسلافيا القديية على الاحقاد والكراهيات القديية .
فما كاد ذلك النظام يتوارى عن الأظار حتى عادت الى الظهور
تلك الاحقاد القديية وشرعنا نرى عواقبها عندما بدأ القتال .
نعم ان هناك عوامل جانبية كثيرة ، ولكن ذلك الانهيار كان
اعظمها جميعا » . (هان سارد ٢٣/٧/١٩٩٢ عمود ٢٢٤)

ومن المسير علينا أن نعرف من أين نبشئ، التعليق على مثل هذا
القول فان « الانضباط » المفروض من الاتحاد السوفييتي على يوغوسلافيا
انتهى الى نهاية مفاجئة أعدت لها دعابة جيدة في ١٩٤٨ ، عندما طرد
ستالين تيتو من منظمة الكومنفرم . ولعل المستر ميجور كان يحاول
الإشارة الى قرار الزعماء الشيوعيين من أمثال سلوبودان ميلوشيفيتش
لسميل ينابيع القومية والوطنية من أجل أغراضهم السياسية الخاصة ،
بيد ان هذه المسألة كانت ماضية في طريقها ببلاد الصرب منذ صيف
١٩٨٩ ، قبل « انهيار الاتحاد السوفييتي » . يستثنى ، كما أنها من نواح
كثيرة لم نذكر نترك كثيرا عن استقلال القومية على يد الزعماء السياسيين
السابقين داخل النظام الشيوعي مثل بيكولاى تشاوشيسكو . ولا شك
في ان الفكرة الفاذية الى ان الشيوعية في حد ذاتها على وجه الاجمال كانت
تقوم بدور « الضابط » العظيم وتضخ القومية تحت قبضتها ، فكرة
خاطئة تماما . والحقيقة أن الحكومات الشيوعية كانت اما تثير القومية
او تتولى تحريرها وتوجيهها لأهدافها الخاصة ، وإما أن تجعلها تهد
وتصبح أكثر وبالا بخلق شعب محط سياسيا يسيطر عليه الاحساس
بالاغتراب ، وإما أن تأتي بالانئين مما في غالب الأحيان . وهذا الأمر
المزدوج واضح اليوم تماما في معظم دول شرق أوروبا . حيث تقوم ما تسمى
باسم الأحزاب « الديمقراطية المتطرفة » بجمع الناعين العاديين الذين تأثروا

نفسهم الرموز الدينية أو التاريخية منذ أيام عصر ما قبل المسيحية ،
والسياسيين الذين أصبحوا شطرا من حياتهم في عضوية الحزب الشيوعي
أو خدمة أمن الدولة . وذلك ، الى حد ما ، هو ما حدث في صربيا أيضا .

ويتجلى الجانب الآخر من الجدل بالحقائق فيما عبر عنه جون ميچور
في هذه الملاحظات التي كروها معظم الزعماء الغربيين في تطبيقهم على
حرب البوسنة . ونعني بذلك ادعاء ان كل شيء حدث في البوسنة منذ
ربيع ١٩٩٢ انما هو تعبير عن « الكراهيات العرقية القديمة » التي تفجرت
من تلقاء نفسها . فاما ان الكراهيات والمساسات كانت موجودة بأرض
البوسنة فذلك شيء لا ينكره أحد ، وقد بالغ أولئك الكتاب الذين صوروا
البوسنة في الستين السابقتين على أنها أرض العجائب في الانسجام
الديني الدائم . ولكن نظره أعمق الى تاريخ البوسنة لابد أن يظهر أنه
العداوات التي كانت موجودة فعلا لم تكن مطلقة ولا ثابتة كما أنها لم تكن
نتائج لا مفر منها لحمل مجتمعت دينية مسوعة مع بعضها . لم يكن
الأساس الرئيسي للعداوة عرقيا ولا دينيا وانما هو اقتصادي ناشئ عن
الامتياز الذي كانت تحسه جماعة العلاحين (الذين كان أغلبهم ، وليس
كلهم من المسيحيين) نحو ملاك الأراضي المسلمين . ولم تكن هذه العداوة
مطلقة قابلة لا يمكن التخفيف منها : فأنها كانت تتغير بتغير الظروف
الاقتصادية . كما كانت أيضا خاضعة للضغوط السياسية التي هدلت
بصورة جوهرية موقف الطبقة مالكة الأراضي أثناء النصف الأول من القرن
التاسع عشر . كما ان العداوات بين المجتمعات الكاثوليكية والأرثوذكسية
كانت أيضا عرضة لمؤثرات متقلبة مثل المساسات بين رجال الطبقات العليا
للكنائس في الكنائس والاضغوط السياسية من الاقطار المجاورة .
وهكذا .

ولم تكن العداوات لتقيم لها بنيانا مسديما في نفسيات الناس الذين
كانوا يعيشون بأرض البوسنة . فأنها كانت من ثمار التاريخ ، وكان في
الامكان أن يلم بها التغير بتطور التاريخ . فقد تأكلت الأسباب الاقتصادية
للكرهية بفضل التغيرات والاصلاحات قرب نهاية القرن التاسع عشر
وأوائل العشرين ، حتى زالت الى حد كبير . فاما الأسباب الدينية للكرهية
فقد نقصت في النصف الثاني من القرن العشرين بفضل انتشار العلمانية
بأشكالها (سواء منها الطبيعي وغير الطبيعي) . وخلال معظم المئة بعد
١٨٧٨ ، ظلت مختلف الفرق الدينية أو العرقية في البوسنة تعيش معا
بسلام آمنة : فاما حادثا المنف العظيمين بعد ذلك - أثناء الحرب العالمية
الأولى وبطعها مباشرة ، وأثناء سنوات الحرب العالمية الثانية الأربع -

فكانتا استثنائين . ، ناهما وزاد في لوارهما مسببات جاءت من خارج حدود البوسنة . ومنذ ثانی عاتق الحادثین الرحیبتین . نشأ وترعرع جیلان کاملان . هما الغالبية العظمى من السكان البوسنیین . لا یحصلون فی صدورهم أية ذكرى شخصية للقتال الذى جرى فی تلك الحرب . ولا یضمرون أية رغبة خاصة فی احیائها .

وغنى عن البیان أن من السهل استعراض تاریخ قطر مثل البوسنة والتقاط أمثلة ومساجد الانقسامات الاقليمية والعنف وعدم الصیط والانضباط . فشواهد ذلك كثيرة قائمة وسیجد القارى . كثيرا منها على صفحات هذا الكتاب . بيد أن التاریخ السیاسی لبوسنة أحریات القرن العشرين لم یسئل فی تحدید ما حدث فی القرن الثالث عشر أو الثامن عشر . فاما المؤلفون الذین یسبون أن یقدموا برأى تاریخیة مجموعة فی مجلة وتسرع نؤید ما یسطرون من قول . فیستطیعون التقاط بضعة أحداث دموية قليلة من الماسی ویقولون : « كان الأمر على الدوام على هذا النحو » . وفى امكان أى امرئ أن یمارس نفس الأسلوب ازاء التاریخ الفرنسى مثلا . متفیا الحروب الدیسة فی القرن السادس عشر والقطائع البریة التى حدثت یوم مذبحة سانت بارتولوميو . والثورات الاقليمية الكثيرة الحدوث . وحرب العرود . والمعاملة الوحشية التى عمل بها الهوجوتوت مى ١٦٨٥ . والوحشية الرهيبة وعملیات الاعدام الجماعی الذى أعقب الثورة الفرنسية . وعدم الثبوت الذى ساد سیاسات القرن التاسع عشر . بل حتى قصص التواطؤ مع القزاة ولقارمة فی الحرب المالیة الثانیة . لكن لو حدث أن عددا من السیاسیین والقادة العسکریین المؤذرين من الخارج . بدعوا فی ففف باريس بقذائف المدفعية الثقيلة جدا . ما أمكننا أن نقصد مع القاعدین ونقول : « ان ذلك كله نتیجة العداء والكراهیات الفرنسية المبیقة » . بل سیحتاج الأمر منا نظرة تدقیق أكثر لتفحص الأصل والطبیعة الحقبة لتلك الكارثة بعبها . ذلك ما حاولنا ایضا فعله فی هذا الكتاب .

والميزة العظمى لفرنسا على البوسنة . هى ان تاریخها معروف معروفة اکیفة فی طول العالم وعرضه كما أنه مدروس دراسة عميقة مستفیضة . فاما فی حالة البوسنة . فلنستأعرف الا القذر اليسیر بعیت أصبح من السیر علینا أثناء السنین الأخیرتین أن نبرز بین شباب الجهل وسنار دشان الدعاية المضلل . الا نرى أن وجود البوسنة نفسه ظل ینكره یضمر الكتاب الذین اكدوا بكل ثقة أن « البوسنة لم تكن فی يوم من الأيام دولة » . فعدما كلف اللورد اوین یهمة المفاوضات عن المجموعة الاقتصادية

الأوروبية في يوغوسلافيا عام ١٩٩٢ . نصح أحد الكتاب الصحفيين في عموده اليومي بكل ثقة مؤكدا له أن الحدود الداخلية ليوغوسلافيا إنما هي حدود إدارية بحتة وأنها تقوم وحيه كالتى فرضها في أفريقيا الحكام الاستعماريون . وكتب : ما سمعنا بعض هؤلاء الكتاب يدعون أن حدود البوسنة إنما هي اختراع وضعه تيتو ، ولكن الحقيقة هي أن تيتو ببساطة إنما أعاد حدود البوسنة كما كانت في العهد الأخير للإمبراطوريتين العثمانية والنمساوية المجرية . وكما سوف يكتشف القراء فإن بعض أجزاء هذه التهموم اخترعت اختراعا في معاملات تصود إلى القرن الثامن عشر ، وأجزاء أخرى عكست حدودا أقدم كثيرا ، مثل التقسيم الفاصل بين البوسنة وصربيا على امتداد نهر الدرينا ، الذى ورد ذكره فيما أورده المؤرخ كيماموس في آخريات القرن الثانى عشر .

ومن الحل أن المعلومات التاريخية الخاطئة التى رعتها أجهزة الاعلام الأوروبية في السنتين الأخيرتين قد أقحمت على الموضوع نعت ثانى الأساطير السياسية والفئوية التى تملأحت موحاتها من داخل يوغوسلافيا السابقة ، وظل الكروات أكثر من قرن من الزمان يكتبون الكتب التى تحاول أن تثبت أن البوسنيين « فى الحق » كروات ، كما ذهب الصربيون بالمثل ويدون انقطاع إلى أن البوسنيين « فى الحق » صربيون . وآخر صيغة بمد ذلك أن الكروات قد ادعوا أن جميع المواطنين الصربيين إنما هم فى الحقيقة « تشيتنيك » (وهى حركة القتالين غير النظاميين الصربية المتطرفة) ، كما حاولوا أن يظهروا دعم التشيتنيك فى الحرب العالمية الثانية ، وهو دراجا ميهايوفيتش بأنه سفاح للشعوب . ووصفت الدعاية الصربية جميع الفوميين الكروات بأنهم « لومناشا » (وهى حركة متطرفة كرواتية فى الحرب العالمية الثانية) ، كما أنهم عمقوا إلى قصة الفرقة العسكرية المسلمة فى الجيش الألمانى ، فبشوها من قبرها كوسيلة إلى الإشارة إلى أن المسلمين البوسنيين إما أن يكونوا نازيين أو أصوليين أو يجسعون بين الاثنين . أما الذين وقعوا أسرى فى الوسط من هذه المنازعات كلها وهم المسلمون ودعاة التمددية فى البوسنة ، فقد تركوا لينوا أنفسهم بأى حرافة أو أسطورة تمجيبهم : أسطورة البوجوميل أو أسطورة أنسلام والانسجام الدائم فى البوسنة أو أسطورة تيتو . وليس فى إمكان أى ملحق أو مؤرخ أن يختار طريقه بين جميع هذه الأساطير المتناحرة دون أن يحدث بعضا من التكدير المصعب لجميع الأطراف . ولن يرضى المرء عن فعل ذلك حتى وصل إلى أن يعرف وأن يجب . ليس فقط البوسنة بل أيضا كثيرا من الصفات الخاصة لسكانها . وفى نفس الحين فإن وجود نموذج متشابه من الادعاءات والمبررات المتناقضة لا يعنى أن المرء يستطيع الوصول إلى

نتيجة دقيقة بمعالجته كل الادعاءات على انها متساوية والاكتفاء بتحديد معدل الحقيقة في كل منها . وليس عندي أدنى شك بأن عمه مسئولية تدعيم البوسنة يقع معظمه بالضرورة على جانب واحد ، وحاولت في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب أن أبرر الأسباب التي دعيتني الى هذا الاعتقاد .

وهناك طريقة مؤكدة تماما لتقييم الادعاءات التاريخية التي يرددها دعاة استخدام العنف الكرئيسيون في البوسنة ، وهي النظر في كل ما فعلوه لتدعيم الدلائل المادية للتاريخ معه . فاقم لا يقتصرون فقط على تدعيم مستقبل ذلك القطر ، وانما هم أيضا ينفلون جهودا منظمة لمحو ماضيهِ ، حيث دمرت دار الكتب الوطنية والجامعة في سراييفو بقنابل حارقة . وانما معهد الدراسات الشرقية ، بما جرى من مجموعة لا يمكن توضيحها من المخطوطات والمواد الأخرى التي توضح التاريخ العثماني للبوسنة ، فقد دمر هو الآخر بتركيز القصف بالقنابل عليه . وفي كل أرجاء البلاد أزيلت من الوجود جميع المساجد والمآذن بما في ذلك بعض أهدع نماذج عبادة القرن السادس عشر العثمانية ببلاد البلقان الغربية . فن هذه المباني لم تصيب فقط أثناء القتال المارضي للاشتباكات العسكرية ، فان يفضيها مثل بيليينا (Bijeljina) وبانيا لوكا (Banja Luka) ، لم تكن لازالتها أية علاقة بالقتال اطلاقا . حيث نسقت المساجد بالمتفجرات أثناء الليل ثم أنت عليها البومفوزورات في اليوم التالي . ولا شك في أن الناس الذين دمروا وأمروا بتفنيده هذه الأعمال انما يحبون أن يقولوا ان التاريخ في جانبهم . ولكن ما يظهوره بالفعالهم هذه هو أنهم انما يشعرون حربا ضد تاريخ وطنهم . وكل ما شئت ان أفعله في هذا الكتاب انما هو إبراز بعض تفاصيل ذلك التاريخ قبل أن يتم تدعيم القطر كله تدعيرا تاما .

الفصل الأول

الاجناس والاساطير والاصول البوسنية حتى ١١٨٠

التاريخ المصري رأس الداء في البلقان . وكما سيعلم أى انسان عاش أو مر فى ذلك الجزء من أوروبا ، لا يوجد هناك شئ اسمه ولاية فضلا عن دولة ، متجانسة تجاسيا عنصريا . وقل من يستطيع بنزاهة قلعة فى شبه جزيرة البلقان ان يدعى لنفسه قلعة تالما فى اسلافه . ومع ذلك فكم من مرة حدث اثناء القرنين الآخرين ، أن نظريات وهمية عن الهوية العنصرية العرقية سيطرت على السياسات القومية لأراضى البلقان - وقمة سبب أول يدفعنا الى دراسة تاريخ تلك المنطقة الميكر ، هو ان تلك الدراسة تمكنتنا من أن نرى أن من المستحيل ادارة الشؤون السياسية العصرية على اساس الاصول العرقية القديمة ، حتى وان كان صوابا .

وهذا امر لا يصدق فى أى مكان آخر أكثر مما يصدق فى تاريخ بلاد البوسنة ، وهى قطر كثيرا ما أطلق عليه اسم العالم الأصغر لبلاد البلقان . فليس هناك شئ يمكن أن نسميه بالسحنة النموذجية البوسنية : فهناك مثلا بوسنيون شمر الشمر وآخرون سمر الشمر ، وعنهم من لهم بقرة سمراء مملوطة بالنمش ، وعنهم من يتسمون بضخامة العظام وقصر الأطراف المثقلة بالعضلات . لقد أسهمت جيئات ما لا يحصى من الشعوب المختلفة فى تكوين هذه النفسىة الشدية . والقطر كله جبل وعمر ، به من الأراضى ما يراوح بين الغابة الكثيفة والمرتفعات كثة النماء الشجرى والمشمسى فى شمال وسط البوسنة ، الى الطبيعة البرية القاحلة جدا الموجودة فى منطقة غرب الهرسك ، وتشتهر الأنهار الكثيرة التى لا يصلح معظمها للملاحة . وهناك قطعة ضخمة من الأرض التى لا يمكن اختراقها وهى تقع بين اثنتين من الطرق الرئيسية التى مرت منها موجات الشعوب الغازية ودخلت الى غرب البلقان : الطريق الضيق الدالماتى الساحلى

وطريق الأرض المنبسطة المنخفضة التي كان يؤدي من بلجراد جنوبا متخللا صربيا إلى مقدونيا وبلغاريا . ولذلك فإن الأثر المباشر لتلك الغزوات على البوسنة كان فيما يرجع أقل كثيرا من وقعها على أرض صربيا السهلية الحصينة أو على المدن الدلناتية الساحلية الشديدة التعرض لحصارات النهب . وترتب على ذلك تراكم أنواع عرقية مختلفة في أرضها ، وهو أثر غير مباشر ، وإن كان أقوى من الأثر الأول فيما يرجع ، فكما هو معلوم أن المناطق الجبلية كانت ملاحى حصينة لجميع السكان التي ما كانت إلا لتهلك أو تطرد من ديارها في المناطق الأكثر تسطحا . وما على المرء إلا أن ينظر بعينه إلى بقاء شعب الباسك حتى اليوم على قيد الحياة ببلاد البيرانس ، أو إلى ذلك الشعب الذي يفردهاته السلالية والعنصرية ، وأعى به بلاد القوقاز . وفي حالة البوسنة ، تمكن الغزو السلافي في القرنين السادس والسابع من أن يؤسس هوية لغوية ، تمكنت في آخر المطاف من أن تحل محل جميع الأخريات ، ولكن آثار التنوع السلافي المنصري واضحة تماما لكل من يرى عين مبصرة .

ومن أجل دواع تتصل باللفة والثقافة ، ومن أجل ما يربو على ألف سنة من التاريخ ، يمكن أن يطلق حقا على سكان البوسنة الصربيين أنهم سلافيون . إذ ليس وصول السلاف إلى البلقان إلا نقطة الابتداء بتاريخ البوسنة . ولكن نقط الابتداء الحديثة لا يمكن أن تكون مطلقة تماما في التاريخ البشري ، ولابد لنا من أن نعرف أيضا شيئا عن سكان البوسنة الذين وجدهم السلاف يسكنون تلك البلاد عند وصولهم إليها والذين تمكنوا من امتصاصهم فيما بعد .

وأقدم السكان الذين ندبنا شيء من العلم بهم هم الليريون *Illyrians* ، وهم مجموعة من القبائل كانت تغطي شطرا كبيرا من يوغوسلافيا والبانيا ، وكانوا يتحدثون لغة هندوأوروبية ذات ارتباط بالآلبانية الحديثة . والقبيلة التي أعادت اسمها لاقليم دالماتيا *Dalmatia* وهي قبيلة دالماتيا (*Delmatia*) ، كانت فيما يرجع قد أخذت اسمها من الكلمة الإليانية المطلقة على هـ الغم ، وهي كلمة دلي (*Delme*) . وكانت أرضها تغطي جزءا من غرب البوسنة . كما أن الحفائر التاريخية تظهر أن القبائل الليرية كانت من الرعاة مربى الدواب خاصة الأغنام والخنازير والماعز . وهناك قبائل أخرى التي بها الرومان بينما كانوا ينتشرون سلطانهم على الأراضي المجاورة أثناء القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ، كانت تحوى على تجمع مخطط الليري كلتي (*The Scordisci*) ، على الحافة الشمالية الشرقية لبوسنة ، ثم قبيلة من الهاتلين الأشبه في البوسنة الوسطى من القبيلة

الدياستيية (Daciaten) ، وهم الذين أخذت آخر ترمذاتهم على الإمبراطورية الرومانية بشدة وقسوة في العلم التاسع للبيكاد . وفي ذلك التاريخ فصاعدا أصبحت جميع أراضي الليريا في قبضة الرومان المتسكنة . ولم تلت أن أصبحت شبكة من الطرق والمستوطنات الرومانية بالتدريج (٢) . وامتدت طرق عديدة عبر البوسنة من مدينة سالونا Salona الساحلية (قرب سبليت Split) ، ولم يكن الأمر بحاجة إلى هذه الطرق من أجل التجارة فقد ما هو محتاج إليها لخمس الصليات البحرية المتجهة بعيداً نحو الشرق ، ولكنها كانت تستخدم أيضا كطرق لنقل الذهب والنضة والرماس التي كانت تستخرج من البوسنة الشرقية في العهد الروماني (٤) . وكان معظم البوسنة مضموما إلى مقاطعة دالماتيا الرومانية ولكن جزءا من شمال البوسنة كان يقع داخل ولاية بانونيا Pannonia التي تقع على أميال قليلة وراء الركن الشمالي الشرقي من البحر الماصرة . ولم تلبث المسيحية أن جاءت سريفة إلى المدن الرومانية : فقد جاء ذكر أوائل الأساقفة في زمن مبكر هو أواخر القرن الميلادي الأول بمدينة سريموم Sirmium في بانونيا (مرييسكا Sremska وخروفيكا Metrovica التي تقع على أميال قليلة وراء الركن الشمالي الشرقي من البوسنة الماصرة) . وقد أسفرت الطائر عن اكتشاف ما لا يقل عن عشرين كاتدرائية ورومانية داخل الأراضي البوسنية الماصرة . ومن بين هذه الكاتدرائيات واحدة تقع قرب ستولا Stolica بمنطقة الهرمسك (Hercegovina) إنما هي حراية محترقة تحتوي على عملات من القرن الرابع : وهي دليل على حقيقة أن هذه الفترة الأولى للمسيحية البوسنية خلقت نهاية مفاصلة على يد الغزو القوطي (٥) .

ولا بد أن استخدام اللغة اللاتينية أصبح واسع الانتشار في البوسنة الرومانية ، وواضح أنها كانت اللغة المشتركة الوحيدة للمستوطنين الوافدين من أجزاء الإمبراطورية الكثيرة الذين كانوا يجهلون ليمشوا في ولاية دالماتيا : من إيطاليا قبل كل شيء ، ولكن أيضا من أفريقيا وأسبانيا وبلاد الغال (فرنسا) ، واليونان وآسيا الصغرى ، وسوريا وفلسطين ومصر . وكان معظم هؤلاء المستعمرين يجهلون في المدن الساحلية . بيد أن هناك سجلات باقواهم لهم أسماء أسبوية بروادى الترتفا Neretva (بحر الهرمسك) وفي منطقة يابيسه Japaz الواقعة شمال غرب البوسنة (٦) . وعند منتصف القرن الثاني للمسيحي فصاعدا أقبل عدد ضخم من المهاجرين الرومانيين على الإقامة أيضا بالبلقان بعد انتهاء خدمتهم في الجيش : والدليل القاطع على نصبتهم هو أنه في اللغة

الرومانية ، وهي اللغة التي تطورت عن اللاتينية التي كانت مستخدمة بتلك المنطقة . كانت الكلمة الدالة على الرجل الشيخ هو « butarin » مشتقة من كلمة « Vetus » التي تعني الحارب الذي أنهى خدمته العسكرية وكانه الالديون أنفسهم يجنون بأعداد ضخمة في العيالي الرومانية ، وكانت الأراضي الالديرية منذ أواخر القرن الثاني فصاعدا ، هي قاعدة القوة العسكرية لكثير من حكام المقاطعات والقواد العسكريين الذين أصبحوا إباطرة للرومان . وأول هؤلاء الإباطرة . وهو سيثيموس سيفيروس Septimius Severus خلع الحرس البرياتوري عندما عاد إلى روما في ١٩٣ للميلاد واستبدل به جندا من الالدين : الذين وصفتهم كلمسات مؤرخ روماني : « بأنهم حشد مخلط من الجنود ، هم أعظم ما يكون وحشية منظر وأجمل وأغلب ما يكون في الحوار » (٧) .

وكانت المصادر الرومانية والاغريقية الأخرى تتخذ موقفا متعاليا حيال هؤلاء الرجال من أبناء القبائل المحلية في البلقان . ونتيجة لهذا ليس لدينا بيان تفصيلي حقا عن بنيتهم الاجتماعية أو ديانتهم أو طريقة حياتهم . ولكن هناك تعليقا عابرا محيرا تركه لنا الجغرافي العظيم استرابون Strabo الاغريقي (٦٣ ق م - ٢٥ م) حيث قال ان الوشم كان منتشرا بين الالديين . وهذا أثبت شهادته هذه عنورا على ابر الوشم في مناطق المدن الالديرية بالبوسنة (٨) . وليس معروفا ان الوشم كان عادة سلافية في أي وقت أو جزء من الأقاليم السلافية ، ومع ذلك فإنه ياتي إلى اليوم على طول هذه القرون المديدة بين كاتوليك وسط البوسنة وبين مسلمي وكاتوليك شمال ألبانيا . وفي عشرينات القرن العشرين تسكنت الرحالة الاسجليزية والمالة المتجربة في شئون البلقان ، اديث درهام Edith Durham من القيام بدراسة تفصيلية مستفيضة لتلك العادة المنتشرة ، ونقلت اليها كثيرا من الرسوم والتصميمات البوسنية - وهي من النماذج الهندسية البسيطة للدوائر والصلبان والأهلة طاهر أنها تمثل شجوسا مشعة وأقبالا . وقد قررت الرحالة : « ان النساء يوشمن وشما أشد تعقيدا من الرجال كثيرا . فاني أذكرهن وزنودهن كثيرا ما تكون منقطة بالاشكال والنماذج . وكانت الودونات منهن يقلن انهن يوشمن لأن « تلك هي عادتنا » . « لأننا كاتوليك » . و « لأن ذلك جميل » . ويقولن « ان أيدينا ستكون أجمل موشومة » (٩) . وهذه العادة دليل قاطع على الاستقرار الثقافي بالبوسنة الذي يتخلل خلف كل ذلك الطريق إلى القبائل الليرية . ومن سوء الحظ ان ذلك ليس الا الدليل الوحيد القوي بين أيدينا ، وقد كثرت الإدعاءات بالأصل الاليري لكثير من

الموسسات اللاسلافية التي ما تزال تعيش باليومنة مثل الموسيقى الشعبية
المصنعة الأصوات . ولكن هنا نقتل الشواهد المؤيدة لذلك عند الكتسب
الاغريق والرومان (١) .

وبالنظر الى هذا الدليل وما نصره من معلومات عن الفتوحات
والاستيطان بالبلقان ، يمكننا أن نؤكد أن بعض اللاتين عاشوا بعد
الفتوحات التالية واعتصموا تماما في داخلهم من أصبحوا السكان السلافيين .
ولكن بعض الأيديولوجيين اليوغوسلاف من أبناء القرن التاسع عشر
وضموا نظرية رومانسية تنسب الى أن الصربيين والكروات هم
« في الحقيقة » من اللاتين (وعلى ذلك فانهم وحدة عرقية خاصة تمتد
على أماد البحر كله) ولكنها نظرية محدثنا عن السياسة اليوغوسلافية
الحاضرة أكثر منها عن التاريخ البلقاني المبكر (١١) .

وفي بعض الأحيان يظهر الأمر كما لا يستطيع أي سكان أن يدخلوا
بلاد البلقان دون أن يغلفوا وراهم نظرية مماثلة لهذه لكي تفسك بها
الأجيال التالية . وذلك يصدق بوجه خاص على الفترة التالية ، وهم فياثن
القوط *Goths* الجرمانية الذين شرعوا في الإغارة على البلقان الرومانية
في القرن الثالث وأنزلوا الهزائم القاسية بالجيش الروماني في أخريات
القرن الرابع ، واستولوا على قلعة سيغيدونوم *Singidunum* (وهي
يلجراد العصرية) في أواخر القرن الخامس ، ولكنهم انسحبوا تماما إلى
المملكة التي أسسوها في إيطاليا والمانشيا عقب ذلك . هل أنهم ما لبثوا
أن طردوا تماما من البلقان على يد الامبراطور جستنيان *Justinian* في أواخر
القرن السادس . (وبعد حملة جستنيان أصبحت اليومنة - من الناحية
النظرية على الأقل - جزءا من الامبراطورية البيزنطية ، وكانت تقع أصلا
على الناحية الغربية من الخط الفاصل بين الأراضي الرومانية الغربية
والرومانية الشرقية) . أما القوط الذين تغلفوا فانهم ما لبثوا أن امتصتهم
الكتلة السكانية المحلية (١٢) . ومع أن القوط كانوا مستوطنين فضلا عن
كونهم مغربين ، فانهم لم يتركوا أي آثار أو انطباعات ثقافية بارزة
البلقان ؛ فليست هناك مثلا كلمة واحدة في أية لغة بلقانية يمكن أن يستدل
على أنها مشتقة من اللغة القوطية .

ومع ذلك ، فإن هناك أسطورة عجيبة لم تلبث أن تشكلت . ادعت
أن القوط هم الأسلاف الحقيقيون للكروات و / أو اليوسطين . وكان
الأصل في هذه الأسطورة مغبوط فرسطين سطر باللاتينية : « للدونات
التاريخية لقسيس ديوكليا *Diocletia* » . يبدو أنها منقولة من مدونة

تاريخية سلافية القدم حيث تعرف بمواطنها اللاتينية (*Libellina Gothorum*) إلى « كليب القوط » ، ومن هنا يذكر حجرة القوط إلى باتونيا ، وتعاملهم على أنهم الأسلاف الأصليون للسلاف (١٣) . ولقد استغضت تلك المذوبة التاريخية على يد العديد من مؤرخي عصر النهضة المتأخرين في راجونا *Ragusa* (دوبروفنيك *Dubrovnik*) . وأعظم هؤلاء المؤرخين هو الراهب البندكتيبي مائورو لوريسي *Mauro Orbini* ، قد تباد نظرية فحة متفاخرة للتاريخ المصري ، ذهب فيها إلى أن جميع الأجناس تهربا إلى أدت أي شيء ذي قيمة في حقبتي للتاريخ الكلاسيكية المتأخرة والفرسوية المبكرة ، كانوا من السلاف (بما في ذلك الوندال *Vandals* والأفار *Avars* والنورمان *Normans* والمغول *Finns* والنراقين *Thracians* والالبيرين) ، وأن جميع السلاف كانوا من القوط : « فكل هؤلاء كانوا يستجيرون للتعب السلافي ويتحدثون بنفس اللسان السلافي » . وعندما عادوا في البداية وطنهم الأول المشترك وهو اسكندنافيا ، أطلق عليهم جميعا (فيما عدا الالبيرين والنراقين) اسما وحيدا هو القوط « (١٤) » . وفي نظرية لوريسي هذه ، كان هذا التطابق في الهوية مع القوط جزءا من أيديولوجية الرابطة السلافية ، صورت القوط السلافين بأنهم أشد واقرب سلافة في التاريخ الأوربي . ولكن قوما من غربي البلقان قاموا ، في تعديل جديد لنظرية القوطية ، بتعريف أنفسهم بالقوط لكن يميزوا أنفسهم عن السلافين . ولأسباب واضحة ومروعة ذاعت هذه النظرية بالبوسنة ذيوها شعبيا خلافا ذلك العرب العالمية الثانية عندما راح اليوسيتيون ، الذين كانوا يطمحون لبلادهم أن تحصل على استقلال ذاتي من الدولة الكرواتية الفاشية ، يحاولون تأسيس هويتهم اليوسنية على أساس عنصرى متصل . وفي نوفمبر ١٩٤٧ أرسل فريق من دعاة الاستقلال الذاتي المسلمين «بمذكرته إلى هتلر ادعوا فيها لاختراق العنصرى على جميع جيرانهم من السلافين : « نحن جنسا ودعا لسانا من السلاف ، وأما نحن من أصل قوطي » . فتمن اليوسيتيين جثنا جنوبا إلى البلقان في القرن الثالث بوصفنا قبيلة جرمانية » (١٥) ، ويبدو أنه حتى هتلر نفسه وجد هذه القصة صحيحة للتصديق إلى حد ما

ولم يكن القوط هم الجنس البشري الوحيد الذي زار غرب البلقان ، وربما ترك بعض ذرية هناك بين الرومان والسلاف . فإن الهون *Huns* الآسيويين (وهم شعب تركي حنولي) واللاتيون الإيرانيون *Irruans* *Slavs* (وهم أسلاف الأوستيانيين *Ostians*) الصينيين بسلاد القوقاز) ظهوروا أيضا في القرنين الرابع والخامس . وفي القرن السادس

دخل البلقان شعبان جديكان : الآثار (وهم أيضا قبيلة تركية وقعت من
 المملكة الرومانية في شمال القوقاز) ثم السلاف . وكانت تولويخهم في
 البعيدة شديدة الاضطراب . فهم إما حلفاء أو محتاصون . ويبدو انه الأتار
 وإن كانوا أقل عددا كانت لهم اليد العليا في هذه المملكة بسبب مهارتهم
 العسكرية المتعزة . وانتهى الأمر بأن هؤلاء الصيادين الترك طردوا من
 البلقان أثناء القرن السابع عشر على يد الجيوش البيزنطية والكرواتيّة
 البنادارية . وكانت المؤرخون يتعرضون عادة لن الآثار كان لهم تواجد على
 بارض البلقان ، حيث لهم أساسا قوة عسكرية نهتم قبل كل شيء بالفتاوات
 والقتال . ومع هذا فإن البحث الحديث (القائم على الحقائق التاريخية
 وأسماء الأماكن) يشير الى لقائمة طويلة للأتار في كثير من الأجزاء في غربيه
 البوسنة والهرسك والجبل الأسود (١٦) . وفي بعض الأماكن ، بما في
 ذلك مناطق ملاصقة لشمال وشمال غرب البوسنة ، ربما استقرت مجاميع
 مستعدة من المستوطنين الآثار لعدة أجيال متعاقبة : وكان السلاف يطلقون
 على الآثار اسم أوربري (Obrzi) . وهناك أسماء كثيرة لأماكن مثل
 أوربرواك Obrovac التي تسجل وجودهم هناك (١٧) . ومن المحتمل
 أيضا أن كلمة « بان » Ban التي هي لقب الحكام الكرواتيين من القرون
 العصور هي نفسها من أصل أكراني (١٨) .

ولكن كان السلاف بطبيعة الحال هم الذين سادوا وتسلطوا في
 النهاية . وفي آخريات القرن السادس تحركوا بأعداد غفيرة منحدريين في
 شبه جزيرة البلقان ، وقد كانوا قوما يرمعون الى الاستيطان ووراثة الأرض
 ولم يكونوا مجرد غزاة ، وأسسوا المستوطنات التي امتدت الى الطرف
 الجنوبي من بلاد اليونان . (إذ كانت هناك قرى تتحدث بالسلافية حتى
 وقت متأخر من القرن الخامس عشر) (١٩) . وعندها حلت عشرينيات
 القرن السابع كانت جملة من السكان السلاف قد استقرت في بلغاريا
 الحديثة وصربيا ، كما أنهم على أرجح الاحتمالات قد تغلغلوا في جزء كبير
 من أراضي البوسنة أيضا . ثم حدث ، في مدى بضع سنوات قليلة ، أن
 وصلت قبيلتان سلافيتان جديدتان الى السهل : هما الكروات والصرب .
 وتقال عن ما كتبه المؤرخ البيزنطي الامبراطور قسطنطين بوردوبروجيتينوس
 Constantine Porphyrogenitus (الذي كتب بعد ذلك بثلاثة مئة
 ولكن مستخدما السجلات الامبراطورية) : فإن امبراطور بيزنطة في ذلك
 الزمان استدعى الكروات الى داخل البلقان ليحرموا من البلاد أولئك
 الآثار المقاتلين الخارجين عليه . ولم يشترك الصرب - حسب قوله
 الامبراطور قسطنطين - في مطوية الآثار ولكنهم كانوا متصليين بالكروات
 ودخلوا البلقان في نفس تلك الفترة (٢٠) .

فمن بالضبط كان الصرب الكروات ؟ لقد ظل رجال العلم يسكرون طويلا أن الاسم « كروات » (أو حرفات Hrvat باللغة الصربوكرواتية) ليس كلمة سلافية - وعلى يأنه هو نفس الاسم الإيراني « كورواتوس » Chorvatsky الموجود على النقوش البابوية على نصب التيور قرب المدينة الاغريقية - تانايس Tanais على نهر الدون الأدنى بجنوب روسيا - وكثيرا يمكن جميع المنطقة المنتجة شمال البحر الأسود في القرون الأولى المبكرة للميلاد خليط من القبائل كانو يصم السلاف والسرماثيين Sarmatians : وقد كان الآخرون وحيدة إيرانيين مروا غسريا حول الجانب الشمالي من بلاد القوقاز أثناء القرن الثاني قبل الميلاد . وتكون السرماثيون من بسط سيادتهم السياسية على القبائل الأخرى ، ويسمى محتملا أن بعض القبائل السلافية اجتازت بذلك لأعضها صفوة ممتازة حاكمة من المناطق بالإيرانية (٢١) . وهناك نظرية تربط بين حرفات وكورواتوس وبين كلمة هو - اورمانا (hu-aramna) ومعناها «الصديق» بلغة الآلان (الذين كانوا يشكلون جزءا من التجمع السرماتي للقبائل الإيرانية في ذلك الزمان) (٢٢) . ونقول نظرية أخرى أن جذر ذلك الاسم « صرب » Serb (سرف Serr) أصبح بالإيرانية « كرف » (Carv) وذلك ما تسبب في ظهور كورواتوس وحرفات بعد إضافة « ات » (at) في نهاية الكلمة (٢٣) . ولكن التي الواضح هنا هو أن الصرب والكروات كان لهم تاريخ متماثل وحرفات من أقدم العصور : وجاء بطليموس ، الذي كتب في القرن الثاني للميلاد ، فحدد هو أيضا موطن الصربوي (Sorboli) ضمن القبائل السرماتية شمال بلاد القوقاز . ويستند معظم العلماء أنه ما أن كلا من الصرب والكروات كانوا قبائل سلافية تحكمها طبقات إيرانية ، أو أنهم كانوا في الأصل قبائل إيرانية اجتازت إليها رعايا سلافية (٢٤) . وفي بواكير القرن السابع كانت كل من القبيلتين قد أسست لنفسها مملكة في وسط أوروبا : « كرواتيا البيضاء » ، التي كانت تشمل جزءا من جنوب بولندا الحديثة ، و « صربيا البيضاء » ، في أرض التشيك الحديثة . ومن مدين لكانتي هبطا إلى غرب البلقان .

والمرة الثانية تلاعبت الأيديولوجية الحديثة بالتاريخ القديم . إذ ظهر منظرون كروات قوميون انتفوا الدلائل المشيرة إلى انتمائهم إلى الأرومة الآرية بينما رفضوها بالنسبة للصرب ، وبذلك أبرزوا انقسامهما عرقيا قديما بين شطري السكان . وظلت هذه النظرية مقبولة وشعبية أيضا أثناء الحرب العالمية الثانية . عندما كان الأديون القنصل يوضعون في أصل دوجات سلم العنصرية النازية . ومن ناحية أخرى كان هناك الأيديولوجيون من أصحاب نظرية السلاف الجنوبيين أو الكتلة السلافية ،

الذين رفضوا لأسباب سياسية ، جميع الدلائل الدالة على الصلات الأرية المبكرة - على أن الحقيقة التاريخية واضحة إلى حد كبير : ذلك بأن العرب والكروات كانوا عند أبكر الصور متبرزين بخصهما من بعض ولكنهما متصلان أوثق اتصال ، يمتدان ويهاجران في تلامز تام ، وفي كل منهما شيء من العنصر الآري - وهناك شيء آخر واضح أيضا - هو أنهما في الوقت الذي وصلتا فيه إلى البلقان كان هناك عدد ضئيل من السكان السلاف يسكنون المكان يفوق عدد السكان العرب والكروات - والعنى أن هذه الطبقة التحتية الصخرة من السلاف لا يمكن تبويبها إلى مجاميع عرقية موعية منفصلة ، وبذلك يتضح أن محاولة اختراع تقسيمات عرقية سلافية قديمة بين مسلمها ، هي باطل الأباطيل - ولابد أن هذه الطبقة التحتية السلافية نفسها قد انصهرت بقايا مجاميع السكان الذين كان أسلافهم في الأصل الليريين وكلنا درومانا وأفرادا من جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية ، من القوط والالان والمغول والأفار .

واستولى العرب منطقة تطابق الجنوب الغربي من صربيا العصرية (وهي منطقة أصبحت فيما بعد في الصور الوسطى تعرف باسم راشكا Raahke أو راشيا Bascia) ، ثم أخذوا يمدون سلطانهم تدريجيا إلى مناطق دوكليا Duklja أو دوكليا Dioclea (الجبل الأسود) وحموم Hum أو زاتشومليا Zschumlja (الهرسك) . وكان الكروات يستوطنون مناطق تطابق بالتقريب أرض كرواتيا الحديثة ، وربما تضم أيضا معظم البوسنة الحقة ، بنض النظر عن الشقة الشرقية لوادي نهر الدريتا Drina (٢٥) . وكان السكان السلافيون المحليون منظمين على أساس قبيل تقليدي : وفيه يبدأ هرم الوحدات في أسطله بالمائلة (والراجع أنه ذلك النوع من المائلات الواسعة الموجود في بعض أجزاء البلقان إلى يومنا هذا ويطلق عليها المصطلح السلافي زادروجا (Zadruga) ، وكانت المائلات تتعد في عشائر ، والمشار تتعد في قبائل (Plemena) وأرض القبائل المسماة روبا (Zupa) كان يتولى الحكم فيها حاكم إقليمي يسمى بالزويان (٢٦) - كانوا وعينين يمدون سبوعة متنوعة من الآلة ، ولا تزال أسماء بعضها باقية إلى اليوم تطلق على بعض الأماكن اليوغوسلافية : اله الحيوانية المقرنة فيليس (volan) مثلا أو اله الرعد بيرون Piron أو بير Pir (٢٧) - وقد فلتت محاولات من الحكام البيزنطيين في عهد مبكر يرجع إلى القرن السابع لتخصير الكروات بالاستمارة بالقسم اللاتين من المدن الساحلية الدالماتية، التي كانت لا تزال تحت الحكم البيزنطي في ذلك الزمان (٢٨) - ولكن

لم يتم تصدير الكروات جنة وليسبة الا بعد حلول القرن التاسع -
وفي امكاننا ان نعرض ان مناطق البوسنة الابد شقة والأعصر آخرالفا
كانت آخر من اعتنق المسيحية ، التي يحمل أنها انتشرت اليهم من
الأراضي الساحلية في أحرىات القرن التاسع أو بدايات القرن العاشر (٢٩) .
وهناك آثار تدل على انه الممارسات الوثنية قد ظلت الى المسيحية لم يمه
ذلك الى الاسلام بأرض البوسنة - مثل استخدام قم الليل كماكن للعبادة .
وهناك أسماء لأهية وثنية مثل *Plat* و *لوجاني* *Ogani* ونور *Tar*
وكلها بقيت في الروايات المتواترة بين الناس حتى للقرن العشرين
(فان باحثا سجل ترميزة حولهم من دجل من سراييفو في ١٩٢٢) ، كما
أنها قد ظلت لنا أحياء في أسماء الأشخاص مثل *Tiro*
و *Piric* (٣٠) .

والتاريخ السياسي لغرب البلقان بعد بالقرن السابع الى القرن
الحادي عشر ، انما هو تاريخ متقطع ومضطرب مع توالى الفتوحات وتغير
في توجيه الولاء . فلم يمه لأقام قوة أرست دتالم سلطتها في المنطقة .
وهي الامبراطورية البيزنطية ، شىء من السلطان المبتسر سوى القليل
ولكنها استطاعت بين حين وآخر ان تجعل سلطاتها معترفا بها ، واستمرت
العلاقات البيزنطية مع الحق الساحلية ومع جزر دالماتيا : وكانت تنظم
بوصفها ، ثيا ، *Thema* (أى مطقة عسكرية) في القرن التاسع ،
ولكن اخذ سلطان الامبراطورية البيزنطية يصبح اسميا بدرجة متزايدة ،
لا سيما ان الكنائس هناك أصبحت تحت السيطرة الادارية لروما ، ثم فورا
فدرجة شارلمان المنطقة الكرواتية الشمالية ، بما في ذلك جزءا كبيرا من
شمال وشمال غرب البوسنة ، في أحرىات القرن الثامن وأوائل التاسع ،
وظلت في ظل الحكم الفرنجي حتى سبعمينات القرن التاسع ، ولعل
في تلك الفترة بدأ النظام القبلي القديم في البوسنة وكرواتيا يعاد
تنظيمه من جديد ليتخذ شكلا من أشكال الاقطاع الاوربي (٣١) .

وفي ثانيا ذلك تجسدت بعض الاقاليم التي يحكمها العرب في منطقتي
الهرسك والجبل الأسود الحديثتين واتحدت مع مجموعة من الزويات الصرب
في أقصى أقصى الشرق وهي في عصرنا الحالي أى لوانى جنوب غرب
صربيا ، على شكل إمارة صربية (برئاسة ، ذوبان اعظم) ، وذلك في
منتصف القرن التاسع ، وفي لوائل القرن العاشر تنسدت كرواتيا فترة
من القوة والاستقلال في ظل الملك *Tomislav* ، وللمرة الثانية
كان شطر كبير من شمال وغرب البوسنة جزءا من مملكته - ولكن يمه وفاته
(وذلك في الرابع في ٩٢٨) ابتليت الأراضي الكرواتية بحرب أهلية .

وتم على مدى عهد وجيز (في الثلاثينيات حتى الستينيات من القرن
العاشر) الاستيلاء على شطر كبير من البوسنة على يد إمارة صربية قديمة
بالسيادة للإمبراطورية البيزنطية (٢٢) .

وتحتلنا هذه التفاصيل عميقة للسباق التاريخي الذي ورد فيه
أول ذكر نعرفه اليوم عن البوسنة بوصفها أقلية قانيا بذاته . وكان ذلك
في المرجع السياسي الجغرافي الذي كتبه في ٩٨٨ الإمبراطور البيزنطي
نفسه نسطور بوليدوجينيتس . ففي ذلك القسم من مرجع المخصص لأراضي
الأمير الصربي كتب يقول : « في صربيا المنتصرة توجد المدن المأهولة
ديستينكون Destinikon [الخ ٠٠٠] وفي أرض البوسنة توجد
كاثيرا Katera وديستينك Destinik » (٢٣) . وهنا يوضح اسم
اعيننا أن البوسنة (وهي منطقة أسفر من البوسنة الحقة في زماننا
ومتمركزة حول نهر البوسنة ، الذي يفيض شمالا من منطقة قريبة من
سراييفو) كانت تعتبر منطقة متصلة ، وإن كانت في ذلك الحين تابعة
لصرب . وفي ستينيات القرن العاشر سقطت مرة ثانية في يد الحكم
الكرواتي وبقيت أرضا كرواتية ما يقرب من نصف قرن من الزمان .

ثم حدث بعد ذلك في ١٠١٩ أن ولي العرش إمبراطور بيزنطي قوي
جديد هو الإمبراطور بازيل الثاني Basil II ، الشهير باسم
« ذابح البلفار » ، فاجبر الحكام الصربيين والكروات على الاعتراف
بالسيادة البيزنطية . وما لبث انخضاع الكروات الاسمى أن تحول بالتدريج
إلى شيء أشبه بالتحالف ، وفي أثناء القرن الحادي عشر خضعت البوسنة
حيناً من الوقت لحكم كرواتي ، كما حكمها حيناً آخر حكام من الصرب
القيمين في المناطق الشرقية الذين حضروا للسيادة البيزنطية بصورة
مباشرة أكثر (٢٤) . وإلى الجنوب من البوسنة الحالية نمت بعض
الأقاليم بقدر أكبر قليلاً من الاستقلال ، وهي إقليم دوكلينا الذي تسمى
باسم آخر هو زيتا (Zeta) ، والجبل الأسود ، وهوم أو زاتشومليا ،
وهي الهرسك ، حيث قاوم الأمراء الصربيون للحايون الحكم البيزنطي .
وتوحدت هذه الأراضي في مملكة صربية واحدة امتدت حتى احتوت أرض
والحكا الصربية في سبعينيات القرن الحادي عشر . ولكنها ما لبثت تحت
حكم الملك بودين « Bodin » في ١٠٨٠ أن اتسمت حتى ضمت إليها سبط
البوسنة . ولكن المملكة ما لبثت أن تمزقت صريحا بعده وفاته
في ١١٠١ .

وتعد نهاية القرن الحادي عشر نقطة تحول في تاريخ البلقان الغربي ،
 حينما هاجم يودين انتقل مركز الثقل للطموحات السياسية المجرية إلى
 وارسا ، التي أصبحت قلب السلطة الصربية في القرون الوسطى . وفي تلك
 الأثناء كانت المجر قد استولت على الأرض الكرواتية كلها ، وفي عام ١١٠٢
 توج الملك المجرى كولومان Koloman ملكا على كرواتيا ، وبذلك أنشأ
 علاقة ما بين الدولتين ، كانت أحيانا علاقة خضوع مباشرة ، وأحيانا أخرى
 علاقة اتحاد وتحالف شخصي ، خلعت مع بعض فترات التقطع والتعديل ،
 وحتى ١١١٨ ، وبسط الحكم المجرى على البوسنة أيضا في ١١٠٢ ، ولكنها
 لأنها بلاد بعيدة بعيدة الاختراق كان يحكمها « بانجيك » (حاكم بالكرواتية)
 ظلت سلطانه تزداد استقلالاً بتقدم الزمن بالقرن (١٢) ، ولكن الذي
 حدث في المستعبدات والسبب في ذلك من القرن الثاني عشر ان عادت إلى حين
 مقاطعة البوسنة وكرواتيا للحكم البيرطي بعد حملة عسكرية ناجحة
 على يد الإمبراطور أنتونسيوس كومنينوس Manuel Comnenus
 ولكن بعد وفاته في ١١٨٠ تقوضت كل فتوحاته سريعاً ، فاستعادت
 كرواتيا استقلالها الأول بالمجر ، وأصبحت البوسنة في واقع الأمر حرة من
 السيادة المجرية ، ونظراً لأنها لم تعد تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية
 ولا كرواتيا فانها استطاعت أن تنف في وجه الجميع لأول مرة بوصفها
 دولة مستقلة إلى حد ما ، ومن هنا جاء الوصف الشهير للبوسنة الذي
 كتبه كاتب أسرار الإمبراطور مانويل كومنينوس ، وهو مدون الحوادث
 كيناموس Kinnamos الذي كان يكتب فيها معتق في ثمانينات القرن
 الثاني عشر ، « أن البوسنة لم تعد تطيع أوامر الزويان الأعظم للصرب ،
 انه شعب مجاور له عاداته وسماته وحكومته الخاصة » (١٢) ، ولاحظ
 كيناموس أيضاً أن البوسنة كان يوصلها نهر الدرينا من بلاد الصرب ،
 وهو خط فاصل ظل هو خط الحدود الشرقية للبوسنة طوال فترة كبيرة
 من تاريخها التالي .

وليس بوسنة ازاء التاريخ المقعد للبوسنة السلافية المبكرة ،
 فيما بين وصول الكروات والصرب في عشرينيات القرن السابع وانيثاق
 دولة بوسنية مستقلة في ثمانينيات القرن الثاني عشر ، أن فخرج
 باستنتاجات بسيطة عن تلك الفترة . فان البوسنة الحقة كانت تحت الحكم
 الصربي في بعض الأوقات : وأخصها في منتصف القرن العاشر ونهاية
 الحادي عشر . ومع هذا فإن من الخطأ أن يقال ان البوسنة كانت ذات
 يوم جزءاً من صربيا . ذلك لأن الممالك الصربية ، التي خضعت بهذه أجزائها
 البوسنة في تلك الأيام ، لم تكن تحتوي على معظم ما نسميه اليوم باسم

صربيا - ففي أثناء معظم هذه الفترة القروسطية المبكرة كانت مقاطعة الهرسك في حصة الأمر وواقعه أرضا صربية ، ولكن البوسنة العتقة كانت مرتبطة ارتباطا أوثق كثيرا بأراضي الكروات ، بل وفي القرن الثاني عشر ، بعد أن حصلت على استقلالها ، تمت محاذاة إلى النطاق الكرواتي المجرى الثقافي والسياسي انخيازا مستجيرا ومتزايدا (٢٧) - وكانت البوسنة في أيامها القروسطية الأولى مرتبطة ارتباطا وثيقا من حيث تنظيمها الديني بـكرواتيا وليس بأراضي الصرب - فإن أسقفية البوسنة المذكورة على أنها مطرانية كاتوليكية رومانية في القرن الحادي عشر (بعد الانسحاق الذي حدث بين روما والقسطنطينية عام ١٠٥٤) ثم أصبحت تحت الرعايا الدينية لكثير أساقفة سبليت . قيل نقلها إلى أسقفية راجوزا (دوبرينيك) في القرن الثاني عشر (٢٨) - (ومع هذا كانت هناك كما سنرى بعض ملامح مميزة للكنيسة بملاذ البوسنة لا يدها بها باعتد بينها وبين الكنائس اللاتينية القائمة في الساحل الدالماتي منذ مرحلة قديمة من الزمان) ، وهناك رمز يرمز إلى الوشائج السياسية مع العالم الكرواتي هو أن حكامها كانوا يلقبون باللقب الكرواتي « بان » منذ قسم الصور ، أما الحاكم الأكبر للصرب فكان يدهى باسم « الكرويان الأعظم » ولم يدع قط باسم « بان » (٢٩) .

أما عن هوية سكان البوسنة في ١١٨٠ وان كانوا من العرب أو الكروات حقا فهو تساؤل لا يمكن الإجابة عنه لسببين : أولا لأننا نموزنا البينات ، وثانياهما لأن السؤال يسوءه المعنى - ففي إمكاننا أن نقول أن معظم أرض البوسنة كان يشغلها على الأرجح الكروات - أو على الأقل سلاف تحت الحكم الكرواتي - في القرن السابع ، ولكن هذا مسمى قبل قديم لم تعد له الآن أية قيمة بعد انصلاح هذه القرون العتسة - على أن البوسنيين ظلوا على الدوام أقرب إلى الكروات في تاريخهم الديني والسياسي على وجه الجملة ، ولكن تطبيق الفكرة الحديثة حول الهوية الكرواتية (وهي شيء تم بنفذه في القرون الحديثة على الدين والتاريخ واللغة) ، بعد مفارقة تاريخية - وكل ما يستطيع المرء بمقتلانية أن يقوله الآن حول الهوية العرقية للبوسنيين ، أنهم كانوا السلاف الذين عاشوا في البوسنة -

الفصل الثاني

الدولة البوسنية القروسطية

إن تاريخ البوسنة في أوج المصور الوسطى تاريخ مضطرب وموثر للأتراك . ولكن يبرز فيه ثلاثة حكام أقوياء : هم بان كوتلي Ban Kotlić (الذي حكم من ١٦٨٠ الى ١٢٠٤) . وبان ستيفن كوترومانيتش Ban Stephen Kotromancic (١٢٢٢ - ١٢٥٤) ، والملك ستيفن تفرتكو Stephen Tvrtko (١٢٥٢ - ١٣٩٦) . وفي حكم الثاني من هؤلاء الثلاثة أصبحت حدود البوسنة حتى ضمت إمارة صوم (الهرسك) ، كما أنها في عهد الثالث امتدت أكثر نحو الجنوب واستولت أيضا على شطر كبير من الساحل الدلشي . والواقع أنه في أثناء النصف الثاني من حكم تفرتكو كانت البوسنة أقوى دولة داخل البلقان الغربي . والجزء الوحيد من اقليم البوسنة الذي لم يضم الى حكم تفرتكو ، كان قطاعا مسطعلا من الأرض يمتد في الشمال الغربي ويحتوي مدينة بيهانش Bihać الحديثة . التي كانت جزءا من الأراضي الكرواتية المجرية طوال تلك الفترة .

تلك هي النقاط المحيطة في تاريخ قوة البوسنة القروسطية واستقلالها . أما فيما بين فترات حكم هؤلاء الحكام الثلاثة المذكورين فكانت البوسنة مقسمة ، أما رسميا او واقعا نتيجة للصراع المتكرر على القوة . بين الأمر النبيلة المحلية . ومع آلة النظام الاجتماعي والسياسي في البوسنة كان في أساسه الطائفي . فلم يكن ذلك الشكل الصلوم الاقطاع الذي كان يقضي بعودة القطاعات النبلاء الى التساج ان فشلوا في أداء واجباتهم العسكرية : لقد كان النبلاء ملاك اراض مستقلين . وكثيرا ما تكونوا من املاء آرائهم حول وراثة العرش البوسني من واقع مركزهم كقوة اقليمية في البلاد (١) . وهنا جاء علم الاستقلال السياسي المستمر في البوسنة في القرون الوسطى .

وكانت بلاد البحر هي أعلى الدول المجاورة كلمة أثناء تلك الفترة .
وفي أثناء القرنين الثالث عشر ولواتل الرابع عشر تمت المملكة الصربية
أيضا لتصبح دولة عسكرية قوية ، ومن المنحى بالرغم من ذلك أن ملوك
الصرب لم يبدلوا أية محاولة قوية لفتح البوسنة (٢) . ولا شك في أن
استحالة اختراق حدود البوسنة ، وهو أمر طالما خبره ملوك البحر عند
مرات . جعلها غريسة صحية للنال ، فإن حدث وتم نيلها كان ملك أراضيتها
من البلاد المتناكسبة ، يحولونها إلى ضمن لا حرج فيه .

وكذلك كان موقع البوسنة القوي من الأسباب الكامنة وراء تلك
الظاهرة المميزة المعيرة لتاريخها إبان العصور الوسطى : ألا وهي نزعة
الانقسام ، التي سادت كنيسة أذ يسود أن هذه الكنيسة انسلخت عن
الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثالث عشر ، وظلت تعمل في البوسنة
مستقلة تماما حتى وصول الفرنسيين ، الذين حاولوا أن يصيدوا
سلطان روما إلى مكانه في الأرمنييات من القرن الرابع عشر . وعند
ذلك العين دخلت الكنيسة البوسنية في منافسة مع الكنيسة الكاثوليكية
واستمر هذا الأمر أحد قرن من الزمان ، حتى انتهى المطاف برجالها
عشية الفتح التركي إلى الطرد أو اعتناق الكاثوليكية قسرا . وعلى امتداد
عمر تلك الكنيسة ظل كتاب البابوية ينهون البوسنيين بالهرطقة والكفر ،
كما أن بعض تلك المصادر تحدد الهرطقة بالثنوية (Dualist) والمانيوية
(Manichean) . وكانت تلك الكنيسة من جراء تلك الاتهامات تنسب
بأنها تجسيد لطائفة مانيوية بلغانية قديمة هم بروجوميل (Bogomils)
بلغاريا . على أن الدراسات الحديثة أقامت اعتراضات قوية على هذه
النظرية التقليدية . وقد بلغ هذا الموضوع من شدة التعقيد ما جعلنا
نعالجه في الفصل التالي .

وقد أصبح يأن كيولين لمطورة في التاريخ البوسني . وكتب عنه
الزورخ وليام ميللر في عام ١٩٢٦ : « يصعد للناس حتى في هذه الأيام
ربيبا للجنتية كما يبدو فترة حكمه صبرا دمجيا . كما أن الحديث عن
عهد يأن كيولين إنما هو تعبير شعبي عن الحديث عن العهد السعيد ، الخالي ،
عندما كانت أشجار البوق البوسنية تملأ أينا شديدا بما تحصل من
فواكه ، وعندما كانت حقول القمح الصفراء لا تكف لحظة عن التلوح في
السهل النضيب » (٣) . فقد نعم البوسنيون بسلام هام ٤٥ عاما ،
ولا عثر من أن هذا السلام كان قويا غزل يربا وصلها على إنهاء البوسنة
من البسطاء . وتظهر الأدلة التي وصلنا من هذا العصر إلى أن كيولين وجه
اهتماما شديدا إلى الشؤون الاقتصادية لبلاده : فإنه عقد مباحنة بمبارية

مع راجوزا (دوبرنيك) في ١١٨٩ ، وشجع تجار راجوزا على استقلال
 المنتج البوسنية الثرية (٤) . كما أنه أقام أيضا علاقات طيبة مع حاكم
 هوم (الهرسك) الذي تزوج بنت كيولين ومع الجيوان الأعظم الصربي
 ستيفان نيماتيا Stephen Nemanja مؤسس أسرة السيمانين. Nemanjic
 الملكية ، التي قدر لها أن تحول الحرب إلى دولة عظمى أثناء القرنين
 التاليين . ولكن العلاقات كانت أقل مودة مع دولتين أخريين : أولاها بلاد
 المجر (لتي كانت لاتزال تعد نفسها صاحبة السيادة العليا على البوسنة ،
 وزيتا (التي كانت تدعى سابقا دوكليا أو ديوكليا : وهي الجبل الأسود
 الحديثة) ، التي تحالفت مع بلاد المجر لأسباب سياسية تكتيكية .

وكانت سياسات الكنيسة . وليس الحرب . هي الشكل الذي اتخذته
 الصراع . فاد البوسنة (على العكس من هوم الأرثوذكسية) كانت اقليما
 كاثوليكية ، وكانت تابعة لسلطة رئيس أساقفة راجوزا . وظفرا لبطريرك
 السحب لم يكن رجال الكنيسة الراجوزية يتدخلون كثيرا في شئون
 الكنيسة الكاثوليكية في البوسنة فسمح لها فعلا بتعيين أسقفها الخاص بها
 (الذي كانت أسقفيته تمتد شمالا حتى الأراضي المجرية الكرواتية) .
 وكانت المجر تريد تحكما لوثق على الأسقفية البوسنية ، وجاهدت في
 روما في أوائل التسعينيات من القرن الثاني عشر لتعمل البابا على وضعها
 تحت السلطان الديني لكبير أساقفة سبليت وكان من اشياح المجر .
 وعندئذ شرع حاكم زيتا ، الذي كان شديد الاهتمام بإسقاط سلطان كل من
 البوسنة وراجوزا ، يرسل إلى البابا شاكيا في أنه يأن كولين وزوجته
 وآلاف من رعاياه أصبحوا من الهرطقة (٥) . وربما لم تكن هذه الشكاوى
 إلا وسيلة لالتباس اذن للبابا لفرد بعض أجزاء من الأراضي البوسنية .
 ولكن يأن كولين واد الأزمة في النهاية بمقته مجلسا للكنيسة البوسنية
 الكاثوليكية (وهو المجلس المعروف باسم بولينو بولبي Bolino Polje)
 في ١٢٠٣ . حيث تم الاقلاع رسميا عن مجموعة من الأخطاء ، كانت
 فيما يبدو تحصل ببعض الممارسات الدينية للباطلة وليست بالهرطقات
 الخطيرة ومع هذا فقد كان ذلك بداية لاتهام البوسنة النفلنسي بالهرطقة
 وتثبيتا له في الأذهان (٦) . أما يأن كولين نفسه ، الذي هلل يسنن
 انه كاثوليكي صالح ، فقد توفي في السنة التالية .

وأثناء نصف القرن الذي أعقب وفاته ظلت البوسنة تحت ضغط
 مستمر من جارتها المجرية القوية ، فلان المجرين لم يغفلوا عن خطتهم التي
 استيطونها لوضع أيديهم على أسقفية البوسنة . ووجهت البايوية سييلا
 مستمرة من الرسائل إلى حكام البوسنة وأساقفتها ترجوهم فيها طرق

المنطقة من أسقفية البوسنة أثناء الثلاثينيات من القرن الثالث عشر (٧) .
كان ذلك جزئيا ود قسطنطين المستور. العلمي لهيئة الكهنوت البوسنية :
وهناك رسالة بابوية مؤرخة في ١٢٢٢ . وهي تصف أسقف البوسنة
الكانتوليكي بالأمية والجهل حتى يرأسه التصيد . وأنه يغير مرأ . بعض
متواطئا مع الهراقة . ومع هذا فربما تكون هذه الرسالة قد عبرت عن
بواعث القلق اختلافها أولئك الحكام المجرى الذين كانوا يتطلبون مبررا
دينيا لفرض البوسنة . وحدث الفزو فضلا في أحرار الثلاثينيات من القرن

الثالث عشر . وما وافق ١٢٢٨ حتى كانه المجرى قد استولوا على المنطقة
الجنوبية الوسطى من البوسنة وهي مرهبوسا (Vrbanos) ، وكانوا
يعملون بكل نشاط على توطيد جماعة الرهبان الدومينيكية (٨) . ومع ذلك
احتفظ بان البوسنة نينوسلاف Ninoslav . بعض الأراضي . وعندما
انسحب الجيش المجرى وجاة في ١٢٤٠ نحو الشمال للتصدي للفزو
المغولي الذي كان يهدد المجر . تمكن البان البوسني من استرداد كل سلطاته
وأراضي البوسنة . وسحق المغول الجيش المجرى ثم تقهقروا تاركين
وراءهم خطا من الخن والقرى المنهوبة والمدمرة خلال شمال كرواتيا حتى
الماشيا . على أنهم ما لبثوا عندما سمعوا بوفاة الخان الأعظم أن ارتدوا
شرقا مستقرين زيتا (الجبل الأسود) وصربيا . فكانهم بذلك قد داروا
حول البوسنة تاركين إياها دون أن يمسها سوء إلى حد كبير .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر عاشت البوسنة نيبا يندو
حياة أكثر انحرالية . فان المجر اقتتعت البابا بأن ينقل أسقفية البوسنة
ويجعلها تحت رئاسة أسقفية كبرى داخل بلاد المجر في ١٢٥٢ . ومع ذلك
فان الأثر النهائي لهذه التغيير إنما هو أن الأسقف البوسني أصبح يعيش
خارج بلاد البوسنة عند ذلك الحين (في سلافونيا Slavonia الخاصة
للمجر) . ومن ثم فإن الضغط الذي كان من الممكن أن تحدثه أية سلطة
خارجية على الكنيسة البوسنية قد أصبح في حكم المعلوم تقريبا (٩) .
وقامت المجر بمحاولة أخرى لفرض البوسنة في ١٢٥٣ . ولكن بعد ذلك فإن
ولاية (بالية) البوسنة الأصلية - وهي الولاية للدولة بان كولين - يبدو
أنها تركت وشأنها تتصرف كيف تشاء طوال المئة البالية من القرن (١٠) .
ومع هذا ، فإن كثيرا من الأجزاء الشمالية من البوسنة الحديثة مثل منطقة
سولي Soli (وهي قسبي و الملح) حول توزلا ، قد خصصت لأعضاء من
الأسرة المالكة المجرية . فاما القطاع الشمالي الشرقي لهذه الأراضي فقد ضم
إلى مناطق من شمال صربيا ليشكل ما يسمى باسم دوقية ماتافيا
Matava (١١) -

ومن هذه الأراضي الشمالية برزت الأسرة الحاكمة التالية لبوسنة .
 فقد خلف ستيفن كوترومان (Stephen Kotromanc) أباه في ثمانينيات
 القرن الثالث عشر في حكم أحد الأجزاء الشمالية البوسنية ، وتزوج من
 ابنة حاكم ماتشفا . ثم دخل في صراع طويل على السلطة تفصيله غير
 واضحة تماما ، ضد أسرة نميلة أخرى وهي أسرة شوبيتش (Sobicea) وهم
 أسرة من جنوب غرب البوسنة . ويبدو أن الشوبيتش كانوا يحكمون بانه
 لبوسنة القديمة أثناء العديدين الأولين من القرن الرابع عشر ، وأنهم
 كانت لهم علاقات ودية مع ابن كوترومان وهو ستيفن كوترومانيتش
 (Stephen Kotromancic) أثناء فترة من ذلك الزمان (١٢٠٠) . بيد أنه
 حدث في مطلع عشرينيات القرن الرابع عشر أن كوترومانيتش زاد شأن
 وأصبحت له اليد الطولى : فقد أصبح أحد أفراد أسرة شوبيتش بانه
 لبوسنة في ١٣١٨ ، ولكن كوترومانيتش أخذ هذا المنصب في ١٣٢٢ .
 وما كاد يستتب له الأمر ، حتى شرع يبني دولة بوسنية لومس رقعة وحدت
 البانية القديمة مع بعض المناطق الشمالية . ثم عاد فاضاف الى ذلك كله ،
 عن طريق المتح ، مناطق في غرب البانة كانت قيسا منلف من الزمان جزوا
 من كرواتيا وطلت بعد ذلك جزوا من الأراضي البوسنية . وزاد بعد ذلك
 في سمعة رقعة فتوحاته بل، أضاف الى ممتلكاته بفا وماتني ميل من
 الساحل الدلفاني تقع بين راجوزا وسليت . وفي عام ١٣٢٦ استلحق
 معظم أراضي هوم (الهرسك) ، وبذلك انشا كيانا سياسيا موحدا يشمل
 من البوسنة والهرسك لأول مرة في التاريخ . وكانت هوم حتى ذلك الحين
 تعيش عيشا منعصلا الى حد ما من كل ما عداها في ظل أسرها الحاكمة
 المتعاقبة . كما كان تاريخها الديني منفصلا أيضا عن كل ما عداها
 باحتوائها على مجموعة سكان تطلب عليهم الأرثوذكسية (١٣) .

وحرص كوترومانيتش على اصطلاح علاقات ودية مع الدول الأجنبية .
 ومن عظيم يمن طامحه أن الملكة الصربية ، التي كانت تلم بها فترة نمو
 وقوة خارقة للعادة تمتد ظل حاكمها ستيفن دوشان (Stephen Dusan) ،
 كانت مشغولة بالتوسع جنسويا في أراضي مقدونيا والبانيا وشمال
 اليونان . وعند كوترومانيتش المصالحات مع راجوزا في ١٣٣٤ ، والبندقية
 في ١٣٣٥ ، وتعاون وديا مع الملك المصري . حيث أرسل اليه القوات
 البوسنية لمساعدته في حملته على النيلاء الملتاعين في كرواتيا . على أنه
 ما دام كوترومانيتش قد تقبل وعاون على وجود الكنيسة البوسنية الانشاقية
 (وهذا هو ما فعله فعلا رغم أنه كان هو نفسه أرثوذكسيا على الأرجح) .
 لم يكن في إمكان علاقاته مع البابوية إلا أن تكون حشدة ضمنية . وفي

١٣٤٠ وافق . رغبة منه في تحسين علاقاته بالبابا ، على أن يسمح لطائفة
الفرنسيسكان بإنشاء إرسالية لهم ببلاد البوسنة : وكانوا منذ عهد إميل
راسخي الإقدام في الساحل الشمالى ، ولكنهم حتى ذلك الحين لم يسمروا
إلا على امتحانهم للانتشار في أراضي البوسنة (١٤) . وفي وقت ما من
عام ١٣٤٧ يبدو أن كوترومانيتش نفسه قد تحول إلى الكاثوليكية
الرومانية : فانه كتب في أبريل من تلك السنة إلى بابا روما يسأله أن يزيد
من عدد القسوس للطريق المرسلين إلى البوسنة الذين يكونون « مهرة في
تعاليم العقيدة ولا يجملون اللغة السلافية » (١٥) . وكان جميع من أعقبه
من حكام البوسنة من الكاثوليك ، باحتمال استثناء واحد فقط (١٦) .

وما لبث الفرنسيكان أن أنشأوا « أسقفية البوسنة » ، وهي وحدة
إدارية ما لبثت أن توسعت حتى ضمت إليها قسما ضخما من جنوب
شرق أوروبا ، وبذلك أصبحت مسكنة على طول الطريق إلى رومانيا .
(وبذلك زادت حدة تصدع الجدار حول هرطقة البوسنة ، حيث استخدم
الفرنسيسكان في وثائقهم مصطلح « البوسنة » للدلالة على مجموعة من
« الخطايا » ، أن جاز مثل هذا القول) . وفي ١٣٨٥ أصبحت تلك الأسقفية
تحتوى على حصة وثلاثي ديرا فرنسيسكانيا لم يكن منها في البوسنة نفسها
سوى أربعة أديرة فقط : في فيسوكو (Viseko) ولاشبا (Lashva)
وسوتيسكا (Sutjeska) وأولودو (Olavo) . وكان من المقدر به
أننى عشر ديرا داخل الدولة البوسنية قبل ١٤٦٣ . ولكن كل دير لم يكن
يسمح فيه إلا بحوالى النى عشر راهبا كحد أقصى ، على أن متوسط عدد
الراهبان ربما لم يزيد عن الأربعة لكل دير . ونظرا لأن ثلاثة من تلك الأديرة
الأربعة (بدون دير أولوفو) كانت متقاربة مما في الجزء الأوسط من
البوسنة ، فإن الجهد الفرنسيكانى في هداية الأرواح إلى العقيدة البابوية
لم يكن له أثر يذكر على معظم الأجراء في البلاد أثناء تلك الفترة المبكرة من
حملتهم الدينية (١٧) . فاما الكنيسة البوسنية ، كما سنرى ، فكان
يعورها التنظيم الإقليمي السليم ، اذ يبدو محتملا أن شطرا عظيما من
سكان المناطق الريفية كانوا يمارسون أدنى أشكال للمسيحية الشعبية
التي تمارس طقوسها دون قسوس .

وعندما دفن سستيفين كوترومانيتش في الدير الفرنسيكانى في
فيسوكو في ١٣٥٣ . خلف من ورائه دولة بوسنية مستقلة تعيش في
رفاهية الرغد والقوة . ولكن ثباتها واستقرارها كان ما يزال يعتمد بشدة
على تعاون الأسر النبيلة التي كانت تبسط نفوذها وسلطانها الخاص على
أجزاء مختلفة من البلاد . وخلفه ابن أخيه ستيفن تفرتكو ، وكان صديقا

لم يتجاوز الخامسة عشرة ولم يكن يملك من السلطان أو القوات العسكرية ما يمكنه من جمع شتمات هذه القوى الطارفة المركزية النبيلة في جميع واحد - وفي الحق نفسه كان الملك المجري شديد الحرص على استقلال ما يحدث في البوسنة من اقتسامات لكي يسترد لنفسه أرضاً اختل منه ، واضطر تفرتكو أثناء السنوات الأربع عشرة الأولى من حكمه إلى أن يصارع التمردات البوسنية والامتيازات المجرية على أراضيها ، وفي ١٣٦٦ بلغ الأمر به أن اضطر إلى الالتجاء في البلاط المجرى عندما أُلحقت مجموعة من النبلاء البوسنيين على إقامة لحيه فوق (Vuk) في مكانه حاكم - ولكن في عام ١٣٦٧ تمكن - فيما هو واضح بمساعدة من ملك المجر ، الذي أدرك أنه يحرق مناعب لن يستعيد منها هو نفسه ولا تفرتكو - من أن يعود إلى السلطة في البوسنة (١٨) - ومن بمصلحتها لم يعد يلقي أي ضرر من الملك المجرى خاضعة وقد أصبح أحد اهتمام الأحداث التي كانت تحدث على التخوم الشمالية للمجر .

وعندئذ وجه تفرتكو التفاته نحو الجيوب ، إذ تمزقت الامبراطورية الصربية الهائلة بعد مدة وجيزة من وفاة منشئها متين في دوشان في ١٣٥٥ . وكان أحد النبلاء الصربيين ، الذين كانوا يحاولون أخذ اغتصاب بعض الأراضي من بقايا الدولة القديمة ، ويدعى لازار هربليانوفيتش (Lazar Hrebljanovic) ، منهمكا في صراع مفيد على السلطة مع النبلاء الآخرين في جنوب غرب صربيا في هوم (الهرسك) وريتا (الجل الاسود) رقص تفرتكو إلى لازار المساعدة التي احتاج إليها وكوفي على ذلك بغيره من الفئام من بينها قطاع صخر من الأرض يتاحم البوسنة من الجنوب والجنوب الشرقي : أجزاء من هوم وريتا وجنوب دالماتيا (بما في ذلك قطع من الساحل الواقع بين راجوزا وخليج كوتور (Kotor) وما أصبح بعد ذلك سنجقبة ، توفي باراد ، - وكان هذا الضطر الأخير يضم دير ميليشيفو (Mileshevo) ، وهو الدير الذي يحتوي على رفات القديس سافا (Sava) الذي هو من أقدس الشخصيات في تاريخ الكنيسة الصربية الأرثوذكسية - وفي ١٣٧٧ احتل تفرتكو بهذا الارتفاع في مركزه ومكانته بتتويج نفسه ملكا في ميليشيفو ، لا بوصفه ملكا على البوسنة فقط بل وملكا على الصرب كذلك . على أن ادعاء ملك الصرب لم يكن إلا محاولة لتضخيم المدة له ولاسرة الحاكم ، وزاد في هذا الادعاء فتأمة البلاط الذي أقامه آنذاك في بوبوناك (Bobovak) ، على الضيق البيزنطي ، أن تفرتكو يتحدر حقا من أسرة تيمانيا الصربية

المملكة . على انه في الحقيقة لم يحاول جديا ذات يوم ان يمارس سلطات
الولاية السياسية على صربيا (١٦) .

على ان طموحات الملك تفرتك في التوسع الاقليمي والسياسي كانت
موجهة صوب مواطن اخرى . ومن هنا نشأ ان ينشئ ويطور ميناء تجاريه
اخرى جديدة على الجانب الشمالي من خليج كوتور : واسماها « نوفي »
(ومناسها « الجديد » - وهي هرمك - نوفي (Herceg-Novi) المعاصرة ،
وكانت فيما سبق معروفة كذلك باسم كاستيل نوفو (Casteinovo) .
ولكن ذلك انغصب تجار راجوزا ، وكانت البرمسة شديدة الاعتماد على
الراجوزيين في حياتها الاقتصادية الداخلية فلم يكن من الصواب تعديهم ،
ومن ثم عدلت يدها تام عن خطة نقل التجارة من راجوزا الى نوفي .
وفي الحين نفسه نشبت حرب أهلية في الأراضي الكرواتية بعد وفاة ملك
المجر في ١٢٨٢ ، فسقطت من ثم الفرصة لانتراخ غنائم الثمن وانفس .
فيتحالف تفرتك مع واحد من فئسد النبلاء المنيانسيين قوة ، فتوغل في
ساحل دالماتيا بجيشه ووضع يده على الخط الساحل بأكمله (بما في ذلك
حتى بعض الجرز) . باستثناء راجوزا وحدها التي تمكنت من الاحتفاظ
باستقلالها . ورادار (Radar) التي كانت تحت سيادة البندقية . وكانت
للبنديقية بتلك المنطقة مطامع قوية . وماليت حتى استعادت معظم الساحل
الدالماتشي بعد وفاة تفرتك . ومها يكن الأمر ، فإن تفرتك كان سيدها
لمملكة بوسنية متوسعة جدا صبت الى ممتلكاتها أيضا لحرار من شمال
كرواتيا وسلافونيا . وفي السنة او السنتين الأخرتين قبل وفاته في
١٢٩٩ كان يلقب نفسه : « ملك كرواتيا ودالماتيا أيضا » (٢٠) .

ومع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الرابع عشر
تصل الى نقطة تحول عظيمة أخرى في تاريخ غرب البلقان . حيث كانت
الحجوش التركية العثمانية تتقدم غربا عبر ترافيا وبلغاريا منذ خمسينيات
القرن الرابع عشر . وفي ١٣٧١ التقت بهم في بلغاريا فرقة ضخمة من
المحاربين الصربيين ، ففقت على أيديهم شر هزيمة . وفي ثلاثينيات القرن
الرابع عشر شرع الترك يهاجمون صربيا نفسها ، وفي ١٣٨٨ زحفت فرقة
غزو تركية الى هوم (الهرمك) التابعة للحكم البوسني . حيث أبيت
على يد قوات يقودها نيبيل محل هو قلاتكو فوكوفيتش (Vlatko Vukovich)
وفي عام ١٣٨٩ رفض لازار الحليف الصربي القديم لتفرتك (الذي أخذ لقب
« الأمير » المتواضع يوم أعلن تفرتك نفسه ملكا) قبول السيادة التركية
عليه ، ودعا جيرانه وحلفاءه لمساعدته . فأرسل الملك تفرتك قوة بوسنية
ضخمة تحت قيادة قلاتكو فوكوفيتش ، فقاتلت الى جوار جيش الأمير

لازار لي معركة كوسوفو بولي (Kosovo Polje) في يونيو ١٣٨٩ - وعلى خلاف الواقع وصفت الأساطير والشعر الصربي هذه المعركة بأنها هزيمة متكررة وساحقة هلكت فيها في الميدان وهرة فرسان البلقان وأتاحت للترك مراصلة زحفهم خلال الجزء الباقي من صربيا . فصحيح أن الخسائر بالفعل كانت فادحة في الجانبين وأسر الأمير لازار وأعدم ، لكن بقايا الجيش انسحبت بعد المعركة ، وظلت القوات الصربية والبوسنية تعتقد حيناً من الدهر أنها هي الفائزة - ولم تكن المعركة في حد ذاتها هي التي تولد عنها سقوط صربيا في يد الأتراك ، ولكن الواقع أنه بينما احتاج الصربيون إلى جمع جميع القوات التي يستطيعون جمعها للوصول إلى تعادل مؤقت متكلفين في ذلك الأموال الطائلة ، فإن الأتراك كانوا يستطيعون العودة سنة بعد أخرى بقوات متزايدة القوة على الدوام (٢١) - وعندما حل عام ١٣٩٢ كانت جميع الأراضي الصربية الأرثوذكسية ، فضلاً عن هوم النابسة للحكم البوسني ، قد خضعت للسيادة التركية

وبعد وفاة تفرتكو في عام ١٣٩٦ ، عانت البوسنة لفترة طويلة من ضعف الحكام والارتباك السياسي . وهناك وصف للبوسنة في أثناء ذلك المدة كتبته الفرنسي جيسل لو بوفيه (Gille de Bouvier) وجمع فيه آراء رجاله آخرين ، وهو يصور صورة متعسة للمكان : « انهم يعيشون على النهام الحيوانات الضارية وعلى التقاط السمك من الأنهار وعلى التبن وعسل النحل الذي لديهم منه مقادير كافية ، وهذا هو كل طعامهم كما انهم يظنون في عصابات من غابة إلى أخرى لطعم الطريق » (٢٢) .

لم تنمق الدولة البوسنية بعد وفاة تفرتكو كما حدث بعد وفاة ستيفن كوترومانيتش ، ولكن التسلل من ذوي قواعد القوة الاقليمية اعدوا تمكين أنفسهم في السلطان ، وأصبح سكان البوسنة تحت رحمة الوان ومذاهب مختلفة من المنافسات بين العائلات النobile المبررة - وأبدى ملك المجر أيضاً من جديد اهتماما بالشئون البوسنية . وإن حدثت هزيمة ثقيلة على يد الجيش التركي في ١٣٩٦ من قلعة المجر على التسلل في الشئون الداخلية للبوسنة لسنوات عديدة - ومع ذلك فإنه عندما أقصى النبلاء الملك البوسني أوستويا من منصبه في ١٤٤٠ وأحلوا محله ابناً غير شرعي للملك تفرتكو (تفرتكو الثاني) ، فإنه عاد مع جيش مجري وغزا جزءاً من البلاد مرة أخرى - وعلى مدى عشر سنوات ، وبدعم من المجر ، استطاع أوستويا أن يسترد حكمه وسعى لإصلاح العلاقات بين المجر وبين أقوى نبلاء البوسنة ، هرغوي (Herzegovina) .

وفي عام ١٤١٤ دخل إلى الساحة عامل أشعل يتوازن القوى مر
 (التحالفات السياسية والعسكرية : إذ أعلن الأتراك العثمانيون أن الملك
 تفرنكو الثاني المضي من البلاد هو الملك الشرعي لبوسنة ، وأرسلوا قوة
 غزو كبيرة إلى الأراضي البوسنية ، وتبعوها بجيش جرار في السنة التالية ،
 وأدى هذا إلى تعديل في تحالفات القوى : ففي أحد الجانبين الملك أوستويا
 ومعه جيش مجرى ، وفي الجانب الآخر كان الأتراك والنبييل البوسني
 عرفوي - وسرعان ما هزم الجيش المجري في وسط البوسنة - ومع أن
 أوستويا عقد صفقة من نوع ما كان من شروطها أن يكون هو الملك وليس
 تفرنكو الثاني ، فقد أصبح واضحا أن الإمبراطورية العثمانية منذ الآن
 فصاعدا سيكون لها من السلطان على الثغور البوسنية ما ينافس سلطان
 المجر (٢٣) - الأمر الذي اضطر الحكام والنبلاء البوسنيين إلى التعاون مع
 الأتراك ، وهو أمر أثار حفيظة بعض المؤرخين المعاصرين ، ولاسيما الصربيين
 منهم ولكن طريقة هؤلاء الحكام في ذلك الوقت لم تكن تختلف كثيرا عن
 تصرفات أمثالهم الذين التمسوا المونة في الماضي من المجر ، ولكن الفارق
 الرئيس بين الاستعانة بالمجر والأتراك في ظنهم كان أن الأتراك قوة أبعد
 ووجودهم مرمون بال لحظة ولا يرجع أن يفرضوا أي لون من ألوان الحكم
 الماتر عليهم كما كان سيفعل المجريون .

وهل أوستويا في السلطة يضع سنوات قليلة ، وتمكن فعلا من
 توسيع رقعة الأراضي التي يحكمها - ولكن بعد وفاته في ١٤١٨ ، واجه
 ابنه نفس المشاكل : التنافس مع العائلات النبيلة الأخرى والتدخل
 التركي ، وما لبث أن طرد من الحكم في ١٤٢٠ ، وفي هذه المرة أكد الدعم
 التركي إعادة تفرنكو الثاني ملكا على بلاد البوسنة ، ونصت البوسنة
 بوضع سنوات من الهدوء في أوليات عشرينيات القرن الخامس عشر ،
 ولكن ما لبث أن تغير شكل التحالفات مرة أخرى ، حيث لجأ تفرنكو الثاني
 إلى المجر يستنصرها على الأتراك ، كما أنه اشترك أيضا في حرب محلية مع
 القوات الصربية في خلاف حول منطقة المناجم النية في مقاطعة سربرينيتكا
 (Srebrenica) في شرق البوسنة ، وفي أوليات الثلاثينيات من
 القرن الخامس عشر ، كان منافسوا الأسمانيين في جنوب البوسنة ،
 وهما القبيل ساندالي (Sandali) وأبي ألتك أوستويا المدعو راديوي
 (Radivul) ، يتلقيان المساعدة والتشجيع من كل من نبلاء الصرب
 والأتراك ، وأصبحت لها السيادة على شطر كبير من البوسنة -
 وفيما بين ١٤٢٣ و ١٤٢٥ تعرضت أجزاء من جنوب وسط البوسنة قسم
 منطقة فوهبوسنا (المحيطة بسرانييفو الحديثة) ، للغزو أو أعيد فتحها

على يد الحيوث المجرية والتركية ومساعد ستيفن فوكشيتش (Stephen Vukchich) حاكم هوم القوي (وهو ابن أخ سافاندلي) ، القوات التركية ، وتمكنت بذلك من رد المجريين على أعقابهم ، وفي تلك المرحلة كان الأتراك أشد اهتماما بالفنائم والسلب منهم بضم الأراضي إلى ملكهم . وقد افترض معظم المؤرخين أن منطقة ديهوبينا ومعها قلعتها المهمة المصنفة خوديدج (Hodidjed) وقعت في يد الأتراك ، بل وحسبوا كذلك أنها ظلت تحت الحكم التركي المباشر ، منذ ١٤٣٥ و ١٤٣٦ ، غير أن من الدلائل ما يشير إلى أن ذلك لم يحدث قبل ١٤٤٨ (٢٤) .

وظل تقرنكو التامى مستمعا بسلاطن الملك في البوسنة حتى يوم وفاته في ١٤٤٣ : على أن السنوات الأخيرة من حكمه تميزت بفترات تركية أخرى (بما في ذلك سقوط مريرينكا في ١٤٤٠) ، المو المستمر في القوة والسلطان الذي أحرزه ستيفن فوكشيتش حاكم هوم - وهو انبداية رفض فوكشيتش الاعتراف بخلف تقرنكو ، وهو ستيفن توماش (Stephen Tomas)، فاعتبرت ذلك عملة سنوات من الحرب الأهلية . على أيهما ما لبثا في ١٤٤٦ أن توصلوا إلى اتفاق ، ولكن فوكشيتش ظل يواصل مساعدته لحاكم صربي هو جورج برانكوفيتش (George Brankovic) الذي راح ، بوصفه حاكما شبه مستقل مواليا للترك ، يواصل الحرب على الملك البوسني طلبا للسيادة على منطقة مريرينكا في شرق البوسنة ، وريادة في وصعه الاستقلال فان فوكشيتش اعطى نفسه لقباً جديداً في ١٤٤٨ : « دوق (Herceg) هرنيج هوم والساحل » ، ثم ما لبث أن غير هذا الاسم إلى « دوق سانت سافا » ، تبركا باسم القديس المدفون في ميليشيو في منطقة نفوذه . وكلمة « دوق » (Herceg) هي الشكل الصربي للمظة الدوق الألمانية (Herzog) ومن هذا اللقب أحد ألقاب الهرسك (Hercegovina) اسمه (٢٥) . وتمتد ستيفن فوكشيتش بوضع سنوات قليلة أخرى من السلطان والرخاء ، ولكن في أوائل خمسينيات القرن الخامس عشر اضطر إلى اللجوء في حرب لم تقتصر فقط على اشتباكه مع راجوزا ، بل شملت أيضا حربا أهلية مع ابنه الأكبر . ولم يلبث هذا النزاع العائلي أن امتثل مرة ثانية في ١٤٦٢ ، عندما النمساويين مدونة الأتراك وشجعهم في انخزال الهرسك بحانب البوسنة فيما يدبرون من خطط لهجوم ضخم في ١٤٦٢ .

ولم تكن هناك مندوحة من أن يظل التهديد التركي ساء السنوات الأخيرة من البوسنة المسيحية . فان الملك ستيفن توماش الذي بذل قصاره في الحصول على وعود بالتأييد من خارج بلاده ، اتجه في

حسينيات القرن الخامس عشر الى البايوية . وكانت روما قد شرعت تحس باهتمام متزايد باليوسنة في اثناء السنوات الأخيرة خاصة وان العرسيين كان قد تمتوا بفترة من النشاط الفعّال هناك في ظل رئاسة جاكوب دي مارنشيا (Jacob de Marchia) . اسبق اليوسنة النشيط وذلك في ثلاثينيات القرن الخامس عشر . ولكن السلطات البايوية ظلت أيضا شديدة الاشتغال بمسألة الهرطقة اليوسنية ، وانهم منها مميل من الوثائق في اربعينات القرن الخامس عشر تنهم فيها الكنيسة اليوسنية بارتكاب اخطاء مذهبية قاتلة من بينها للابوية . وبذل الفرنسيين جهودا محددة في خمسينات القرن الخامس عشر لمكافحة الهرطقة : فان تقريراً كتبته قاصد رسول في اليوسنة في عام ١٤٥١ يذكر أنه ، بمجرد ان وصل الاخوة الرهبان الى الاماكن التي يسكنها الهرطقة ، دأب الهرطقة كالشمع اذا اقترب من النار . (٢٦) . ثم وافق الملك ستيفن توماش في ١٤٥٦ . على أن يتحول الى سياسة الاضطهاد المباشر . فاستدعى رجال الدين في الكنيسة اليوسنية المشقة وحيرهم بيه التحول الى الكاثوليكية ، او النفي من اليوسنة . وحسب مفسر بابوي في تاريخ نال ، قبل التحول الفان منهم ولم يفر الا اربعون اتحدوا ملجأ لهم في الهرسك (٢٧) . وبذلك قسم ظهر الكنيسة اليوسنية على يد ملك اليوسنة نفسه ، وكان ذلك قبل أربع سنوات فقط من تدمير الملكة اليوسنية نفسها .

وعندما توفي ستيفن توماش في ١٤٦١ وخلفه على العرش ابنه ستيفن توماشيفيتش (Stephen Tomasevic) ، كان واضحا أن نهاية اليوسنة على مرأى البصر . وكتب توماشيفيتش الى البابا رسالة في ١٤٦١ يتسبأ بمرور تركي ضخم جارف وملتصا المساعدة ، ثم عاد فكتب الى البندقية في اوائل ١٤٦٣ محذرا من أن الأتراك يرمون خطة احتلال كل اليوسنة والهرسك في ذلك الصيف ، وبعد ذلك سيتحركون لتهديد أراضي البندقية في دالماتيا (٢٨) . ولكن لم تحصل المساعدة المنشودة . وتحص جيش تركي عظيم تحت قيادة محمد الثاني في ربيع عام ١٤٦٣ عند أديانوبول (أدونة) ثم زحف على اليوسنة . وكانت نول قلعة سقطت في أيديهم ر في ٢٠ مايو ، هي يوبرياك ، القلعة الملكي القديم ، عند ذلك قر الملك ستيفن توماشيفيتش شمالا الى بايسه (Bajice) واعتصم بقلعة كليوتش (Kljuc) . ولما حاصره الأتراك هناك استسلم مقابل وعد بمنحه الأمان . وما لبثت أن ظهرت فيما بعد قصص عديدة ملفقة ، عن خيائنه وما أعقب ذلك من اعدامه - ولكن لدينا رواية لشاهد عيان سجلها انكشاري تركي صربي المولد لا شك في أن وصفه حقيقي وصادق بشكل شديد : « عندما رأى خدام الملك الذين كانوا في القلعة أن مولاهم قد أخذ أسيرا امتسلحوا هم

الآخرون . واستولى السلطان على القلعة فامر بقطع رأس الملك ورؤوس
وحدانه واستولى على بلاده كلها وضعا الى مستلكانه (٢٩) .

وعلى الرغم مما أصاب البوسنة من حروب لهلية وغزوات ، فإنها
احرزت رغبا ورخا حقيقيا أثناء الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى . وكان
محتاج ثروتها هو المبادئ والمناجم . فهناك النحاس والفضة في كريشيفو
(Krešev) ولويسيك (Ljublina) ، والرصاص في أولوفو (Olovo)
والنحاس والفضة والرصاص في زفورنيك (Zvornik) وكل شيء الفضة
في سربرينيك . وهناك منجم للنحاس من أيام الرومان عند كروبا (Krupa)
(في الشمال الشرقي من جورني فاكوف Gornji Vakuf) ، ربما كان
يستخدم في أثناء العصور الوسطى أيضا . وفي أواخر القرن الثالث عشر
وبواكير الرابع عشر وصل الى البوسنة أوائل المنقبين الألمان الوافدين من
المجر وترانسلفانيا والمعروفين باسم الساكسون (السامى Sassi) بدوا
في استغلال ثرواتها المعدنية (٣٠) . وما لبث أن وفد المزيد من الساكسون
في القرن الرابع عشر . عندما راح مستقبين كونزومانيتش والملك فرككو
يشجعان عملية استغلال المناجم . وكانت المناجم ملكا خاصا لملك الأراضي
المحليين . كما كان يديرها الساكسون الذين كان القانون يبيع لهم قطع
الأشجار من الغابات وأنشاء مستوطنات التمددين حيثما وجد خام معدني .
وأصبح بعض هؤلاء الساكسون أفرادا ذوي أهمية في المجتمع : وهناك
واحد منهم يكثر ورود اسمه في السجلات هو هانز ساسينوفيتش
(Hans Sasinovici) (أي ابن الساكسوني) منح حيازة غسسخة من
الأرض متحة دائمة ، وأرسل عدة مرات الى راجوزا كممثل فترتكو(٣١) .
وكان النحاس يصدر الى الخارج منذ ١٢٢٩ . وكان الرصاص يشحن من
البوسنة الى البندقية وصقلية . ولا عفر من أن يكون الرصاص البوسني
قد استغل في كساء أسطح كثير من الكنائس الإيطالية من عصر النهضة
والقرون الوسطى . كما كان هناك أيضا استخلاص لمعدن النحاس .
يبد أن المصدر الأكبر للثروة كان معدن الفضة ، كما أن سربرينيك (ومنها
الفضة واسمها اللاتيني Argentaria) أصبحت اسم المدين التمدينية
والتجارية في كل المنطقة الواقعة غرب صربيا . وعندما ظهرت لأول مرة في
السجلات في ١٢٧٦ ، كانت قد أصبحت فعلا مركزا تجاريا ضخما يحوى
مستعمرة راجوزية لها وزنها . واحتكر الراجوزيون تجارة الفضة في
داخل البوسنة . وكانت جميع صادرات المادن عن طريق الساحل تنصب
نهر راجوزا على اية حال . وفي مقابل ذلك كان الراجوزيون يحلبون
البضائع المصنعة مثل المنسوجات العالية الجودة الى البوسنة ، لأنه عند
 حلول عام ١٤٢٢ كانت البوسنة وصربيا مجتمعتين تحتجان أكثر من

حسب انتاج أوروبا بأهمه في العضة . ولذا فقد كان هناك عدد كبير من البوسنيين الاترياء القادرين على شراء مثل هذه السلع (٣٢) .

ولم تسيطر المستعمرات الراجوزية (ومنها الساكسون) فقط على المدن التمديدية المذكورة اعلاه . بل وأبدا على مدن تجارية مهمة مثل فوتشا (Fotča) . وكانت هناك أيضا مستعمرة راجوزية في فيسوكو (Visoko) . التي كانت أيضا عاصمة باتية البوسنة في معظم العصور الوسطى . وطبيعي أن هذه المدن العظمى . بما فيها من مجتمعات الساكسون الكاثوليك والراجوزيين وغيرهم من اللدالمانيين . كانت تجذب الفرنسيين سكان منها بما كانوا ينتشرون الأديرة الكاثوليكية في البوسنة : وبهذا اشتد في تلك المدن الطابع الكاثوليكي . وكان من بين المدن التجارية القروسطية الأخرى الواقعة على طرق التجارة بإيسه وترافنيك (Travnik) وجورازدة (Gorazde) وليمبر (Ljubno) . وبالإضافة إلى هذه المراكز التجارية الكبرى كان هناك كثير من المدن للمصنعة الصغيرة (وعدتها ٣٥٠ بلدة تقريبا بكل أرجاء البوسنة القروسطية) (٣٣) . وتضم هذه المجموعة لهرموسنا . التي لم تكن في أحرى العصور للوسطى لتزيد كثيرا على قلعة تقوم إلى جوار قرية . والتي لم تلبث أن أصبحت مدينة سراييفو على يد الأتراك سنة ١٤٤٨ .

فأما في الريف . فإن غالبية السكان كانوا من أقبان الأرض (Kmeti) الذين كانوا يجتهدون للخدمات العسكرية والزراعية لسادتهم ويدفعون ضريبة العشر إلى الملك (ولو نظريا على الأقل) (٣٤) . وكان هناك أيضا أوقاف . هم في الغالب أمراء حرب . وكان بعضهم يشتري أو يبيع في سوق الرقيق الكبير في راجوزا . وكان كثير من البوسنيين يبيعون هناك أيضا كآرافهم ويصدرون إلى البندقية وفلورنسا وجنوة وصقلية وجنوب فرنسا وقطالونيا (٣٥) . فأما هناك في المرتفعات في الجبال البوسنية فكان الرعاة . وبعضهم من الأقلاق (انظر الفصل السادس) . الذين كان النظام الإقطاعي يمنحهم بسرعة وسهولة أقل . وكان التعريق بين الناس العاديين والنبلاء هو التقسيم الأساسي في المجتمع البوسني . على أنه كانت هناك فوارق أخرى بين طبقة السلاة العليا والدنيا . بالرغم من أنها لم تأخذ الصيغة الرسمية التي أخذتها في النظام الأوروبي الغربي القائم على الترتيب الوراثي . وبالرغم من أن القوة الحقيقية كانت تمتد بطبيعة الحال على امتلاك الأرض . فإن المركز كان أكثر اعتمادا على الوظيفة : فالذين يملكون المناصب العليا في الدولة كانوا يسون قوامه Veomaze أي الأعبد . . فأما أصحاب المناصب الأقل فكانوا يسون كتس Knez .

وهو لقب يعادل لقب بارون . وبينما كان اللقب السلافي القديم للحاكم الاقليمي ، وهو الجويان ، ظل قائما ، فإن منزلته كانت تقع في موقع ما بين هاتين المنزلتين (٣٦) . وكان كبار النبلاء يملكون كما رأينا سلطة سياسية عظمى ، وكانوا يستطيعون أن يولوا أو يزلوا البانات والملوك . وبعد نهاية العرون الوسطى أي منذ تسميات القرن الرابع عشر وحتى عشرينيات القرن الخامس عشر كانوا يقدون « مجالس الدولة » ، بطريقة رسمية أو غير رسمية ، للتناقض في مسائل توارث العرش وغيره من الشؤون ثقيلة الوزن الخاصة بالسياسة الداخلية والخارجية (٣٧) .

وكان لبعض النبلاء الأتخم شأنًا بلاط على نفس مستوى بلاط الملك نفسه ، وعلى هؤلاء كان يمسد ، من راحوزا أو ما ورامسا ، الزمار والموادون وناقض الأبواق والحواة ، والمهرجون ، وغيرهم من أهل الطرب والسمر ، وكانوا يتقاضون مكافآت ماحظة (٣٨) . وكانت لبلطات الملكية أيضا مستشارياتها الجيدة التنظيم والتي كانت عدتها غالبا ، بعد أربعينيات القرن الرابع عشر ، من الفرنسيين ، وكانت الوثائق تكتب أما باللغة السلافية أو اللاتينية ، وتم تطوير أشكال خاصة من الخطوط البوسنية المتنوعة التي تختلف عن السيريلية (Cyrillic) والتي عرفت باسم بوسانتشيك (Bosancica) (٣٩) . وجاء الفناون وأرباب الحرف أيضا من راحوزا والبندقية للعمل في البوسنة ، وعن أسف أنه لم يبق مما قدمت أيديهم من أعمال فنية إلا القليل ، ولكننا نجد أعمال حفر ذات جودة طيبة في جدران التماثيل التي بقيت إلى الآن بقصر الملك تفرتكو في بوفوك ، فضلا عن تاج عبود مقوش عليه الرمز للملك البوسني ، وهو وهو الزبيق (٤٠) . والبوسنة لم تكن بالطبع مركزا مهما من مراكز الثقافة الأوروبية في العصور الوسطى . ومع هذا فلا ينبغي لنا المغالاة في تصوير عزلتها الإقليمية . فإن المانلات النبيلة الحاكمة كانت على اتصال وثيق بدائرة أرحب من الأمر النبيلة بوسط أوروبا : وكان البلاط الملكي البوسني الفروسطي يضم أميرات من المجر وبروسيا وبلغاريا وبولندا وصربيا وإيطاليا واليونان (٤١) . ولئن كانت البوسنة أرضا متخلفة بنسب المعايير الأوروبية الغربية ، ولكنها بحر قبض فيه فعلا بعض التيارات الأوروبية الثقافية .

الفصل الثالث

الكنيسة البوسنية

ليس هناك موضوع في تاريخ البوسنة دار حوله نقاش وجدل أكثر من مسألة الكنيسة البوسنية الانشقاقية في المصور الوسطى (١) . وصالحا علينا أن نناقش ذلك الموضوع دون أن ننسى أيضا الأساطير والمذاهب المصرية التي خدمتها أو قدمت لها . وعندي أن الهرطقة القروسطية شأنها شأن تاريخ ثورات العلاحين تقريبا . إنما هي موضوع يتبر فترا من التعاطف الروماني اللاشعوري لدى المؤرخين : فإن الهرطقة كثيرا جدا ما يدون أكثر شجاعة وأكثر أصالة وأكثر انارة للتنشويق والاعتماد من المؤمنين التقليديين . ولكن كنيسة قومية هرطيقية (أو يدعى باباها هرطيقية) إنما تنبع احساسا انحص بالتعاطف حيث يرى كثير من مؤرخي البوسنة أن هذه الظاهرة البوسنية الصحية الخاصة إنما هي صميم القومية البوسنية . فلا عجب إذن إذا رأينا بين حين وآخر ، كتابا يبالغون ذلك للوضوح لا يلتزمون التزاما صارما بالدقة العلمية .

من المؤكد أن المؤسس لجميع الدراسات المصرية للكنيسة البوسنية كان رجلا علامة : وهو فرانجو رانشكي (Franjo Racki) ، وهو أهم المؤرخين الكرواتيين في القرون التاسع عشر . فانه جمع في مجموعة من المجلات التي نشرت تباعا في ١٨٦٩ - ١٨٧٠ كل ما أمكنه الوصول إليه من بيانات وشواهد . وحاول أن يثبت أن الكنيسة البوسنية كانت بنة البوجوفيلية (٢) . والبوجوفيلية كانت حركة بلغارية هرطيقية أسسها في القرن العاشر لسييس يدعى « يوجبوميل » (حبيب الله) ثم انتشرت في القرون التالية في التسطنطينية وبقية مناطق البلقان ، بما في ذلك مقدونيا وأجزاء من مبريا . وهي تبشر بلاحوت ماثوى « ثنائي » يكاد يكون فيه للشيطان قوة تكافئ قوة الله أو تكاد . وفيها أن العالم المرئي إنما هو من خلق الشيطان وأنه ليس في إمكان البشر أن يخلصوا أنفسهم من براثن العالم المادي إلا باتباع حياة نزهة وتكشف متخليين عن اللحم والنبذ

والإتصال الجنسي - والمطابقة بين ثلاثة ومملكة الشيطان لها مضماني
أو صان لاهوتية بعيدة المدى : مثل اعتبار تجسد المسيح نوعا من الوهم
والخيال - وأنه من ثم لم يكن في الإمكان حدوث موته على الصليب -
وكان لابد لمراسم متنوعة كثيرة تنطوي على مواد مادية مثل التصيد بالماء
أو تبنه - وأن الصليب نفسه أصبح رمزا مروجيا لاعتقاد زائف - وكان
مرفوضا أيضا - استنظام مباني الكنيسة - كما عقت بالفعل الهيكل
المنطقي للكنيسة التنفيذية خاصة إديرته الثرية - وصنعت أنبعاها في
مرتبتين : المؤمنين العاديين وه النخبة المطهرة (٣) - وقد نمت بنيت مشابهة
بين الكاثار (Cathars) بجنوب فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث
عشر - الذين نأثروا منهم الهرطقة نائرا شديدا بالتعاليم
البوجوميلية (٤) - وقد دفع راتسكي بأن ذلك التقسيم نفسه قد حدث
بالبوسنة - وأن المصطلحات الفاضة - حوست - (Hust) و - ستاراك -
(Starac) و - سترودنيك - (Strojnik) التي تنتشر في الوثائق
البوسنية كالألقاب للأعضاء الرئاسيين في الكنيسة البوسنية - أنها كانت
مصطلحات خاصة تطلق على المارفين بأسرارها وهم - النخبة - أو الكاملون
في التقليد البوجوميل المأثور -

وكان لهذا التأويل أثر عميق على الطريقة التي فكر بها المؤرخون
البوسنيون وغيرهم من السلاف الجنوبيين حول تاريخ البوسنة - ولم يكن
راتسكي أول كاتب ربط بين الكنيسة البوسنية والبوجوميل - وكان هناك
بطبيعة الحال كتاب كاتوليك أقدم عهدا راحوا - اتباعا لمصادر القرنين
الخامس عشر والسادس عشر - يصفونها بأنها تتبع هرطقة ثنائية
أو - مابوية - (٥) - ولكن راتسكي أنتج صورة أولى كثيرا وأشد تكاملا
وتناسكا للكنيسة البوسنية بوصفها هيئة متميزة تميزا تاما عن كنائس
كروانبا وصربيا ولها مبادئها الخاصة في التنظيم واللاهوت - وذلك بفضل
جهوده الشاقة للثأبة في محفوظات دير روفنيك والبندقية وطريقته الخاصة
في استخدام المعلومات المعروفة حول المعتقدات والممارسات البوجوميلية
غير البوسنية لملء الضجوات الخالية في البيانات والشواهد البوسنية -
والتفسير الوحيد للنقاس لهذا في ذلك الزمن وهو تأويل بوجوميل
بهرانوفيتش (Bojdar Petranovic) الذي دفع بأن الكنيسة البوسنية
كانت مجرد كنيسة أرثوذكسية شرقية - ولعلها صربية انصلبت عما عداها
واحتازت بعض المعتقدات الهرطيقية (٦) - وظلت هذه النظرية مقبولة
تماما لدى الكتاب الصربيين الذين كانوا حريصين تماما على إظهار البوسنة
على أنها تابعة لصربيا في جميع جوانبها الجوهرية - وظلت هذه النظرية
تردد في النصف الأول من هذا القرن - ثم قلقت تأييد العلماء - على

الأقل (٧) ، خروج صهيونية ولكنها لم تنبذ نهائياً ، كما أنها في السنوات الخمسين الأخيرة لقيت تأييداً قوياً من بعض كبار العلماء في اليوسنة مثل الكسندر سولوفيف (Aleksandr Solovjev) ودراجوتين كنيوالد (Dragutin Knežević) (٨) . أما النظرية الرئيسية الأخرى المنافسة التي نمت مؤيدة ومساندة في فترة ما بعد الحرب ، فتدفع بأن الكنيسة اليوسنية كانت في جوهرها فرعاً من الكنيسة الكاثوليكية ، ولعلها كانت هيئة ديرية حل بها الانشقاق واكتسبت بعض الليول الهرطيقية ، وعدم النظرية ولا صعب ، انتشرت بوجه خاص بين الكتاب الكاثوليك (٩) . على أن أشد الايضاحات اقناعاً ، كما سنرى ، يحتوي على عناصر مهمة من كل من النظريتين الشرقية الأرثوذكسية والكاثوليكية . أما النظرية التي راجعت ستة متحاور الفرد وهي اكتشاف وانتسكي أن الكنيسة اليوسنية كانت يوجوميلية ، فقد تبين أنها محض أمانى .

ولقد لقيت نظرية فرانكو وانتسكي اليوجوميلية هذا الانتشار الشديد لعدة أسباب . فهي لم تقتصر فقط على توضيح ملامح غامضة للكنيسة اليوسنية ، بل أنها تقدم أيضاً حجتاً يوضح آتس من تلك الأسرار الكبيرة الأخرى في التاريخ اليوسوى . أحدها هو اعتناق شطر عظيم من سكان اليوسنة دين الإسلام في عهد الترك . ينسب اعظم كتبا منها في أي قطر يتقاضي آخر عدا البانيا . ويبدو طبعياً أن نفس ذلك بأنه اعتناق جماعي لدين آخر قام به اليوجوميل ، الذين انتهوا إلى اعتناق الإسلام بعد أن صمدوا قروناً متوالية ثقلاً من الفلسفات و/ أو اضطهادات صادرة من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية . وهذه الطريقة أصبحت النظرية « اليوجوميلية » بصورة جوهرية ، جذابة بوجه خاص لأبناء القرن العشرين من مسلمي اليوسنة . فبدلاً من اعتبارهم مجرد مرتدين من الكاثوليكية أو الأرثوذكسية (الأمر الذي حدث في أوقات مختلفة أن دعاهم الكروات والصربون أن « يعودوا عنه ») ، فإنهم يمكنهم الآن أن يعدوا أحفاداً لاتباع كنيسة يوسية أصيلة الجنود لها عقيدتها الخاصة . وأن تحولهم إلى الإسلام لا يمكن أن يعد دليلاً على الضعف ، بل هو دوة التحدى لخطوهم المسيحيين . ومع ذلك فمس سوء الحظ أن المحافل العلمية الحديثة نسعت تماماً دعوى أن اعتناق اليوسنة للإسلام كان في جوهره تحولاً شاملاً لاتباع الكنيسة اليوسنية إلى الإسلام ، ولا شك في أن بعض أعضاء هذه الكنيسة قد جتبعوا حقاً إلى اعتناق الإسلام بسبب اغترابهم عن التيار الرئيسي للكنائس الكاثوليكية أو الأرثوذكسية ، وهذا أمر يبدو ممكناً من الناحية السيكولوجية ولكن تنوزة البيئة . والشئ المفهوم اليوم هو أن هناك عوامل تسخت في انتشار الإسلام باليوسنة ، وأنه إذا كان

الموقف الخاص للكنيسة البوسنية كان عاملا منها ، فإنه لم يكن أمدا لها (١٠) .

واللفز الكبير الثاني (الذي يبدو أن نظرية « البوجوميلية » قد حلت ، هو سر شواهد القبور في العصور الوسطى ، التي توجد بأرجاء كثيرة من البوسنة وهي تحسرف باسم مستقى (Stecci) وهي جمع كلمة (Stecak) وتوجد على هيتين : النصب وهي هيئة أو شكل شائع في أجزاء كثيرة من أوروبا ، والكتل القائمة التي تحصى بها إلى حد ما للمنطقة البوسنية . وقد سجلت منها في سجلات الأسلحة الحديثة أكثر من ثمانية وخمسين الفا ، ومن هذه ستة آلاف تقريبا مزينة بالقرش المحفورة والتي تكون أحيانا خصوصا بقية . أما المرحفة منها ، وأكثرها يمكن إرجاع تاريخه إلى القرن الرابع عشر أو القرن الخامس عشر ، فتوجد بوجه خاص في بلاد الهرسك وجنوب البوسنة والأجزاء المجاورة بـالماتشيا . وإن واحد بعضها ينطق أخرى بعيدة أي بـكرواثيا وصربيا والجبل الأسود (١١) . ولما كانت هذه المنطقة هي محور المنطقة المرحفة بأنها كانت مجال أنشطة الكنيسة البوسنية ، كان من الطبيعي الربط بين الظاهرتين ، كما أن هناك بعض الشواهد المزخرفة والمقوشة تذكر فعلا أنها نصب « للجوسني » (Gost) (وهو لقب كبار أعضاء الكنيسة البوسنية) . ومن ثم بدأ المؤرخون يفسرون التصميمات على شواهد العصور المرحفة على أنها تعبير عن المعتقدات اللاهوتية البوجوميلية . وكانت أولى المحاولات في هذا الاتجاه هي التي قام بها الكاتب المجري يانوس أسبوت (János Asbóth) في ثمانينات القرن التاسع عشر . وفي العقود الوسطى من هذا القرن استأنف العلماء تفسيرات شواهد القبور البوجوميلية في دراسات متعاقبة قام بها الكسندر سولوفيف (١٢) .

وللمرة الثانية عادت الأوساط العلمية والنطق البسيط فاثارا مجموعة كبيرة من الاعتراضات على النظرية « البوجوميلية » . فمع التسليم بأن بعض أعضاء الكنيسة البوسنية خلعت ذكراهم على شواهد القبور لكن الفكرة القائلة بأن ظاهرة شواهد القبور هذه كانت تعبيراً لمعتقدات تلك الكنيسة أصبحت موضعاً للشك للترايد . ونحن نعلم أنه في آخريات القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر عندما صمدت كثير من هذه الأعبار ، كان قسم كبير من سكان البوسنة المحقة من الكاثوليك وكان قسم يعتقد به من سكان الهرسك من الأرثوذكس . وكانت شواهد القبور في جميع الأراضي الكاثوليكية والأرثوذكسية عادة منتشرة ، على الأقل بين الأغنياء ، فإذا ما قرنا شواهد القبور بالبوجوميلية فكأنما نحل لغزا بلغ

آخر - ونعني بذلك علم وجود شواهد قبور كاثوليكية أو أورتودوكسية (١٢) - ومن ناحية أخرى فإذا كانت شواهد القبور شيئا مميذا يخص البوجوميليين لأن من الغريب حقا ألا تكون هناك دلائل على صنع البوجوميليين لها في بلغاريا أو ترافيا أو الخواطر الأخرى المنسوبة لها بشدة بأنها مناطق نشاط البوجوميل (١٤) - ولا شك في أن إصرار بعض الكتاب على التوحيد بين هويتى هذه الظاهرة والبوجوميلية قد أدى إلى التوصلات عجبية في المناقشة - فإن وجود الصليب (وهو رمز مكروه من البوجوميليين) على شواهد القبور ظل على الدوام عائقا يقف حجر عثرة في سبيل النظرية . ولكن يانوس أسبروت أعطى أصحاب النظرية الوسيلة للدوران حول هذا الاعتراض عندما أصر بأنها ليست صليبا حقيقية بالمعنى المسيحي المعروف ، وإنما هي مجرد نماذج تماثل الساذج الهندسية المرسومة في الفن المصري الفرعوني أو البابلي (١٥) .

وما لبثت نظرية شواهد القبور البوجوميلية أن تقوضت بالتدريج ونبذت . فمعظم العلماء أصبحوا الآن يعتقدون أن الوثائق على هذه الأحجار لا تنسب كلها إلى لغة مذهبية تصويرية واحدة . فربما يعكس بعضها شيئا من البقايا الموروثة من الأساطير والتشواثر الوثنية البائدة ، وربما حصل البعض الآخر شعارات النبالة التي تعبر عن مركز النبلاء السلاف المحليين ، وربما حدثت بعض هذه الشواهد انقسطة قام بها أصحابها على شكلة صور الخيالة على قبور الأفلاق المبرزين بالهرسك الذين جمعوا الثروات وأصبحوا اغنياء نتيجة عملهم في تسير القوافل وتجارة الخيول (١٦) . وبطبيعة الحال ، فربما كان الفرضي من بعض هذه الرخارف والزينات على هذه الأحجار إنما هو مجرد الزخرفة وحسب ، وإن كانت هذه النقطة آخر الاحتمالات التي يجوز للمؤرخين أخذها في الاعتبار .

على أن اخفاق نظرية البوجوميلية في تفسير التحول إلى الإسلام أو صنع شواهد القبور لا ينقض النظرية نفسها . ولكنه يجعل المؤرخين على النظر نظرة أعمق إلى البيئات الكتابية التي تتعلق بالكنيسة البوسنية نفسها بدلا من أن يشطحوا بأفكارهم في تفسير الأشكال المصورة أو تأمل العترات الساقطة . وهنا لب المشكلة . فمعظم هذه الأدلة الوثائقية تأتي من خارج البوسنة نفسها . ففي المادة لم تكن السجلات البابوية تحتفظ إلا بحدود البابا على الرسائل التي بعث بها الكاثوليك في دالماتسيا والبوسنة ، كما أن بعض الوثائق البابوية الحافظة باللعنات والتنديد بالهرطقة ، البوسنية ديجها قوم لم يطاؤا بأقدامهم أرض البوسنة . كما أن هناك مستندات أعدتها الرهبان الفرنسيون في إيطاليا أو وجهت

لهم كانت دراية كاتبها بالأمور الحقيقية في البوسنة غير مؤكدة بالمثل (١٧) . ومن سوء الحظ انه ليس هناك وصف صحيح ، ورد من داخل البوسنة عن تنظيم الكنيسة البوسنية او اجتماعاتها ولا حولها .

وحتى الاسماء المستعملة في الوثائق المبكرة كانت مصدرا للمجاذلات والمنازعات والربكات المتكررة . والحقيقة الوحيدة التي أصبحت واضحة كلما ، هي ان الكنيسة البوسنية لم توصف بأنها « يوجوميلية » قط اثناء تلك الزمان . فليس هناك على الاطلاق مصادر كاتوليكية اطلقت ذلك المصطلح على البوسنيين ، والمصدر القروسطي الوحيد الذي يشير لشارة واضحة الى البوجوميليين في البوسنة مصدر زائف ربما مؤكدا اقرب الى اليقين (١٨) . وفي المايه الأخرى ، فصلا صيحت مستندات صربية ارتودكسية من آخريات القرن الرابع عشر لعنائها على البوسنيين الهرطقة ، فانها لفتت ايضا « الباييري » Babunji (وهو مصطلح معروف انه كان يطلق على البوجوميليين ببلاد الصرب) . وظهرت بوضوح انها جاعتان منفصلتان (١٩) . كما ان مؤلفي القرن الرابع عشر الكاتوليك اشاروا في بعض الأحيان الى المايويين ببلاد البوسنة . عز أن ذلك المصطلح يبدو انه حيلة استخدمها ارباب الاقلام دور النزعة الساريفية الذين كانوا يميلون الى تزيين أعمالهم الأدبية بالمصطلحات المستعملة في التاريخ المسيحي المبكر (٢٠) .

والكلمة شائعة للاستخدام في المصادر الراجوزية وبعض الوثائق الايطالية ايضا - ولكن ليس ابدا بالبوسنة نفسها - هي كلمة « باتارينى Patarini أو Patarini (أو باللفظة الانجليزية Patarines) (٢١) » . وهذا المصطلح ايضا له تاريخ محير الى حد ما . اد أنه بعد أن استعمل لأول مرة في مدينة ميلانو في القرن الحادي عشر في وصف حركة اصلاحيه شديدة التطهريه في الكنيسة الكاتوليكية ، أصبح يطلق في ذلك القرن على اصحاب الدعاوى الفكرية والدينية المناوئة للكنيسة الرسمية ، بما في ذلك الهرطقة . واذا هي في آخريات القرن الثاني عشر تمسخدم مرادفا حقيقيا للهرطقات التي كانت تستهدف يسوعا اعلى من المتطهرين أو القنوير الروحي ، مثل حركات الغالمايين والكاتار ، ثم في القرون الثالث عشر أصبحت لفظة باتارين هي الكلمة المعتادة التي تطلق على الكاتار بشمال إيطاليا . ولكن معنى هذه الكلمة لم يعرف بوضوح ابدا في المصطلحات اللاهوتية (٢٢) . وقد ظهرت أولا مرتبطة بالبوسنة في خطاب ارسله كبير أساقفة سبليت الى البابا في عام ١٢٠٠ : فقد قال انه عندما طرد الهرطقة الباتارين من سبليت ومن المدينة الساحلية القريبة ترامبر

(Trogir) . وجدوا ملجأ لهم بالبوسنة حيث رحب بهم بلان كولين (١٢٢٠) ويقول مصدر آخر (وهو مدونة تاريخية كتبت في ميليت في منتصف القرن الثالث عشر) ان اخوين من زادار (وهي مدينة ساحلية أخرى) زارا البوسنة في صورة فنانيّ وصائفيّ للذهب في تسعينيات القرن الثاني عشر ، كما يلمان الناس الهرطقة حينما ذهبوا ، وبدل أن وقع كثير الأساقفة عليهما العقوبة وجبا عن مذهبهما وعادا للكاتوليكية (٢٤) . وهناك بعض اشارات من مصادر كاثوليكية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تشير الى وجود مركز للهرطقة اشائية في سكلابوبيا (Schlabonia) ، وينطبق المصطلح على أي أرض من الأراضي السلافية الجنوبية ، ولكن هناك أسبانيا تدعوا الى الظن بأن الهرطقة كانت قاعدتها في مكان ما على الساحل الأدالماشي (٢٥) . ومع ذلك فإن من الممكن تماما أن إحدى أو كلتا هاتين القصتين المذكورتين عن الهرطقة كانت مرتبطة بالحركة الشائية . وأنه كان هناك شيء من الاتصال الثنائي مع البوسنة أثناء أحياء القرن الثاني عشر .

فاما المصطلح الذي كان يستخدمه البوسنيون أنفسهم فلم يكن « باتارين » ، ولكن ببساطة كان كلمة « مسيحي » : باللغة اللاتينية « Christianum » ، وباللغة الصربو كروانية « Krstjanin » . وسرعان ما برز الى النور هذا المصطلح في أول وثيقة خرجت من البوسنة نفسها . وفي أعقاب شكايات أخرى حول الهرطقات في البوسنة (عنها ما هو احتمال انه مصطلح كما رأينا في الفصل الثاني استغزته انتفاضات السياسية) ، ارسل البابا مندوبا رسمويا الى البوسنة في ١٢٠٢ . وكانت مهمته تحصر في أن يكتشف ، كما نمر بلان كولين . اذا ما كان الناس في اقليمه « ليسوا هرطقة وانما هم كاثوليك » . وكانت النتيجة هي عقد اجتماع بين رجال الاكليريوس البوسنيين بمدينة بولينو بوليه في أبريل من تلك السنة . وفيه سطرنا تصريحاً يملون فيه بتصحيح سلوكهم . وتهدوا بالاعتراف بسيادة روما الكاملة ، ويقبول القس الكاثوليك في أديرتهم ، وارجاع الهياكل والصلبان الى أماكن العبادة ، والعودة الى نظام الاعتراف والتوبة ، واتباع التقويم الروماني للأعياد والصوم ، وتلقي التناول سبع مرات كل الأقل في السنة . وأن يفرقوا بين الجنسيتين في الأديرة . وأن يمتنعوا تماما عن إيذاء الهرطقة . ووعدوا أيضا ألا يطلقوا على أنفسهم وحدهم اسم المسيحيين . وانسا أن يشيروا الى أنفسهم بأنهم « أخوة » (Fratres) بدلا من ذلك (٢٦) .

وأعجب ما في هذا التصريح دون شك أنه ليس نبذا للهرطقات . فكل من كانت بعض فقراته تدل على السلوك الهرطيق ، مثل علم وجود

الهيكل والصليبان . ولكن ذلك ربما دل على الجهل وعدم الكفاية أو الإهمال من ناحيتهم فقط . • والاشارة الخاصة الوحيدة الى المرحلة هي الوعد بسلم ايوان الهراطقة ، وهو امر قد يشير الى أن رجال الاكليروس اليوسنيين أولئك انفسهم لم يكونوا يعتبرون هراطقة عند المنسوب للرسول . وبالنظر الى الاشارة الواردة هنا الى الاستخدام الخاص لكلمة «المسيحيين» Christians • وبالنظر الى استخدام مصطلح «المسيحيين» Kristsianin • أثناء القرون (يوم كانت الكنيسة اليوسينية تعد بكل تأكيد هراطقية عند روما) فقد أغرى هذا الكثير من المؤرخين على محاولة استتراء تاريخ البوجوميل في سطورها وكذلك تاريخ الهيكل التنظيمي لاتباع الكنيسة اليوسينية في أوج اشتقاقها . ولكن هذا المذهب لم يصل بالفوزح الا الى استنتاج ما يظن انه يمرره بالفعل . اما حير وسيلة لحل مشكلة الكنيسة اليوسينية فهي الاقتراب منها من الاتجاه المقابل المصاد : فالولا يجب اليه بالنظر في مصطلح المسيحي وما الذي كان يسيه فعلا في ذلك الزمان ، ثم البحث عن الدلالات التي يمكن تفسيرها في تاريخه التالى المتأخر .

وكما لاحظ كثير من الكتاب ، فإن الهيكل الاسامي للكنيسة التي التقت في بولينو يولييه كانت ديرية . فالزعما الذين اجتمعوا هناك وصفوا بانهم «الالة» الذين جاوا الى هناك ليشلوا «احوانهم» الرهبان كما وعدوا بأن يسسوا انفسهم «اخوانا» في المستقبل . وبعض وعودهم كان متصلا بمخاصة بممارسات تجرى في الاديرة . ولكن أى نوع من الاديرة كانت تلك ؟ لقد كانت القاعدة الاساسية الديرية في المسيحية الغربية هي قاعدة القديس بنديكت . واقترض بعض العلماء (وبخاصة الكاثوليك منهم) أن هؤلاء الرهبان اليوسنيين كانوا نوعا فجا من البنديكت ، ولكن ليس هناك بعد ذلك أية علامة أو اشارة تدل على قيام النشاط البنديكتيني في ارض اليوسنة (٢٧) . واكتشف حول تلك المضلة مؤرخ عصرى هو مايا ميليتش (Maja Milotic) ، الذي ادرك أن المزج بين الجنسين المتعار الى في التصريح كاد يقيه باقيه للممارسة المسيحية فليكرة المساة «بالاديرة المزدوجة» ، التي كانت مباحة تحت قاعدة القديس بازيل مؤسس التقاليد الديرية في المسيحية الشرقية . (وليس هذا الاعلان هو البيئة الوحيدة على تلك الممارسة : فإن بعض الكتابات للقدمية بهذا بكتابات البابا ييوس الثانى في القرن الخامس عشر تذكر أيضا اديرة بعيدة بأرض اليوسنة تعيش فيها أيضا النساء اللاتي كن يتولين خدمة الرجال المقدسين) (٢٨) . وكان هذا النوع من الاديرة موجودا في للكنيسة الكلتية المبكرة ، وكان أعضاؤها غالبا ما يسمن بالمسيحيين (Christians) وكان من الجائز أن تنضم اليها

عائلات بأكملها . هو امر أدى الى شوء من الضعف في التمييز بين الديريات .
 الديرية والديوية . (ووجد الموقعون على اعلان بولينو بوليه أيضا بارتقاء
 ثوب ديرى مناسب ليعزوا انفسهم عن الرجال العاديين) . وكثيرا ما كانت
 هذه الاديرة تقوم بدور في المجتمع الديوى حيث كانت تنهض بدور المنزل
 او المشفى (Hospitia) - اى فنادق للمسافرين او مشافى للمرضى .
 (وكذلك أيضا ضم الاعلان وعدا بإنشاء جبابات متاسية للزوار الذين
 يموتون في الدير) . وكان للنزل (Hospitium) حافظ يدعى
 الهوسبيتالي (Hospitarius) (٢٠) او بعبارة ايسر هو الخفيف (Hospes)
 وهى الأساس لكلمة مضيف الافرنجية الحديثة (Host) . وهنا هو المعنى
 الحرفى للقب جوست (Gost) . الذى نجده فيما بعد وكثيرا ما يستخدمه
 كبار أعضاء الكنيسة البوسنية (٢١) .

وهو جز القول ان كثيرا ما كان يحبرنا في شأن الكنيسة البوسنية
 في أثناء تاريخها الثالى قد انكشفت خطايا . فكما تدل عدة مراجع متأخرة
 كان المعنى الأساسى لكلمة « المسيحى » (Krstjanin) وهذا هو المعنى
 فى منتصف القرن العاشر عشر مثلا أشار الدوق ستيفن فيوكتشيتش
 الى عضو شهير في الكنيسة البوسنية وهو جوست رادين بأنه أحد
 « وعبانه » (٢٠) . وببساطة تامة ، ليس من الضروري أن نفهم نيسان
 الكنيسة كما حاول راتشكى أن يفعل على أساس مرم كنسى بوجوميل
 او كاتاردى قسرى . والالقب الخاصة التى بقيت الى اليوم فى صفحات
 السجلات تتناسب على أكمل وجه مع البنية الديرية . وكان رأس الكنيسة
 كلها معروفا باسم الديد (Djed) ومعناها الحرفى هو « الجد » وكانت
 نونوس (Nonnus) وهى الكلمة اللاتينية ذات المعنى نفسه تستخدم فى
 كل من نظامى الديرية الغربى والشرقى فى الإشارة الى الاخوة أو الكبار
 او الرهبان الرؤساء (٢١) . فأما اللقبان الآخران المستعملان فى السجل
 فيشيران الى أعضاء رئاسيين أو موظفين فى الدير وهما Starac
 (« شيخ ») وستروينك Strojnik (« أى المشرف Steward ») .
 ولم يكن أى لقب من هذه الألقاب ومعها مصطلح « جوست » يمنح حامله
 من أن يأخذ لقباً آخر منها فان سجلات الإرساليات الدينية الى راجوزا فى
 القرن الخامس عشر تضم اشارات الى اثنى عشر مشرفا ، بما فيهم جوست
 رادين ، والى مشرفينا ، ستارانس ميشلي (Misljen) وستارانس
 بيلكو Bilko (٢٢) .

(*) طرن مرة ليهوسيتليين فى الحدود البوسنية - (المترجم) .

ومصطلح سترونيك أي المشرق يجعل معنى قويا لذلك المشرق الذي يكثر الضيوف ، ومرة أخرى فإن هذا ربما كان تذكيرا بالحدود الاجتماعية للمنزل أو المبنى الديري . بل أننا نجد تلميحا لهذا في النقش الموجود على قبر يوسى يقول : هنا يرقد الرجل الصالح جوست ميشلين الذى أعد له إبراهيم (أو النبي إبراهيم) للترحيب به ، الجنة (٢٢) - وربما تكون الإشارة إلى النبي إبراهيم المماثل لفرنتس في العهد الجديد من الكتاب المقدس تدلان على أن الرجل الصالح بعد الموت سوف يجلس في خيافة سيدنا إبراهيم في الجنة (٢٤) - كما أن الإشارة إلى « القاعدة » تدل على أن كرم الصياغة كان يعد واجبا ضروريا للكنيسة البوسنية البوسنية - فاما استمرار قيام الأديرة البوسنية بدور مهم كدور مقام للمسافرين والتجار ، فأمر واضح من الاشارات الكثيرة إلى ذلك من السجلات المودعة في دوروبيك (*) : أن التجار الأفلاق ليتركون بضاعتهم هناك في بعض الأحيان كما أن بعض الأديرة ربما قامت بدور مراكز الحمارك (٢٥) - والمصطلح الدال على « الدير » في السجلات هو « حنة هتلا » ، وهي كلمة يمكنها أن تعني بيتا عاديا فضلا عن بيت ديرى . وفى كثير من مواقع هذه « الهجات » تشير أسماء الأماكن الباقية إلى اليوم إلى أنه كان هناك مبنى لكنيسة ملحقة (٢٦) - وربما كانت « الهجات » مبنى متواضعة تضم بين حنايتها رجالا عاديين يعيشون فيها ، ومن هنا تلاشت الخطوط الفارقة بينها بصورة جزئية ، ولكن ليس من الضروري النظر هنا بأن تلك البيوت كانت بيوتا عادية من النوع الذى كان يقوم بدور المراكز للنشاط الكاثارى بفرنسا (٢٧) .

وأخيرا يتصح لنا معلم آخر للكنيسة البوسنية له موضعه هنا إذا نحن أدركنا أنها منظمة ديرية تقوم على قاعدة القديس بازيل . أى أنها قرية بطريقة ما من الممارسات الأرثوذكسية الشرقية . فلابد أن مؤسس هذه الأديرة البازيليكية قد أخذوا بالتقاليد الشرقية للأتورة حتى وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية قد امتنعها ، وأجبرتها على الاعتراف بسلطان روما ، واستمر ذلك حتى انضمت الكنيسة البوسنية واستقلت . وليس ببعيد أن الاتصال قد تم عن طريق دالماتيا إذ أن الرابطة بين المثلث الدالماتية والقسطنطينية ، تلك الرابطة التى كانت قوية في القرن التاسع ،

(*) وقد وجدت اشارات كثيرة في قديم الحبر عن نزول المسافرين ببيوت الرهبان والراهبات ، وحسبهم على القرى وكرم الخيللة - (المترجم) .

اضمت تقاليده الدينية بيزنطية على تلك المدن في الصور الوسطى ، بما في ذلك نحلة بعض القديسين الشرقيين (٢٨) . وهناك نظرية تقول بأن اتباع القديسين سيريل (Cyril) وميثوديوس (Methodius) الماعديس من مورافيا (Moravia) في آخريات القرن التاسع قد تسربوا في نواحي البوسنة وادخلوا النظم الديرية هناك (٢٩) . ومع أننا لا نملك بيئة واضحة من القرنين العاشر أو العاشر عشر ، لكننا نستطيع أن نفترض أن بعض الاتصالات ظلت قائمة بالمالم الديرية في الأرض الواقعة في الشرق . ويتضح من اعلان ١٢٠٢ ، أنه بينما كانت البوسنة جزءا من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية منذ الانقسام بين الشرق والغرب الذي حدث قبل ذلك بقرن ونصف ، فإن بعض الممارسات الشرقية قد بقيت قائمة في الأديرة البوسنية . فهي لم تتبع التكوين الروماني الكاثوليكي في الصيام والأعياد ، ومعنى ذلك فيما يحتمل أنهم كانوا يستخدمون تقويم شرقيا (وليس أنهم لم يستخدموا تقوينا على الاطلاق) . والحق أننا نجد في زمن متأخر يرجع الى ١٤٦٦ في شهادة جوست رادين دلائل واضحة على أن الكنيسة البوسنية كانت تحتفل بإيام القديسين على أساس التكوين الشرقي الذي لم يكن معتبرا به في الغرب (٤٠) . ولسنا نفرض حل سمحت روما باستخدام قواعد الصلاة الشرقية في بلاد البوسنة القروسطية المبكرة ، وهو أمر جائز ولكننا نعرف تحينا أن الصلوات كانت تقام باللغة السلافية ، شأنها في شطر كبير من كرواتيا الكاثوليكية حيث كانت الصورة « الجلاشوليتية » (Glagolitic) للصلاة الرومانية تستخدم (٤١) . ومن الأسرار المحيرة في التاريخ البوسني القروسطي صير رجال الدين الكاثوليكي غير الدينيين ، فربما يكون أمرهم قد انتهى الى التلاشي ، وإن اعتقد أحد المؤرخين أنه يستطيع التماس أدلة تشير الى وجود رجال دين « جلاوليتيين » خلال الفترة القروسطية (٤٢) . ومن المحتمل أن القسس الباطنين بالسلافية بأرض دالمشيا كانوا يعرفون الإيطالية أيضا ، ومن ثم لا يبعد أنهم كانوا يحصلون على تدريب لاهوتي صحيح باللغة اللاتينية . ولكن معظم رجال الدين (سواء أكانوا دياريين أم دينويين) الذين ولدوا ولربوا ببلاد البوسنة يحتمل أنهم كانوا سلافيين ذوي لغة واحدة لا يجيدون وسيلة للحصول على المعلومات اللاهوتية المادية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية الا عن طريق الأتقيس . جاءت أوكلت . يوم كانت الصلاة مقطوعة ببقية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، كانت البوسنة فيها شبيهة بجزيرة حقا .

وكما رأينا ، فإن اليوسنة كانت في الواقع مقطوعة الصلة بسائر أعضاء الكنيسة منذ منتصف القرن الثالث عشر - (يوم نقل مقر الأسقفية اليوسنية إلى سلافونيا التابعة للمجر) - حتى منتصف القرن الرابع عشر (يوم وصل الفرنسيون إلى) - ولعل الكنيسة اليوسنية كانت متعزلة عن ولاية الكنيسة الكاثوليكية في وقت مبكر يثار فيه ثلاثيات القرن الثالث عشر ، وبينما هي تؤكد بالتدريج استقلالها الذاتي ، فإنها ، طال الزمن أو قصر ، لابد أن وصلت إلى نقطة الانشقاق الفعلي عن روما (٤٤) - وفي أثناء معظم هذه الفترة التي تمت أكثر من قرن من الزمان ليس لدينا إلا التزور اليسير جدا ، أن وجد ، من الصلوات عن الكنيسة اليوسنية - وهناك إشارات عابرة تجيء في مراجع غير يوسنية إلى « الهراطعة اليوسنيين » منذ ثمانينيات القرن الثالث عشر فصاعدا - وطرا لأنه لم يحدث بالفعل أي انشقاق رسمي ، فإن هنا المصطلح كان يسكن أن يستخدم استحضاما فضاخا ليعني « الاشقاقين » ، دون أن ينطوي على فوارق مذهبية عظيمة (وعندما تذكر المصادر الكاثوليكية « الانشقاقين » ، فلها ، فإنها إنما تشير إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية التي كان بينها وبين روما انشقاق رسمي) أو لعله استخدم في الإشارة إلى الهراطعة الأقحاح من أتباع الهراطعة الثمانية على الساحل الدالماتي الذين لهم قد أصبحوا أكثر نشاطا باليوسنة منذ أصبحت خارج منال قبضة الأساقفة الكاثوليك الدالماتيين .

ومن الممكن ، بطبيعة الحال ، أن يضر الثنائيتن نشطوا في العمل باليوسنة - ولكن المسألة هي . ما هو أثرهم على الكنيسة اليوسنية ؟ هناك دليل واحد من داخل اليوسنة يشير فيما نحال إلى أنهم كانوا يمارسون نفوذًا ضئيلا - أنه نص يوسني مخطوط ورد باللغة السلافية (مجسوعتان صغيرتان من التردود المتناوبة وصلات الرب وقراءة في أنجيل القديس يوحنا) وهو يجاوب تجاوبا وثيقا مع نص شعيرة كاتارية معروف أنه كان يستخدم بمدينة ليون الفرنسية في القرن الثالث عشر (٤٤) . وليس لنا أن ندعو ذلك منسكا هرطيقيا إلا إذا افترضنا أنه كان له أصل هرطيقى - فاحتوياته ليست بالهرطيقية على الإطلاق حيث تخلو من أي شيء يناقض المجرى الرئيس للأحوت الكاثوليكي أو الأرثوذكسي الشرقي . وكما لاحظ دراجوليوب دراغولوفيتش (Dragoljub Dragoklovic) ، فإنه يتكون بالفعل من فقرات من صلوات الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ، وذلك القسم من أنجيل القديس يوحنا الذي يقرأ في أثناء قداس عيد الفصح في الكنيسة الشرقية - على أنه لابد أنه استنتج أيضا ، بناء على دلائل لمعروفة داخلية ، أنه كتب أصلا في أبروشية لوريد (Otrid) الأرثوذكسية

(في مقلوباً) في تاريخ لا يتجاوز بواكير القرن الحادي عشر - وهي فترة لم يكن فيها الكاثار قد وجدوا بعد (٤٥) ، وبدا من القول بأن النص 'البوسني' جاء من ليون ، فإن النص المقلوب أكثر هو الظن بأن النص الليوني نفسه مشتق من أصل أرثوذكسي شرقي أقدم منه - وقلب هذا المنهج العلمي رأساً على عقب الفكرة القائلة بأن الكنيسة البوسنية كانت لها شجرة كافورية من مباركة الحبز وتطعيمه وتوزيعه - وهي نوع من التناول الهرطقي - فانا لنعلم أن الكاثار يصلون ذلك في بيوتهم قبل تناول وجبات الطعام ، كما أن بعض المراجع الباكورة ذكرت أن 'قسس' الكنيسة البوسنية كانوا يصلون النص نفسه (٤٦) ، ولكن كان أيضاً من العادات المقررة في البيوت الديرية الشرقية في الوجبات العامة أن يبدأ المرء بصلاة الرب والبركة وتطعيم الخبز وتوزيعه بين الناس (٤٧) - ويحتمل أن الكاثوليك خارج البوسنة عندما سعوا بأحداث عن هذا الأمر ، قد افترضوا أن هذه إنما هي شجرة هرطقية - على أنه يكاد يكون من المؤكد أن الكاثار هم الذين نقلوا هذه الشجرة الشرقية للامهرطيقية القديمة ، ولكنهم طبقوها في إطار دنيوي وفي ظل معتقدات هرطقية حفيقة .

ويبقى بعد ذلك الظن بأن بعض المراهقة بالمنطقة المتأثرين بالتناحية ربما مارسوا حيناً من الدهر بعض النفوذ على الكنيسة البوسنية أثناء مسيها الطويلة من العزلة الاكلروسية - ولكن من ذلك الغرض المتواضع سيحتاج الأمر الى وثبة هائلة في الخيال للوصول الى ادعاء أن التنايين قبضوا بأيديهم على الكنيسة البوسنية ، وشكلوا حرمها الديرى محولين إياه الى التشكيل الديوى المتبع لدى الكاثار ، وأبدلوا تكوينها الريفي المنتمى مع المجري الرئيسى للاهوت المسيحي ، وحولوه الى نظام من المعتقدات هرطقي في جلوده .

وغنى عن البيان أن الكثير من البيانات التي بقيت الى يومنا هذا تتعارض تناقضاً مباشراً مع مثل ذلك الادعاء - فإن الكاثار والبوجوميل كانوا يفتنون علامة الصليب ، بينما يسلو الصليب متبتاً على رأس كتير من الوثائق البوسنية - وكان الكاثار والبوجوميل يرفضون العهد القديم من الكتاب المقدس ، بينما تحتوي إحدى النسخ الباقية من الكتاب المقدس الخاصة بالكنيسة البوسنية سفر الزامير - وكان الكاثار والبوجوميل يرفضون إقامة القديس ، بينما طلب حوست وادين في وصيته بصفة خاصة إقامة القديس على روحه - ومنع الكاثار والبوجوميل استئطام مبانى الكنائس ، بينما هناك شواهد قوية تدل على أن الكنيسة البوسنية ظلت تستخدم الأبنية الديرية التي تضم أسوارها كنائس ملحقة بها - وكان

الكاثار والبوجوميل يرفضون الخمر ولا يأكلون اللحم ، وتسجل سجلات الأراضي في العصر العثماني المبكر أن المسيحيين كانوا يملكون كرمات كما أنه ليس هناك أي سبب إلى النظر بأنهم كانوا من النبانيين . (والبينة الوحيدة التي يبدو أنها تدل على ذلك ، ظهر أنها كانت عبارة عن خطأ في قراءة لكلمة وردت في وصية جوست رادين : فالقراءة الصحيحة ليست Mirani أي « أكل اللحم » ولكنها Mirali أي « غير قابل للنظر أي قبيح ») - والكاثار والبوجوميل يرفضون تقويم القديسين ، بينما مستندات الكنيسة البوسنية بما فيها وصية جوست رادين تشير إلى الاحتفال بأعياد كثير من القديسين ، وهكذا دواليك (٤٨) .

وكذلك أيضا كان الطابع العام للكنيسة البوسنية مختلفا جدا عن الطابع الذي تربطه بالبوجوميل أو الكاثار . فان هاتين الطائفتين الهرطيقيتين كانتا من الأفقرين بالزهد والتطير . وكانوا من المعارضين للسلطان الدنيوي والثراء العريض الذي تستمتع به الكنائس المروقة . ويمرضون عن عرض الدنيا . فأما الكنائس البوسنية فإلها في أوج مجدها : القرنين الرابع عشر وبواكير الخامس عشر) كانت تنعم بالقوة العظيمة ، كما أن كبار رجالها اعتادوا أن يوقعوا المعاهدات ويومنونوا العسكيات الدبلوماسية . وهناك ملوك مثل سنيش كوترومانيتش وتفرنكو ، كانت لهم علاقات ودية بالكنيسة البوسنية وإن لم يكونوا أعضاء منتسبين إليها . كما يبدو أن بعض العائلات النبيلة الكبرى كانت تنتمي إليها (٤٩) . وكان أذيع رجال الكنيسة البوسنية صيغا ، وهو جوست رادين ، يتولى وظيفة المستشار الأعظم للملك ستيفن ميوكشيتش ، وواضح أنه كان قطبا عظيما بحكم منزلته الرفيعة : وقد ترك في وصيته أكثر من ٥٠٠٠ دوقية فلما . فضلا عن الخيول والفضة وصحف الذهب . وكذلك ، رده فلما حوافيه من الفراء والذهب ، رده أيضا ، ودا ، أحمر من الفراء مكون من سمات طيات من الحرير وعلى حوافيه فراء المنك الذي خلعه عليه جلالة الملك ماتياش Matjazs (٥٠) . وفي هذا اختلاف كبير عن الكاثار المبكرين الذين وصفوا أنفسهم « بملوكي المسيح » .

وغور به الفرنسيكان العمل في البوسنة في منتصف القرن الرابع عشر . دخلت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في منافسة مباشرة مع الكنيسة البوسنية - ونصف بعض المصادر السلوك العدائي الذي تعرض له هؤلاء الرهبان من جانب الهرطقة ومنها قصة عن أحدهم وهو ياكوب دى مارشميا - فقد أنه أصبح أثناء طقوس تنصيبه في ١٦٠٩ قائلا أن « الهرطقة » نشرها بالمشمار أوجبل منتر كنيسة الدير في قيسوكو بينما كان يقف موعظته من فوقه . (وردا على ذلك لمن المسئولين عن ذلك ودعا

أن يولد أولادهم بأرجل سفينة عرجلة (٥١) . ومن سوء الطالع أنه لم يبق
 الآن أي تقرير فرنسيسكاني عن المعتقدات اليوسنية . أجل أن هناك
 التماسا بطلب التعليمات كنية أحدهم ورد عليه البابا في خطاب مفصل
 فيه إشارة إلى الهرطقة والانشقاقين ورجال الكليروس غير المؤهلين
 تأهيدا سليما . ولكنه لا يشير أية إشارة إلى المعتقدات التوبة (٥٢) .
 ومع هذا . فإن أخبار اليوسنة قد عادت إلى التداول بين كاثوليك
 إيطاليا . ولصحت معرفة بأنها مكان متلوي بنوع ما من « الهرطقة » .
 ولابد أن مصطلح « باتارين » الذي كان يستخدم كاسم علم للكنيسة
 اليوسنية في التقارير التي جاءت من راجوزا وبغية دالماتيا . قد أثار
 الذكريات عن هرطقة شمال إيطاليا . وكان معنى التوسيع السريع
 للبروشية الفرنسيكانية لليوسنة أن أصبح جميع أنواع الهرطقة
 في شرق أوروبا يوصفون بأنهم « بوسنيون » كما رأينا . وهناك وثيقة
 أصدرها جريغوري الحادي عشر في عام ١٢٧٧ . وهي تخص على تنصير
 جميع « الكفرة » في اليوسنة وبخاصة أولئك المقيمين في ترانسلفانيا .
 وهناك وثيقة كاثوليكية أخرى هي قائمة تحصر أخطاء الهوسيين (Hussites)
 المقيمين في « بولداليا » (مورافيا) . ونختتم كالتالي : « وبهذا ينتهي
 التقرير الموجز الذي يمدد أخطاء مملكة اليوسنة وشماثرها الهرطيقية » (٥٣) .
 وعلينا أن نأخذ في الاعتبار هذه الخلفية التاريخية عندما نطعن
 الوثائق الإيطالية في تلك الحقبة التي تشير إلى الكاثارية أو التناحية في
 اليوسنة . فس البيانات التاريخية المعيرة تقرير لمحنة التفتيش في
 تورينو في عام ١٢٨٧ . يورد الاعتراف (الذي تم بعد التعذيب) الصادر
 من جيياكومو بك (Giacomo Bech) الذي ادعى بأنه انضم إلى طائفة كاثارية
 بالجبال الواقعة في غرب تورينو . وقال أن أحد أعضاء الطائفة كان « من
 مدينة » سكلافونيا « Slavonia » . كما أن بعض أعضاء الطائفة
 الإيطاليين سافروا إلى « اليوسنة » ليتقنوا معرفتهم بالمذهب الكاثاري هناك .
 وأعلن بك أنه تلقى نفودا لينهب إلى هناك ولكنه لم يستطع عبور البحر
 بسبب ردة البحر (٥٤) . وواضح أن الإشارة إلى « سكلافونيا » تشير إلى
 رابطة مع التقاليد التناحية في الساحل الدالماتي . ومن الممكن توهم ذهب
 الإيطاليين إلى هناك (حيث كانت الإيطالية منتشرة) بقصد التعلم . كما أن
 ما هو جدير بالذكر أن رقعة طويلة من الأراضي الساحلية كانت في ذلك
 الزمان تابعة للمملكة اليوسنية . ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو الاعتقاد
 أنهم يمكن أن يسافروا إلى الأرض اليوسنية النائية التي لا يكلم أهلها سوى
 لنتها . ومن ناحية أخرى فإن قصة بك حول الذهاب وعدم النجاة في
 الوصول إلى الهدف في آخر لحظة . لها الوقع الخلف للقصص المختلفة .

وهذا شيء ينبغي تشبيهها بالاعتراف الذي يصدر عن المتهم في محاكمات
السحرة . عندما يصرون بأن اجتماعات السحرة تحدث فعلا ويدعون بأنهم
دعوا لاحدى تلك الاجتماعات . ثم يقولون بعد ذلك انهم قد منعهم من
النهاب سبب طاريء . وبذلك يلقون أنفسهم من مخاطر الافراط في
نسج القصص الخيالية .

ومما يجدر الشكوك أيضا تلك القوائم من « أخطاء الهرطقة البوسنيية »
التي دمجها الفرنسيون في إيطاليا في أخريات القرن الرابع عشر ،
تلك القوائم التي تصور البوسنيين بأنهم شديدا الوثنية من الطراز الكاثاري
أو البوجوميل . ويبدأ أحدها كالتالى : « أولا ، بأن هناك الهن وأن الآله
الأكبر منها خلق جميع الأشياء الروحية وغير المادية ، وأن الآله الأسفل
وهو الشيطان *Lucifer* هو الخالق لجميع الأشياء الجسدية
والمادية » . ثم يستمر فيشمل رفض العهد القديم والتداس والكنايس
المينية والصور . ويوجه خاص الصليب « (٥٥) » وربما صدق هذا على
بعض الطوائف الصغيرة من الهرطقة « السلافونيين » أو « الدالماسيين » ،
ولكن كما رأينا ، فهناك أسباب قوية تمنعنا إلى الظن بأنه لا يمكن أن
يكون بياننا صادقا عن الكنيسة البوسنية . والواقع أن قائمة « الأخطاء »
تنطبق تماما على النموذج الكاثاري حتى ليثور تفسير واضح يرضى نفسه :
فإن رجال الدين الإيطاليين هؤلاء ، الذين وضعوا هذه القائمة قد سئلوا أن
يبرزوا تحليلات أو تفهيدات للأخطاء « الباتارينية » ، فصدوا إلى الرجوع
إلى كتبهم النحاسية التي يصفونها « بالباتارينيين » (أو بصارة أخرى
الإيطاليين الكاثار) ، فانتصروا بذلك إلى وضوح ملخص للمعتقدات
الكاثارية (٥٦) . وهناك شكوك مماثلة ينبغي أن تقوم حول أخطاء المانويين
التي طلب من ثلاثة من نبلاء البوسنة أن يتخلوا عنها على يد عضو محكمة
التفتيش خوان دي توركمادا (Juan de Torquemada) في روما في عام
١٤٦١ ، كما أن أصابع الشك يمكن أن توجه أيضا إلى الأساس التي قامت
عليه حملة الاتهام البابوية المباشرة ضد « المانويين » في البوسنة آنفـه
ربيعيات وخمسينيات القرن الخامس عشر (٥٧) .

وبمقدور خمسينيات القرن الخامس عشر ، بلغت حملة الفرنسيين
أقصى ذراها (كما رأينا في الفصل السابق) - قبل حلول ربيع ١٤٥٣
بقليل قرء « الليد » أو رئيس الكنيسة البوسنية والتجأ عند الدوق ستيفن
خيركشيتش . وبعد ذلك بقليل من تلك السنة ، وطبقا لخطاب كتبه
البطريرك جيتاديوس (Gennadius) الثانى بطريرك القسطنطينية ، انضم
« الليد » إلى الكنيسة الأرثوذكسية (٥٨) . وإذا كان هذا الدليل يمكن

الاعتماد عليه ، ينبغي لنا أن نعترض أن الكنيسة البوسنية أصبحت فضيحة
لشديد بسبب ما فعله « إديد » ، وذلك حتى قبل أن يقسم الملك توماش
(Tomas) في ١٤٥٩ على أنزال الاضطهاد الرسمي على الكنيسة
البوسنية . وكانت هناك منافسة قوية بين الكنيستين الكاثوليكية
والأرثوذكسية حيث كانت كل منهما تريد أن تمتص بقية أتباع الكنيسة
البوسنية . وكتب أحد الفرنسيين تقريراً قال فيه أن كثيراً من
« الهرطقة » كانوا ينضمون تبعاً إلى الكنيسة الكاثوليكية ، لولا أن أسقف
الغرب (« رشيانورم » أي سكان راشكا) لا يسمح لهم بالصلح مع
روما (٥٩) . وربما ظن الأسقف أنه استحوذ على « إديد » البوسني
نفسه ، يتيح له حقاً في « رعيته » أيضاً . ومن ثم يكون الإجراء الذي اتخذه
الملك توماش في ١٤٥٩ قد قصد به الحيلولة دون مزيد من التحول إلى
الأرثوذكسية . وكان مما قسم ظهر الكنيسة اجبار التي مسمي بوسني
(Krscjani) على التحول إلى الكاثوليكية واضطرار أربعم من رجال
الكنيسة الذين وصفوا بأنه « لا صلاح لهم » إلى الرحيل إلى بلاد الهرسك ،
وسمن وأن أعورما تعلم بالمدد الصحيح للأديرة ، فإن هذا التصرف لابد
أنه أخرج من البلاد معظم رجال الكنيسة البوسنية الديرين . وعندما كتب
جوشيت رادين إلى ألبندقية في ١٤٦٦ ملتصقا الادن له بالهجرة إليها إذا
اصطوره الأتراك إلى العوار ، سأل هل يمكنه أن يحضر خمسين أو مئتين
عضواً من أعضاء طائفته مع : فربما كان هذا المدد يمثل البقية الباقية
من الكنيسة بما في ذلك الأربعم الذين « لا يمكن صلاحهم » (٦٠) .

أما فيما يتعلق باتباع الكنيسة البوسنية من العلبانيين ، فإنه يبدو
محتملاً أنها لم تضم عدداً ضخماً من الأعضاء ، لأنها بوصفها تنظيمًا دينياً
حرفاً ، كان يعوزها تلك البنية الأساسية الضرورية من الأبرشيات .
ومهما كان عددهم أيام عزها وأوج عظمتها ، فلا بد أن المدد قد تناقص
فعلاً في غضون قرن كامل أو يزيد من الانطواء والاعتناق للكاثوليكية التي
تدعاه الدولة . ومن ثم يبدو أنه عندما أمسك الترك بمقاليد الأمور بأيديهم
كانت الكنيسة البوسنية محطة فعلاً بل فاقدة الحياة . وسجلات الأراضي
للبلوسنة في العهد العثماني أثناء القرنين الخامس عشر والسادس عشر ،
والتي تسجل الناس حسب ديانتهم ، قلما تدرج شخصاً على أنه مسيحي
Christian (كتيظض ضضضض للكلمة العادية المستخدمة للمسيحيين
« Christianity » وهي كافر أو غير مؤمن ، وهذا اللفظان اللذان كان يسجل
تحتها كل من الكاثوليك والأرثوذكس) . وهناك عدد قليل من القرى
التي سجلت بأسمها في السجلات الأولى بأنها « مسيحية » ، ولكن
الإعداد الكلية قليلة جداً . إذ هم أقل من سبعة فرد قد سجلوا أئمة

البعثة بأكملها (٦١) • ويرى المؤرخ الذي درس هذه الملة (والذي يتبع
 نظرية « البروجميل ») أن هؤلاء « المسيحيين » لم يكونوا إلا « الصفوة
 المختارة » من الكنيسة وأن الأعضاء الماديين كانوا يدرجون في القوائم
 تحت بند « كاهن » أو غير مؤمن • يبدو أن هذا خطأ بكل تأكيد •
 وكل ما في الأمر أن الأتراك كانوا يستخلصون القنات الدينية التالية :
 مسلم ، ويهودي ، وغير مؤمن ومسيحي (٦٢) • وفي أثناء الفترة بأكملها
 ابتداء من ١٤٦٨ (وهو تاريخ السجل الأول) حتى أواخر القرن السادس عشر •
 لم يظهر إلا اسمان فقط ممن يحملون لقب « جوست » • ويظهر أن بقية
 ضئيلة باقية من التتالييه قد حفظت حيث قام الأفراد بالتمديد أو أداء
 المراسم الدينية لبعضهم البعض على طريقة « خدم نفسك بنفسك » • فإن
 قسيسا كاتوليكيًا هو الألساني بيتر ماسارينشي (Peter Masarechi)
 زار البوسنة في عشرينيات القرن السابع عشر ، وقد أشار في تقريره إلى
 « البالدريين » الذين يعيشون بدون أي قسيس أو مراسم صعيد ، اعتمادا
 على « قسمهم المنتخبين من أفراد الشعب بدون أي مراسم » (٦٣) • ولكن
 لم تلبث حتى هذه البقية الضئيلة أن ابتلعت في نهاية الأمر غير تاركة
 إلا ذكرى في أفهام الأجيال التالية وسكايات شعبية وأساطير لا يمكن
 التوصل إليها •

الفصل الرابع

الحرب والنظام العثماني

١٤٦٣ - ١٦٠٦

فتح الجيش التركي مملكة البوسنة بسرعة عظيمة في بدايات صيف ١٤٦٣ . ومنذ تلك اللحظة فصاعدا ظلت الأراضي الداخلية التابعة لولاية البوسنة القديمة ، ومعها موطن القسم الذي أسسه الترك قبل ذلك بمنطقة سراييفو ، واقعة تحت الحكم التركي الدائم . رغم أنهم سحبوا قواتهم العسكرية الرئيسية أثناء الخريف - بيد أن المكاسب التي ضمنها الجيش التركي في النصف الشمال من البوسنة ، ما لبث أن استرددها سريعا ملك المجر ماتياس (Matthias) . وقد ترك هنالك مع قوة عدتها ثمانون رجلا للدفاع عن قلعة زفتشا (Zvezdca) قرب يايسه (Jajce) . ذلك الضابط الإنكشاري المصري المولد ، الذي وصلت إلى أيدينا ترجمته الذاتية ، وما كان السلطان يعود إزدواجه حتى حاصرت القوات المجرية كلا من زفتشا ويايسه اللتين لم تلبثا حتى سقطتا (١) . وسرعان ما أسس الملك ماتياس ، بانية جديدة للبوسنة تحت الحكم المجرى في هذه الأجزاء الشمالية ، وفي ١٤٧١ أصدر أمرا بترقية البان إلى دتبة ملك البوسنة . ومع أن هذه المملكة ما لبثت أن تهافتت تحت أقدام الترك في حملاتهم التالية ، فإن القسم الذي بقي من تلك المملكة ، استمر صامدا مدة تزيد على الثمانين عاما . وفي غضون عشرينيات الألف وخمسمائة هلت مدينة يايسه في حالة حصار مستمر تقريبا ، وهي تتلقى موبات من الطعام من سللاونيا المجرية بواسطة قوافل مسلحة ، لا يكاد يصل عددها إلى أربع مرات في السنة (٢) . وأخيرا فتحها الترك في ١٥٢٧ ، بعد تنظيم الجيش المجرى في معركة موهاثس (Mohacs) الفاصلة في السنة

السايلة .

وصمد شطر آخر في الهرسك ضد الترك سنة ١٤٦٣ ، ثم تمكن الدوق (Herzog) ستيفن فوكشيتش من استرداد أرضه في نهاية تلك السنة ، على أن الأتراك ما لبثوا أن استرجعوا معظمها بعد ذلك بستين : واضطر الدوق إلى أن يتلقى لنفسه ملجأ في مدينة نوفى الحصنة (التى عدل اسمها فأصبحت نوفى هرصاك على اسمه) ، حيث مات في ١٤٦٦ (٣) - وبذل ابنه الثاني فلانكو ، الذى خلفه في وراثته لقب دوق ، قصاراه لاجتذاب العون من المجر والبندقية في معركته للدفاع عما بقي له من اراضى ، ولكن ذلك جره إلى التورط في الصراعات الأخرى الناشئة بين أطراف ثالث العرقاء إلى واجوزا والبلاء المحليين ، وما وافى مسبعينيات الألف وأربعمئة حتى كان يدفع الحزبة للترك ، وفي ١٤٨١ أو ١٤٨٢ استولى الأتراك على آخر معقل في الأراضى الهرسكية (٤) -

وكما تصور هذه الأحداث كانت الإمبراطورية العثمانية جهازا عسكريا بالغ النشاط واللباس ، وشهد حكم السلطان محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١) سلسلة حارقة من الفتوح والتحديات لأعظم القوى المجاورة في أوروبا : فبعد استيلائه على القسطنطينية في ١٤٥٣ ، واصل الزحف وفتح شمال صربيا وشطرا من بلاد الأناضول ، وبلاد البلقان واليونان ، واجتاح مولدايا والمجر ، وحاصر جزيرة رودس ، ووافته المنية وهو يدبر هجومًا وغزوا كاملا لاطاليا ، على أن خلفه بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) وجه اهتمامه إلى تدعيم أركان الإمبراطورية ، ولكن طبل مع ذلك يش حروبًا على مولدايا وبولندا والمجر والبندقية ، ثم علا سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) فاتجه إلى الشمال الغربي من جديده : وفي السنوات الثلاث عشرة الأولى من حكمه حول معظم بلاد المجر إلى إقليم تابع وأصبح قاب قوسين من الاستيلاء على فيينا ، وكانت معاهدة السلم التى عققها في ١٥٣٣ ايلذا بقيام فترة طويلة من المواجهة الطويلة العاصلة ، بين الإمبراطوريتين العثمانية والهابسبرجية فلم تتحول إلى حروب دامية إلا في أحيان قليلة ، وخلال فترة امتدت حتى نهاية القرن أخذت كلتا القوتين تبني لنفسها منطقة حدود عازلة تواجه الأخرى ، تحرسها شبكة متصلة من المعاقل ، وحصانات من الفلاحين المعارين (٥) ، وكانت تحدث هناك مفاوضات متناثرة ولكن المبركات العسكرية على الحدود البوسنية أصبحت أشد حدة في الأوقات التى كان السلطان يشن حربا ضروسا كاملة على آل هابسبرج - كما حدث أثناء حملة سليمان المجرية الأخيرة في ١٤٦٦ - ونشبت الحرب العثمانية الهابسبرجية الكبرى التى دامت بين سنتي ١٥٩٣ - ١٦٠٦ ، نتيجة قتال تشب بين القوات المحلية على الترخوم البوسنية الشمالية الشرقية : فقد

كان الترك قد استولوا على قلعة ييهاتش الهامة جزء الهابسبرجيين في ١٥٩٢ ، ولكن في السنة التالية أخذ باشا البوسنة على غرة ، وهو يحاصر معقل سيساك Sisak (على نهر سافا ، أسفل مدينة زغرب) وهزم هزيمة ثقيلة . وفي الحلة العظمى الأولى في السنة التالية أنزل الأتراك هزيمة منكرة بالجيوش الهابسبرجية عسك متصوكرميتش (Mezokereustes) في ١٥٩٦ . وتمكنوا بعد ذلك من شد قبضتهم على شطر كبير من المجر أثناء السنوات الثمانية التالية (٦) .

وظلت الامبراطورية العثمانية - حتى بدأت في الركود والانحدار . وهي عملية بدأت في منتصف القرن السادس عشر - وهي لا تخرج في جوهرها عن مؤسسة عسكرية . كان هدفها هو الهب وفرض الجرية ، وبنى نظامها الإداري على أساس امدادها بشيخها : الرجال لاستخدامهم في الحرب . والمال الذي يدفع اعطيت لهم . وانقسمت القوات العسكرية الى فئتين رئيسيتين . فكانت هناك قوات نظامية تتلقى مرتباتها من الحكومة العثمانية مباشرة : وهذه تتكون من الانكشارية وهم (المشاة النظاميون) والفرسان النظاميون المعروفون باسم « فرسان الباب العالي » . (وكلمة « الباب العالي » هي الاسم التقليدي الذي يطلق على الحكومة الامبراطورية باسطنبول) . وكانت هناك من الناحية الأخرى الخيالة الاقطاعية : وهم جنود راكبة كانوا يقومون بما يوكل اليهم من مهام عسكرية مقابل الفياض التي منحوها مقدما . (وكان مصطلح « فارسي » Spahi بقرده يشير دائما الى هذا الطراز من الرجال) . وكانت هاتان الطائفتان من المسكر تؤلف الجيوش البرارة التي كانت تقوم بتلك الحملات الهائلة منذ بواكير الربيع الى اخريات الخريف . وهناك حقيقة علينا أن نلاحظ اليها وهي أن القوات كان عليها أن تتجمع كل مرة خارج اسطنبول ، ثم تزحف الى حدود الامبراطورية . وهي حقيقة بدأت تضع حدا جغرافيا طبيعيا لتوسعات الامبراطورية (على الصورة التي أظهرتها حملات سليمان القانوني على المجر) وكانت هناك أيضا قوات اضافية مساعدة ، لها دور أكثر أهمية في مناطق التخوم ، كالبوسنة مثلا ، حيث كان الأمر يحتاج الى أنشطة عسكرية تمتد طوال العام . وكانت هذه تضم جنود المزيب (Amp) وهم نوع من ميليشيات المدن ، كانت تؤلف حاميات في القلاع . وتقوم بعمل مشابهة مراقبة الثغور أي التخوم . ثم الدلاء (Deli) أو الاكينجي (Akincl) الخيالة ، وهم ضرب من الراكبة الخفيفة غير التنظيميين مهمتهم الاغارة على الأعداء . وكل هذه القوات المذكورة حتى الآن كانت من المسلمين : إذ جرت العادة بأن الشعوب الخاضعة ، لا يجوز لأبنائها أن يحملوا السلاح . ومع ذلك فقد حدث لاستيعاب خاصة ، وهو أمر كان يجري عادة في المناطق

الانقومية للبوسنة ، ان استلحمت قوات مسيحية مطبوعة : لهراسية
المرات ، وتظيم امدادات الخيل ، وكان منهم النوع الخفيف من الجند
الخشاة المأجورين المروفين باسم التوينوق (Vojnik) أو المارتولوس
(Martolos) (٧) . وستقوم بوصف هؤلاء الجند وصفاً أوفى في الفصل
المحمود حول صرب البوسنة (انظر الفصل السادس) .

وكان جيش الانكشارية ومنه نظام جزية الصبيان المعروف بالدوشرمة
(Devshirme) أو التجنيد ، الذي يروده بالجند ، لهم طريقة لسحب الناس
من أوروبا المسيحية ، ليصلحوا في آلة الدولة العثمانية . وفي أثناء القرنين
الخامس عشر والسادس عشر عندما كان نظام الدوشرمة ينفذ على أوفى
واكمل وجه ، كان الصبيان من قرى أوروبا المسيحية يجمعون ، على فترات
متغيرة ولكنها كثيرة ، ثم يوصلون الى اسطنبول . وهناك يحولون للإسلام .
ويصبحون لكي يكونوا جندا امكشاية أو يكونوا خلفاً شخصياً للسلطان
أو موظفين في مختلف مصالح الدولة ودوائرها (٨) . وكانت كل مصالح
الحكومة في جوهرها فروعا من القصر الامبراطوري . وكذلك كان
للشخصيات العليا في الإدارة العثمانية أعداد موفورة من مثل هؤلاء القوم
في قصورهم الخاصة : وقد توفي أحدهم في اسطنبول في ١٥٥٧ وعنده
١٥٦ عبداً بينهم ٥٢ بوسنيا . وقد جاء في شرح ذلك أنه جمعهم بمطبعة
(دوشرمة) خاصة أو اختاروا هم أنفسهم الخدمة لديه (٩) . ومع أن حطب
الاطمال كان في حقيقته عملية وحشية ، لكنه كان يعود عليهم بتناجح
واضحة كثيرة ، حيث ارتقى كثير منهم في المناصب حتى أصبحوا باشوات
وزراء ، وكان يعود كذلك بالغير على أسرهم الذين استطاعوا فيما بعد أن
يتصلوا بهم . فاسرة سوكولو (سوكولوفيتش Sokolovich) في اسطنبول
التي قدمت عدداً متعاقباً من كبار الزوراء (المصدر الأعظم) ، لم تفقد
الاتصال بأسرها البوسنية الصربية . ولم يفترها أن تستخدم نفوذها في
المحافظة على مصالح الكنيسة الصربية الأرثوذكسية . وكان مجموع من
دخلوا متصبب الصدر الأعظم من الرجال المنحدرين من أصل بوسني أثناء
القرنين السادس عشر والسابع عشر تسعة ، كما أن البوسنيين كانوا
يرسلون إلى بلادهم كولاة عليها منذ عام ١٤٨٨ (١٠) . وهناك حسابات
يذكرها التاريخ عن الدين من الدين الاسلامي والمسيحي رشوا الموظفين
ليأخذوا أطفالهم في الانكشارية . ومن المؤكد أن مزايا ذلك النظام كانت
واضحة أمام أعين المسلمين من البوسنة الذين رتبوا لإرسال ألف من أبنائهم
في ١٥١٥ إلى مدارس التدريب الخاصة بالقصر الامبراطوري (١١) .

وما لبث نظام (الدوشرة) ان توقف فترة قليلة في النصف الاول من القرن السادس عشر - ففي مستعبدات الالف ومستعبد ، عندما كتب الدبلوماسي الانجليزي يول رايتوت (Paul Rycaut) عمله الكلاسيكي عن الامبراطورية العثمانية ، كان هذا النظام نسبيا متسيا ، (١٢) - ولكن نتائجه كانت هائلة - فان مئتي الف طفل على الأقل من البلقان ، قد مروا خلال ذلك النظام اثنتي قرني امانه العمل وتنقيته (١٣) - ولما كانت الغالبية العظمى من هؤلاء الاطفال من السلاف ، فان اللغة الصربوكرواتية (ومنها اللغة البلغارية المجاورة التي كان معظمهم يفهمها) غرست غرسا في قلب الدولة العثمانية - وقد لاحظ معلق غربي في ١٥٩٥ ، ان « السلافوية » كانت اللغة الثالثة في الامبراطورية (بعد التركية والعربية) ، لانها كانت لغة الانكشارية - ولاحظ آخر في ١٦٦٠ ، ان « اللغة التركية لا تكاد تسمع في بلاط السلطان » ، لانه في البلاط ياجسه كانت غالبية « الشخصيات العظيمة من الوافدين من الاراضى السلافية » (١٤) - وكان للنظام ايضا اثر هام اجتماعي وسياسي : فانه خلق طبقة من الموظفين الاقوياء وابنائهم وحفدتهم ، الذين ما لبثوا ان دخلوا في صراع مع « الفرسان » الاقطاعيين العسكريين (المياهي) ثم لم يبرحوا حتى مدوا سلطانهم بالسريع على ما يمكن من ارض ، الامر الذي ادى الى الاسراع بالتحول عن الحياة الاقطاعية الى الضياع الخاصة ونظام الالتزام - وكتب ستامبورود نو : من الساحة الجهورية كانت غلبة النصر البلقاني في الطبقة العثمانية الحاكمة عن طريق نظام التجميع (الدوشرة) هي العامل الذي ادى الى انهيار النظام المالي والاداري للعثمانيين ، وتسبب فيما اعتقه من انهيار الامبراطورية نفسها (١٥) -

وفرض النظام الاقطاعي العثماني على البوسنة منذ البداية - وكان هناك نوعان رئيسيان من الضياع التي كان الفارسي (السباهي) يطلقها ، الكبرى منها هي الزام (Zaim) والصغرى هي اليمار (Timar) ويطلق على حائزها تيمرلي او تيماريوت - (ولكن النوع الثالث والاكبر المعروف باسم الهاس (Hass) (الحصى) ، لا يمنح الا لاعظم حكام الاقاليم واعضاء العائلة السلطانية اصبية) - وهذا النظام ، المعروف على الجمله باسم نظام التيمار ، كان اقطاعيا عسكريا قويا : وكانت حيازته تعتمد على الخدمة العسكرية ، وكانت الارض ملكا للمسلطان ، ولم يكن لورثة التيماريوت (في صاحب التيمار) اي حقوق قانونية في وراثتها (وان كان لثروات هو الصرف للرعي) - وكان اصحاب هذه الضياع ملزمين ان يتجسروا ومعهم اسلحتهم وخيولهم عندما يستدعون لاداء الواجب العسكري وكان عليهم ان يحضروا معهم جندا آخرين ويدفعوا لهم اجورهم بما يقتاسه

تناسيا لمرديا مع ايراداتهم (١٦) . وكانوا يجتمعون للحرب تبعا للمتطفة العسكرية التي يمشون فيها (سنجق ومينهاا الحرفى بالتركية هو الراية ، وهى لفته Sandak بالبروكروايتية) وكان يودهم البك السنجق ، وهى اعظم رتبة بين الموظفين يحق لحاملها ان يحصل على لقب باشا .

ولما كان اصحاب التيمارات غالبا ما يكونون بعيدين لاداء واجباتهم العسكرية مددا تصل الى ستة او تسعة اشهر من السنة ، فانهم لم يكونوا عيشا باعظا على الملاحين (مسيحيين كانوا او مسلمين) الذين كانوا يصلون بأراضيهم . وكان على الفلاحين ان يدفعوا مكسا عينيا يتراوح بين عشر وربع انتاجهم ، ويؤدون رسوما قليلة اخرى ، وكان عليهم ايضا ان يقدموا الى صاحب التيمار بعض الخدمات الاجبارية ، ولكنها كانت اقل ارحاقا بكثير منها فى معظم الأنظمة الاقطاعية الاوربية الاخرى . وكانوا يدفعون ايضا ضريبة سنوية على الأرض (هى الخراج Harach ، التى ما لبثت ان اضيف اليه فيما بعد ضريبة الرؤوس المسماة بالجربة ، Diza) الى السلطان . وكان مركزهم الاساسى قانونا هو مركز المستأجرين الذين كان لهم حق يستطيع ابتازهم ان يرثوه ، لا على الأرض نفسها بل فى استخدامها وامتناعها . وكانوا يستطيعون بيع ذلك الحق ، كما كانوا من الناحية النظرية احرارا فى الانتقال الى أى مكان آخر يشاؤونه . وان كان من الطبيعى ان اصحاب التيمارات حاولوا منهم (١٧) . وعلى الجمله لم يكن لاصحاب التيمار (التماريوت) اية مصلحة اخرى قانونية عسده فلاحيه تزيد على التزامهم بدفع مكوس المشور والغروض الاخرى الواجبة . وان يطعموه عندما يقوم بالعمل بوصفه موطعا فى الحكومة : ولم تكن لديه اية سلطات قضائية من النوع الذى كان يمارس فى المحاكم القروية بأوروبا الغربية .

ولا عفر لهذه الأحوال من ان تتبدل ، بطبيعة الحال ، مع اضمحلال النظام الاقطاعى . ومع ذلك فان حياة الفلاح فى ضيقة حيازة او امتلاك ربما كانت بالفعل افضل من الحياة فى البوسنة الاقطاعية قبل العهد العثماني . وبخاصة فى السنوات الأخيرة السابقة على الفزو التركى ، عندما كان الناس يرزحون تحت عبء الاكفال المالية الاضافية الضخمة التى تطلبها الدفاع عن البوسنة ضمه الأتراك . ودفع الجزيات اللازمة لأرضائهم . وما هو ذا الملك مستيقن توماتشوفيتش يكتب فى أحد التماساته التى وجهها بطلب النجدة والمساعدة قبل الفزو : « يبدى الترك نحو الفلاحين شعورا ملؤه الرفق » وهم يهدون كل من يتطابق اليهم بأن

يكون حراً ، ويوحىون بهم بمنتهى اللطف . . . والناس سيخطعون بمثل هذه الحيل للتدخل على (١٨) على أن هذه « الحيل » لم تكن من بعض النواحي خدعة . كما أن هؤلاء الفلاحين الذين اعتنقوا الإسلام ، كان من الممكن أن ينعموا بنظام آخر من الحيازة أو الامتلاك أكثر أمناً ، يستطيع الفلاح فيه أن يملك قطعة صغيرة من الأرض (Chift) لعل اتساعها يتراوح بين خمسة الى عشرة هكتارات (١٩) .

ومن المؤكد أن الهوية الإسلامية كانت ميزة كبرى لاي انسان في الدولة العثمانية . على أننا نرى فهم الامبراطورية العثمانية في تلك المدة متى افترضنا - كما لا تزال تفعل كثير من الكتب العلمية المتعمدة - أن نظامها كان دينياً صرفاً يحصل فصلاً مطلقاً بين طبقة حكام من المسلمين وطبقة محكومة من غير المؤمنين ، الذين كانوا يصنفون حسب الملة (Millet) الى الوحدة الدينية) التي كانوا يستسيون اليها . أجل ان الامبراطورية أصبحت على تلك الشاكلة في تاريخها المتأخر . ولكن الأمر كان مختلفاً في الفترة الأولى من حكمها في البلقان فلم يكن التمييز الأصلي بين المسلمين وغير المؤمنين ، بل بين العثمانيين (يعني كامل الهيئة العسكرية الادارية التي يستطيع الناس الانضمام اليها ، حتى تطبقوا بنظرة ومسلوك العثمانيين) ، والرعوية . فكان المصطلح القرأى وهو الرعيّة (أي « القطيع أو السرب ») كلمة عامة تطلق على الشعوب الخاضعة : ومنهم المسلمون أيضاً ، وخاصة متى كانت لهم - شأن العرب - ثقافة غير عثمانية . ولم يكن النظام القانوني العثماني الأساسي قائماً على الشريعة الإسلامية . بل كان ينبع من أرادة السلطان نفسه ، وغالباً ما يتخذ شكل اامام يأمر بالبقاء على القوانين والامتيازات المحلية ، وكان مفروضاً بالطبع انه لا يتألف الشريعة . ولم يحدث الا بالتدريج أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر أن ازداد المزج بين الإسلام وبين مبادئ الحكم العثماني - فعلمنا غزاً الأتراك بلاد البوسنة ، ولمدة عدة أجيال بعد ذلك كان لا يزال ممكناً لاي مسيحي أن يصبح فلوساً (صبايح) وأن يتمتع حيازة تيمار دون التدخل عن مسيحيتة : وكان الولاء المطلق للدولة العثمانية ، وتقبل طرائقها في الحياة والحكم ، هما المتطلبين الوحيدين اللازمين (٢٠) .

ومع أن البوسنة كان يحكمها المسلمون . لكنه كان من الصعب اعتبارها ولاية مسلمة ، ولم يكن من سياسة الدولة تحويل الناس الى الإسلام ، أو اجبارهم على التخليق بسلوكيات المسلمين ، وكانت سياسة الدولة الوحيدة تقوم على الاحتفاظ بالبلاد تحت السيطرة ، وابتزاز النقود والرجال والايرادات الاقليمية ، لتزويد الامبراطورية بما تحتاج

ليه في المستقبل من عشة للحرب • وكان معنى ذلك أن الحكم العثماني على تلك الفتنة كان من بعض النواحي • حيناً • حيث لم تفسد الدولة سريه رعاياها في بعض المجالات • وكانت الديانتان اليهودية والمسيحية قائمتين • ولكن مع بعض القيود • كما كان مسموحاً لكهنتهما أن يطبقوا على أتباعهما مهنهما الدينية الخاصة - في محاكم خاصة - وذلك على الأقل في التمنون المدنية • ولكن في الوقت عينه كانت الطبيعة المحدودة لاهتمام الحكومة العثمانية في الأقطار التي كانت تحكمها • داعياً كما هو واضح إلى الفساد والرشوة والاضطهاد • وما دام الوالي الاقليمي يمد الدولة بالرجال والاياردات • ويضع اقليمه تحت الضغط والربط • فإن أحداً من رجال الادارة الامبراطورية لم يكن ليبالي بالنظر في الاسلوب الذي كان يسلكه حاك • وكان الباشا القاسي العزاد أو القاسم المرتضى يستمتع بحرية تصرف واسعة • وربما جاز عزل الحاكم بسبب قلة كفايته أو التمرد عليه ولكنه لم يكن يمز من أجل مجرد الفساد أبداً • وكانت كثرة التنقلات التي تخرجها الدولة لولاة الأقاليم والقواد العسكريين • من منطقة إلى أخرى • حيث يقضون بضع سنوات قليلة في الحكم في الاقليم الواحد • تكاد تكون دعوة صارخة لهم لابتعاد الثروات من ولاياتهم بأسرع ما يستطيعون • وكانت هناك الوان كثيرة من القانون المدني في الامبراطورية العثمانية • كما كان هناك القانون الاسلامي : وهو « الشريعة » • الذي زاد أهمية بسرعة كبيرة • ولكن المرء انما يتروى في وصف الامبراطورية العثمانية بأنها استتمعت ذات يوم بسيادة القانون •

كان القاضي هو الذي ينفذ القانون العثماني محلياً • وكان هو أهم مدير للشئون في المستوى المحلي • وكانت الدائرة التي هو مسئول عنها تسمى كازا (Kaza) أو ذاصيلوك (Kadılık) أي دائرة اختصاص القاضي (٢١) • وكان العدد منها يؤلف سنجقية • وهي المنطقة الادارية العسكرية • وكانت كل سنجقية مطقة منرامية ومهمة • ولكنها في حد ذاتها كانت قسماً جزئياً من الامالة (Byalet) • وهي أكبر وحدة ادارية تتكون عنها الامبراطورية • وكانت أول سنجقية • اقامها الترك بعد غزوهم للبوونة هي سنجقية البوونة نفسها • التي جعل مقرها الاداري في سراييفو أولاً (حتى ١٥٥٣) • والثانية في بانيا لوكا (حتى ١٦٣٩) • ثم في سراييفو للمرة الثانية (حتى تسعينيات الالف وسبعة) • وأخيراً في ترافنيك • ثم أقيمت بعد ذلك بقليل سنجقية زفورنيك إلى الشمال الشرقي • وسنجقية الهرسك في ١٦٧٠ • ثم انضمت خمس سنجقيات أخرى في القرن السادس عشر وهي تتكون جزئياً من أرض اقتطعت من كرواتيا وسلافونيا • وحتى عام ١٥٨٠ كان كل هذه السنجقيات تشكل

جزءاً من إيالة روميليا (Rumelia) ، وهي الولاية التي تغطي معظم بلاد
 البلقان (٢٢) . ولكن في تلك السنة اتخذ قرار بانقسام إيالة منها جميعاً :
 هي إيالة البوسنة . وكان معنى ذلك ، أنها كان يحكمها حاكم بأعلى رتبة
 وهي الباشوية : بيك اليكرب (Boylerbey) بالتركية و « بيجلر بيج »
 (Beglerbey) بالمربوكروانية أي « سيد السادات » . وبذلك أصبح
 هناك الآن كيان يوسني حديث ، كان يضم كل البوسنة والهرسك ،
 بالإضافة إلى أجزاء مجاورة من سلافونيا وكرواتيا ، ودالماتيا وصربيا (٢٣) .
 وبينما كان على مملكة صربيا القديمة أن تظل مقسمة إلى عدد من الوحدات
 الأصغر حجماً ، التي ألفت الكثير منها أجزاء من إيالة بودا (Buda)
 أو روميليا ، فإن البوسنة ظلت مستمرة بهذا الوضع القانوني الخاص
 بوصفها وحدة ذاتية لمنطقة كبرى ، طوال الشطر الباقي من فترة الحكم
 العثماني .

الفصل الخامس

اعتناق البوسنة الاسلام

ربما لم يكن وصول الترك في القرن الخامس عشر ، في الراجح ،
اول احتكاك بين البوسنة والاسلام . فان التوسع العربي في البحر
المتوسط ، الذي كان توصل عند القرن التاسع الى اثناء الحكم الاسلامي
في كل من كريت وصقلية وجنوب ايطاليا واسانيا ، لا بد انه احتلب بحار
المغرب وصغيرهم عدة مرات الى ساحل دالماتيا . ومن المؤكد ان تجارة
الرقيق في ذلك الساحل ، التي ، كما رأينا ، نشرت الرقيق البوسنيين
في غرب البحر المتوسط ، في الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى ، كانت
تارس خلال هذه الفترة المشهورة : فان الرقيق السلاف من منطقة البحر
المتوسط كانوا موجودين باسبانيا منذ اوائل عهدها الاسلامي . كما ان
حكام الاندلس الشرافية (٥) ، معروف عنهم أنهم كانوا يمتلكون جيشا سلافيا
عنده ١٣٧٥٠ مقاتلا في القرن العاشر (٦) . ولكننا لا نستطيع هنا الا الرجم
بالغيب حول ما اذا كان هؤلاء الرقيق البوسنيون اعتنقوا الاسلام ، وحصلوا
على حريتهم ، وعانوا الى موطنهم الاصل . والرجم بالغيب ايضا هو أقصر
ما يمكن عمله عند بحث خلافة البوسنيين بسلمي المجر في العصور
الوسطى - وتجار العرب وسلالة القبائل التركية التي اعتنقت الاسلام ،
وغيرهم من المهاجرين - والمعروف عنهم أنهم عاشوا في الكثير من اجزاء
الأراضي المجرية بما في ذلك سترم (Ström) ، وهي المنطقة الملاصقة
شمال شرق البوسنة ، حتى طردوا من المجر هم واليهود ، أثناء القرن
الرابع عشر (٧) . ومن اليسر علينا فهم السبب الذي أجج في العلماء
المسلمين الرغبة في ترسخ فكرة أن الاسلام كان له وجود بالغ القدم في
أرض البوسنة ، لعله أقدم من الدولة البوسنية نفسها . ولكن من الواضح
أن الأهمية التاريخية لهذه الاتصالات الممكنة المبكرة ضئيلة . فالاحتكاك
أو الاتصال شيء ، والتحول الجماعي الى ومن دين لآخر ، شيء آخر .

(*) المرافقة Saraceni ، أي العرب الشرقيين - (المترجم) -

وعندى أن اعتناق شطر كبير من السكان للإسلام في عهد الترك ، يظل أهم طواهر التاريخ البوسنى الحديث أهمية وتميزاً • وقد نشأت أساطير كثيرة حول طريقة حدوث ذلك وأسبابه ، ولأزال بعضها يتسرب من بعض المؤلفات العلمية القديمة (وغير العلمية الحديثة) إلى عقول البوسنيين العاديين • وحتى العقد الخامس من هذا القرن ، حينما بدأ العلماء التحليل الجدى للسجلات الادارية العثمانية ، كان الكثير من البيئات والشواهد غير متاح • ومن ثم استطاعوا خلال العقود التالية تكوين صورة أشد استيفاء للتفاصيل بكثير ، كما أن بعضاً من اشريع الحكايات والأساطير حول اعتناق البوسنة الاسلام ، قد شيعت الى متواها الأخير •

ولا مراد في أن خير مصدر للمعلومات هو « الدفاتر » العثمانية ، وهي سجلات الضرائب التى سجل فيها مالكو العقارات ، والتى تقسم الناس الى فئات حسب اديانهم • فمن هذه الدفاتر والبيانات يمكن عمل استيفاء للتفاصيل حول انتشار الاسلام فى البوسنة • وتظهر أقدم الدفاتر (١٤٦٨ - ١٤٦٩) أن الاسلام كان محدود الانتشار ، فى السنوات القليلة الأولى بعد الحرو . وفى منطقة شرق ووسط البوسنة ، التى تعطيها تلك السجلات ، كانت هناك ٣٧١٢٥ داراً للمسيحيين ، بينما لم يكن للمسلمين سوى ٣٣٢ داراً • فلو فرضنا أن بكل دار خمسة أفراد فقط فى المتوسط ، لأعطانا ذلك عدداً يصل الى ١٨٥٣٢٦ مسيحياً ، وهناك قائمة منفصلة تحصى عدد العزاب والأرامل بين المسيحيين بنسبة آلاف • وكانت نصف البيوت المسيحية وثلثا عدد بيوت المسلمين (٢٣٤ بيتاً) من الرعية البسطة الذين يعيشون فى ضيعات (تيمارات) عادية ، بينما الآخرون يعيشون فى ضيعات (اصصاص) أكبر حجماً ، أو بالمدن ، أو فى اراضيهم الخاصة • والعالم الذى حلل هذه الوثائق لأول مرة هو نديم فيليبوفيتش (Nodim Filipovic) لاحظ أيضاً أن انتشار الاسلام كان يسيراً جداً بأرض الهرسك ، وأنه كان يسير بخطى أوسع - وهو أمر لا يدعو لأية دهشة - بالمنطقة المحيطة بـ سرايفو ، التى ظل الترك يملكونها منذ أربعينيات القرن الخامس عشر (٣) • وبعض المحازين للتمييز ، يوسفون تحديداً فى تلك الدفاتر القديمة ، بأنهم « مسلمون حديثو الاسلام » ، وبعضهم الآخر اسم مسلم قد يسجلون بأنهم « ابن » • أى ابن فلان - والوالد يحمل اسماً مسيحياً (٤) •

والدقة التالى الذى حلل تحليل وافيا ، خطى مستحقية البوسنة لعام ١٤٨٥ ، وهو يظهر أن الاسلام قد بدأ الآن يحدث تقدماً له ضخامته •

فكانت هناك دور مسيحية عدتها ٣٠٢٥٢ ، و ٤٢٩٢ من الأفراد المسيحيين
 بين عزاب وارامل ، و ٤١٣٤ دارا مسلمة ، و ١٤٦٠ من المسلمين
 المزاج (٥) - ونعود الى التعداد مرة ثانية - فلو فرضنا وجود خمسة افراد
 في كل دار لمطامنا ذلك ١٥٥٢٢١ مسيحي ، و ٢١١٣٤ مسلما ، ولو قورن
 ذلك بأرقام عامي ١٤٦٨ - ١٤٦٩ ، فإن الوبوط في الأرقام الكلية (التي
 تكاد تكون اعظم في حقيقة الامر وواقعه) لو اخذ في الاعتبار نسبة مو
 السكان العاديه ، يكون لافتا للنظر حقا ، ففي تلك الفترة كان هناك نزوح
 متواصل الى حارچ البوسنة ، وتذكر السجلات عددا كبيرا من القرى
 المهجورة - وبطبيعة الحال كان غير المسلمين هم الذين فروا ، وكان المعتنقون
 للإسلام هم الذين تخلعوا - ولكن في أثناء العقود الأربع التالية ، ظل عدد
 السكان الكلي ثابتا ، ولكن رادت نسبة المسلمين أكثر كثرا : وسجل لما
 وفاتر عشرينيات القرن السادس عشر أرقاما كلية حول منجقية البوسنة ،
 يشكل فيها المسيحيون ١٩٠٠٩٥ فردا ، والمسلمون ٨٧٥٧٥ فردا (٦) -
 ونظرا لاننا نعرف انه لم تكن هناك حجرة واسمة للمسلمين الى داخل
 البوسنة ، أثناء تلك المدة - فإن الرقم ينبغي أن يمثل اعتناق البوسنيين
 المسيحيين للإسلام .

وما لبثت عملية اعتناق الاسلام أن رادت سرعتها تدريجيا في
 الهرسك ، اذ أن هناك تمليقا صدر عن أحد الرهبان الأرثوذكس بالهرسك
 في ١٥٠٩ . وفيه يلاحظ أن كثيرا من أفراد الشعب الأرثوذكسي قد اعتنقوا
 الاسلام عن رضا وقبول (٧) - وفي شمال البوسنة وشمالها الغربي
 لم يتيسر لانتشار الاسلام أن يتم الا ببطء في مواكبة التوسع على حساب
 المجر - وما أن اكتمل الفتح في عشرينيات القرن السادس عشر ، حتى
 انتشر الاسلام بصورة أسرع قليلا . ويدعى المؤرخ البوهيميكي الأب

مانديتش (Mandic) أن حملة متعمدة من الاضطهاد للكاتوليك لاجبارهم
 على اعتناق الاسلام قد تمت لأول مرة في السنة بين ١٥١٦ و ١٥٢٤ (٨) -
 بيد أن الدراسة البالغة التفصيل لشمال شرقي البوسنة في أثناء تلك
 المدة التي سطرها آدم مانجيتش (Adam Handzic) ، لا تؤيد ادعاء
 مانديتش وإن أظهرت فعلا أن كثيرا من الكاتوليك هاجروا من المنطقة ، وأن
 خمسة من الأديرة العشرة الفرنسيةكانية هناك ، قد أوصدت أبوابها
 وكفت عن العمل - ويكشف مانجيتش أيضا عن أن الكاتوليك كانوا
 اقرب - وبصورة مفهومة أكثر - الى اعتناق الاسلام كلما بدلت الشقة بين
 ديارهم وبين الكنائس الكاتوليكية - وكان المكان الذي أبدى أشد مقاومة
 هو سربرينكا وكان بها خليط كبير من السكان الجerman والراجورين
 الكاتوليكيي العقيدة ، وظل الكاتوليك يشكلون ثلثي عدد سكانها في
 منتصف القرن السادس عشر - وكان انتشار الاسلام في المدن أوسع منه

في المناطق الريفية في المداة . وكان المسلمون يمثلون ثلث عدد سكانه شمال شرق البوسنة في سنة ١٥٢٣ . ثم ارتفعت نسبتهم الى ٤٠٪ في سنة ١٥٤٨ (٩) .

وتعوزنا أية أرقام دقيقة حول السنوات التالية في القرن السادس عشر . حيث عدلت الحكومة من استخدام الفئات . ولكن يبدو واضحا أنه قد جاء أوان في الخريات القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر أصبح المسلمون فيه غالبية مطلقة ، ينطقون البوسنة العصرية والهوسك . وعنه يواكب القرن السابع عشر ، يوجد بين أيدينا فعلا ، بعض البيانات التي كتبها قساوسة كاثوليك زائرون ، جسموا فيها تقارير وبيانات تفصيلية من أجل روما . وكانت أرقامهم تقلا عما سمعوه واستخدامهم لتعبير « البوسنة » مطلقا ، كما أنهم فيما هو واضح كانوا شديدي الحرص على تأكيد : اما القوة الصاعدة للكنيسة الكاثوليكية او المبالغة في درجة الاضطهاد التي كانت تقاسيها . ومن هؤلاء زائر مسيحي ذكر أن عدد الكاثوليك في البوسنة كلها كان مئتين وخمسين ألفا في ١٦٢٦ ، وأضاف الى ذلك قوله ان عدد المسلمين كان أكثر من العدد الكلي للمسيحيين (١٠) . وثمة آخر هو القسيس الألباني والرائر الرسولو بيتر مساريكي ، قدم في ١٦٢٤ تقريرا قائما على التحري الدقيق ، ومن سوء الحظ أن الأرقام التي قدمها حول البوسنة لقيت أسوأ تفسير من كل المؤرخين الذين تناولوها تقريبا . وفي الحقيقة فإن ما ذكره هو أن عدد الكاثوليك كان مئة وخمسين ألفا والأرثوذكس الشرقيين خمسة وسبعين ألفا والمسلمين أربعمئة وخمسين ألفا (١١) .

واستغرقت عملية تحول معظم سكان البوسنة الى الاسلام ، الشطر الأعظم من مئة وخمسين سنة . وعلى ضوء البيانات التي تجمعت حتى اليوم يتضح أن بعضا من أقدم الأساطير حول هذا الأمر إنما هو حراء يكن نبه . وعلينا أن نرفض تماما فكرة جلبه المسلمين في جماعات كبيرة من خارج البوسنة واسكانهم فيها : فرغم أن العثمانيين استجلبوا فعلا بعض الشعوب التركية الى مناطق أخرى من البلقان ، فإن الدعائر تؤكد أن مثل هذه السياسة لم تطبق في البوسنة أبدا . وربما احتلط الأمر على قلة من روار البوسنة من الأجانب الذين اختلط عليهم الأمر لضخالة علمهم عندها وصفت مسلمو البوسنة أنفسهم بأنهم « أتراك » ، ولكن لم يكن معنى ذلك أنهم كانوا يمدون أنفسهم أتراكا فهم كانوا يستخدمون دائما مصطلحا مختلفا لوصف « الأتراك العثمانيين » : إما عثمانلي (Osmanlı) أو تركوشي (Turkosh) (١٢) . ولا شك في أن بعض المسلمين من تجار وحرقين

وقرسان (صباي) - توافلوا للإقامة ببلاد البوستة من الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية . ولكن بعض هؤلاء ، وفيهم فيما يحتمل نسبة ضخمة في آخريات القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر ، كانوا سلافا مسلحين من بلاد سلافية أخرى . والتاريخ يقول ان الجنود غير السلافيين الذين خضعوا مع القوات البوسنية أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر لم يستقروا في الأراضي البوسنية ويستوطنوها الا في القليل النادر (١٣) .

وبالمثل ، فإن الفكرة القائلة بأنه جرى تحويل جماعي للبوسنيين الى الاسلام في السنوات الأولى التالية للفوز ، انما هي فكرة واضحة الزيف : فاد عملية التحويل للاسلام كانت بطيئة في البداية في احيان كثيرة واستغرقت عدة اجيال ، ومع انه قد يعوزنا ذلك النوع من الشهادة الشخصية التي نوضح لنا ونحبرنا كيف ولماذا كان الافراد يقررون التحول الى الاسلام ، فإن لدينا تعقبات وملحوظات عديدة بين حين وآخر ، مثل تعقيد ذلك الراحب الوارد ذكره اعلاه ، وكلها تدل على ان الناس كانوا يستقنون الاسلام بحسب ارادتهم المطلقة . وتعتبر الدفاتر ايضا ، بوصفها بيئة وشهدا ، الى عدم وجود أدنى تعرض للمسيحيين الذين اصروا على التمسك بمعتقداتهم : وكان من الاشياء الطبيعية لدى الناس ، ان يصبحوا مسلمين ، ورتسموا بالاسماء الاسلامية . ومع ذلك يواصلون المعيشة مع بقية عائلتهم المسيحية (١٤) . وساعدنا هذه العادة أو الممارسة على تفسيح السبب الذي من أجله احتفظ مسلمو البوستة بالطريقة السلافية للاسماء الملقبة بالأيا : وهناك تدوينات كثيرة وردت في الدفاتر المبكرة من نوع « فرهاد بن ايفان » أو « حس بن سيهايلو » - حتى اذا جاء الوقت الذي رسخت فيه الاسماء المتسوية الى الأب بوصفها القابا للأسرة ، اننا نعلم المسلمون وقد أصبح لهم أب مسلم ، بد أنهم واصلوا تشكيل هذه الاسماء العائلية على الطريقة السلافية . هدمين الكتياك مثل حموفيتش وسليمانوفيتش (١٥) .

والقول بأنه لم تكن هناك سياسة عامة للضغط على الافراد ، لا يعني بأنه لم تكن هناك أية مواقف أمام عمل الكنائس المسيحية ولم تفزل بها أية مظالم . على ان الكنيسة الأرثوذكسية كانت أقلهم معاناة أثناء تلك الفترة العشوائية المبكرة لسبيين : أن سياسة الحكومة العشوائية تحايي الكنيسة الأرثوذكسية على الكاثوليكية (كنيسة الصندو النمساوي) ، وتأنسها الوجود الأرثوذكسي في البوستة ، باستثناء الهرسك ، كان

ضعيفا قبل الفزو التركي . ومن المؤكد أن عددا من السكان الأرثوذكس قد دخلوا في اجراء كثيرة من اليوسنة ، كنتيجة مباشرة للسياسة العثمانية . (وسعالج ذلك الموضوع فيما بعد في الفصل السادس) . كما ان الكنيسة الا . ب . ذكسية كانت مؤسسة معترفا بها في الامبراطورية (١٦) .

على ان الكنيسة الكاثوليكية ، وان منحت الوضع القانوني الضروري لها لمواصلة انشطتها ، كان ينظر اليها بارتياح عميق (١٧) . وكان ينظر الى قساوستها على أنهم جواسيس محتلون للبول الأجنبي . وكان ذلك الاتهام قائما على اسباب قوية : فان هناك مسئولا رسميا لحكومة البندقية يسجل في عام ١٥٠٠ تقريرا مرسلًا من « رهبان فرنسيسكان بعينهم مكتوا حينًا في اليوسنة » ، وهو يحلل الوايا العسكرية لترك (١٨) . وفر كثير من الكاثوليك الى الاراضي الكاثوليكية المجاورة ، في نصف القرن الأول للحكم العثماني ، وبخاصة فيما يرجع أولئك الذين تعاونوا مع المجرين في أثناء معاولتهم التمسك بالجزء الشمالي من اليوسنة . وكما رايا ، فان خمسة من الاديرة الفرنسيسكانية المترة في تلك المنطقة الشمالية الشرقية التي درسها آدم هاجيتش احتضت من الوجود أثناء عمليات الفزو التركي . وقبل دخول الترك اليوسنة ، كانت هناك خمسة وثلاثون ديرًا فرنسيسكانيًا في اليوسنة الحقة وأربعة بالهرسك . ومعظم هذه الاديرة لا وجود لها بالدعائر ، اذ دمر بعضها في الحرب ، وبعضها الآخر (بكل من فورتشا وبايسه وزغوريك وسربريكا وبيهاش) قد حولت الى مساجد . وفي ثمانينات القرن الثامن عشر وجهه فرنسيسكاني زائر انه لم يبق الا عشرة اديرة في كل ارجاء اليوسنة ، وقد ذكر كاثوليكي آخر هو الأسقف مارافيتش (Maravic) البلد نفسه في تقريره الذي كتبه في ١٦٥٥ (١٩) . وكان الفرنسيسكان هم رجال الدين الكاثوليك الوحيدين العاملين في اليوسنة ، وفي ١٥١٤ قسمت الوحدة الكاثوليكية الادارية في اليوسنة الى فانرتين ، هما اليوسنة الكرواتية (أي كرواتيا غير العثمانية) ، و « اليوسنة الفصية » (أوجنتينا) اي اليوسنة نفسها . وكذلك الفرقة حل بالدائرة الثانية وأضحت معزولة عن العالم . ومع أن الكنيسة في اليوسنة لم يكن لها مصدر ايراد الا ما يرد اليها من مال من الخارج وهبات من رعاياها المخلصين ، فان الولاة العثمانيين المحليين كانوا يجلبون كثيرا من الفرص لابتزاز المبالغ الضخمة منها . وكان الولاة الأكثر تقلبا في الامواء يستخدمون أية ذريعة لطلب المال . وهناك تقرير يشرح بالشكوى مرسل من اليوسنة الى روما في ١٦٠٣ وهو يصف كيف أن الفرنسيسكانيين قد اعتقلوا وأسيحت معاملتهم

في السجن وكلفوا بفتح ثلاثة آلاف أسير (Aspects) (وهي عملة عثمانية) مقابل الحصول على تصريح لهم بالإقامة في أديرتهم (٢٠) * ومن الجبل أن الظروف المحيطة برجال الدين الكاثوليك كانت عسيرة ، وكانوا دوما عرضة لخصب والاكرام ، لا للحصول عن دينهم ، بل لابتزاز فلل منهم .

وهناك نظرية أخرى شائعة حول نشر الإسلام في البوسنة وهي أن التحول إلى الإسلام نتج عن التحول الجماعي لأعضاء الكنيسة البوسنية - التي تفرس النظرية بكافة أشكالها أنها كانت بوجوميلية - ولأول نظرة يختلف المرء شيئا يستحق التصديق في هذا الادعاء : هو أن الكنيسة البوسنية والزيادة الضخمة في عدد المسلمين يشكلان أشد الأشياء تميزا حول التاريخ البوسني . فالكنيسة تنتهي بتحول السكان إلى الإسلام ، فهل هناك أوقع من أن يفسر كل من هذين الأمرين الآخر ؟ على أن النظرية في أبسط أشكالها إنما هي رأى واضح البهتان - صحيح أننا نستطيع الربط بين بعض جوانب الظاهرتين ولكنه ارتباط غير مباشر فحسب . وكما رأينا ، استغرقت عملية تحول البوسنة للإسلام أجيالا عدة . فلو أن المصدر الرئيسي لهذا التحول المسلمين المستعدين طوال تلك الفترة كان اتباع الكنيسة البوسنية ، لجار للمرء ما أن يجد شواهد تدل على تلك الضوئية المنعقدة - شواهد تكون ضخمة في أول الأمر ثم تالتت أن تتناقص بالتدريج - في المقابر . ولكن المقابر تظهر أقل من سبعة فرد من الأعضاء في الموصلة على اعتماد عدة وخمسين عاما تقريبا . ولدينا من الأسباب ما يجعلنا على أن نعتقد أن الكنيسة البوسنية كانت في عدد المئتين إلى حد كبير حتى قبل الفرو التركي وأن عدد أتباعها العلمانيين (٣) في السنوات السابقة على انهيارها ربما لم يكن ضخما جدا على كل حال . وربما أقدم بعض هؤلاء الناس ، حسبما نورد في التقارير المصرية القليلة ، على الترحيب بالأتراك اغاظة وكيما في مضطهدتهم الكاثوليك (٢١) - بيد أن الترحيب بالأتراك شي ، والترحيب بالإسلام شي آخر تماما . فإن الأفراد الذين كانت سياساتهم تسترشد بقوة إصلاحهم للكنيسة البوسنية ، لابد أن يكونوا أقل الشعوب نزوعا إلى التخلي عن ديانتهم . وقد يقل بعض الكتاب محاولات لاكتشاف أواخر روحية عبق بين لاهوت البوجوميليين البوسنيين والمأثورات التصوفية الإسلامية ، وبخاصة صوفية طرق الدراويش (٢٢) . فإن نحن رفضنا كماله الواسع علينا ، نظرية البوجوميل حول الكنيسة البوسنية وجب أن نرفض حلة القول أيضا .

والعلاقة الوحيدة التي يمكن أن نستنتج بين الكنيسة البوسنية والتحول للإسلام أنها هي علاقة غير مباشرة وتكاد تكون سطحية . فتحزن نرى من قصة الكنيسة البوسنية أنها عانت من الضعف والانهايار أثناء المئة السابقة على الغزو التركي . وقد كانت هناك في بعض المناطق (كالمهرسك والحافة الصربية من البوسنة الشرقية) ثلاث كنائس مختلفة تعمل كلها في تنافس . أما في معظم البوسنة الحقة فكانت هناك اثنتان : الكنيسة البوسنية والكنيسة الكاثوليكية . ولم تحظ أي منها حتى الأفراد الأخيرة للمملكة البوسنية بدعم مطلق من سياسة الدولة . ولم تعرضا في مناطقها نظاما صحيحا من الأبروشيات التي لكل منها رئيس كنسي . ولا بد أن كثيرا من القرى كانت يهيمنه عن مسال كل من الأديرة الفرنسيسكانية والبيوت الديرية للكنيسة البوسنية فلا تكاد ترى راعيا أو مسيحيا ولو في ريادة سنوية . ولو أننا قارنا حالة الأمور هذه بمجريات الأمور في صربيا أو بلغاريا ، حيث كانت هناك كنيسة قوية وحيطة وقوية وجيدة التنظيم ، لوضعنا أيدينا على سبب ضخم دعا إلى ما لقيه الإسلام من نجاح أعظم ببلاد البوسنة . واستمرت المنافسة الشرسية بين الكاثوليك والأرثوذكس طوال فترة التحول للإسلام ، فبينما تحول بعض أتباع الكنيسة إلى الإسلام فقد تحول بعض الكاثوليك أيضا إلى الأرثوذكسية والعكس بالعكس (٢٣) . وما له دلالة أن القطر البلقاني الآخر الوحيد (خارج إقليم تراقيما الماهول بالأتراك) الذي أصبح يحتل أغلبية مسلمة من السكان هو البانيا ، التي كانت معترك منافسة بين الكنائس المسيحية ، الكاثوليكية والأرثوذكسية) . بيد أن حالة البانيا كانت مختلفة هي الأخرى ، إذ يبدو أن هذا الإقليم كان قد دخل الإسلام نتيجة لسياسة عثمانية متعمدة ومتصودة لمساعدة المقاومة المتهورة بعد الحرب التركية البندقية في القرن السابع عشر (٢٤) .

وإذا نحن أدركنا أن المسيحية لم تجد يوما كبيرا من أية منظمة كنسية في كثير من أرجاء البوسنة ، أمكننا أن نفهم بشئ من الوضوح سيكولوجية اعتناق الإسلام . ومن نافذة القول ، الحديث عن هذه التحولات المدنية بالمصطلح الذي يستحضره الناس حول مارتز لورن مثلا أو الكارديسمال نيومان . ففي المناطق الريفية التي يموهها خلعة القسس ، كانت للمسيحية (مهما كان ملابها) قد أصبحت فيما يرجع لا تزيد كثيرا عن مجسوة من الممارسات والمراسم الشعبية التي كان بعضها خاصا بالميلاد والزواج والوفاة ، ويهدف بعضها الآخر إلى دفع سوء الحظ وشفاء السقام . والحصول على محصول جيد ، وهكذا . ولم يكن الانتقال من المسيحية

الشعبية إلى الاسلام الشعبي شيئا كبيرا جدا ، فقد كان في الامكان استمرار كثير من الممارسات عينها ، وإن جرى ذلك تحت كلمات أو أسماء مختلفة اختلافا هينا . ويبدو الوجود الراقب المتحكم لتكتيسة ما ، والتحذير من الخطر المحقق بروح المروءة الخالصة ، كان الانتقال ممكنا بفاية السهولة . وكثيرا ما كان الزوار البروتستانت للبلقان ممن كانوا يتسمون بالجدية والوفاء ، يصدون لتلك الاستهانة التي كان الناس يجسرون بها هذا الانتقال . وقد لاحظ الطبيب الانجليزي جورج هويلر (George Wheeler) أثناء زيارته لكورنث ، في سبعينيات الألف وستين ، الملاحظة التالية فقال : « ان المسيحيين هنا ، بسبب افتقارهم للتعليم الجيد والقيس الصالح الكلمة الذي يعلمهم ، يقومون كل يوم في المروج عن الدين ويتخفون عن دينهم مستبدلين به الخرافات التركية كلما آلت بهم مصيبة صغيرة وكلما أحسوا بالخطر » (٢٥) .

وجدير بالذكر ان بعض الممارسات الدينية الشعبية الواردة في اقدم المصادر كان لها بالفعل تاريخ طويل في كل من التقاليد الماثورة للمسيحية والاسلام . فالايمن بالقوى الحافظة للالواح أو قصاصات الورق التي عليها كتابات دينية - اما على صورة حساب أو تدفن في حقل لحظ ، ووقاية المحصولات - كانت شيئا شائعا في العصور الوسطى ولا تزال قائمة الى يومنا هذا ، بين كل من المسيحيين والمسلمين (٢٦) . وهناك مسافر في ١٩٠٤ أخذته الدهشة حين رأى المسلمين والمسيحيين يشتركون في « نفس المعتقدات الخرافية مثل قوة الأحبة الواقية التي كثيرا ما كان المسلمون يلجأون إلى مباركتها من الفرسيسكانيين ويلبسونها لأطفالهم حول الأعناق أو على ملابسهم أو على طرايشهم مثل الحبات والأسماء وبرائن النمرود وقرور العول ، وما إلى ذلك كله » (٢٧) . وكانت كل من الديانتين تحتفل بكثير من الأعياد والأيام القديمة وتضم هذه الاحتفالات يسوم يوريففو (Jurfavo ، أي يوم عيد القديس جورج) وعيد ليندن (Linden) أي عيد القديس الياس (الذي كان مصروفاعده المسيح ياسم البديون Alidjon) والأمور كما يتطقه مثل السائر : « في الصباح الياس وبعد الظهر على » (٢٨) . وحيثما كان الموقف الأساسي من الدين عمليا وسحريا ، كان من الممكن استعارة عناصر الطقوس من دين لآخر خاصة الهامة منها . وذلك لأن تلك العناصر كانت تعتبر أشعيا قوة . لذا نجد المسلمين يقولون أكثر الأيقونات المسيحية احتراماً وتبجيلاً ، كذلك الأيقونة القانسة غي أولوفو ، أو يفضلون الكنائس المسيحية للصلاة ، لذا نجدهم أيضا في بواكير القرن التاسع عشر يطلبون تلاوة القداسات الكاثوليكية من أجلهم أمام صور العذراء التماسا لشفاة مريض

برضى عضال (٢٩) - ويصو أن نحلة أو عبادة الطوارى مريم كانت شيئا شعبيا محبوبا لدى الناس يوحى خاص - وهناك راحب فرنسيسكاني هو « حارس » دير أولوفو - كتب في ١٥٩٦ بأن الكنيسة كانت تحظى بأشد التجهيل عند المسلمين بسبب التعاقب المستمر للمعجزات التي تبهر المتحول التي يجريها الله هناك بفضل توسط الصلوة المقسمة « (٣٠) - وفي مقابل ذلك ، يوجد هناك أيضا سجلات تدون أن بعض المسيحيين كانوا يستمعون للدراوش المسلمين لقراءة القرآن عليهم اجتغله شفائهم من مرض وبيل - وهناك دراسة واسعة لإسمه لهذا الموضوع تمت بكل أرجاء الامبراطورية العثمانية وتوصلت إلى التالي : « أن النزوع إلى المشاركة يبدو بطبيعة الحال أقوى ما يكون - حيثما التقت جميع الطوائف على أساس مشترك بينها من الخرافات الدينية » (٣١) -

وينبغي لنا على هذا الأساس أن ننظر إلى الجانب الخفى السرى الآخر فى التاريخ الدينى اليوسى ، الذى يدل حسبا يقول بعض الكتاب على وجود علاقة ما بين الاسلام والكنيسة اليوسنية القروسطية : هى البوتور (Potur) - والمعنى الأصل لذلك الاسم غامض ، وكان يستخدم على الصوم فى الإشارة إلى البوسنيين السلافيين من الفلاحين أو الريفيين الذين تم اسلمهم أو أتركهم ، الذين ربما احتفظوا ببعض الممارسات المسيحية - وكان عمدة المصادر فى هذا الموضوع وصف كتبه فى فترة لاحقة الدبلوماسى الانجليزى بول رايكوت - وقد حلق عليهم الانتساب إلى طائفة دينية ، (ولكن هذا كما سترى فيما بعد رأى مضلل) - وقد ذهب بعض الكتاب إلى أن كلمة « بوتور » مشتقة من كلمة « باتارين » (٣٢) - على أن هذا الاشتقاق يبنى أن ينبذ لمجرد أن « باتارين » كان مصطلحا إيطاليا أو راجوزيا ، كما أنه لم يستخدمه البوسنيون أنفسهم أبدا - ولكن لفظة « بوتور » من الناحية الأخرى كانت مصطلحا استخدمه عند القرن السادس عشر إلى الثامن عشر كل من البوسنيين والأتراك - وتفسرها الدراسة اللغوية الشعبية كمصورة مختصرة لكلمة « بولتورك » (Polu-turk) الصربو - كروايتية ، ومعناها « نصف التركى » - وهو أمر له بالفعل بعض الارتباط بطريقة استعمال الكلمة فى تلك المدة - وهناك اشتقاق آخر من الفعل الصربو كروايتى بوتورشنى (Potureti se) ، ومعناه التترك أى أن يتحول الإنسان إلى تركى (بتاترك) -

ومع هذا ، فإن أقدم استخدامات لهذا اللفظ باقية إلى اليوم وريت فى اللغة التركية وليس فى الصربو كروايتية - فبعد أن اتخذ البوسنيون لمسلمون إجراءاتهم الخاصة فى ١٥١٥ لإرسال أبنائهم لتلقى التدريب والتعليم فى اسطنبول ، أطلق المسؤولون العثمانيون على هؤلاء الأطفال

جميعا اسم « بوتور » عندما أرسلوا الى القصر السلطاني (٣٣) كما ان عددا من الهرمانات السلطانية في الفترة بين ١٥٦٥ الى ١٥٨٩ يمنح اليوتور امتياز ارسال اهنائهم ليمسجوا النجبة المتلذذة من الموشمة : ويستعمل مصطلح « يوتور » في هذه الهرمانات كنسبة عامة للسلاف البوسنيين للمسلمين . واقدم مرجع مكتوب يستعمل هذا المصطلح هو مصنوعة القواميس الخاصة بالبوسنة التي أصدرها السلطان في ١٥٢٩ . وهو ايضا يستعمل كلمة بوتور للإشارة للسكان البوسنيين المسلمين . على ان هناك مصدرا تركيا آخر ، وهو تقرير حول قضية في سراييفو في ١٥٦٦ ، وقد مير بج البوتور ، اذبر هم كما هو واضح السكان البوسنيون المحليون ويي غيرهم من المسلمين ، الذين قد يكونون عثمانيين . وهناك معجم تركي بوسني (اي تركي صربوكرواني) صدر في ١٦٣١ ، وهو يترجم « بوتور » بكلمة « القروي » (٣٤) . ومن العجيب ان احدا من العلماء الذين شغلت البياهم هذه المسألة لم يقدم هذا التفسير الواضح وهو ان ذلك الاسم « بوتور » جاء من الكلمة التركية بوتور Potur . وهي كلمة تطلق على السراويل ذات الثنايا (حيث تعني الكلمة التركية بوت Pot الثنايا وكسرت القماش) ، وهو السروال الذي يلبسه الفلاحون ، وهو مرج كان يستعمل في اراضي البلقان القريبة . وزحمت الكلمة ايضا الى اللغة الالبانية في صورة كلمة بوبوري (Poture) وهي تعرف في المعجم الاكاديمي الالباني : « سراويل واسعة للرجال ترتدى ببعض اجزاء البانيا ، مصنوعة من البلاء او القماش الخشن الأبيض (٣٥) . وهناك الكلمة التركية بوتورلو Poturلو ، التي تطلق على اي انسان يلبس البوتور ، وتطوى ايضا على المعنى العام لكلمة « فلاح » . ومن هنا يبدو محتملا ان الكلمة كانت في الاصل مجرد تعبير مهم يستعمل للدلالة على اولئك الفلاحين السلاف البسطاء الذين ظنوا رغم اعتناهم الاسلام ، اجلاما بدائيين وريجين في نظر العيون التركية .

واذا هذه الخلفية ، وبالنظر الى ما نعرفه اليوم من اختلاط الممارسات المسيحية والاسلام في العقيدة البوسنية ، يتكشف القموض الذي كان يكتنف بعض الاشارات المتأخرة الى البوتور بلأرض البوسنة . فقد قدم كاتب كاثوليكي الى البلاط الهابسبرجي تقريراً في ١٥٩٩ يتضمن ان هناك من البونور عددا ضخما في المناطق النخومية للبوسنة قد احتفظوا ماساتهم المسيحية وظلوا مسيحيين « قلبا وقالبا » ، وقال انهم يحثون على حرروا من الأراك ان يصعدوا بكل سرور (٣٦) . وليس هناك ما يدعو الى الدهشة ان يقول قوم هذا ان كانوا يرجون ان هذه الدولة المسيحية انظمي المحاوره سوف تحررهم ، وينبغي الا يضرب عن يالبا ان هذا التقرير

كتب أثناء حرب عثمانية هابسبورجية طويلة ، زاد في اقتناعها به الضرايب والواجبات العسكرية على السكان اليوسفيين ، زيادة ثقيلة - وبمساعدة تامة ، ليس من الضروري أن تقررا بين سطوة هذه البيئة علامات أو آثارا خفية تشهد بوجود تقاليد بوجوميلية باطنية . وهناك كاثوليكي آخر قام بزيادة اليوسفة في عشرينيات الألف ومئتمنة ، وقام بكتابة تعليقات مماثلة ، فقال : « قل بين ، الأحرار » الذين يشتغلون في الأرض (يعنى الرعية المسلمة اليوسفية) من يستطيع التحدث بالتركية ، ولو أنهم لم يخافوا النار فانهم جميعا سيصبحون مسيحيين ، لعلمهم يقينا أن أجدادهم كانوا مسيحيين » (٣٧) - وواضح أن هذا الكاتب أيضا كان يبيع تقريرا للهابسبورجين وكان حريصا على أن يقنعهم بإعادة فتح اليوسفة للكاثوليكية . ويبدو أن عددا من أمثال هذا التقرير قد ألقيت للنمساويين أنهم لو أقسموا في أية لحظة من الزمان على حيلة غزو صخنة ، لأقبل عليهم السكان جميعا مرحبين ، ولكنهم منوا بخيبة الأمل عندما حاولوا ذلك في ١٦٩٧ . ومن الممكن بطبيعة الحال ، أنه كانت هناك في اليوسفة ، مثلما كانت هناك أيضا في أجزاء أخرى من العالم العثماني ، حالات أصيلة من المسيحية الباطنية ، أو بمعنى آخر قوم لهم مظهر خارجي من الإسلام يتوارى وراءه تمسك خاص بالمعتقدات والممارسات المسيحية (٣٨) - على أنها كانت ظاهرة نادرة ، وتختلف اختلافا تاما عن ذلك السورج من المرجح بين المسيحية والإسلام الذي سبق وصفه آنفا . وهي لا تنفصا إلا ردا على سياسة إجبار الناس بالقوة على اعتناق دين جديد ، وهي سياسة لم تطبق بصورة عامة في اليوسفة .

وأخيرا ، يجيء الحديث المجر حول البوتور الذي قدمه بول رايكوت في ١٦٦٨ . وتجرى أسلواته اليهم في ذلك القسم من كتابه الذي يبحث فيه موضوع القاضيزادية (Kadisadelar) وهي حركة إسلامية متطهرة وشديدة الأصولية أحرزت تأثيرا عظيما في اسطنبول في بواكير القرن السابع عشر قبل أن تصدها السلطات في ١٦٥٦ . ويلاحظ رايكوت شدة تمسك تلك الحركة بالأصولية (« أنهم قوم منضبطون وشديدي المواظبة في مراعاة قواعد الدين ») ، ولكنه أضف إلى ذلك قوله أنهم أدخلوا صلوات خاصة للموتى . من أجل ذلك كما يقول رايكوت ، « انضم اليهم كثير من الروس » ومن شاكلهم من المسيحيين المارقين الذين ، نتيجة لفكرة مشوشة وتقريرا منمسية عن الديانة المسيحية ، لا يزالون يحتفظون بذكرى عن « دار الصلوة » و « الصلوات على الموتى » . ثم يواصل الحديث بعد ذلك قائلا : .

و لكن المراد تلك الطاقة الذين يملطون خلطاً عصبياً بين
 المسيحية والاسلام ، كانوا من الجند الذين يميلون على
 الأطراف القوية للمجر واليوسنة ، وهم يقرؤون الكتاب
 المقدس باللسان السلافوني وبالاصافة الى ذلك تراهم
 يجهنون الى تعلم أسرار « القرآن » وقواعد اللسان العربي ،
 ولكن لا يسمدوا أجلاً غلظاً او ثمين جهلاً ، فانهم يقولون على
 الفارسية المستعصمة في البلاط - وفي شهر الصيام رمضان ،
 فانهم يحدون النبيذ . . . ويحسون ويعطون على المسيحية ،
 كما أنهم على استعداد لحمايتهم من افتر الترف وعنفهم : ورغم
 ذلك فهم يعتقدون أن محمداً هو الروح القدس الذي وعد
 المسيح به الناس . . . ويتعجب البوتور اليوسميون لهذه
 الطاقة ، ولكنهم يدعون الضالين كما يفهمها المسيحيون ،
 ويعتقدون الصور المقدسة وعلامة الصليب ، وهم يمتحنون ،
 ويعتقدون من مثل سلطة المسيح عندما يؤيد ذلك » (٢٩) .

ويتعجب زعيم الدعاة المصريين للنظرية البوجوميلية ، وهو
 الكسندر سولوفيفيف ، بهذه الفترة كدليل على التطابق بين البوتور
 والبوجوميل (٤٠) . على أن الرابطة الوحيدة مع ممارسات البوجوميل
 انما هي عبارة أنهم « يعتقدون الصور المقدسة وعلامة الصليب » ، والمعنى
 الواضح لهذا كله هو أن البوتور كانوا يستخدمون الممارسات الاسلامية
 في هذه النقطة (او على الأقل كانوا يدعون أنهم يفعلون ذلك عندما
 حدثوا المرشدين المسلمين الذين استمد منهم رايتوت معلومات) .

ونغني عن البيان أن رايتوت قد ربط هنا بين مجموعات ثلاث متباينة
 من الناس برباط مزيف مع جماعة « المارقيين عن المسيحية » ، واحدى هذه
 الجماعات هي طائفة القافيزادية الأصولية المتطرفة - وقوام الطاقة الثانية
 هم الجند الذين كانوا يعملون بالمجر واليوسنة ، الذين كانوا يقومون
 بأشياء لا يمكن أن يتقبلها المتدينون مثل شرب الخمر في رمضان . وبالنظر
 الى أحييتهم وجهالتهم ودراستهم للعربية والفارسية ، فلا بد أنهم كانوا من
 الانكشارية الذين تلقوا تعليمًا كاملاً في اسطنبول - وبعض هؤلاء كانوا ،
 بغير شك ، من حيث الأصل ، بوتور بالمعنى القبيح . وكان تهاونهم
 واحتقارهم باللاهوت المسيحي يجعلهم يبدون أقرب كثيرا الى طائفة
 الدراويش البكتاشية ، وهي أكثر طريقة صوفية أسفا في الاثاق ومخالفة
 بين المذاهب ، وكانت جملة خاصة أكثر شعبية بين الانكشارية . وكما
 لاحظ رايتوت بموطن أخر ، كانت هذه الطاقة موضع التهديد والكرهية
 الخاصة من القافيزاديين بسبب سلوكها المتراخي (٤١) - وهناك بعد ذلك

الطائفة الثالثة وهم البونور : ويبدو أن السبب عند رايكوت في وضعهم
هنا إما أن يكون الاختلاط الجرائم مع الجدة ، على الأطراف القاصية
... للبوستنة ، أو لأنهم هم أيضا كانوا من « المسيحيين المارقين » الذين
كانوا يحتفظون ببعض العلاقات التسمية مع المسيحية . ولم يحدث قط
أن زاد رايكوت البوستنة ، ولابد أنه كان يعتمد على غيره لهذه
المعلومات ، ويحتمل أنه ليس كل تصنيفة أو مصادرة يسكن الاعتقاد
عليها (٤٢) . ولكن ، والحق يقال ، فإن ادعاء بأنهم كانوا يدفعون الضرائب
« مثلما يفعل المسيحيون » (يعني الجزية أو الخراج ، وهي ضريبة الرؤوس
المفروضة على غير المسلمين) ربما كان صادقا ، إذ تذكر وثيقة رسمية
بوسنية لأعوام ١٦٤٢ - ١٦٤٥ أن البونور دفعوا الجزية ، ومن المعلوم
أن المسلمين كان من الممكن مطالبتهم بدفع هذه الضرائب في الظروف
الاستثنائية عندما تشتد الحاجة للمال للمجهود الحربي (٤٣) .

وليس ليبلان رايكوت هذا أية علاقة بالبوغوفيتية . وبينما كان في
الامكان من الناحية الاحصائية أن تلة من البونور كانوا في الأصل من
أتباع الكنيسة البوسنية ، فليس هناك في تطبيق اثباته هنا بين تلك
الكنيسة وبين مجموع السكان الريفيين من المسلمين البوسنيين - وبماثل.
ليست هناك أية علاقة حقيقية بين بقايا تلك الكنيسة وبين مجموعات
المسيحيين الذين كان الرواد الكاثوليك يطعنون بهم أحيانا في المناطق
الثانية والذين لم يتبق لهم من دينهم سوى الاسم أو لم يتبق منهم سوى
أفراد قليل : وهم قوم « في حالة تصفية ومن للجهل بدينهم ولولا أنهم
غير معنويين لما جاز لهم أن يسموا أنفسهم مسيحيين » (٤٤) . وربما كان
هؤلاء القوم بقايا مجتمع مسيحي ما عاشى بدون خلمات فسيح أو كنيسة
عنة أجيال متتالية . وأيا كانت هويتهم فإنهم على كل حال لم يكونوا البونور
الذين هم ببساطة تامة القلاحون المسلمون العاديون في البوستنة .

وهناك أيضا نظرية خاطئة أخرى حول تسلمة البوستنة لابد من إشارة
إليها ، إذ عارلت شاملة ، وإن تفرقت على يد البحث التاريخي منذ ١٩٣٠
وما بعدها . وهي الادعاء بأنه عندما فتح الأتراك البوستنة ، اعتنقت هيئة
النبل المحلية بأجمعها الإسلام بغية الاحتفاظ بمرزومها الإقطاعية . وقد
شاعت هذه النظرية في القرن التاسع عشر على يد الفرنسيين والوطنى
السلطاني إيفان فرانز جوزيفيتش (Ivan Franjo Jukić) الذي أصدر كتابا
في ١٨٥٩ عن تاريخ البوستنة تحت اسم همستار حوا : سلافوليوب
جوشنيك (Saveljub Goshnjak) أي البوستي المحب للصلاف) . وقد
أكد في كتابه هذا أنه أخذ حديثه عن الأرستقراطية المسلمة في البوستنة :

• أنهم نشئوا عن المسيحيين القاسدين الذين تحولوا إلى مسلمين لأن التحول إلى الإسلام كان سبيلهم الوحيد للاحتفاظ بأراضيهم • واحتفظت لهم المقيمة الجديدة بممتلكاتهم و ثروتهم وحررتهم من كل الضرائب والمنفوعات وأعطتهم تفويضا كاملا للانتماس في كل رذيلة واتيان كل شر وذلك من أجل أن يعيشوا كالسادة العظام دون بذل أي تعب أو جهد • (٤٥) • وقد سبق أن رأينا كيف أن ذلك لا يتطبق على موقف أي نبيل بوسني استطاع فعلا أن يحتفظ بممتلكاته : فتمويل أرضه إلى مزرعة تيمارية • كان يفرض عليه أن يبقى شطرا كبيرا من السنة جديدا في الخدمة العسكرية العاملة • (أما للزارع غير التيمارية أو الملك الحر *Malik* فكانت ضريبا من الميزة مقصورا بوجه رئيسي أما على الحيازات الصغيرة أو على هبات كبيرة من الأراضي الممنوحة للعثمانيين) • وفي ثلاثينات الألف وتسميته لحظ المؤرخ

فاسكو تشوبريلوفيتش (Vaso Cibrilovic) أن قلة ضئيلة من ملاك الأراضي البوسنيين القدماء أصبحوا فعلا من الفرسان (السباهي) واحتفظوا ببعض مزارعهم • ولكن • كما لاحظ هو أيضا • لم يكن من المعتمد عليهم أن يصبحوا مسلمين لكي يحتفظوا بتلك الأرض (٤٦) • وكان المسيحيون الفرسان (السباهي) موجودين بوفرة أثناء السنوات الأولى للبوسنة العثمانية • وهناك واحد شهير منهم أصبح • جراح باشي • (Gerrah bashi) أي كبير الجراحين في حاشية والي البوسنة في سبعينات الألف وأربعينات • كان يدعى فيلاد سفينجارييتش (Vlah Svinjarovic) وتسمى ابن دامي الخنازير • وهو اسم غير إسلامي بشكل يلفت النظر (٤٧) •

ومن الخطأ التي وقع فيها أيفان قرانيو يوكيتش افتراضه بأنه كان هناك خط متواصل من النعاقب والوراثة في عائلات النبلاء من العهد قبل العثماني ثم اعتناق الإسلام حتى يصل إلى الأرستقراطيين المسلمين المالكين للأرض في زمانه • وكما أوضح تشوبريلوفيتش وغيره من العلماء • فإن حياة الأرض في البوسنة العثمانية قد قلبت عبر تلك المراحل • فقد ملاك أرضهم وأصبح غيرهم من الملاك بحيث أن هذه النظرية لا يمكن بآية حال أن تبرد سبب وجود المزارع الضخمة في أيام يوكيتش • وهي مزارع نشأت نتيجة للتطورات المتأخرة الاجتماعية والسياسية • كما أنها تكونت بصفة رئيسية أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر • وحتى لو رجعنا للوراثة إلى القرن السادس عشر لوجدنا أن نظرية يوكيتش أقرب إلى الزيف منها إلى الصدق • فقد قامت مؤرخة معاصرة بدراسة تفصيلية حول أصول تمان وليمين عائلة ممن ينتمون إلى طبقة المسلمين الأرستقراطية من ملاك الأراضي في البوسنة في القرن السادس عشر • وخلصت في النهاية إلى أن خمسا منها بالتأكيد • واثنين فيسا يحتمل •

انقصوا من طبقة النبلاء العليا القديمة (ما قبل العهد العثماني) .
وانحدرت سبعة بالتاكيد وسبعة بالاحتمال ، من العائلات النبيلة الأقل
شأنا ، وكان لسبعة منها اصول بوسنية عادية ، وأربعة أو خمسة كان
لها اصول سلافية غير بوسنية . وأربعة أو خمسة كان لها اصول غير
سلافية ، وفي إحدى عشرة حالة لم يتيسر الوصول الى الأصول (٤٨) ١
ومن المعلوم أنه كثيرين من النبلاء البوسنيين قد لقوا مصرعهم أو فروا من
البلاد أثناء القزو التركي ، كما أن بعض النبلاء الأقل شأنًا قد اختفوا عيبدًا -
ولم يكن هناك حلف بين ، كينار النبلاء ، وبين الأتراك لمقاومة المسيحية
مقابل حيلة من الدعة و « اتيان الشر » .

والفكرة الشائنة القائلة بأن بعض الناس اعتنقوا الاسلام رغبة في
حسين مركزهم الاقتصادي أو الاجتماعي أمر لا سبيل الى انكاره ، لأن هذه
الانتماءات النفسية موجودة بين كل البشر . ولا معنى أن يكون هذا النافع
وراء اعتناق الكثيرين للاسلام . بيد أن النافع الاقتصادي لا يمكن
أن يكون هو المبرر الوحيد كما تزعم إحدى النظريات التي نرى فيه محاولة
لتجنب دفع الضرائب المقررة على غير المسلمين ، وهي الجزية أو الفراج .
وكانت هذه ضريبة سنوية ما لبثت أن أصبحت نوعا من ضريبة الراس
التدرجية : ففي القرن السادس عشر كان معدل المجموع أربع دوقيات
للأغنياء وانتصحت لمتوسط الحال ودوقية واحدة للفقير (٤٩) . (وفي ذلك
الوقت كانت دوقية البندقية تستطيع أن تشتري من المتوسط عشرين
كيلوجراما من اللحم في البندقية . بينما تشتري الدوقية المساوية قدرا
أكبر قليلا) (٥٠) . وربما زادت الضريبة في أوقات الحرب ، لذا فإن
أكثر التقارير شائعة في وصف معاناة المسيحيين الذين يقاسون الأمرين من
الظلم العثماني بالبوسنة . كانت تجرى أثناء فترات من زيادات ثقيلة من
الضرائب كانت تفرس على الناس للقيام بعمليات على البندقية
أو آل هابسبرج . ولكن ربما حدث في بعض الأحيان ، كما افترنا آنفا ،
أن الضرائب فرضت أيضا على المسلمين أنفسهم . لئى أن الرغبة في تجنب
هذه الضريبة لم تكن بالقوة التي تدفع المرء الى التحول عن دينه الأصلي ،
ولا ينبغي لنا أن ننسى أن المسلمين كانوا - على العكس من المسيحيين ،
يدفعون الزكاة أيضا ، التي هي أحد الفروض الأساسية في الاسلام .
(وعلى غرار الزكاة ، ربما اضطر المسيحيون الأرثوذكس الى دفع مكوس
الى الكنيسة الأرثوذكسية ، أما البروتستانت فكانوا يتمتعون أكثر على
استمرعات) . وكان بعض المسلمين عرضة للاستدعاء الى أداء الخدمات
المسكينة أما في ميليشيات المدن أو كجنود في الكتائب التي يرسلها
« الفارس » ، في حين أن المسيحيين كانوا عادة يدفعون من أدله مثل هذه
الواجبات فيما عدا مناطق الحدود .

وليس حقيقيا أنه لم يكن به لكي أسلف من أن يكون مسلما . لكن يرى في الامبراطورية البشائية : - هناك عدد جرح من التجسير الموصى للمناجعي - ما جى يوناني وفلاقي ولرضى - من لم يتخولوا قط من مسيحيهم . ولكن منذ تولي القسوس السادس عشر على الأقل لم يكن هناك به للانسان من أن يكون مسلما لكي يتسرف له أن يعتنق بمنصب في هيكل الدولة البشائية نفسها . وكما رأينا ، فإن نظام البوذية في هذه جزيرة الألفال حسب تيارا شخصا من قبلان البلقان الى الجيش وإدارة الامبراطورية . وكان يقال عن البوئينهم أنهم يكافلون مكافاة خاصة : فقد لاحظ كاتب نساوى سلوفيني في ١٥٣٠ أن السلطان كان يفضل أن يجند البوسيني . لأنه كان يعتقد فهم أنهم « خير الرجال وأكثرهم ولاه وقوى » . وأنهم يختلفون عن غيرهم من « الأتراك » في أنهم كانوا « بسط قامة وأكثر وسامة وأقدر جندا » (٥١) . ومع أن الانكشارية ورجال الادارة في الامبراطورية كان من الممكن أن يخدموا في أي جزء من الامبراطورية ، وكان الانكشاري يضطر لأن يظل عزيا أثناء خدمته العسكرية . فإن منهم من كان يهود في خاتمة المطاف الى وطنه ويسعى مهات ضحية في الأرض . ويعد اداء الانكشاري الخدمة على مدى عشرين عاما كلن بوسه أن يتخذ زوجة ويكون أسرة . وكان نظام البوذية أحد العوامل الكبرى في نشر الاسلام بكل أرجاء البلقان . وكان أثره قويا بوجه خاص في بلاد البوسنة (٥٢) .

وثمة عامل اجتماعي آخر ساعد على انتشار الاسلام ، هو الوضع القانوني المتنازل للمسلمين . وقد وجه الثلث بفرط الى قوانين الرعية . وهي قوانين التمييز الصنعى التقليدية التي كانت تطبق على الرعايا غير المسلمين . وكان من بعض المظورات عليهم ركوب الخيل أو حمل السلاح أو لبس نفس الطراز من الملابس التي يرتديها المسلمون (*) . بينما تظهر مصادر القرن السابع عشر أن الفسافسة والتجار المسيحيين في البوسنة كانوا يرتدون نفس الملابس التي كان يرتديها المسلمون تقريبا . وأنهم بالفعل كانوا يركبون الخيل وكانوا بالفعل يحملون الأسلحة . بل انه كان هناك بالفعل بعض طبقات من المسيحيين ، مثل الأفلاق العسكريين ، كانوا « معينين رسميا من تلك المظورات » . كما أن هناك مظورات أخرى واردة في قانون الرعية كمنع المسيحيين من بناء الكنائس أو إصلاحها ، كان يتم التجاوز عنها في الواقع اما بتصريح خاص أو عن طريق تلك الانتهاز

(*) لم يكن هذا التمييز على أساس اللون مكررا على الأتراك . بل كان شائعا وعتا موحدا في العالم بأسره آنذاك رغم انه أمر يتنافى مع جميع شواهد الكتب المقدسة في جميع المعتقدات . (المترجم) .

المام ، الذي منح أصلا للمسيحيين ولعاد تأكيد كل السلطات الذين خالفوا بهزيمهم اليهض (٥٤) . وبالرغم من هذا فقد كان هناك انجذابا معني يدفع المرء الى الشعور بأن على الرعية المسيحية ان يعوا الاحترام والخضوع للمسلمين الأعلى منهم ليس فقط لجرد أنهم من مستوى اجتماعي أو رتبة اجتماعية أعلى بل وأيضا لأنهم كانوا مسلمي . وربما كان أهم امتياز شيئا لا يحتويه قانون الرعية وهو المبدأ القائل بأن المسيحيين لا يجوز لهم إقامة الدعوى القضائية على المسلمين وأنه لا تقبل شهادتهم على مسلم في محكمة . ومن الجبل أن هذا كان شكلا خطيرا من التمييز القانوني . وكان الشعور به دون أدنى ريب لداعا جدا محسوسا به للمسيحيين والمسلمون في حين كانوا في الحقيقة متكافئين اجتماعيا - سواء سكان المدن أو القرويين .

وبقي بعد ذلك كله أن تذكر عاملين مهمين اجتماعيين واقتصاديين أسهما في انتشار الاسلام بالبوسنة : وهما الرقيق وسوا المدن الإسلامية . وكان أخذ الرقيق في الحرب - ولم يكونوا فقط مجرد جنود من الأعداء بل ومن السكان المحليين أيضا - سنة عثمانية مقررة . كما كان عادة تمارس على مزار أصغر عند القبول المسيحية أيضا . فقد سبقت أعداد ضخمة من السيد الأرقاء في حزم حملات الترك على آل هابسبورج : فاحد صبيحة آلاف من كرواتيا في ١٤٩٤ مثلا . ومثلا ألف ، (فيما تزمه التقارير) ، من المجر ومن سلافونيا في ١٥٢٦ (٥٤) . ومنى اعتنق الأرقاء الاسلام كل في مكانهم الخاص الحرية ، ولذا فإن أولئك الأرقاء الذي اجتلبوا للبوسنة ، وذلك بوجه خاص من الأراضي السلافية المحيطة وهي دالماتيا وكرواتيا وسلافونيا ، أسهموا حتما أسهاما صاعدا في نمو عدد السكان المسلمين . وكان من المحتمل بوجه خاص لدى هؤلاء الأرقاء بعد تحويلهم الى الاسلام واعتنقهم أن يمتطي بهم الأمر الى السكنى في المدن النامية التي كانت تمنح لهم فرصا جديدة للعمل . ففي ١٥٢٨ كان هؤلاء الأرقاء المنتقلين يشكلون ما يقارب الثمانية بالمائة من سكان سراييفو بأكملهم (٥٥) .

وغلب الطابع الإسلامي على معظم المدن الكبرى التي تمت واتسمت بأراضي البلطبان العثمانية - وكانت تكتظ بالمعابد الإسلامية والمباني الإسلامية . ولكن المدن الكاثوليكية القديمة بالبوسنة مثل سرهيتسكا وقوينسكا ولوفو بما حوت من تيجار راجورين وعمال حياجم من الأذن صبحت لها طويلا انما الأصلية . ولكنها ما لبثت في النهاية أن تحولت الى الاسلام . (وكانت أهميتها الاقتصادية آتفة في الاضمحلال وان يهتبط بالفضل استخراج المعادن بالبيئة رغم صعود حجار راجورا لمستوى الظهرة

من الأراضي التركية (٥٦) • والمدن التي أصبحت مقر حكام السنجقيات (Sandakbag) مثل باياليوكا ورافيك وليغو ، اكتسبت الطابع الاسلامي بشكل أسرع - أما المدن مثل موستار وسراييفو ، التي لم تبدأ في التطور الحق الا في منتصف القرن الخامس عشر ، فقد كان للاسلام حضور جارف منذ اللحظة التي وصل بها الترك • ولا شك في أن سرعة التطور كانت شديدة لافقة للأنظار • ففي السنوات الخمس عشرة للحكم التركي في سراييفو (التي كانت تعرف قبل ذلك باسم فرهبوسنا) قبل ١٤٦٣ ، بنى الترك مسجدا و «تكة» (أي تكية باللغة الصربوكرواتية وتسمى مستكنا لطائفة من الدراويش) ، وصافر خانة (أي فسطاط للمسافرين) ، وحسما على الطراز التركي • وجسرا يبر هرد - Miljacka • وواوير للبياد ، والبراي وهي مقر بلاط الحاكم ، وهي الكلمة التي أعطت المدينة اسمها الجديد «سراييفو» • وكذلك انشأوا في بداية حكمهم السوق الكبيرة على قلب المدينة (٥٧) • ورغم أن شطرا كبيرا من المدينة قد احترق ابان غارة مجرية في ١٤٨٠ ، فسرعان ما أعيد بناؤه ووسعت وقمته • وكان سكان المدينة جيمعا تقريبا من المسلمين • وكانت محفلا عسكريا هاما ، وفي العقود الأولى من عمرها كانت مسئلة بدمرة الصناعات والتجار الذين كانت جهودهم ضرورية لدعم العمليات العسكرية • وفي أواخر القرن السادس عشر انقسم سكانها الى طائفتين : التجار والجند ولكل منهما قاضيه •

وجاء الديرار سراييفو تحت حكم غازي خسروف بك (Gazi Husrevbeg) الذي تولى حكم سنجقية البوسنة لمدة فترات بين ١٥٢١ و ١٥٤٩ • كان رجلا شديد الهمة ينطوي قلبه على عاطفة انسانية ، وكان ابن رجل اعتنق الاسلام من منطقة تريييني (Trebinje) السلافونية بالهرسك (٥٨) • وقد بنى المسجد الرشيق الذي يحمل اسمه وهو جامع ييجورفا أي • البك • (Bogova Džamija) ومدرسة (أي مهندا دينيا) ودار كتب وحماما • وخانين (فندقين) وبيزستانا (أي سوقا للبقاش) منها • وكان من عادة الأخنياه أن يوقفوا بعض أراضيهم للاتفاق على مثل هذه المؤسسات (ولا يقتصر ذلك على المساجد والمدراس • بل ينصب أيضا على الخانات والحمامات والجسور) • وهذا النوع من المؤسسات الدينية - الخيرية المعروف باسم الوقف (Vakuf) كان اساسا حيويا لتطور جميع المدن العشاقية • كما ساعد على توثيق الروابط بين المؤسسات المدنية والمؤسسات الاسلامية الماثلة • وكان وقف غازي خسروف بك أغنى تلك الوقفات جيمعا • كما أنه ظل قائما حتى القرن العشرين (٥٩) • ويصلون عام ١٥٣٠ كان سكان المدينة بأمرهم من المسلمين • وفي الإمكان تقدير

مدى انتشار تأثير المدينة في المناطق المحيطة بها ، حين نعلم ان سنة وثلاثين
 بائنة من المناطق الادارية المحيطة كانت مسجلة في الاخرى (٦٠) . وذاقت
 سرايفو نوا في عدد السكان ، حيث اجديت سكان المناطق الريفية
 المجاورة ، وكان كثير من أسماء الشوارع القديمة مأخوذاً عن أسماء القرى
 القريبة . وفي نهاية القرن السادس عشر كانت تضم عدداً من المسيحيين ،
 بينهم جالية من التجار الراجوزيين وجموعة صغيرة من اليهود . ومن بعد
 ثلاث وتسعين سنة (أي في - يتكون كل منها فيما يرجع من أقل من أربعين
 داراً) ، كانت اثنتان منها مسيحية واحدى وتسعون منها مسلمة . وكانت
 هناك أيضاً ستة كبار وستة حمامات وثلاث بيزستانات وعدة دور للكتب
 وست تكايا وخمسة صااعد دينية وأكثر من تسعين كتاباً أولياً (أي مدرسة
 ابتدائية) وأكثر من مئة مسجد . وكان الأهالي يستمتعون بامتيازات خشي
 منوعة ، واعطاهم من الضرائب . ويرى بعض المؤرخين أنها أصبحت آنذاك
 مدينة حرة فعلاً ، أو جمهورية - مدينة City republic (٦١) . وقد
 كانت الحياة في سرايفو أثناء تلك الحقبة وممتلئة جداً ، بالمعابر
 البلقانية أو . والحق يقال ، بآى معيار في ذلك الزمان . ومن هنا يتضح
 لماذا أقبل كثير من البوسنيين بكل مسادة على اعتناق الاسلام لينالوا
 نصيبهم منه .

وأخيراً ، هناك عامل آخر لعب دوراً في هجرة المسلمة
 البوسنة : هو نزوح السلاف الملتحقين للاسلام آنفاً من خارج تقوم البوسنة
 الى داخلها . وقد سبق أن اشترنا الى أن بعض السلاف المسلمين قدموا في
 السنوات الأولى بوصفهم فرساناً (صباي) من صربيا ومقدونيا وبلغاريا ،
 ولكن أعظم نزوح جاء في نهاية القرن السابع عشر ، عندما اجتلب تقيقر
 العثمانيين ، من المناطق التي طال احتلالهم لها بكل من دالماتيا وكرواتيا
 وسلافونيا والمجر ، كثيراً من السكان المسلمين في تلك المناطق . ولا شك
 في أن بعض هذه المائات كانت من أصل بوسني ، حيث كان أجدادهم
 قد استقروا هناك بوصفهم فرساناً (صباي) بعد الفتوح العثمانية .
 وموجات النزوح هذه انضمت أعداداً غفيرة من السلاف المسلمين الى سكان
 البوسنة ، ولم تشكل هذه الحركة التي تمت في ثمانينيات وتسعينيات
 الألف زمستنة موجة النزوح الوحيدة من نوعها ، وأن كان بكل تأكيد أكبرها
 جميعاً . وستصف طرولها وصفاً أدق في الفصل السابع .

الفصل السادس

العرب والإفلاق (١)

لم نعرض حتى الآن لذكر الكنيسة الأرثوذكسية العربية إلا ملأ - وذلك لسبب بسيط - هو أنه حتى العصر العثماني - لم يكن للكنيسة الأرثوذكسية نشاط يذكر بمنطقة أرض البوسنة الحقة ، ولم يكن لها وجود مهم إلا بقرى الهرسك * وكانت منطقة الهرسك في تاريخها القروسطي الباكر (وكانت تسمى يوم) جزءا من العالم الثقافي والسياسي للامارات العربية ، مع كل من زيتا (الجبل الأسود) وداشكا (جنوب غرب صربيا) . وكان معظم نبلاء الهرسك من الأرثوذكس أثناء القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكذلك كانت فيها يرجع غالبية سكانها (١) . وفي أثناء القرن السابع على الفزير التركي الذي شهد نشاطا كاثوليكيًا ، حصلت الكنيسة الكاثوليكية على مكاسب لها وزنها الضخم . حيث أقامت أبرشية أدوية فرنسيسكانية على أرض الهرسك : على أن يعطى هذه المكاسب ما ليجتاز ضاعت ، وخاصة في القطاع الشرقي من الهرسك ، أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر . وفي عام ١٦٧٤ ، كانت هناك أربع عشرة أبرشية كاثوليكية لا تزال قائمة بقرى الهرسك ، ولم تنقضى خمس عشرة سنة أخرى حتى كان للمسوع صبط ال إحدى عشرة كنيسة ، أربع منها كانت في حكم الخراب (٢) .

ومن الناحية الأخرى ، يبدو أن « بائية » أو مملكة البوسنة لم تشهد نشاطا مطلقا للكنيسة العربية الأرثوذكسية حتى وبسبب رقيتها المادي للتركيز في مسيحيات الألف وللاقلية ، فطسمت وادى الدورنا الأمل (جنوب شرقي سراييفو) ، وأجزاء من منطقة الجبل الأسود الحديثة

(١) الإفلاق (Vlachia) اسلاف لسكان المسلمين بالمسببة الرومانية

الذين سكنوا البلقان قبل السلاف - (لترجم) *

وهريرا ، بما فيها التدبير للأرثوذكس في ميليشيفو . ومع أن نهر نيكو قد تم
 تنقيحه في ميلوشيفو ، فإنه كان ولا كاثوليكية شمساه جميع الملوذ
 طومستون الذين اعقبوه ، (فيما عدا لستنته محسلا وحيها هو أوستويا .
 الذي ربما كان من أتباع الكنيسة البوسنية) . ما عاى حارج وادي الميرينا
 لأعل ، فليس هناك أية علامات واضحة تدل على مبان كنسية أرثوذكسية
 بأرض البوسنة قبل عصر الثمانين . وقد اصى أحد مؤرخى الفنون
 الصربية أن بعض الأديرة الأرثوذكسية بشمال البوسنة ترجع الى ما قبل
 الغزو التركي . ولكن تاريخه ليس موثوقا به إلى حد كبير (٣) . وبطيبة
 الحال لا يستبعد أن أفرادا من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية قد أقاموا فعلا
 في البوسنة ، وتزوج بعض الأرستقراطيين من نسله من العائلات الصربية
 النبيلة . وقد ورد ذكر أسرة أرثوذكسية بمنطقة فرعيوسنا (وهي المنطقة
 المحيطة بسرائيفو العصرية) في عشرينيات الألف وأربصنة (٤) . ولا شك
 في أنه قد حدث فعلا تسرب تدريجي من المؤمنين بالأرثوذكسية من بلاد
 الهرسك إلى المناطق المجاورة من البوسنة . وتدل بعض التقارير الكاثوليكية
 الصادرة في خمسينيات الألف وأربصنة ، على وجود تنافس على الأتباع
 بين الكنيستين . ولكن ذلك كان امكاسا لشيئين : الرحلات التي كان
 يقوم بها الفرنسيون إلى داخل الهرسك وتنافس الكنيستين على إدارة
 كل آثار الكنيسة البوسنية (٥) . ولو جاز لنا أن نستخدم لغة التنظيم
 الكنسي . لقلنا أن الكنية الصربية الأرثوذكسية ظلت منخفضة تقريبا
 من الأناظر في منطقة البوسنة الحقة أثناء الفترة قبل الحربية .

ومع هذا . فبعد وصول الأتراك . تبدأ الصورة في التغير بأقصى
 سرعة . منذ ثمانينيات الألف وأربصنة فصاعدا ، بدأ ذكر القسس
 والمؤمنين الأرثوذكس يرد في أجزاء كثيرة من البوسنة ، بينما لم يكن يرد
 عنهم ذكر على الإطلاق قبل ذلك . ومعروف أن عدة أديرة أرثوذكسية قد تم
 بناؤها في القرن السادس عشر (في تافنا Tavna ولومنيكا Lumnica
 وبابراتشا Paprac واورزن Orsen وجوستونيتش Gostovic)
 فضلا عن دير دبانو Roman (في شمال غربي البوسنة) البالغ الأهمية ،
 وهو يذكر لأول مرة في ١٥١٥ . ولا شك في أن هذه المؤسسات الجديدة
 تسترعى النظر بوجه خاص . عندما نتذكر أن قانون الرعية كان يطر بقاء
 أي مبنى جديد للكنيسة : وواضح أن تصاريح خاصة قد منحت كل مرة
 من السلطات العثمانية (٦) . ومع أنه الأرثوذكسي كانوا يمانون بقدا
 لا يستطيعان به من المبانج والمطالم ، فليس من حثاؤ أية مبالغة في القول بأن
 الكنيسة الأرثوذكسية كانت تفتى عظاما من ظلم الحكم التركي . وكان

المؤمنون بالارثوذكسية يجهون بأغظارهم الى داخل الامبراطورية العثمانية الصامد لمصادر سلطانهم الدينية ، اما الكاثوليك فكانوا يجهون الى الخارج ، وليس بعيدا أنهم كانوا يمتدرون اعادة غزو البوسنة على يد دولة كاثوليكية نوعا من التحرير - ولأول مرة ورد ذكر عطران عام للبوسنة في ١٩٤٢ ، كما أن أول كنيسة أرثوذكسية في سراييفو بنيت فيما يحتمل في منتصف القرن السادس عشر (٧) .

ورغم وجود حالات كثيرة مسجلة لكاثوليك تحولوا الى الأرثوذكسية بالبوسنة في أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فإن من الواضح أن هذا الانتشار للكنيسة الأرثوذكسية لم يكن يحدث عن طريق الهداية وحدها (٨) . ففي الأماكن التي حققت فيها الأرثوذكسية أعظم مكاسبها المهمة ، وبخاصة في شمالي البوسنة ، شهدت في نفس المدة تدفقا شديدا للمستوطنين المأخذين من أرض الأرثوذكس . وكان من الواضح أن هناك مسياسة متعمدة من جانب العثمانيين لاعادة ملء الأراضي التي حلت من السكان ، أما بسبب الحرب وأما بسبب الطاعون . وتشهد أقدم الدفاتر إلى جماعات من الرعاة المسيحيين عرفتهم بأنهم أفلاق (Vlachs) أنزلوا في المناطق التي تخربت في الهرسك الشرقية . وتوضح دلائل مبعينيات ولثانيات الألف وأربعين أنهم كانوا ينتشرون في الأجزاء الوسطى والشمالية الوسطى من البوسنة . بالمناطق المحيطة بفيسوكو وماجلاي (Maglaj) : ومثال ذلك أنه بعد ١٤٧٦ بقليل وطنت ٨٠٠ عائلة تقريبا من الأفلاق بمنطقة ماجلاي ، وفي صحتهم قسيسان أرثوذكسيان (٩) . واستمرت أعداد الأفلاق في الازدياد في مناطق شمال وسط وشمال شرق البوسنة على مدى الخمسين سنة التالية ، كما أنهم بدؤوا ينتشرون في شمال غرب البوسنة أيضا . وفي أثناء الحروب التي نشبت في أوليات القرن السادس عشر خلت منطقة أخرى من البوسنة من السكان ، إذ هجرها الكاثوليك وقرروا الى الأراضي الهابسبرجية . ولا كان العثمانيون يرون أن من الأهمية بكان ألا تترك أرض ملاصقة للمحدود العسكرية خالية من الناس ، فقد استمر تدفق المستوطنين الجدد من الأفلاق الى الهرسك وصربيا . وحددت نزوحات أخرى الى تلك المنطقة طوال القرن السادس عشر إذ أن الطاعون ، فضلا عن الحرب ، ترك فراغات مسكانية تحتاج الأمر أن تملأ وتشتغل (١٠) .

وفي زمن ميكر هو ١٥٣٠ ، عندما قام المستول الهابسبرجي الرسمي بنديكت كوربييتشيتشي (Benedict Kuripacsi) بجولة خلال البوسنة ، ذكر أن الاقليم يستكنه ثلاثة شعوب . أحدها هو الشعب التركي الذي كان يحكم للمسيحيين ، بطفيان وظلم بالثمن ، والشعب الثاني هو « البوسنيون

والنعماء الذين كانوا يتمتعون العقيدة الكاثوليكية الرومانية ، أما الثالث فهو من الصربيين الذين يسمون أنفسهم أفلاقا - وقد أتوا من سيديروفو (Smederovo) وبلغراد (١١) - وبلغ من أهمية العنصر الأفلاقي في تكوين ذلك النمط الأرثوذكسي من السكان - أنه بعد ذلك بثلاثة قرون ، ظل مصطلح « الأفلاق » يعني ، « أحد أتباع الكنيسة الأرثوذكسية » (١٢) - ويبدو أن غير الأفلاق من الصرب والهرسك - أسسوا أيضا فهم عملية الإسكان هذه - فلما مشكلة التمييز بينهم ، أو تحديد معنى كلمة « الأفلاق » أثناء تلك الحقبة - فامر مستأقمة فيها بعد - يبدو أن من الواضح أن الأفلاق كجماعة عرقية وثقافية مميزة - قد لعبت بالصل دورا ضخما - وكان الأفلاق اصلح الناس بوجه خاص لتنفيذ أغراض الحكومة العثمانية ، وليس ذلك فقط لأنهم كانوا مبالين إلى الحركة والتنقل (حيث كانت أعمالهم النموذجية هي الرعي وتربية الحيول وتنظيم حملات النفل للتجار) ، بل وأيضا لأنهم كان لهم ماضي وتقاليد عسكرية قوية - وعملت تربيته خاصة لاغرائهم على النزوح إلى منطقة الحدود التركية الهابسبرجية - فخفضت الضرائب على الأغنام لكل من يسكن مناطق التحوم ، كما منح زعمائهم تيمارات (أي مزارع) صالحة (١٣) - ولم تكن تصرف لهم رواتب عسكرية ولكن كان يسمح لهم بعمل السلاح - ويتوقع منهم أن يقوموا بدور عسكري ، وعوضا عن الرواتب ، كان مسموحا لهم أن يتهبوا أرض الأعداء - وقد عرفوا باسم « المارتولوس » أو « الفورتوق » وأصبحوا أشد المتأثرين وحملة في الجيواز العسكري العثماني .

وفي نفس الوقت ، فإن الأفلاق والصرب الذين فروا شسحالا أمام الزحف العثماني أثناء القرن الخامس عشر ، والذين كانت لديهم تقاليد عسكرية ماثلة - بدأ يتم تنظيمهم على يد الهابسبرجيين على الجانب الآخر من تلك الحدود المتشعبة بصفة دائمة - وعبر الأفلاق من داخل البوسنة تلك الحدود أيضا للانضمام اليهم - وبذلك تكون الأسباب الثلاثة التي أوردتها الراحب ألينديكتيني كيوريبيشيتش عن فرار السكان من البوسنة في أوائل القرن السادس عشر ، هي الطاعون والبوسنة وغارات المارتولوس الصربو أفلاق عبر الحدود (١٤) - وفي عام ١٥٢٧ أنشأ لهم ملك النمسا فرديناند الأول ، بعد انتخابه ملكا للمجر وكرواتيا - نظاما لحيازة الأراضي والمهام العسكرية - فقد حررهم من الالتزامات الإقطاعية وسمح لهم بتسليم من الغنائم وانتخاب قوادم (voivode) وقضاةم (knezovi) وحرية ممارسة العقيدة الأرثوذكسية - وبهذه الطريقة ما نظم خاص لحيازة الأراضي والتنظيم العسكري تحت حكم آل هابسبرج - وهذ النظام المسمى الحدود العسكرية (Militärgrenze) أو (vojna krajina) وألقى في

النهاية كان يضم هلالاً من الأرض بعرض عشرين ألف متراً حيثما وطوله
 يناهز الألف ميل - وكان سكان المصود على التجموع الشمالية والشمالية
 الشرقية للبوستة ، الذين اشتهروا بشجاعتهم وشجاعتهم العسكرية ،
 يدعون « بالافلاق » أو « بالورلاتش » (Balachach) ، بالإضافة إلى أن فرديناك
 الثاني أعاد تأكيد امتيازاتهم بالوثيقة المعروفة باسم « قانون الأفلاق »
 (Statuta Valachorum) (١٥) - وعلى ذلك ، فإنه باستثناء الحملات
 العسكرية الكبيرة ، غدت المفاوضات العسكرية التي كانت تنظم بين
 العثمانيين والهابسبورجيين على تلك الحدود سنة بعد أخرى - قتالا بين
 أفلاق وأفلاق .

فمن يكون هؤلاء الأفلاق ، ومن أين جاءوا في الأصل ؟ إن هذه
 إحدى أصعب المسائل في التاريخ البلغاري (١٦) . فالأفلاق متناثرون في
 الوقت الحالي في أرجاء كثيرة من البلقان ، وأكثف تركيز لهم إنما يوجد في
 جبال البندوس (Pindus) في شمال اليونان ، ولكن يوجد أفلاق
 آخرون أيضا في بلغاريا وحقوليا وألبانيا وصربيا ، فضلا عن بقايا سكان
 من الأفلاق في شبه الجزيرة الاستيرية (Istria) بالبحر الأدرياتيكي .
 والمعروف عنهم أنهم كانوا رعاة غنم وماشية ، يمارسون شكلا من شبه
 الرحل يسمى باسم النقلة الموسمية ، وهو الرعى الذي تساق فيه القطعان
 في بعض الأحيان إلى مسافات بعيدة ، بين كلاً من منتظم في الجبال
 وخشب شتوي منتظم في المكن أخرى . وأصبح بعضهم الفتياء بآ حقلوا
 من حياتهم الرعوية : من منتجات كالفصوف والجبن والأنعام . وأصبح
 الكثيرون منهم أيضا مشجورين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
 كتجار محليين ودوليين . ولم تغير هذه الحرف إلا قليلا على مر القرون ،
 وهناك قصيدة بيزنطية من القرن الثاني عشر تذكر الجبن الأفلاقي الذي
 كان شهيرا في القسطنطينية ، كما تذكر البصلة الأفلاقية ، وهي حرام أسود
 دون أكمام (talagas) لا يزال يستخدمه رعاة الأغنام البلغاريون حتى
 اليوم . كما يذكر بعض الكتاب البيزنطيين النقلة الموسمية للأفلاق ، وتقسيم
 الوثائق القروسطية الصربية إلى الأفلاقي على أنهم رعاة اغنام وقواد رعائل
 الحيل (kijelatori) - وهو تحويل للكلمة اللاتينية calator التي لا تزال
 تستخدم في اللغة الأفلاقية الصربية بمعنى « المسافر » (١٧) . وكانت
 شغلهم الميزة الأخرى في ذلك الزمن هي القتال : وكانوا يوحدهم
 جبليين أشداء ينفون التقدير من أهل قوة شكيبتهم ، كما أن ما يفتكون
 من رعائل الخيل ، جعلهم عضوا قاعا وقويا لأية حملة عسكرية تشن .
 على أن السلطات البيزنطية كانت فيما يبدو لا تعتمد عليهم ولا تلق فيهم
 كثيرا . وكانت تتخذ منهم على وجه البصلة فرقا احتياطية للجيش ، وكانوا

يعملون في بعض الأحيان باستقلال تام عن الجيوش النظامية . بيد أنه هناك تشادات إلى حدود غرقة كاملة من ملبة الأقاليم في بعض الأحيان يرجع إلى ثواني القرن الرابع عشر (١٨) .

وحتى لنا من المسجلات القديمة أن وجود الأقاليم في منطقة ما كان عابرا غير محسوس . ذلك أنهم كانوا يتحركون من منطقة إلى أخرى . متحدثين باللغة المحلية ومتزوجين بالسكان المحليين : هناك اشارات في الوثائق البيزنطية المتأخرة إلى « اقلان بلغار البانيون » وفيينا أيضا « اقلان صربيون البانيون بلغار » (١٩) . وهناك أسماء أخرى لهم منها « مافروفلاتشي (Mavrovlachos) » باللغة اليونانية البيزنطية إلى « الأقاليم السود » التي اشتقت منها كلمة « مورلاتشي » والكلمة اليونانية المصرية « كوتسوفلاتشي (Koutsouvlachos) » ومعناها الحرفي « الأقاليم الأعرج » . وهي كلمة قد تكون صورة صرفة للكلمة التركية « كوتشوك اقلان » أي « الأقاليم الصغر » . أما كلمة « الأقاليم » نفسها فتأتي من مصطلح أطلقه السلافي الأوائل على تلك الشعوب التي كانوا يلتقون بها وتكلم لغات لاتينية أو مصطبغة باللاتينية ومنها اشتقت كلمة « والانتشي (Wallachian) » والوالون (Walloon) . أو كما تقول الويلزيون (Welsh) أي سكان اقليم ويلز في بريطانيا .

ولم يرد إلينا في تسجيل تاويشي محمد عن الأقاليم (اللاتش) قبل لومس القرن الحاضر . وقبل ذلك فإن البيئة الوحيدة التي يمكن استنتاجها أو استخراجها بيئة لغوية . واللغة اللاتينية لغة لاتينية وبنية القرب من اللغة الرومانية (المستعصمة في رومانيا) : والتي يطلق عليها اللغويون اسم « الرومانية - المصونية » (Macedo-Romanian) ويسمونها الرومانيون « داکو - رومانية » (Daco-Romanian) ومن الواضح أنها ثمرة الاستعمار الروماني لبلاد البلقان . واستمرت هناك حيث التقى بها السلاف عند وصولهم في القرنين السادس والسابع . ولكن الإمبراطورية الرومانية في أرض البلقان كانت تغطي مساحة شاسعة مترامية ، وهو أمر أتاح للزورجين القويين المصاعدين شيئا متصفا لتجديد الوطن الأصلي للأقاليم في أية منطقة شاسعة : فيدعي اليونانيون أن الأقاليم اسمهم « يونانيون » مرحنون (أي مصطبغون بالمصيغة الرومانية) . ويقولون البلغار يونانهم « تراكيون » مرحنون . كما يصر الرومانيون أنهم « داکيون » مرحنون (و / أو) يحمل أحفاد الجند الرومان في هكليا : ولا يتبين عن أي أصل كانوا ما عاصروا قد كانوا هناك قبل وصول المجرين) . أما لغويهم نظرية قبله حتى الآن . وأن كانا بعضا عن المقول . فهي تلك النظرية

التي قلصها المؤرخ الكرواتي الشهير الأب مانديتش الذي راح أثناء بحثه في أصول الصرب الالتحاق في اليوسنة يستنتج أنهم جاءوا في الأصل من بلاد مراكش . وذلك ، فيما يرى هذا المؤرخ ، يقصر لنا تلك الكلمة اليونانية البيزنطية « مافروفلاتش » ، لوه الالتحاق السود : « وهي إشارة إلى وجودهم المسمره المورية (المخرية) » وتخصر نظريته في أنهم منحدرين من الجند الموريشانية في الفترة الرومانية التي كانت تحتل البلقان . فاما قوله بأن أعدادا صغيرة من الجند كان الرومان يوطنونهم هناك ، فأمر صادق لا غبار عليه . ولكنهم كانوا كما رأينا يسمون أقواما من كل أرجاء الامبراطورية . ومن بين الجالياتين الموريشانيتين الوحيدتين اللتين ذكرهما مانديتش ، فإن واحدة أقرلت قرب البحر الأسود في بيسارابيا (Bessarabia) والأخرى على نهر الاين (Dan) قرب فيينا . ولا تكاد هذه تكون نقطة ابتداء كافية لتكون سبب بأكمله في البلقان الجنوبية . وبالرغم من أن الترحيلين المماضين للصرب في اليوسنة سوف يسلمهم اكتشاف أن الصرب البوسنيين إنما هم في الحقيقة أفرقيون (كما أن علم النظرية تعزى اليك التمييز المنصري والعبري المصري إزاء الألبانيين الذي ينجح إلى معاملتهم على أنهم قوم سمر الوجوه مازجون من العالم الثالث) إلا أنها نظرية لا يمكن إطلاقا أن تكون صحيحة (٢٠) .

ومع ذلك ، فيمكن التعرف على الأصول الحقيقية للأفلاق عن طريق الاستنتاج من الشواهد اللغوية . ذلك بأن اللغة الأفلاقية الرومانية (التي ظلت لغة واحدة حتى بدأ الشكلان الرئيسيان لها ينصلان في القرون الوسطى المبكرة) ، بها عدد كبير من الملامح الخاصة مشتركة بينها وبين الألبانية . وتتضمن هذه الملامح أمورا جوهرية في النحو والصرف وعددا من التراكيب اللغوية الخاصة وعددا ضخما من المفردات المتصلة بالحياة الرعوية (٢١) . وتعود الألبانية أيضا ، وهي اللغة الوحيدة الباقية من لغات القبائل الإليرية ، عددا ضخما من الكلمات المستعارة من اللاتينية ، ويدل ذلك على وجود صلة وثيقة جدا بسكان مصطبطين باللاتينية طوال الحقبة الرومانية (٢٢) . ولا شك في أننا لو جئنا بين اللغويات التاريخية ودراسة أسس الأماكن وتاريخ الامبراطورية الرومانية ، لالتى ذلك إلى نتيجة مؤكدة إلى حد ما ، وهي أن الأرض الأساسية التي تطورت بها هاتان اللغتان كانت منطقة تمتد من شمال البانيا عبر كوسوفو وجنوب وسط صربيا ، ومن المحتمل أيضا أنها كانت تشمل أجزاء من مقدونيا وغرب بلغاريا . وجب أن الشطر الأعظم من السكان المرمقين والناطقين باللاتينية تلك المنطقة (الذين كانت لهمهم اللاتينية متأثرة بها شابها من لغتهم الأولى : وهي الإليرية) قد غشت أو دحر أو تمتص نتيجة للغزوات عند

الصور المظلمة وخاصة غزوات السلاف . وهناك بقية كانت تحتل بالرمي
لمكنت من البقاء في الجبال الشاهقة غير متأثرة بأي فتح صلافي للزراعات
المستقرة . كما أنها في الجبال الأبعد شقة (وبخاصة الجبال في شمال
البانيا) على اتصال وثيق مع بقية . يمكن أن يقال أنها أقدم ، ما زالت
تتكلم الألبانية . وإن تكن لهجة معدلة من الألبانية التي تغفلت فيها اللاتينية
بشدة بعد قرون من الاحتكاك والاتصال . ذلك هو التفسير الذي يقبله
الحسب تقريبا من العلماء المستقلين الذين درسوا هذه المسألة . ومن سوء
الحظ أنه يسس الكبرياء القومية للكتاب الرومانين الذين لا يطبقون أن
يتقبلوا أن أول من نطق بالرومانية كانوا قوما جاءوا من جسوب
الدانوب مما جعلهم يسمون عليه (٢٢) .

ونظرا لأن هذه المنطقة الألبانية الشمالية والصربية الجنوبية كانت
حسيم الأرض الأصلية للأفلاق ، فليس غريبا ولا عذسا أنهم استطاعوا
أن ينتشروا في مرتفعات الهرسك القريبة منذ عهد سبيق القس . ومن
هناك تحركوا شمالا من خلال المنطقة الداخلية الجبلية الدالماتية حيث
بعضهم يعود القطبان : ثم يهبطون بها إلى الأرض الخصبة الساحلية
في الشتاء) . منذ عصر مبكر هو القرن الثاني عشر . فهناك اشارات جمة
اليهم في سجلات راجورا و زادار منذ القرن الثالث عشر حتى
الخاص عشر (٢٤) . وطد بعض هؤلاء الأفلاق الرعاة أيضا فيما أمامهم
من بلاد حتى وصلوا إلى وسط البوسنة . حيث تدل الأسماء القرومية
بالمناطق المحيطة ببرايفو وترافيك على وجودهم : فلامبينا (Vlahinja)
وفلاشكوفو (Vlashkovo) وفلاشيتش (Vlasie) (٢٥) . كما أن
كثيرا من الكلمات الأفلاقية (الفلاتنية) المرتبطة بالحياة الرعوية قد
امتصتها اللهجات البوسنية من اللغة الصربوكرواتية مثل : ترز Trz
ومنها آخر الخراف المولودة . وهي مأخوذة من الكلمة الأفلاقية تيرزيو
Tirdzu ، أو كلمة زاريكا Zarica وهو نوع من الحين ، المأخوذة
من الكلمة الأفلاقية زارا Zara . وهذه الكلمة الأخيرة إنما هي صورة
أخرى من الكلمة الألبانية دلة Dhallo أي زبد اللبن . وهي إحدى
التفاصيل التي تشير إلى الاختلاط والتعايش الرعوي بين الأفلاق والألبانيين
الذي استمر فعلا على مدى فترة طويلة جدا (٢٦) .

ويبدو أن معظم هؤلاء الأفلاق الدالماتيين والبوسنيين الأولين كانوا
يعيشون حياة ماعزة متاعلة تماما في الجبال (٢٧) . ولكن ما حدث في
لوز الهرسك نفسها . التي كان بها تجمع كبير من الأفلاق . هو تطور
تقليد جديد يتطوّر على طابع عسكري عدواني . فهناك شكوك كثيرة في

السيولات الرابوزية من غارات قام بها هؤلاء الأتلاق المجاورون أثناء القرنين الرابع عشر والخامس عشر (٢٨) . وكان الأتلاق في الهرسك من مربي الحبل وحداة أو قلادة القواقع الذين كانوا يتكسبون ، حين لا يكونون مشغولين بالنهب والسلب ، من التجارة بين راجوزا ومناجم البوسنة . زعمو نشاط عاد عليهم بالثراء . وكما رأينا ، فإن من المرجح أن بعضهم كان من أصحاب شواطئ القصور البحرية الفخمة المزينة بصورة الهرسك . ولا بد أن صلاتهم التجارية بالشرق قد جعلتهم على اتصال أوثق مع الشعوب الأماقية في صربيا وبلغاريا ، الذين كانت لهم تقاليد طويلة من النشاط العسكري في جيوش الإمبراطرة البيزنطية والملوك الصربيين .

وهناك سر آخر غامض لم يصل أحد إلى حله في هذه القصة هو المسمى الدقيق لمصطلح مورولاتش (حيث كان معنى ماغروفلاتش هو الأتلاق السود) ، وكيف اتفق أنه استخدم في الهرسك ودالماتسيا - والمعنى الأصلي الواضح كان ينطوي على إشارة للعبادات السود التي كان يرتديها أتلاق البلقان الوسطى - (صربيا وبلغاريا ومقدونيا وشمال اليونان) : وكانوا يعرفون كذلك ، في أوقات مختلفة باسم « الكاراجونيدس » (Karagounides) و « الكرجونيتس » (Crnogumet) التي معناها الحرفي « العبادات السوداء » باللمعنى البونانية - التركية والصربية (٢٩) . ومن الجائز أن نمسح ميمزا من هؤلاء الأقوام قد دخلوا الهرسك ودالماتسيا جالعين مهم الاسم (الذي حازوه في منطقة تتحدث باليونانية) (٣٠) . وسرعان ما حولته طريقة الهجاء الشعبية السلافية إلى موروفلاتش (Morovlach) ومعناها الأتلاق الساحليون (٣١) - ومن استخدامه في دالماتيا أصبح ذلك المصطلح فيما بعد يطلق على الأتلاق في كرواتيا الذين كانوا يملأون منطقة التخوم العسكرية (كرايينا Krajin) حول الكتف الشمالي الغربي لبوسنة . وأصبح مورلاكي هو الاسم البدلي (الفيسبي) والمعتد لهذه الشعوب . وكتب على المنطقة اسم « مورلاكنيا » في كثير من خرائط القرنين السابع عشر والثامن عشر . واتسبب المورلاكيون سمة سيئة وذلك بسبب خريفتهم المخيفة في الحرب غير النظامية واعتبروا شعبا بدائيا وحشيا . ولكن كل شيء ما عثم أن تغير تغيرا تاما في آخريات القرن الثامن عشر . عندما قام بزيارتهم قسيس إيطالي هو الأب موريتس (Abbé Moritz) . وقد ألهمه شاعر لوسيان (Oulian) ، وصيبه ضخمى ثاب لتفسير البطولي والأدب الشعبي البطولي وهو أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبريدج ، فسافر بين رحاب المورولاتش - بالأراضي الدالماتية الداخلية بحثا وراء الشعر والفصائل البدائية . فوجد الاثنين جميعا : « أن الاخلاص والثقة والأمانة التي يتحل

بها هؤلاء القوم الفقراء... في كل أمور عيشتهم أشياء قد تصفونها بالصنابة والحنوع . - وقد جمع أيضا القوم الكثير من الشر اذا لاحظ أن الرجل المورلاتشي يسافر بين أرجاء الصحراء والجبال الوحشة وهو يتغنى ، وبخاصة في ظلام الليل ، بأعمال القمل من الملوك السلافيين إلى البارونات أو يحدث تراجيدى . - « أن اللهجة البوسنية التي يتكلمها سكان الأراضي الداخلية من المورلاتش ، أوقع في الحس ، فيما أرى ، من اللغة الألبانية الساحلية » (٣٢) (والتقصيدة التي نشرت في الترجمة وهي « زوجة حسن اغا » (Hasanagaitas) كانت في الحقيقة أغنية بوسنية إسلامية ، وهي قصة قصيرة من الحب المأساوى ، وسوء الفهم ، وأصبحت من أشهر نماذج الشعر الشعبي في كل أرجاء أوروبا ، كما ترجمها كل من جوتة وبايرون والسمر والتر سكوت وميريميه ميت بوشكين وليرمونتوف (٣٣) .

فلما في داخل البوسنة نفسها ، فإن مصطلح مورلاتش لم يكن يطلق كثيرا حسدا على الأتلاق المعاربين الذين كانوا ينفخون لهم مناطق النجوم في عصر العثمانيين . وكان هؤلاء الأتلاق الذين كانوا يحثون إما من الهرسك أو صربيا ، يسمون بالأتلاق أو المارتولوسيون . وتفسير الكلمة الأخيرة إلى وضعهم العسكري ، وربما شملت غير الأتلاق أيضا : لقد كانت صورة محورة للكلمة اليونانية المأخوذة على رجل مسلح . وهي الأرماتولوس (Armatolos) . وكان الأتلاق البوسنة والهرسك تنظيمهم الاجتماعي والعسكري الخاص ، وهو شيء محدد بوضوح تلم في الوثائق العثمانية الباكورة : فكل رأس كل مجتمع محلي كان هناك رئيس أو كاتير Knez (وهو مصطلح سلافي قديم) ، وكان من دونه بريميكور (Primikör) (مأخوذة من الكلمة اليونانية primikerion ، وكان من دونه ليجاتور (Legator) (مأخوذة من الكلمة اليونانية اليجاتور (Alagator) في رئيس سرية عسكرية أو قول عسكري) ، وكانت المجموعة العسكرية الأساسية تسمى جوندري (Günderi) نقلا عن الكلمة اليونانية Kontarion (أي الحرب) (٣٤) . وكما فعل هذه المصطلحات ، فإن العثمانيين واثقوا نظاما أسس في الماضي لخضعة جيوش الإمبراطورية البيزنطية . ولم يفت العثمانيون ، شأن الحكام البيزنطيين والصربيين من قبلهم ، أن يطوروا الأتلاق امتيازات ضريبية خاصة في مقابل خدماتهم العسكرية : فتمنح لفائدة الأتلاق تيسارات وعوملوا بالفعل بمعاملة الفرسان (السباعي) ، كما كان شمهيم صيفيا من الضريبة الأساسية المفروضة على غير المسلمين ، وهي ضريبة الخراج . نعم إن الأتلاق كانوا ينفخون بالفعل ضريبة تسمى بالضريبة الأتلاقية ، وهي رسوم أتلانك (Kumm-eflak) ، وقوامها رأس من

الغنم وحمل من كل مقر فالمة . وتفتح يوم عيد القديس جورج من كل عام (٢٥) . ونظرا لأنهم كانوا يتمتعون بتوسع خاص من الضرائب ، كان تقييدهم في الدفاتر التركية من نوع مختلف . وحذا يمكننا من أن نرى أنه في آخريات القرن الخامس عشر كان هناك على الأقل خمسة وثلاثون ألفا من الأتلاق ببلاد الهرسك . وما لبت أن يبلغ عددهم في القرن السادس عشر ٨٢٦٩٢ أسرة (وان ندرج ضمن هذه العائلات بعض المارتولوس غير الأتلاقيين الذين كانت لهم نفس الامتيازات) في منطقة سميغرييف الواقعة الى الجنوب من بلجراد (٣٦) . ونقل الأتراك عددا كبيرا من الأتلاق لتنازلين بالجزء الشرقي من بلاد الهرسك الى حاك لإعادة عمران تلك المناطق بالسكان بعد أن عاث فيها الخراب أثناء الحروب التي قامت في سبعينيات الألف وأربعينات (٣٧) . وكان هؤلاء القوم هم المستودعات الرئيسية للسكان التي كانت تملأ منها أراضي البوسنة الشمالية الغالية من السكان . ونظرا لأن الجيش ببلاد الهرسك وصربيا قد جعلهم يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية منذ آمد بعيد ، فانهم امسوا الوجود الأرثوذكسي من تلك البقعة من البوسنة وهي كنيسة دامت منذ ذلك الحين حتى الآن .

فما مدى اختلاف وتباعد هؤلاء الأتلاق عني محيط بهم من سلاف ؟ . من البين تماما أنهم كان لهم وضع مخالف ، كما كان لهم تنظيم اجتماعي عسكري مخالف . فإني من هاجر منهم الى شمال البوسنة لم يعد بوصفهم ان يمارسوا تقليد الانتقال الموسمي القديم ، كما نذل الفرمانات العشائية الصادرة في القرن السادس عشر بشأن أتلاق البوسنة والهرسك ، على أن غالبية الأتلاق قد أصبحوا آنذاك سكانا مستقرين . وإن محيطتهم تتركز حتى ذلك الوقت حول تربية القطعان ورعي الغنم (٣٨) . وقد لاحظ جيو فاني لوفريك (Giovanni Lovrich) في سبعينيات الألف وسبعينات القرن العشرين الكرواتييين كانوا يمتلكون جيحا قطعا يتراوح عددها بين مئتين أو ثلاثئة أو سبعة رأس من الغنم ، ولما سألهم لماذا يتراخون بشقة عن عزق الأرض وحرثها لجابوه بقولهم : « إن أجدادنا لم يكونوا يملطون ذلك ، هذه سنة أجدادنا وعليها نسير » (٣٩) وقد ذهب بعض الكتاب وبقاصة الصربيين منهم ، الى أن مصطلح « الأتلاق » كان مستخدما ليضني بالقسطنطيني ، والراعي ، ولم يدل اطلاقا على أي فرق عرقي أو لغوي - وعمل ذلك فإن معظم هؤلاء الأقوام انمسا كانوا الى الحقيقة صربيين يرهون الغنم (٤٠) . ويرفض وجهة النظر هذه أكبر خير مصادر في تاريخ الأتلاق أثناء فترة العشائيتين الأولى بالبلقان ، وهو يصر اصرفا شديدا على أنهم كانوا يعمون قوما مختلفين (٤١)

وظل الأفلاق يتكلمون دائما لغتهم ، لغتهم ولغة من حولهم ، ونظرا
 لانهم لم يتولوا الادارة والاحكام قط ، فان اللغة التي بقيت اليها حتى اليوم
 في السجلات لم تكن لغتهم اطلاقا ، ولكن بين أيدينا فعلا بعض آيات تمل
 على استخدامهما في غير تسجيل الاسماء الشخصية مثل اورسول (Orsul)
 وشاربان (Sarban) ، وظل الأفلاق الذين نزحوا الى جزيرة اندرايتيكية
 في القرن الخامس عشر ، يستخدمون الأفلاقية هناك بعد ذلك بأربعة
 عام . وقد كتب أحد النادقة في القرن السادس عشر وصف أفلاق
 الاراضي الداخلية الدالاشية وقال انهم يتحدثون « اللاتينية » وإن كان
 بطريقة مرفقة . ، كما ان الرعاة بتلك الجبال ظلوا يستخدمون ارقام المد
 الأفلاقية الى عهد حديث جدا هو ١٩٨٥ (٤٢) . وهناك دليل آخر في
 القرن السابع عشر على ثنائية اللغة عندهم أي استخدام لغتي في
 وقت واحد . وذلك رغم ان الكاتب يوانس لوسيبوس Ioannes Lusi
 (ايوان لوكيتش Ivan Lukic) قد ذكر ان اللغة قد اختفت في زمانه
 ذلك (٤٣) . هل انهم بطبيعة الحال . وقد عاشوا قريبا عنة بين سلاف
 الهرسك وصربيا ، فان مظهرهم الخارجي (أي من ناحية اللغة واللباس) ،
 لم يكن مختلفا عن السلاف الماديين بتلك المناطق . والرأي القائل بانهم
 كانوا يتكلمون لغتهم وحدها لانهم لم يعلبوا معهم اللهجة اليكافية الصربية
 عندما انتقلوا من صربيا الى شمال البوسنة ، فامر لا شك في ريفه (٤٤) .
 لقد كانوا يتحدثون بآية لغة يتحدث بها السلاف الصيغون بهم ، وهي لغات
 ولهجات ربما ظهرت بسر الزم في مناطق عرضة للتغير وعمليات التلحق
 الديوجرافي (السكاني) كمناطق شمال البوسنة ، ولا بد أن افلاق الهرسك
 كانوا يتكلمون اليكافية على كل حال (٤٥) .

وقد بذلت بعض محاولات لاثبات ان سكانا من المتحدثين بالأفلاقية
 كانوا لا يزالون يقيمون بالبوسنة في وقت حديث جدا هو بداية
 القرن العشرين . وقد ذكر احمد البوسنة في ١٩١٠ وجود ست عشرة
 قرية تتحدث « بالرومانية » ، وفي ١٩٠٦ أصدر روماني متخصص معجب
 للأفلاق كتابا كاملا حول « الجاليات الرومانية » التي وجدها هناك (٤٦) .
 وعندما قام الحبير الأول الألكاني في شؤون الأفلاق وهو البروفيسور فايجاند
 (Weigand) بزيارة المنطقة لمراجعة هذه الادعاءات في السنة التالية ،
 وجد ان القرى الأفلاقية الوحيدة انما تضم مهاجرين قسما من مقدونيا أثناء
 القرن الثامن عشر ، وانهم منذ ذلك التاريخ قد فقدوا لغتهم ، فاما القرويون
 « المتكلمون بالرومانية » المعروفون محليا باسم (الكرافاسي) (Karavasi)
 أو « الأفلاق السود » فكانوا يتحدثون في الحقيقة بالرومانية ، وكان ذلك
 بسبب بسيط هو انهم لم يكونوا من الأفلاق اطلاقا ، وانما غير رومانيون
 من ترانسلفانيا (٤٧) .

وأخيرا ، يصبح من الضروري علينا أن نوضح أنه لا معنى في هذه الأيام لأن نقول إن الصرب البوسنيين إنما هم في « الحقيقة » أفلاق ، فعل كر القرون كان الكثير من اتباع الكنيسة الأرثوذكسية الصربية يعبرون نهر الدرينا إلى البوسنة أو ينتقلون شمالا من الهرسك . كما ظهرت طبقة من التجار الصربيين اكتسبت شيئا من الأهمية في المدن البوسنية أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ولم يكن كل الناس الذين أرسلوا إلى شمال البوسنة بالسكان إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر من الأفلاق ، ومنذ ذلك التاريخ حدثت عمليات نزوح وهجرة من وإلى البوسنة حتى أننا نعجز عن حساب النسبة المتويدة البقية للأفلاق أسلاف الصربيين البوسنيين (٤٨) . لكن الأفلاق لم يسهموا فقط في زيادة عدد السكان الصربيين ، بل إن بعضهم كما حدث في كرواتيا أصبحوا من الكاثوليك ، كما أن قلة ضئيلة منهم اعتنقوا الإسلام في البوسنة (٤٩) . وإطلاق اسم « الصرب » على أي إنسان اليوم إنما يتطوّر على مفهوم نشأ في القرنين التاسع عشر والعشرين ، يجمع الديانة واللغة والتاريخ وإحساس الفرد الخاص بهويته : والصربيون البوسنيون الصربون يستطيعون بصفتهم واضحة أن يصموا أنفسهم بأنهم من الصرب على هذا النحو ، بغض النظر عن الأسلاف الأفلاق الأوائل . والعق أن المرء لا يملك إلا أن يبتسم ، عندما يسمح السياسيين البوسنيين الروس يتحدثون عن الحاجة للدفاع عن أخوانهم السلاف القضاة في البوسنة ، إذ أن الفئة الوحيدة من سكان البوسنة التي تنطوي على عنصر كبير واضح من الأرومة غير السلافية هي حرب البوسنة .

الفصل السابع

الحرب و الشؤون السياسية في البوسنة العثمانية ١٦٠٦ - ١٨١٥

ظل تاريخ البوسنة أثناء القرون السابعة عشر والثامن عشر تتناوله وتسيطر عليه الحروب العظمى - وبالضبط مثلما تمت الامبراطورية العثمانية عن طريق الحرب ، فإن الحروب والتغيرات الاجتماعية التي تربت عليها اما ساعدت على انحسار الامبراطورية - فعندما حل القرن السابع عشر كانت الخيالة الاقطاعية الندية قد أصبحت قديمة الطراز من الناحية العسكرية ، منه ان اردادات احدى الحند المشاة المسلحين بأسلحة نارية حديثة ومعهم المدفعية - ونشأ جيش نظامي يتقاضى رواتب وهو جيش لم يعد التجنيد فيه عن طريق الموضومة ضروريا بعد ذلك - ولكن التي لهم كان هو الأموال والايرادات اللازمة للحكومة المركزية للاتفاق عليه - وكان معنى ذلك الاستيلاء على المزارع التيمارية الاقطاعية كلما خوت من سكانها وتحولت الى خليط من الضياع الخاصة والمزارع الخاضعة للضرائب ، وأدت هذه التغيرات ، كما سنرى في الفصل الثامن ، الى تغيير طبيعه المجتمع العثماني الاقليمي ، فريقت الضرائب على ملاحى المزارع - واخترعت اسطنبول عددا من الضرائب الجديدة التي أدت الى الفقر وولدت الاعتراض والفلالكل المدينة - والضرائب التي كانت تجميعها الحكومة المركزية ، والمعروفة باسم الافاريز (Avariz) - (انما يقوم التشابه بينها وبين افاريز Avarice محض صدفة ليس الا) - كانت مجرد اجراء طوارئ ، ولكنها أصبحت الآن هي القاعدة - وزاد القصد واستشري ، واخضل القانون والنظام - وكان من المتروك به أن الظروف في البوسنة كانت احسن تنظيميا منها في المناطق المجاورة الصربية من الامبراطورية ، حيث كان الفلاحون يهربون من المزارع ويحولون الى محاصيلات من قطاع طرق

هو هاندريك (Handrik) . بيد أن البوسنة كان لها هي الأخرى نصيبها من التدمير في القرن الثامن عشر . فبعد ذلك الحد ، كان واضحا لدى كثير من مراقبي الأحوال أن الامبراطورية كانت تتضيق من الداخل .

وكانت الحروب الكبرى تحدث كل جيلين على الأقل . فبعد الحروب الهابسبرجية من ١٥٩٣ إلى ١٦٠٦ التي استنزفت موارد البوسنة تماما ماليا ، واهكتها عسكريا ، مرت عدة عقود حادثة لم يمكن صفوفها سوى تخفيض قيمة العملة والتضخم بكل أرجاء الامبراطورية العثمانية أثناء المئة من ١٦١٥ إلى ١٦٢٥ (١) . وفي أربعينيات الألف وستمئة اشتبك الترك في حرب طويلة مع البندقية استمرت حتى ١٦٦٩ . وأدى ذلك إلى غارات متكررة كثيرة شنت من الأراضي البندقية على الساحل البلقاني . كما حشرت صداعات ضخمة بين قوات كل من البندقية والبوسنة : حيث ربح في ١٦٢٥ جيش بومبي كامل بأسره على دالماتيا ، ولكنه لم يتمكن من إحراز أية مكاسب هناك (٢) . وكانت هذه الحرب الطويلة الضروس تلقى عينا ثقيلا على البوسنة ، بالإضافة إلى الزيادات في الضرائب والتضخم التي تولدت عنها بكل أرجاء الامبراطورية . فقد كتب الأسقف الكاثوليكي ماريان مارافيتش (Marijan Marovic) تقريرا في ١٦٥٥ يبين أن أكثر من ألف عائلة كاثوليكية قد فرت من البوسنة أثناء « الحرب العالية » . فضلا عن تقرير آخر في ١٦٦١ يقول أن أكثر من أربعة أمدرة فرنسيسكانية أحرقت في « هذه الحروب المستديرة التي تحدث في هذه الأجزاء » (٣) . وفي ١٦٦٣ اشتعلت نار الحرب ثانية على آل هابسبرج ، وذهب جيش عثماني عرمرم على النمسا في السنة التالية ، وبعد معركة « عدما الأتراك تعادلا وعدما النمساويون انتصارا » . تم التوقيع على معاهدة سلام وافق فيها كل من الجانبين على إيقاف جميع غارات الحدود ما دام الطرف الآخر يلتزم بذلك (٤) .

على أن الحرب الشاملة المهمة التي لم تنق منها الامبراطورية العثمانية ولا استعانت قوتها بعدها أبدا . إنما هي الحرب الهابسبرجية من ١٦٨٣ حتى ١٦٩٩ . وكانت سنة ١٦٨٣ كارثة على الترك . فبعد اخفاق حصارهم للسنا ، ودوا على أعقابهم وهزموا في المعركة على يد الجيوش النمساوية والبولندية ، ونفذ الأتراك حكم الإعدام في بلجراد في المصدر الأعظم الذي قاد المعركة . وفي ١٦٨٤ إلى ١٦٨٧ فتح النمساويون بالتدريج كل المجر التابعة لحكم العثمانيين ، فطردوا بذلك آلاف من المجرمان (السباهي) والمعتنقين للإسلام حيث تراسوا جنوب بلادهم التي هجروها وألغوا بطوفانهم في داخل البوسنة . وفي الحق نفسه كانت البندقية

نشن هجومًا مباشرًا على الأراضي البوسنية . ولكن تقفما بتدليًا شخصيًا في البوسنة في ١٦٨٥ رد على أعقابهم . ولكن المسلمين دفعوا دفعًا إلى داخل البوسنة على يد القوات الهابسبرجية الزاحمة من منطقة ليكا (هتلان) في أرض كرواتيا . في أقصى الركن الغربي من الإيالة البوسنية . وفي ١٦٨٧ كان عدد يقارب الثلاثمِئتين المِئتين يكد قد فر من أرضه . كما أن الإقليم والسبيحة من السكان الذين بقوا في أرضهم أدرهم أدرهم بالقوة على اعتناق الكاثوليكية (٥) . وكان لهذه النزوحات المتتالية للجائعين أثر ضخم في حجم وطبيعة أهل البوسنة وسكانها : وقدر أنه قد بلغ عدد الناس المنقولين إلى البوسنة مئة وثلاثين ألف نسمة كنتيجة نهائية للحرب (٦) . وكان أكبر عنصر منهم هم المسلمين السلافونيين - وهم أما مستوطنون يوسينيون مسلمون انتقلوا في الأصل شمالًا فزاح من البوسنة . أو من الكروات السلاف الذين أسلموا أو دفعوا إلى الإسلام أثناء الفترة الطويلة من الحكم التركي . وبعض اللاجئين وبخاصة طبقة القريش (السباهي) الذين فقدوا كل شيء كانوا وجلا تملأ بخلوسهم المرارة ، عادوا وقد اجتلبوا معهم كراهية جديدة للمسيحيين (٧) .

وكان كل شيء يتغير بأسوأ من ذلك بالنسبة للسلطات العثمانية . ففي ١٦٨٩ زحف الجيش النمساوي الهابسبرجي عبر البوسنة ، ولم يلبث حتى دخل صربيا . ولم يزل يخترق البلاد حتى وصل إلى كوسوفو . وانتهز كثير من الصربيين الفرصة فتناولوا على الحكم التركي . وجاء زمان بدا فيه أن الأتراك سيفقدون السيطرة على البلقان كلية . ولكن صورة معجزة مكنت الأتراك من رد النمساويين مرة ثانية على أعقابهم في السنة التالية . وفر عدد ضخم من السلاف الأرثوذكس . وعلى رأسهم البطريرك . وهم جميع لا تقل عدته عن ثلاثين ألفًا - إلى الشمال مع الجيش النمساوي المتقهقر من منطقة كوسوفو . (والغالبية الألبانية في كوسوفو - ذلك على الأقل في المدن المصرية - ربما يعود تاريخها في الغالب إلى هذه الأحداث) ولكن من الناحية الأخرى قام كثير من الصربيين الأرثوذكس بالترحيب بمودة الترك . بعد أن جريوا حرارة تحمس القسس الكاثوليك النمساويين في نفس الحين - ثم تلت ذلك فترة من تضرر حقيقي في الحركة في أي اتجاه . وواصل العثمانيون الحملات بتفر حدوى عبر الدانوب في الأراضي المجرية . وقاومهم هناك ضابط نمساوي عديم الكفاية هو الفيلد مارشال كابرابرا (Caprara) . ولكن عندما عزل كابرابرا وعين محله أسخر وأدكى ضابط قائد في الجيش . وهو الأمير يوجين من صافوى . فإن الأمور ما لبثت أن بدأت تتغير . فأنزل الأمير يوجين هزيمة فادحة بالأتراك في معركة زنتا (Zenta) بجنوب المجر . في سبتمبر ١٦٩٧ . وبعد ذلك انطلق في سرعة خارقة بجيش عدته ستة آلاف رجل حتى دخل إلى قلب البوسنة .

ووصلوا في ٢٢ أكتوبر الى سراييفو حيث وجدوا الاتراك غير مستعدين
اطلاقا للقتال - وهناك فقرة وردت في مذكرات الأمير يوجين العسكرية
تصف أحداث اليوجين التاليين :

• في يوم ٢٢ أكتوبر - صفقت الجند في جبهة عريضة
على مرتفع يطل على المدينة مباشرة - ومن هناك أرسلت فصائل
لتهبها - وكان الترك قد أخفوا من قبل اشيائهم الثمينة الى
أماكن آمنة - ولكن مع ذلك فإن عقلمنا ضحيا من جميع السلع
ظل باقيا وراهم - وحاول المساء بدأت المدينة تحترق -
والمدينة ضيقة جدا ومكتظة تماما ، وبها مئة وعشرون مسجدا
بديع التصوير والشكل - وفي اليوم الرابع والعشرين ظلت
في سراييفو - وتركنا المدينة وجميع ما حولها من مناطق شتلة
نيران متقدة - ولم تلبث فرقتنا المفردة التي تعقبت العدو أن
عادت اليها بالفائز وبكثير من النساء والأطفال - بعد أن فتكت
بكثير من الترك - ويجه المسيحيون اليها في جماعاتهم .
ويسألون الأذن بالدخول الى معسكرنا بكل ما لهم من متعلقات
ومتاع ، وذلك نظرا لأنهم يريدون أن ينادروا البلاد
ويشبعوا - واني لأرجو أيضا أن آخذ معي جميع المسيحيين
بهذه البلاد وأعبر بهم نهر السافا ، (٨) -

وكان معظم هؤلاء المسيحيين على الأرجح من التجار الكاثوليك الذين
يلو أن سيطرتهم على التجارة في البوسنة قد انتهت تماما مع تلك
الحرب (٩) - ويبتأ كان الأمير يوجين يتراجع شمالا - سارع آلاف من
الكاثوليك الآخر بالانضمام فعلا الى جيشه أثناء مسيره الى النمسا -
ولكن لم يكن عدد السكان الأرثوذكس في البوسنة يفوق أيضا عدد الكاثوليك
عند حلول النصف الثاني من القرن السابع عشر - فان تفوقهم المادي
كان مفروغا منه عند نهاية تلك الحرب (١٠) - وسواء أكان هؤلاء الكاثوليك
حققتين (شأن البطريرك الصربي) أنهم لابد عاكفون سريعا برفقة جيش
ضخم أم لم يكتفوا - فذلك شيء غير واضح حتى الآن - فهناك علامات
تؤكد أن النمساويين كانوا يفكرون تفكيرا جديا في ضم البوسنة ضما
نهائيا - فقد بحثوا يسألون ويصرون في ١٦٨٧ - ١٦٨٨ ، من خلال
وسطاء لهم في راجوزا ، حل يقبل مسلمو سراييفو (الذين كانوا مستقلين
تحتا تجاه الحكومة المشائية) الحكم النمساوي لو ضمت لهم حرية
المقيدة - وردت اثنتا عشرة عائلة بالاييحاب ، ولكن لم يستقر الأمر عن

شيء (١١) - ولم يدرك أي شيء من هذا القبيل مع ذلك ، فهو عقل الأمير يوجين
فصلما قام بفكراته العسكرية على البوسنة ، لم يكن الفرض الجوهري منها
سوى التهميد والتعظيم .

وتؤكد معاهدة كارلوفيتش *Karlowitz* (مرعسكم كارلوفيتش
Sremski Karlovci في شمال غربي بلغراد ، قرب نوفي ساد) التي
انتهت الحرب فيه ١٦٩٩ ، أن الامبراطورية العثمانية كانت في حالة تفقر
في أوروبا ، إذ تنازلت فيها عن المجر وترانسلفانيا لآل هابسبرج ، وتنازلت
للبنديقية عن مناطق مترامية في دالماتيا واليومان ، وفي أثناء القرن التالي
كان الحد الجنوبي الغربي للبوسنة يسير مع أراضي البنديقية جتبا إلى
جنب . وبلغ من ضخامة التأثير الميكولوجي لهذه الضخائر أن أصبح
استردادها هدفا جنوبيا طويلا المدى للسياسة العثمانية - ولم تلبث
الفرصة أن سمحت في ١٧١٤ ، بعد أن اقيمت البنديقية عدة مرات على خرق
المعاهدة خرقا صاروخا ، وفي الحرب التي نشبت بعد ذلك ، عادت النمسا
فواصلت تحالفها مع البنديقية ، وللمرة الثانية (في ١٧١٦) أنزل الأمير
يوجين هزيمة ماحقة بالأتراك في بتروفارادين (*Petrovaradin* قرب
نوفي ساد) . ولكن قوات الدفاع البوسنية صمدت في مكانها تماما .
وفي معاهدة پاساروفيتش *Pasarowits* (بودجارياتس *Podjarevats*
في صربيا) في ١٧١٨ ، اقتطعت النمسا شقة من الأرض جنوب الحد
التقليدي وهو نهر السافا ، كما تقطعت دالماتيا الواقعة تحت حكم البنديقية
داخل الأرض البوسنية حتى بلغت خطا شكل منذ تلك اللحظة التخم
الجنوبي الغربي للبوسنة (١٢) .

ودفعت هذه الحرب موجة أخرى من اللاجئين المسلمين إلى البوسنة (١٣) .
فالظروف لم تكن مستقرة . وزيدت الضرائب للمرة الثانية ، ونشبت
ثورات بسبب الضرائب في انهرسك في ١٧٢٧ و ١٧٢٨ و ١٧٢٩ و ١٧٣٢ .
وتشير المصادر غير العثمانية إلى أن المسيحيين اشتركوا في اثنين من هذه
التمردات (١٧٢٨ و ١٧٢٩) . ولكن أهم العناصر المحركة والمشاركة فيها
كانت من المسلمين (١٤) . وتوالى الاوبئة أيضا أثناء تلك السنوات :
لغات عشرون ألفا في البوسنة بالطاعون أثناء ثلاثينيات الألف
وسبعة (١٥) . وعندما نكت النمساويون بمعاهدة پاساروفيتش في
١٧٣٦ وغزوا البوسنة حسبوا أنها ستقع في أيديهم سريعا . ولكن خاب
ظالمهم ، فقد تصادف ، قبيل الفوز مباشرة ، أن عين على غير المألوف
وال ذو حمة عالية وقطرة على البيت السريع في الأمور . هو حكيم اوغزو
على باشا ، حاكما على البوسنة ، فنظم الدفاع بهارة فائقة (١٦) . وتمكن

في السنة الثالثة من انزال الهزيمة بالجيش النمساوي في حركة
بانالوكا ، ويقتضي معاهدة الصلح التي أعطيت ذلك (وهي معاهدة بلجراد
في ١٧٣٩) ، تخلي النمساويين عن جميع الأراضي الواقعة جنوب نهر السáva
عند قلعة واحدة (١٧) . ويرجع تاريخ الحد الفاصل للبوسنة العصرية الى
تلك التسوية .

ولبت هذه المعاهدة أمدا طويلا . فلم يتعرض البوسنة لأي غزو
أجنبي لمدة خمسين عاما . ولكن كان على أياالة البوسنة أن تتحمل عبء
الضرائب المراتبة لعدد نفقات حملات أخرى بأمكة أخرى . ففي ١٧٤٥
عندما عاد حاكم على أوغلو بانسا ليتولى الحكم مرة أخرى واليا على
البوسنة ، واجه ثورة عاتية على الزيادات في الضرائب وعجز عن اخضاعها
الامر الذي اضطره الى مغادرة البلاد مرة ثانية مدة ستة اشهر . وعندما عاد
ثانية في ١٧٤٧ واجهته ثورات أكثر فاضطر الى التراجع الى اليونان في
السنة التالية (١٨) . وشب عصيان كبير في موستار ، اشترك فيه حتى
الانكسارية أنفسهم ، وزادت عليه عصيانات أخرى بسبب الضرائب في
البوسنة أثناء السنوات القليلة التالية (١٩) . وكان القرويون المسلمون
يحتجون هم أيضا على التغيرات التي لحقت بنظام حيازة الأرض - وأخيرا
جاء وال آخر للبوسنة ، هو محمد بانسا كوكابينسا (Kuckavcs) ،
متلقى رسالة من السلطان تنكوي من جملة واحدة : « ينبغي غزو البوسنة
ثانية » (٢٠) . فاستجاب لذلك النداء بكفاية وحشية . وأعيد السلام
الى البوسنة ، ولكن مدينة موستار ظلت مركزا لحكم الولاة والمقاومة ،
فاضطر الوالي في ١٧٤٨ الى أن يجرد عليها جيشا كبيرا لاختضاعها . ولكن
على العكس من التمردات الشعبية التي حدثت إيمان أرمينييات
الألف وسبعة ، حانت هذه المقاومة من المراكز الحضرية ، من رؤساء
المسلمين وأعيانهم ، الذين كانوا يحاولون الدفاع عن امتيازاتهم
القديسة (٢١) .

على أن الحرب النمساوية التالية ، التي بدأت في ١٧٨٨ . كان لها
حجم سياسي جدي أخطر من أية حرب أخرى سبقتها . فقد كانت هناك في
هذه المرة خطة تم الاتفاق عليها بين حوريف الثاني النمساوي وكاترين
المظلي الروسية . ترمي الى الاستيلاء على جميع الأراضي العثمانية تشبه
جزيرة البلقان ، واقتسامها بين هاتين الامبراطوريتين المسيحيتين . وطلعت
هذه الخطة شكل المصالح الجغرافية والسياسية للنمسا في أرض البلقان
التي تمخضت في نهاية الامر عن احتلالها للبوسنة في ١٧٨٨ ، وضمها اليها

بعد ذلك بقليل عاما . وذلك العصر الامبراطور جوزيف الثاني .
عندها أعلن عند بداية الحرب أنه سييسط حرية الدين لجميع المسلمين
الذين يوافقون على طرح أسلحتهم جانبا . انه كاذب يفكر في حكم البوسنة
وليس مجرد فتحها (٢٢) . وقد حاول آل هابسبورج أن يوتقوا بثقافة
الكاثوليك البوسنيين (واستحضروا بعضهم ليدرس في غرب) . وكانوا
يأملون في نشوب ثورة عامة للمسيحيين البوسنيين (٢٣) . وفي اوائل
عام ١٧٨٨ دخلت القوات النمساوية أرض البوسنة . ولكن أحلامهم في
الترحيب بهم بوصفهم محروين ومعتدين لم تتحقق . نعم حدث فعلا أن
قلة قليلة من البوسنيين تطوعوا في الجيش النمساوي . ولكن كلا من
المسيحيين ، والمسلمين البوسنيين ، أبدوا مقاومة شديدة للنمساويين
 بمنطقة الحدود ، وتوجه الجيش النمساوي في حصار دام خمسة أشهر
لقلعة دوبريكا (Dobrica) (٢٤) . وبذلك أصبحت تلك الحرب تسمى في
التاريخ البوسني باسم حرب دوبريكا) . وفي السنة التالية أصبح
النمساويون أكثر تنظيما . وتمكنوا هذه المرة من احتياج البوسنة المسلمة
وواصلوا الزحف في عمق صربيا . وكان هذا ارحاسا ثانيا بالطريقة التي
تم بها الأمور أثناء القرن التاسع عشر : ولم يكن ما أوقف مطامع النمسا
والروسيا عند حدها قوة الثمانيين العسكرية . وانما هو الصنف
الدبلوماسي والسياسي الذي يملكه الدول الأوروبية الأخرى . وفي ١٧٩١
وافقت النمسا على التخلي عن جميع المكاسب التي أحررتها في البوسنة
وصربيا . وفي مقابل ذلك منح السلطان الامبراطور النمساوي وضعاً
رسمياً يحمله « حامي » المسيحيين الذين يقيمون تحت الحكم
النمساوي (٢٥) .

وقبل أن يتهيأ لنموذج القرن التاسع عشر اكتمال التشكيل .
وقعت حادثة عظمت من مجرى تطورات النظام الدول في الحروب
الناپوليونية . بعد الانتصار الأول لناپوليون على النمسا . ضم الفرنسيون
إلى حكمهم كلا من البندقية وإيستريا ودالماتيا (بما في ذلك الجمهورية
الراجوزية) في ١٨٠٥ . وبذلك خلق حد فرنسي بوسني دولي . وحرصت
معظم الدول الأوروبية على التزلف . لأسباب استراتيجية ، إلى الامبراطورية
العثمانية . فأرسل ناپوليون مساعدة إلى السلطان عندما كان يحاول
اختراق ثورة في صربيا . كما أن الفرنسيين تدخلوا أيضا . بطريقة
مباشرة أكثر . في عراق محلي تشب بالهرسك . عندما أرسلوا تجريدة
عسكرية لاقتاذ وال أو بانسا محلي هو حاجي بك زهرقان ييجوفيتش . الذي
كأن معاصرا في قلعة هوتوفر (Hutovo) نتيجة لخلاف نشب على ميراث
بينه وبين أخوين له (٢٦) . وفي ١٨٠٩ أعلنت النمسا الحرب على فرنسا

مرة ثانية • وتجمع مابوليون البوسنيين على الاغارة على سلافونيا في اوقات صيف تلك السنة ، ولكن بعد معركة واجرام في يوليو توسل النمساويون في طلب السلام • وتم ازال آل هابسبرج مرة ثانية عن بعض الاراضي :
 انقسم القرى من كرواتيا (المتاخمة للكتف الشمال الغربي لبوسنة) •
 وشطر كبير من سلوفينيا العصرية • وضمت هذه بعضها الى بعض ومنها
 مكاسب اخرى في المنطقة • لتشكل منطقة فرنسية جديدة هي • للقاطعات
 الالمانية • التي تولي الحكم فيها للمارشال مارمونت (الذي تلقب لتلك
 المناسبة بلقب دوق راجوزا) • وتولى الحكم اربع سنوات •

وسرعان ما وجد المارشال نفسه • شأن معظم من سبقوه من حكام
 المنطقة الحدودية من قبله • ضمه مضطرا الى التعامل مع كتائب صغيرة قادمة
 من البوسنة • وفي اخريات ١٨٠٩ ، عبرت بقة تاديبة فرنسية الحدود
 البوسنية • حيث قابلت قوة صغيرة • تتكون بوجه رئيسي من الفرنسيين
 غير النظاميين • تحت قيادة اغا (أي حاكم) بيها تقي • ومع اهم لم يكونوا
 نفعا للجند المدربين في الجيش النابوليوني للاعظم • فان مهارة الفرنسية
 التي ابداعها هؤلاء غير النظاميين البوسنيين • تأثر بها جندي فرنسي تأثرا
 قويا • فوصفهم في مذكراته بانهم : « مجموعة من الرجال • لم يكن فيهم
 احد يلبس زيا عسكريا ويتطون خيولا مزينة صغيرة الحجم • ذات خفة
 خارقة في الحركة • وهي تطيع صوت راكبها وضبط ركبتيه • دون لجام
 أو مهراز • » فردهم الفرنسيون الى الخلف ستة فراسخ • لم توقفوا عند
 احدى القرى واشعلوا فيها النار • وتذكر الجندي ما حدث فيما بعد
 فقال : « دخلت اما وبصم الضباط اتسد البيوت وجساعة • ولقدنا ان
 الخرافات ذات النوافذ ذات اللقطبان المظلة على حوش داخل كانت هي حريم
 البيت • فاشعلنا فيها النيران تكريما للجنس اللطيف » (٢٧) •

وعندما انسحب الفرنسيون من • للقاطعات الالمانية • في ١٨١٣ •
 عاد الحكم النمساوي سيرة الاولى هناك • وكذلك عاد ايضا النمسا
 المعتاد من سرعات الحدود وحوادث الاختراق • وعادت الأمور الى نصابها
 المعتاد • ولكن اكبر تهديد طويل الأجل لبوسنة الضامية كان يتمثل
 في الشرق في صربيا • حيث تضررت د خبير في ١٨٠٤ • والحق انها
 كانا ثبوتين صربيين • اولهما هو الذي قاضت به جماعة من زعماء الانكشارية
 اشعلين الذين وضعوا ايديهم على السلطة للحيلولة دون تنفيذ الإصلاحات
 التي صرحت باجرائها اسطنبول (وهي التي كانت تسمح للصربيين
 المسيحيين بتجنيد فرق الميليشيا الخاصة بهم • وجعل ضرائبهم الخاصة •
 وبما الى ذلك) • وكان التمرد الثاني ثمرة ضريبة قام بها السكان

المسيحيون . وحدث في البداية أن السلطان انضم إلى الرعايا ضده
 الانكشارية الثائرين فتفاقم التمرد الشعبي الأمر الذي حله بقرارات
 وقضى الحرب تماما على جيش عثماني في ١٨٠٥ . وكذلك أيضا ، هزم جيش
 مرسل من البوسنة في ١٨٠٦ هزيمة ساحقة - وكان من بين أعمال العنف
 التي ارتكبت ضد العثمانيين في الحرب المذابح المتسعة والسطو والسرقات ،
 والتعميد الإجباري للمسلمين العاديين ، فضلا عن الاتراك
 أنفسهم . وعندئذ شرع الباقون منهم في الفرار إلى الأراضي البوسنية (٢٨) .
 وحدثت بعض عصيانات من قوم يتصبون إلى الكنيسة الصربية الأرثوذكسية
 في البوسنة ، كما حدث في الهرسك حين أشد خطورة (نشأ من أسباب
 محلية أكثر) . وأخيرا وافق السلطان في ١٨١٥ على إعطاء العرب - أو على
 الأقل أولئك المقيمين في مستيحية سيديروفو وهي بلدة من شمال وسط
 صربيا تضم فيها بلغراد - قفرا كبيرا من الاستقلال الذاتي ، يشمل قيام
 جميعهم الخاصة وإعيرهم الانتخاب الخاص . وبقيت الحاميات التركية
 هناك ، كما أن باشا تركيا وأصل الأقاليم في بلغراد . ولكن الأساس
 أصبح الآن قائما لتطور صربيا ، حتى تصبح في نهاية المطاف مملكة
 مستقلة - وهي مملكة لا بد في المستقبل أن تصرف حيال اليوسنة بوصفها
 أما منارة للحرية وطوق نجاة ، أو تصبح مركزا للطامع الإقليمية
 التوسعية .

ولقد كان التمردان المتناحran اللذان كانا بداية تحرك العرب نحو
 الاستقلال يصران عن نزعتهما طلتنا واضحتين في الولايات البلغارية التابعة
 للإمبراطورية العثمانية . فكان هناك علم إرتياح شعبي ضد النظام
 ياركلي ، كما كانت هناك رغبة تساور المثليين المحليين لذلك النظام في
 الدفاع عن امتيازاتهم ضد التدخل (بل وفوق كل شيء) ضد تفصيل
 اسطنبول . وكانت سلطة أعيان المسلمين المحليين متركزة بالأكثر بأرض
 البوسنة ، وكان معنى ذلك أن مفاهيم للحكم المركزي التي شاعدها
 أنفا بضع مرات ، منذ منتصف القرن الثامن عشر ، راسخة الأساس
 ويتطلب القضاء عليها عدة لجيل متتالية . ولقد نت في البوسنة
 مؤسسات سياسية واجتماعية خاصة ، لو نظر إليها كمجموع ، لتحصل
 منها نظام للسلطة المحلية مؤثر بصورة غير عادية .

وكان أهم هذه المؤسسات القبايطانية (Kapatane) . ونذكر
 بداية أنه في آخريات القرن السادس عشر كان القبايطان حاكما عسكريا
 اداريا بمنطقة النخوم : وكان عليه أن يجمع الجند ، ويخص المسافرين
 الذين يعبرون الحدود ، ويحافظ على أمن الطرق من عصابات قطاع

الطرق . فضلا عن اذاته واجبات مماثلة ومتوعة لشرى شرطية وادارية - وكانت المنطقة التي يحكمها وتسمى « قابيطانية » يمكن ان تكون اكبر او اصغر من « قاضيكلوكية » (وهي الوحدة الادارية الاساسية التي يرأسها قاضي) . ولكنها على كل حال اصغر من منطجة (٢٩) . وفي اثناء القرن السابع عشر امتد هذا النظام الى الاراضي الداخلية . ووسعت أيضا مجالات سلطات القابيطانات . واخذت بعض العائلات العلية البارزة تعتبر القابيطانية من الوظائف المتوارثة . وعندما وافى عهد معاهدة كارلوفيتس (١٦٩٩) كانت هناك اثنتا عشرة قابيطانية في البوسنة ، وزاد العدد عند نهاية القرن الثامن عشر قاصيص تسعا وثلاثين . وعندئذ كان ذلك النظام يقطن معظم الاراضي البوسنية . وعند منتصف القرن السابع عشر والثامن عشر ، يوم شرعوا أيضا يتولون جمع الضرائب ، بلغ القباطنة قمة سلطاتهم (٣٠) . وكانت القابيطانية حصة اختصاص بها البوسنة ، حيث كونت بنية «اجتماعية سياسية» افردتها عن كل الاراضي البلقانية الاخرى . وعندما كان ذلك النظام يعمل بطريقة حسنة ، فانه كان يمد تحصا عظيمة للم النظام العثماني الاصلى رحم الشعب من أولئك الظلمة النهايين من البيكوات السناجقة المعينين من الخارج ، الذين كانوا يقضون مدة ولايتهم القصيرة في البوسنة وكل منهم جمع الثروة وبلوغ الغنى - واصبح له حكام محليون لهم مسلحة قوية في اضواء الرخاء الطويل الامد على مناطقهم . وتصلت اسطنبول بالرضا نحو سلطة « القابيطانية » ، لانها كانت اكفا من الساحة العسكرية . كما كان القائمون عليها اوفياء في تسليم الضرائب . ولكنهم كانوا في الحين نفسه قلاويين على وضع عتبة كنود في طريق سلطة حكام البوسنة ، الذين كان يعينهم السلطان .

ومن الناحية النظرية ، كان الموالي يمارس السلطة العليا للسلطان على البوسنة كلها . كان بوصفه حاكما على « ايةالة » ، يحمل لقب بيك البيكوات او وزير . وكان كما واينا آنفا ، يملك أعلى الرتب الثلاث لكلمة «باشا» وهي المسماة «الباشا ذو ثلاثة الذبول» من البيروق المزين بثلاثة من ذبول الخيل الذي يتقدمه اثنا المركة (٣١) . وكان دوله البيكوات السناجقة (وعند نهاية حروب القرن السابع عشر ، كانت البوسنة تتكون من اربع سنجقيات : هي البوسنة والهرسك وفسخورنيك وكليس (تلكا) وكلهم يعينون من قبل السلطان مباشرة . وكان هناك عند مستوى المنطقة ، بالإضافة الى القابيطانات ، اربع اقاليم كانت (Agaluk) مستقلة ابني مناطق سيادة مستقلة ، وكان في الامكان أيضا ان يحكم الاحياء « مونيلينين » (Munselima) وهم مديرون يعينهم الوزير نفسه (٣٢) . ولكن الذي حدث في الواقع هو ان سلطة الوزير اخذت تتقلص اكثر

فاكثر . عند بواكير القرن الثامن عشر فصاعداً . وكان في مستطاع وزير
همام مثل حكيم أوغلو على باشا ان يستنصر البوسنيين للجندية . حين يكون
من مصلحة البوسنيين ان يستنفروا للقتال ، بيد انه لا يكاد يستطيع
السيطرة على الاقليم ، عندما يتقلب عليه . ولم تكن هناك من وميلة لذلك
الا القوة الفاشية . ومع ذلك كان استنصارها لم يكن من المعتاد . وعند
نهاية القرن . يفتن معظم المراقبين على أن سلطان الوزير الحق . لم يكن يمتد
الا على المنطقة المحيطة بمدينة ترافنيك ، وهي محل اقامته ومجلسه (٣٢) .

وقد اغتقل وزراء البوسنة الى خارج سراييفو بعد الحرب التي نشبت
في تسعينيات الالف وستينئة . ثم وجدوا ان عودتهم اليها تكاد تكون
مستحيلة . فان نمو سراييفو وكذلك (الى حد اقل) موستار ، كان عامدا
اخر حد من سلطان السلطة المركزية . لانهما كانتا حريصتين اشد الحرص
على استقلالهما السياسي وقد اقدم الأزمان ، صبح محمد الثاني سراييفو في
ستينيات الالف وأربعين امنيبارا *Munibars* . يتضمن بعض اعمالات
ضرائبية ، مكافأة لها على صمود ابنائها أثناء العزو الاصلى للبوسنة .
وقد أصبح ذلك الفرمان اساسا تطالب به - وخاصة من قبل
رعياء النقابات القوية ، الذين اكتسبوا السلطة (المحتفظ بها للدولة
بأماكن أخرى) لتعين الرئيس الأعلى للمدينة (٣٤) . وبعد نهاية نظام
الموشرة في القرن السابع عشر . اضمحلت طيعة قوات الانكشارية في
مسائر ارجاء الامبرطورية : حيث تحولت في البوسنة أثناء القرن الثامن عشر
الى شيء يكاد يشبه النفاة أو الجمجمة أو نحو ذلك ، أي الى شيء يتم
بالامتيازات الاجتماعية قدر ما يصي بالوليبيات العسكرية (أو أكثر) .
وقد لاحظ صلق فرنسي في ١٨٠٧ . أن لقب « انكشاري » يحمله كثير من
الرجال المسلمين في المدينة . وقد اخبره الناس انه من بين نهاية وسبعين
الف انكشاري في البوسنة . لم يكن هناك الا ستة عشر ألفا يتلقون
الرواتب ويؤدون الواجبات العسكرية الحقة ، واما الباقون فانهم حرفيون
يستمتعون باللقب فحسب (٣٥) . ولما كانت سراييفو تحتوي على الأقل
على عشرين ألف انكشاري . كان بعضهم رجالا عسكريين . لم يكن في
امكان أي وزير أن يهمل امتيازاتهم أو يلقبها جامعا ، وكان بها موسيليهم
يمثل الوزير . رسميا وان كانت سلطته الحقيقية دون ذلك .

وكانت سراييفو هي للبادئة بمقاومة السلطة المركزية : فقد لاحظ
مدون اخبار بومسني انه في ١٧٧١ ، عندما عرضت ضريبة جديدة .
انتظرت أماكن أخرى لترى ما اذا كان السراييفيون سيقبلوها قبل أن
تدفعها هي نفسها ؟ (٣٦) على أن موستار كانت لها هي الأخرى أهميتها .

وإن لم تذكر المحلات المكتوبة أنها منحت أية امتيازات خاصة حيث كانت تعاول دائما أن تحتفظ لنفسها وضعا مائلا . فكانت تقاوم كل محاولات التحكم والسيطرة . واشتبكت في مصالعات كثيرة مع جسد الوردير . وجردت على موستار حملات في ١٧٦٨ و ١٧٩٦ ، وفي ١٨١٤ تطلب الأمر جيشا من ثلاثين ألف رجل لإعادة حكم الوزير إلى منصبه هناك : ووضع على رأس السلطة موسليم . ولكن الناس سريرا ما ينفونه ، واحتاروا رجلهم وعيونه في المنصب (٣٧) . وكان موظفو المدينة هؤلاء الذين قادوا المقاومة في موستار يحملون لقب أجان (Agan) . وعند تلك اللحظة أصبحت تلك الوظيفة حصنا متينا ضد السلطة المركزية . وعندما أدخلت هذه الوظيفة إلى البوسنة لأول مرة أثناء حرب ١٦٨٣ - ١٦٩٩ . كان الأجان موظف مدينة ، تنحصر مسئولياته في استئجاب القانون والنظام . ويستأثر من بين الفرسان (السامى) وضباط الانكشارية وغيرهم من الشخصيات الكبيرة . ومع أن ذلك اللقب تطور وأصبحت له دلالة وأهمية أوسع بمواطن أخرى من البلقان . التي كان يطلق عليها بوجه عام على جميع الأنواع من المسلمين السادة الأعيان المحليين شبه المستقلين . فإنه في البوسنة احتفظ بمعناه بوصفه منصباً إدارياً بحتاً . وفي كثير من أرجاء البوسنة الأفريقية ، كان لرتبة القايطان أيضاً نفس وطبيعة الأجان وأعماله . ولكن الدور الخاص للأجان كان يوجد في المدن الرئيسية التي كانوا ينتخبون فيها بالفعل . أثناء الشطر الكبير من القرن الثامن عشر ، حل بدعوتين للوطنيين - المسيحيين والمسلمين أيضاً . أما الأجان أنفسهم فكانوا مسلمين بطبيعة الحال . وفي كل من سراييفو وموستار كان لتنظيمات الانكشارية نفوذ قوى في تعيينهم . وفي سراييفو فإن مواطني المدينة العاديين كان يمكن أن يكونوا أجانا . وأما في موستار . فإن طبقة الأرستقراطية المحلية المالكة للضياع ، استولت على ذلك المنصب ، وانتهى بها الأمر إلى تحويله إلى النظم الإقطاعي . حاعلين من الانتخاب مجردة شكلية ، بحتة . وعن طريق ممارسة هذه الوظيفة أو ذلك المنصب ، تمكن زعماء موستار ، بمعاونة أبناء الطبقة المحلية من ملاك الأرض الآخرين ، من الاحتفاظ بمهنتهم في حالة من المقاومة المستمرة للحكومة المركزية من مستعبدات الألف وسبعة حتى ثلاثينيات الألف وثمانية (٣٨) .

الفصل الثامن

الحياة الاقتصادية والثقافة والمجتمع

في البوسنة العثمانية ١٦٠٦ - ١٨١٥

كان هناك - كما يسيلان من تاريخ القبايطانات والأجانات ، صير اجتماعي ذو أهمية هائلة بعض اشواط بعيدة أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر - فقد ولي بالتدريج ذلك النظام القديم للعبارة العسكرية الإقطاعية ، ونفسا في مكان طبقة البصار ، نوع جديد من الأرستقراطية المحلية ممن يمتلكون مزارع ضخمة ملكية كاملة وراثية * وقد سبق أن لخصنا بعض أسباب هذا التغير : نمو طبقة الموترمة من موظفي الامبراطورية الذين كانوا يتناقضون في اسطنبول في القرن السابع عشر على تلحح الحكومة من المزارع الخاصة للاعسكرية ، والتحول في الأعيمة العسكرية من الفرسان (السباهي) الى جند المشاة مدفوعي الأجور ، وازدياد الحاجة بصورة متنامية لجمع الإيرادات المالية ، وهي حالة اضت الى ان مناطق شاسعة من الارض قد سلمت الى السادة المحليين مقابل جمع الضرائب وتسليمها نقدا * وحلت في البوسنة آن سيل فرسان السباهي والانكشارية والموظفين المتعلق من بلاد المجر وسلاوونيا وكرواتيا ودالماتيا من ١٦٨٢ - ١٦٩٧ زاد الضغط على تحويل أراضي التيمار الى مزارع خاصة (ويطلق عليها ذلك المصطلح العام « تشفتليك » او حالي « Ciftlik ») ، حيث كان معظم هؤلاء الناس يبحثون عن الأمن الذي سوى يظلمهم به ملاك الاراضي فقد كان من الممكن اعتصار إيرادات أكبر من الجبالق ، حيث لم يكن الأهالي يتمتعون بحقوق قانونية كبيرة *

وكانت بعض هذه المزارع التي تحولت هذه الطريقة تصرف في البوسنة بالأغالوكات كما يصر أصحابها باسم الإقطاعيات ، وكان الفلاحون هنا يحتفظون ببعض حقوق الاستخدام ، ولكن أسماء الضرائب والعشور والسخرة وابتدعت قدامها * لما المزارع التي كانت تؤسس على ملكية أراض

غير محددة ، فكانت تعرف باسم البجليكات (Begliks) كما يسمى اصحابها باسم البكوات وهي الكلمة العامة المأالة على السادة والاعيان (١) . وكان الكثير من هذه ملكيات مترامية يديرها نظماو زراعة ، وكانوا يبترون اكبر مبلغ يستطيعونه من الفلاحين المستخمين في تلك المزارع : وكان في مقدورهم أن يربوا تماقاتهم مع الفلاحين كيفما شاؤوا حيث لم يظلمها القانون العادي . وقد تغير معنى مصطلحي « الألقا » (التي كان يشير في الأصل الى صباط الانتكشارية) و « بك » ، فأصبحا يستعملان للإشارة الى أفراد من طبقة النبلاء الدنيا والمليا مالكة للأرض ، وفي نفس الحين أصبح الفلاحون المسلمون ، الذين كان يبيع لهم القانون على النوام امتلاك قطع صغيرة خاصة بهم ، يتحولون بزيادة نحو ذلك النوع من الزراعة ، حينما أخذت أحوال المل في المزارع الكبرى في الانهيار . وبهذه الطريقة حدثت عملية طويلة من الاستقطاب الاجتماعي والديني : من القرن الخامس عشر ، يوم كان مالكو المزارع من المسيحيين أو المسلمين ، وكذلك فلاحوهم الذين يعملون في مزارعهم حتى القرن التاسع عشر عندما كان جميع كبار ملاك الأراضي من المسلمين والغالبية الطلي للفلاحين غير المالكين للأراضي من المسيحيين (٢) . وكلّ هؤلاء الفلاحون لا يزالون يسمون بـ « الألقان » ، ولكن لو شئنا الدقة في التعبير فإن أولئك الذين كانوا لا يزالون يعملون في إبعديات البكوات ، لم يكن لهم الوصع القانوني للألقان . إذ أنهم كانوا مجرد فلاحين مغلوبين على أمرهم في نظام لا يمنهم الا اقل القليل جدا من القدرة على المقاومة .

وأحدثت الأحوال المعيشية للألقان تدرج يوما بعد يوم ، الأمر الذي دفع عددا متزايدا على النوام منهم الى هجر الأرض بحثا عن العمل في المدن الكبيرة (٣) . وفي القرن السادس عشر كان من المألوف تماما للألقا البلقان انتمائية الاحتفاظ بفاضي المحصول همه الضرائب ، وكانوا عندئذ يستطيعون خذه الى السوق لبيعه (٤) . على أن هذا الحق سرعان ما أصبح مستحيلا في الأبعديات الخاصة (البقاتل) ، حيث هبط الفلاحون الى دراه لا يكاد يزيد كثيرا عن عيش الكفاف . إذ حدث ذات يوم أن الكاتب الفرنسي فوركاد (Fourcade) اضطر وهو في طريقه الى تسليم عمله كقنصل لفرنسا في سالونيكيا في ١٨١٢ ، أن يقضي ليلة في أحد بيوت القان الأرض في كوجاراك (Kodjarae) : وكانت مساحته عشرين فدما في اثنى عشر ، ويقوم في وسطه موقد نار ، ولكن لم تكن له مدخنة ولا نوافذ (وإنما مجرد فتحات في الحوائط وتقب في السقف) ، وكانت الأرضية من الطين ، كما كان الألقان الوحيد هو الصناديق ، وكانوا ينامون وإقدامهم في مواجهة

النار هلتهن يجلود الأعنام على أكول من القش وكانت الحضرات تنهش أجسامهم (٥) -

بلا شك أن هذا التقرير يقدم صورة قيمة للحياة في المناطق الريفية من البوسنة . ومع ذلك فإن من أهم اكتشافات المؤرخين المجدد للبلقانه أن عدد السكان كان يزداد بقوة أثناء القرن الثامن عشر - وبخاصة في البوسنة . على أنه كان هناك على وجه الإجمال انخفاض عام في العدد أثناء القرن السابع عشر لأسباب غير واضحة تماما . ولعل من الأسباب الممكنة انتشار مرض التيفوس (٦) . والواقع أن عدد المسلمين النازحين إلى الداخل كان يعادل فيض الكاثوليك المسارح إلى الخارج أثناء القرن السابع عشر بأكمله . وتقدر المصادر الكاثوليكية عدد الذين غادروا البلاد بأكثر من خمسين ألفا أثناء حرب ١٦٨٣ - ١٦٩٩ . كما أن مجموع النازحين إلى الخارج على وجه الإجمال أثناء الحرب مع البندقية في ١٦٤٥ - ١٦٦٩ ، بلغ على الأرجح عشرات الآلاف أيضا (٧) . ومع ذلك فإن السكان المسلمين هم الذين حملوا معظم عبء النشاط العسكري - ولم يكر ذلك فقط دعاء عن البوسنة بل كان أيضا مشاركة في حروب العثمانيين التي لا تكاد تنقطع في أركان أخرى من إمبراطوريتهم . ولا أدل على أهمية القوات البوسنية في الجيش العثماني من قائمة تحوي أسماء ١٥٥٢ من الفرسان (السباهي) البوسنيين الذين حملوا في الحملة على روسيا في ١٧١١ : حيث كان كل واحد من هؤلاء الفرسان مكلما بأن يحضر معه مجموعة من رجاله المقاتلين (٨) . ولا شك في أن آلافا عدة من البوسنيين المسلمين هلكوا في هذه الحملات القاسية الشقة . فمن بين خمسة آلاف ومئتي رجل أرسلوا للقتال في بلاد فارس في الحرب من ١٧٢٣ - ١٧٢٧ مثلا لم يعد إلى أرض وطنهم إلا خمسمئة رجل (٩) . وهناك أسباب أخرى للوفيات . فتتضمن الطاعون الذي استمر كما رأينا يميث فسادا في البوسنة في بواكير القرن الثامن عشر . وليس من الصعب أن نفهم السر في بطء نمو عدد السكان المسلمين بعد عملية الروح التي جرت في تسعينيات الألف وستمئة .

وأما أشد زيادة فكانت في عدد السكان المسيحيين . حيث تفسر مجموعة من سجلات الضرائب في المحفوظات العثمانية إلى أن عدد السكان بما بأكثر من ٢٠٠ في المئة أثناء القرن الثامن عشر . غير أن هذا الرقم ينبغي أن يعامل بحذر شديد . على أن اتجاه خط السير نحو النمو واضح . فإذا شربنا عدد المذكور البالغ في ثلاثة فإن الجاميع الكلية لأقرب ألف لعدد السكان المسيحيين وفق الموائد الضريبية يبلغ ١١٨٠٠٠ في ١٧١٨ ،

١٩٠٠٠ في ١٧٤٠ و ٢٩٥٠٠٠ في ١٧٨٨ و ٢٩٢٠٠٠ في ١٨١٥ .
 (ومع ذلك فهذه أرقام لا يمكن إجراء مقارنة صحيحة بينها فالمناطق
 الإدارية التي تغطيها مختلفة) (١٠) . والأرقام المقدمة على أساس آخر
 مختلف عن البوسنة والهرسك بأكمل لرجائهما تشير إلى أن عدد السكان
 المسيحيين زاد من ١٤٢ ألف نسمة في ١٧٣٢ إلى ٤٠٠ ألف في ١٨١٧ (١١) .
 وليس بين أيدينا سجل يدل على قيام حجرة عظمية قام بها القلاخون
 المسيحيون إلى البوسنة ، وإن مزح إليها بين الحين والآخر قوم من الصرب
 أو مقدونيا واستقروا فيها (١٢) . وعلى الرغم من الاضطرابات المتكررة في
 أرض الهرسك أثناء القرن التاسع عشر ، فإن الإيالة البوسنية كانت على
 وجه الإجمال أحسن إدارة وحكما من المناطق المجاورة مثل صربيا وأقل
 تعرضا لهجمات الصصابات المنيرة ، ومن المحتمل أنها كانت تجذب نيارا
 مستمرا من سكان الأراضي الصربية طوال القرن كله . غير أن السبب
 الأكبر في زيادة السكان لابد أنه كان النمو الطبيعي . وهذا يشير إلى
 قيام اقتصاد فعال لحى وإن عاش معظم المسيحيين بالاقاليم الريفية في
 فقر . فاهم لم يكونوا يعيشون ميسرة الكفاف .

ومن ناحية أخرى فإن قلة صغيرة من السكان المسيحيين تمتعت
 بميش رغيد في المدن الكبيرة بالبوسنة ، حيث نمت طبقة من التجار
 المسيحيين (واليهود أيضا) . وكان الكاثوليك ، بما لهم من علاقات
 راحورية قديمة ، يسيطرون على التجارة البوسنية حتى نهاية القرن
 السابع عشر ، ولكن بعد ذلك أصبح الصربيون والأفلاق ، واليونانيون
 والأرمنيون يلعبون دورا أعظم . وكان بعض الصناع المنيرة أيضا من أتباع
 الكنيسة الأرثوذكسية الصربية ، وبخاصة صباغ الذهب (١٣) . وكان
 المسدون من سكان المدينة يستهنون الحرف اليدوية ، ولكنهم ما هموا مند
 منتصف القرن الثامن عشر أن شرعوا هم أيضا يشتغلون بالتجارة (١٤) .
 وكانت سرايفو المزدهرة في القرن السابع عشر إحدى عجائب البلقان ،
 كما أنها كانت أهم المدن الداخلية على الإطلاق في غربى سالونيكيا ولا تداينها
 من قريب أية مدينة أخرى . فقد لاحظ راثر في ١٦٢٨ أن مغرون بعض
 التجار كان يساوي مئتي ألف أو ثلاثمائة ألف دوقية (١٥) . وهناك وصف
 لا يبرح ينمو لسرايفو تحويه يوميات الرحالة التركي الفنى لا يكل
 إيطاليا تشيليبى ، (*Illyria Celebi*) ، الذى زار المدينة في ١٦٦٠ ، فقد لاحظ
 أنها : كانت تحتوى على مئحة عشر ألف منزل (وبنى ذلك أنها كانت
 تضم عدد سكان يزيد على ثمانين ألفا) . وبها مئة وأربعة من المساجد ،
 وسوق تحتوى على ألف وثمانين كافا تباع سلعا واردة من الهند وبلاد العرب
 وفارس وبولنتمة وبوحسا . وقد انبهر أيضا بالسكان أنفسهم : « لما كان

المتاح هنا جبلا ، فإن وجهه للغلى وردية • وهناك مراعى جبلية تقوم على جميع جهات المدينة الأربع ، وحياء جارية كثيرة • من اجل ذلك فإن السكان اقوياء واصحاء • بل ان هناك اكثر من ألف مصر يزيد عمره على سبعين عاما • (١٦) • وهناك رحالة فرسي مر بها قبل ذلك يستنبه كلف متحمسا بنفس العربة • وقد لاحظ ان : • هناك شوارع جبيلة جدا وقناطر بديعة مصنوعة من الحجر والخشب ، وبنية وتوسع وستون نافورة جميلة ، والمدينة مليئة بالحانات : ومعظم البيوت لها حدائقها المنصوصية ، وكلها مملوءة بالثمار العاكهة وبوجه خاص أشجار التفاح • • وأعجب اعجابا شديدا بالسوق • بما حوت من عدد لا حد له من الناس وجميع أنواع السلع • كما أشد ايضا تلك السوق الأسبوعية الكبيرة للخيل ، وهي سمة يفتخر بها البوسنة (١٧) •

والاحتاجت سراييفو الى وقت طويل لتسترد عافيتها بعد تخریبها ونهبها في ١٦٩٧ • كما أنها تعرضت للحريق ايضا في ١٧٢٤ و ١٧٨٨ (١٨) • ولكن المعتقد ان تعداد سكانها في ١٨٠٧ بلغ ستين ألفا : وهو أقل من الرقم الذى اقترحه تشيليبس في ١٦٦٠ ولكنه مع ذلك تعداد كبير لو قارنا بتعداد بلجراد في ١٨٣٠ وهو ١٢٩٦٠ نسمة او زغرب في ١٨٥١ وهو ١٤٠٠٠ نسمة (١٩) • وشهدت بلاد البلقان نهضة قوية في تجارتها بعد معاملته باساروفيتش ، وهي التي منعت طريق التجارة مع الامبراطورية النمساوية وعادت بالفصل بينية تجارية على الشائيب (٢٠) • فسرعان ما جاء تجار من سراييفو وأحنوا يملكون فى الأسواق التجارية العظيمة فى لايزريج وفيينا ، وكانت أهم صادرات البوسنة وأعظمها شانا من المنتجات الزراعية (الحلوى غير المدبوعة والفراء والفواكه ، وبخاصة البرقوق المجفف : القراصيا) • كما ان أهم الواردات كانت المنسوجات (٢١) • اما محتاج البوسنة للثروة فقد أصبحت آنذ مهمة (فيما عدا بعض عمليات استخراج الحديد الخام قرب دارش Varash) • كما ان البلاد لم يكن بها نشاط صناعى كبير عدا ما يقوم به أرباب الحرف بالمدن من يشتغلون فى دبح الجلود وسبك المعادن وما الى ذلك (٢٢) • ولقد قامهم فى الامبراطورية النمساوية إقامة مشروعات إنتاجية ضخمة • وكان اخافهم ذلك موضوع تعليق بعض حكماء من القرن الثامن عشر • هو مرادجيس دوجس (Mouradgea d'Ohsoun) الذى اعتنق الاسلام حيث أنجى لاثمته على انقاذ الصناعات القابضة : • ان أحدا لا يجرؤ أن يجعل ثروته عرضة للاعتين مخافة استغلات ظر الحكومة • (٢٣) •

وكان الفساد الذي شاع في النظام العثماني المتأخر موضع الملاحظة من كثير من الناس : « كان هم سياسة كل وزير تركي هي مصلحته في المقام الأول » ، ذلك ما كتبه الدبلوماسي الإنجليزي سير جيمس بورتير في ١٧٦٨ (٢٤) - على أنه لاحظ أيضا أن ذلك كان ثمرة الخطأ في النظام الإداري السياسي وليس مسألة انحلال حلقى عام - وحتى في هذه الفترة من الركود الأسى ، فإن أولئك الذين وصفوا الحياة في أوروبا العثمانية كما شاعلوها يميونهم - على عكس هؤلاء الذين كانوا يشنعون عليها عن بعد - اعجبوا ببعض سماتها الخلفية والاجتماعية - وروى لنا بورتير بعض تطبيقات أفندي (سيد مهذب) عثماني « كان في الأصل من أبناء البوسنة كما أنه عاش طويلا بأرض وطنه » وقد أخبره أنهم « لا يكادون يعرفون في أية قرية تركية (مسلمة) أي مكر وتحايل أو غش أو حذاع أو لصوصية قبيحة بينهم » - وعلاوة على ذلك لاحظ بورتير قلة انسراقات في اسطنبول : « يمكنك أن تعيش هناك في أس تام وظل أبوابك مفتوحة على الدوام تقريبا » (٢٥) - وربما ظل البعض أن السبب في هذا السلوك الذي لا تريب عليه ، هو أن الناس كانوا يعيشون في حالة خوف من تطبيق الحدود الصارمة للشرعية الإسلامية ، بيد أن هناك بيانات كثيرة تشهد بأنه وإن كان مستوى التقوى العام قد ظل عاليا في بقية السكان المسلمين ، فإن قوانين الشريعة لم تكن متبعة بصرامة وهناك دراسة تاريخية لمواقف الناس من شرب الخمر في البوسنة ، أظهرت أن وجهات النظر أصبحت أقل تشددا أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر : فلم يجد الناس عرصة للإبلاغ عنهم في حيراهم لتناولهم الشراب كما كانوا في القرن السادس عشر .

وقد راح محدث بورتير ويلاحظ يلقى تربة الفساد الأخلاقي على الطائفة الأرثوذكسية - على أنه ليست هناك أية بيئة حقيقية (عدا تلك التطبيقات المارضة) ، يمكن أن تساند فكرة أن السكان الأرثوذكس كانوا أكثر فسادا من المجموعات الدينية الأخرى - على أنه كانت هناك عدة تقارير عن الفساد بين كهنوت الكنيسة الأرثوذكسية ، حيث هيمنت عليها عائلات « الفاناريوت » المناطقة باليونانية في اسطنبول وقد تردت في بعض الممارسات السيئة - وبعد أن حصلت هذه العائلات على أعلى المناصب الكنسية بأمرالها عادت مباحث بعد ذلك المناصب الدنيا لتعوض ما دقت - وحصل طرطن البوسنة على مقر رسي سراييفو في ١٦٩٩ ، وما لبقت نهاية القرن الثامن عشر حتى كان معه أربعة أساقفة تحت رياسته سراييفو وموستار وزغورنيك وبوفى بازار (وهي الآن داخلية في نطاق صربيا الحديثة) (٢٧) - ولكن الوثائق لا تسجل إلا النزر اليسير من

الأنشطة الرعوية الدينية أو الفنية الفكرية لهؤلاء الأساقفة في البوسنة أثناء تلك الفترة . ثم أعيد بنائه « الكنيسة الأرثوذكسية القديمة » (من القرن السادس عشر) لبراييفو ، كما أصبحت في أوقات مختلفة ، كما شهدت مدرسة ابتدائية أرثوذكسية بالدينية في ١٧٢٦ (٢٨) . وكان المستوى العام لنشاط رجال الدين الأرثوذكسي المتدين منخفضا جدا ، فإهم تلقوا تعليما سيئا جدا أو هزلا ، كما كانوا يشتملون بوجه رئيسي على المطابع في روسيا ورومانيا للحصول على حاجتهم القليلة من الكتب المقدسة ولأناجيل وكتب الصلوات (٢٩) . وفي أثناء القرن الثامن عشر وهي الفترة التي كان عدد السكان الأرثوذكسي في أثنائها يمر بسرعة عظيمة ، دمرت الحرائق أو الحرب بعض الأديرة الأرثوذكسية ، كما أن بعضها الآخر توقف استخدامه ، فبعد نهاية القرن كان هناك اثنا عشر ديرا في الهرسك ، ولكن عددها كان اثنين فحسب في البوسنة الحقة أحدها في «يرفنتا» (Derвента) والآخر في «بيلوكا» (٣٠) . أما الكنيسة الكاثوليكية التي ظل الفرنسيون سكانا مثلها الوحيدين ، فلم يكن لها أي مجال في بيع الممتلكات . وكان الرهبان قد مارسوا مدة طويلة عادة طلب الصدقات أو المكوس من دعاياهم ، وهي عادة كان يدافع عنها رجال الكنيسة الزائرون على أساس أنه ليس لهم مصدر آخر للرزق (٣١) . على أن هذه الممارسة كانت عرضة لسوء الاستغلال كما يستدل على ذلك من تقرير لاذع وارد من أولوفو في ١٦٩٥ . وقد كتب حارس الدير بأن دبره إذ لم يتلق المال من روما فلابد له من أن يخلق أبوابه : إذ أنه لم يتلق أية صدقات من الأبروشيات مدة سبع سنوات ، لأن الشخص الذي كان مكلفا بحملها ، وهو الأب ستانيفش (Stanio) قد احتلسها (٣٢) . يد أن معاناة الكنيسة الكاثوليكية في البوسنة من القافة تنضج من تقارير كثيرة . فقد لاحظ الأسقف مارافيتش في ١٦٥٥ ، أنه « قل من الأبروشيات ما له كنائس يمكن أن تقام فيها القداسات وإن تقام فيها المبادات المقدسة ، وفي المدة كان القداس يقام في العيانات وفي البيوت الخاصة للكاثوليك » (٣٣) . ويضطر الفرنسيون لأداء المبادات المقدسة إلى أن يركبوا خيولهم إلى القرى النائية ويقضوا الليل ، فلا يعرفهم أحد من ثيابه غير الدينية ولا يميزهم من الفلاحين . ولذا كانوا يخاطبون بكلمة « العم » (Ujak) . وهي عادة عاشت إلى يومنا هذا . وقد صدم الفصل الرسمي الفرنسي شوميت دي فوسيه (Charmette-des-Fosses) في ١٨-٨ ١٨ ١١ شهده من جهل الرهبان الفرنسيين وشيوع المخافات بينهم ، فضلا عن تدخلهم في حياة الناس (٣٤) .

ومع ذلك ، لماته وبعض صلته شديدة الانحصار بالعالم الفكري
 للكنيسة الكاثوليكية الأنسح رحاباً . فلن هؤلاء الرعيان البوسنيين قد
 انغروا أصلاً منشورة كان أكثرها كتباً دينية ، ولكن منها عملاً أو اثنين
 تتجلى فيها روح من الأسالة أحدها قصيدة ترجع الى بواكير القرون
 الثامن عشر ، نند مؤلفها بشراة بما تحتويه الأغاني الشعبية من بذاة
 وقدر (٢٥) - وكان أهم كاتب منهم هو فيليب لاستريتشي (Philip Lestric)
 (١٧٠٠ - ١٧٨٣) ، الذي أصبح رئيساً للفرسيكان البوسنيين ، ودافع
 عن حقوق اقليتهم ، البوسنة العسية ، برسالة يفند فيها اقتراحاً قدم في
 روما بتعطيل مركزها . وكانت الرسالة التي سطرها من أجل ذلك
 الغرض (Epitome vetustatum bonensis provinciae) . خلاصة
 رسالة عن المركز انما تسمى لاقليم البوسنة ، في ١٧٦٥ . أول كتاب مطبوع
 عن البوسنة كتبه بوسني من أبناء البلاد (٣٦) .

ولم يكن الفرسيكان البوسنيون بحاجة لحسب الى الدفاع عن
 أنفسهم لواء تهديدات روما وحدها . لد دامت طوال تلك الفترة المناهضات
 بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية . حيث تقول رسائل من
 البوسنة الى البايا في ١٦٦١ ان البطريرك الأرثوذكسي يحاول ان يجبر
 جميع الكاثوليك هناك على صلالة شحاتر الأرثوذكس ، وانه قد حصل
 على مرسوم من وزير البوسنة يكفل له قمع الكاثوليك . وكان من
 الكاثوليك البوسنيين عندئذ ان ينفقوا مبلغاً طائلاً من المال في
 إقناضه (٢٧) . لكن الفرسيكان احتفظوا بالمهدلية (Ahdname)
 اى منحة الامباريات التي حصلوا عليها من محمد الثاني ، والتي جدها
 (بفضل التدخل الدبلوماسي من البعوتين النمساويين والفرنسيين
 والراحميين بل حتى الانجليز في اسطنبول) كل سلطان تولي الحكم
 طوال تلك الفترة . كما ان هناك برامات أخرى ترجع الى القرون
 السادس عشر والسابع عشر . وكلها تضمن بالفعل اعفاءات للفرسيكان
 من ضرائب متنوعة ، والحماية من كل محاولات الاستيلاء التي كانت تقوم
 بها الكنيسة الأرثوذكسية .

وعند بداية القرن التاسع عشر ، كان بعض المراقبين يلاحظون ان
 السياسة العثمانية في البوسنة ، كانت أكثر ايثاراً للكاثوليك منها
 للأرثوذكس (٣٨) . ويحصل أن يكون هذا امكاساً للتطابق المتزايد بين
 الأرثوذكس وبين حركة المقاومة للحكم العثماني بصربيا ، كما ان كاثوليك
 البوسنة كان يمكن الاعتماد عليهم والثقة بهم بأنهم لن يتواطؤوا مع القوة
 الجديدة المجاورة : وهي الامبراطورية النمساوية . وذلك لأن تساوستها
 كانوا يرون فيها عنصراً الحدادياً بالغ الخطورة (٣٩) . وكانت المنافسة بين

رجال الدين الأرثوذكس والكاثوليك في البوسنة موضع للملاحظة والتعليق من جانب كثير من الزوار لذلك المنطقة : فان شوميت دي موسيه الذي قضى سبعة أشهر بالبوسنة ، لاحظ ان المداوة بين هاتين الطائفتين الدينيتين كان « يضرهما على الدوام رجال الكليروس الكيستنق ، كليهما » الذين كانوا يتبادلون التعميمات « (٤٠) » ولولا تحريضات هاتين المفتين المتنافستين نوى المصالح الخاصة ، لما وجد الفلاسون الكاثوليك والأرثوذكس تلك الأساليب البكتيرة لاشعال نار المداوة بينهما ، ذلك بانهم قوم يتكلمون اللغة نفسها ، ويرتدون للفلاس عينها ، ويذهبون احيانا الى نفس الكنائس ، ويتقاسمون معا بالوسط غير الأحوال المعيشية في الحياة .

ولو اكتفينا بالروايات المتعمدة عن البلقان العثمانية لسهل علينا الخروج بانطباعة بسيطة ، وهي ان هذه القرون الطويلة التي اضمرت ، اما كانت اقترت من التمسك الثقافي فيما خلا بعض الاشكال البنيائية الباذخة ، تلك هي الصورة التي ترسم لنا من كثير من الأعمال التاريخية للمؤرخين اليوغوسلاف ، وقسمها اليها بصورة كلريكانورية أو سكاد الروائي ايفو اندرينتش (Ivo Andrić) في رسالته عن الثقافة العثمانية البوسنية ، التي تطلع بالرؤى حيث قال : « كان أثر الحكم التركي سلبيا بصورة مطلقة - ان الترك عجزوا عن جلب أي مصون تقامي أو احساس برسالة سامية ، حتى لأوثق السلاف الجنوبيين الذين قبلوا الاسلام واتخذوه ديناً » (٤١) - وعندي ان هذه الملاحظات اما هي تعبير عن المتعصب الأعمى - وهي عماية متعمدة تجلجلت المنشآت الأثرية الضخمة للعماراء العثمانية في البوسنة ، كما أنها أغفلت بسبب مفهوم المجال الواسع للأعمال الأدبية التي كتبها المسلمون البوسنيون في ظل الحكم العثماني ، فالكثير منها كان مجهولا تماما في اللغة التي كتب فيها أندرينتش مؤلفاته في ١٩٢٤ . ولا يزال من السير علينا تماما اصدار أي حكم صائب على هذه الكتابات البوسنية التي لا نعرفها الا حفة قليلة من العملية المتخصصة في العالم : فان الذي ترجم منها قلة لا تذكر . كما أن الكثير منها لا يزال موصونا ولكن في صورته المخطوطة الأولى (لو مرسا ، بعد ذلك التدمير الهائل والمصد للنراث الثقافي البوسني الاسلامي في ١٩٩٢ - ١٩٩٣ . أنها لا تزال موجودة) - وقبل قصف سراييفو بالمدافع في ١٩٩٢ كانت هناك سبعة آلاف وخمسة مخطوطة بيدار عازي خسرو بك ، وخمسة آلاف في معهد الدراسات الشرقية . والف وسبصلة واثنان وستون نسخة في دار المخطوطات التاريخية ، واربعة وثمان وسبعون في دار الكتب القومية (٤٢) - ومن هذه الأرقام وحدها يستطيع المرء أن يستنتج أن السنة العثمانية لم تكن صحراء ثقافة . كما أن هناك عددا ضخما من

الأعمال التي سيطرها الكتاب البوسنيون باللغات التركية والعربية
والفارسية ، لانزال موجودة في مجموعات جيدة بكل من اسطنبول وفيينا
والقاهرة وغيرها من البلاد *

وهناك نوع من الكتابة حاز التعاطا خاصا هو ذلك المسمى بالأدب
« الأليامادو » (Aljamiado) . وهي أعمال كتبت باللغة الصربوكرواتية
ولكن بالحروف العربية . (وهذا الاسم هو لفظ اقتبسناه العلماء المعاصرون
من مواد غير عربية صائفة كتبت بالحروف العربية في إسبانيا الإسلامية) *
وفي أثناء العرب الأولين من الحكم التركي ، ظل الخط « البوسانتشيكى »
(Bosancica) وهو البنديل البوسنى للسيريلىكى (Cyrillic) مستخدما
عند يكويت البوسنة . أما الخط الرومانى فقد شاع استعماله بين الرعياء
الكاثوليك . كما ان الأعمال المطبوعة بالسيريلىكى كان يقرأها أيضا رجال
الدين الأرثوذكس ايان القريب السابع عشر والثامن عشر . ولكن التحول
للكتابة بالخط العربى كان من الطبيعى ان يتم بين المسلمين : فانه الخط
الذى كانت تكتب به العربية والتركية والفارسية جميعا . كما كانت تعلم
بجميع المكاتب (الكتائب) الإسلامية أى المدارس الأولية فى كل أرجاء
البلاد (٤٣) * ويتكون الأدب الأليامادو في معظم شأنه من شعر مخلص
الأنواع مكتوب وفق الأوزان الشعرية العربية الكلاسيكية : منها
الشعر النبى والقصائد ذات الموضوعات الأخلاقية والاجتماعية ،
وكذلك أيضا بعض القصائد الفريضة التشبيبية ، فاما الشعراء
فكان منهم شيوخ الدراويش والجد والنساء (٤٤) - وهناك كاتب من كتاب
الأليامادو هو محمد حجاجى أسقفى (الذى توفى في ١٦٥١)
(Mahmud Havaži Ustaf) . كتب أيضا بالشعر المألوف قاموسا
صربوكرواتيا تركيا ، وهو تانى أقدم معجم فى أية لغة سلافية جنوبية .
وبالإضافة الى إنتاج هذه الكتابات ، لعب المسلمون دورا كبيرا فى حل
وتقل التراث الثرى للشعر الشعبى فى البوسنة ونقله اليها . ومنها قطع
البلاد وشعار الرثاء (مثل قصيدة روعة حسن لما الشهيرة التى سلف
ذكرها) ، ثم القصائد المضحية ، وذلك النوع للخاص من أغاني العزل الذى
تشيع شعبته عند كل من المسلمين والمسيحيين والمعروف باسم
« سبدالينكه » (Svedalinke) (٤٥) *

وليس من المدهش واللغة الصربوكرواتية تقوم بعمل اللغة الثالثة
فى الإمبراطورية العثمانية أن يكتب بها بعض الأدب العثمانى * فإذن
لأتيا بوسنيا من القرن الثامن عشر هو مدون الحوليات التاريخية ملة

مصطفى شوقي يانيسكييا **Mula Mustafa Sevkî Hasanîski** (الملى

أضاف مجموعة من الأغاني الصربوكرواتية الى مدونهات التاريخية) . صرح بأنها لغة أشد ثروة بكثير من العربية لأنها تحتوي على خمسة وأربعين لفظا للكلمة ، ينحس (٤٦) . فقد اضمي المؤرخون الصربون أهمية ودلالة كبيرة على لطلاق الكتاب في تلك المدة على لغتهم اسم « اليوسنية » ، وإن كان كل ما عنوه من ذلك ببساطة هو اللغة التي يتكلم بها الناس باليوسنة ، ولم يكونوا يقصدون أيضا أن يسيروا الى أنها كانت منفصلة تماما عن اللغة المنطوقة في أي مكان آخر . وبالطبع فإنه كانت هناك اختلافات في اللهجات الصربوكرواتية بين المناطق المختلفة ، وهكذا نرى أن أحد الفرنسيين كان في القرن الثامن عشر يقول أن اللغة اليوسنية مختلفة عن الكرواتية الدالماتية والراحورية (٤٧) . على أنه بين جميع ضروب الصربوكرواتية المنوعة ، ظلت اليوسنية طويلا تمد أحسنها حينما ، ففي ١٦٠١ كتب ناورو أوربسي يقول : « لو نظرنا الى جميع الشعوب الناطقة بالسلابية ، لوحدنا أن اليوسيين لديهم أكثر اللغات دعوة ورشاقة ، وأهم يشعرون بانعز من أهم هم وحدهم الذين يحتفظون في أيامنا هذه ببقاء اللسان السلافي » (٤٨) . وكان فوك كارادجيتش (Vuk Karadžić) ، الكاتب وجامع الأغاني الشعبية والمصلح اللغوي الصربي الكبير في القرن التاسع عشر ، يعد لهجة وسط الهرسك مثلة للغة الشعبية في أحسن أشكالها وأفضلها (٤٩) .

ومع هذا ، فإن معظم الأعمال الأدبية تسمى اليوسنة كتبت بالتركية أو العربية أو الفارسية . وأسباب ذلك واضحة تماما : فإن بعضهم كان يكتب في أشكال تكون فيها اللغة جزءا لا يتجزأ الى فصله من الصرب الأدبي ، مثل ذلك الشعر الفارسي التقليدي التمس الديباجة والرائع الأسلوب ، وبعضهم كان يبالغ موضوعات مثل الفلسفة التي كان لها في العربية قاموس فني كامل وقائم بين الأيدي ولكنه يميز الصربوكرواتية ، وبطبيعة الحال كان الكثير منهم يكتبون لقراء يعيشون حادج الأراضي السلافية . فاما الكتابات الشعرية فتقلب عليها الأعمال النائرة حول علم الكلام والفلسفة والتاريخ والقانون . ولكن الحال ، كان كما هو واضح ، شديد الاتساع ، ولا يستطيع الا ذكر قلة منهم فقط . وكان من الكتاب الكبير أحمد سدي اليوسناوي **Ahmed Sudî al Bosna'î** (توفي ١٥٩٨) ، وقد كتب تعليقات على شعراء الفرس الكلاسيكيين ،

وحسن أفندي بروشتشاك **Hasan efendi Prusack** (توفي ١٦٦٦) ، وقد كتب رسالة شهيرة حول الحكم والحكومة أسماها « مرآة الأمراء » ، وكتبا في المنطق وعلم البيان والقانون ، كما أنه جمع مسجلا بأسماء

المؤلفين البوسنيين المتجمعين في العلم ، وعبدى البوسناوى Abdul Bonaswi (توفي ١٦٤٤) ، وهو الذى ألف رسائل صوفية ممتازة بالأسلوب الصوفي التقليدى ، ومنهم ابراهيم على ييجوفيتش Ibrahim Alekseyevich ، المعروف باسم بيتشيفي Pecevi ، (توفي ١٦٥١) .

وهو الذى صنف بالتركية تاريخا لفترة بين ١٥٢٠ و ١٦٤٠ ، واستقى معلوماته من المصادر الأوروبية المطبوعة ، وأحمد المستارى Ahmed al-Mostari Rusbdi (توفي ١٦٩٩) ، وهو واحد من شعراء عديدى من مستار الذين كانوا يكتبون الشعر التركى على أساس السادج الفارسية ، ومصطفى المستارى ابووفيتش Mustafa al-Mostari Ejubovic ، المعروف باسم الشيخ يويو Sheikh Jujic (توفي ١٧٠٢) ، وقد كتب ما يقارب الثلاثى رسالة في المنطق والسحر والسريرة الاسلامية ، ومصطفى الاكرويسارى Mustafa al Akruhvari (توفي ١٧٥٥) ، الذى كتب عدة أعمال اخلاقية ودينية ، كما كتب رسالة اطرا ، في البى (القهوة) ، ومصطفى شوقى باشيسكيا وهو الذى سبق ذكر مدونه الاخبارية حول سراييفو القرن الثامن عشر بلغة تركية دارجة .

وبعض هؤلاء الكتاب كانوا يعملون أيضا بالتعليم او الادارة خارج البوسنة - بيد انه كل هناك عدد كبير من رجال العلم ، يعملون في حكومة البوسنة نفسها - فان الشيخ يويو كان هو مفتى مستار ، كما ان احد ولاة البوسنة ، وهو درويش باشا البوسناوى (توفي ١٦٠٢) كان شاعرا مطبوعا ، قام بترجمة الشعر الفارسي الى التركية (٥٠) ، ولا شك في انه البوسنة كان لها أيضا نصيبها الوفير من رجال الادارة او الولاة الجبهة والانحلاف والملاط الاكباد أيضا - وهنا يجيب ان القول بان البوسنة كانت صحراء ثقافية اثناء الحكم العثماني ، انما هو قول مخف وهراء ، وذلك فضلا عن الفن الزخرفى كفن الخط والرسم المتيق ، وصبا فنان انتشر ممارسته بين مسلمى البوسنة طوال القرون العثمانية بالكلية (٥١)

وكثير من الكتاب الوارد ذكرهم اعلاه كانوا أعضاء في جمعية الدراويش الصوفية التى لعبت دورا هاما في الحياة الاسلامية البوسنية ، وللمرة الثانية يشعر ان من الصعب الكتابة حول مثل هذا الموضوع ، ليس فقط لان المادة اللازمة لذلك لاتزال غير مطبوعة (كالمخطوطات المقتنى والانتين والمشرى المأخوذة من احدى دور الدراويش وهي تكية سنان في سراييفو) ، بل وأيضاً لأن الطرق الصوفية ظلت على الدوام تمارس عملها كنوع من النشاط « الاسلامى غير الرسمى » ، خارج الهيكل الرسمى للمدارس الاسلامية الدينية والجماعية - بحيث ان كتب التاريخ المعتمدة تأهت على القليل من دورها ، وما هذه الطرق الا جمعيات او اخوانيات

يديها مملوءون روحانيون أو شيوخ يجتمعون في المائدة ويانتظام في التكايا (الرواقات) التماسا للانضمام للزمامة ، ومن أجل الاحتفالات التي ردها اضطرت على المركبات العشوائية : وأشهرها المولوية (« الدوازة » حيث يدور الدراويش حول نعمة في ساحة للوصول إلى الشهوة عن طريق الخروج من دائرة الوعي المادي إلى الوعي الباطني) وطراز من الشعر الديني الذي يبيع تلقائيا من لحظات الوله يعرف باسم «الالهى» وتجاوزت على جميعات الدراويش في أوقات مختلفة من تاريخها أحوال متقلية ، فكانت ذات يوم من دعاة الهدوء وعدم التدخل في السياسة ، أو تكون سلطة سياسيا ومتفرقة النزعات ، كما حدث ذات مرة من حركة المريدون الشيعية رعى الجماعة التي قاومت تقدم الروس في شمال القوقاز المسلم ، وكان اتساعهم الديني ينزع عانة إلى التصوف الذي ينحرف في بعض الأحيان إلى الفكر . يعقل متفتح يفتاح من الأفكار الفلسفية وشعر الزل . بل حتى من اللاهوت المسيحي ، حتى لقد عمده المسلمون المتشددون العاداة مرطيقيا . وكان هنا ينطبق بوجه خاص على مؤسسة البكتاشية التي كانت تصل بين الانكشافية (٥٢) .

ولدت حاشية طرق الدراويش إلى البوسنة في زمن مبكر . ولعلها لعبت هناك دورا حوهريا . كما فعلت في غيرها من الأماكن ببلاد البلقان . من تلك الصليبيات المترامطين هما التحول إلى الإسلام ، وتطور المذهب المسلمة وازدهارها (٥٣) . وكانت أولى تكايا الدراويش بسرائيمو ، وهي تكية ايساكبجيفا (Isakbegova) . التابعة لجماعة المولوية وقد بنيت قبل عام ١٤٦٢ ، وتكية اسكندر باشا (Skender Pasha) التابعة لجماعة النقشبندية وقد بنيت في ١٥٠٠ . كما ان هناك تكتين أكثر أهمية (تكية سان ماشا والبيس ريچنا Bistrigina) وقد أصبحت في أثناء القرن السابع عشر (٥٤) . وهناك أيضا مجموعة من التكايا ، الأصغر حجما ثم بنائها ورالت من الوجود الآن . وقد أحصاها ايمليا تشيلبيس فوجد مجموعها مئبعا وأربعين تكية في سراييفو في منتصف القرن السابع عشر (٥٥) . وتنان في الامكان تأسيس التكايا في أجراء بعيدة من الريف أيضا ، وقد ظلت واحدة منها تصل في سبعينيات الألف وتسعة بعيرة محلية مندرة فوق فويناكا Fojaica - وهي موطن ميلاد زعيم الدراويش الأشهر في القرن الثامن عشر ، الشيخ حسين (٥٦) . ولم تكن مجرد مراكز للتأخي والتقوى ، بل أنها كانت أيضا جزءا من شبكة دولية هائلة ، وكان البعض من أكبر جماعة وهي النقشبندية يسافرون إلى أماكن بعيدة الشقة قد تصلهم إلى وسط آسيا ، التماسا للقائد الشيوخ المشهورين ، والطائفة الوحيدة التي لم تنقطع بالفضيلة في البوسنة ،

وهو ابن عجيب ، هي جماعة البكتاشية الخاصة بالانكشارية : نعم انها كانت لها بالفعل التكايا هناك ولكنها كانت تعتمد بوجه رئيسي على الزائرين من الألبان والأتراك . ويبدو ان حالة الزنقة التي كانت تكتنف الطريقة البكتاشية لم تكن تلقى قبولا في البوسنة (٥٧) .

والاسلام في البوسنة العثمانية كان في غالب امره سنيا صليفا . وكانت الحركة المارقة الجندية الوحيدة هي حركة « الحزائوية » . وهم اتباع لشيخ يسمى حمزة بالي يوشنياك (Hamza Bali Bosniak) وقد اعدم بنهضة الزنقة في ١٥٧٣ . ونحن لا نكاد نعرف عن تعاليمه الا القليل اليسير ، وواضح انها كانت تتجول كثيرا ما فعله البكتاشية حين ادخلوا على عقيدتهم عناصر من اللاهوت المسيحي . وتمكن بعض أعضاء الحركة الحزائوية في البوسنة في اثبات ما انزل عليهم بعد ذلك من عذاب واضطهاد ، من اخذ ثارهم باعتيالههم الصدر الأعظم محمد باشا سوكولوفيتش . ويبدو ان أولئك الحزائويين وصلوا العيش كنوع من الحركات المعارضة الخفية طوال القرن السابع عشر (٥٨) .

كان معظم المراقبين يعطون مسلمي البوسنة سنيين أتقياء صالحين وقد كتب ايفليا تشيلبي يحرارة عن مسلمي سراييفو ، قال : « انهم جميعا قوم يخافون الله ، لهم عقيدة بنية مستقيمة لا تشوبها شائبة ، ونفوسهم حالية من الحسد والبغضاء . كما انهم جميعا صغبرهم وكبرهم وغنيهم وفقيرهم ملتزمون بمسدة بتأدية الصلاة » (٥٩) . على أنهم وان كانوا قوما « يخافون الله » فانهم كانوا بوجه ملحوظ تماما ، أقل تدقيقا من بعض المجتمعات الاسلامية الأخرى ، في تمسكهم بكثير من الاعراف الاسلامية ، فان بهم ضعفا نحو احتساء شراب الراكي . وكان استعمال الحجاب لا يراعى في بعض المناطق (وخاصة في ريف منطقة الهرسك) ، كما ان ممارسة البوسنيين للفرز وحتى العلاقات الفراضية كانت موضع التعليقات الكثيرة من المراقبين الأجانب (٦٠) . وقدم مسلمون آخرون اوصافا للسلوك الأخلاقية للبوسنيين ، وكلها تنفق تماما مع بيئة تشيلبي . وهناك كاتب سوري كان يضع قانوسا فارسيا تركييا ايان أخريات القرن السابع عشر . فقد كتب في بيانته في مادة البوسنيين : « يسرف البوسنيون برقة الأخلاق والكرامة واللؤذعية والفهم الدقيق والتعقل الذهني الممتاز والولاء والجدارة بالثقة ، تلك هي صفاتهم المميزة » (٦١) . ويعد ان قضى الرحالة الفرنسي كسكلية (Quiclet) شهرين كامليين في سراييفو ، صرح قائلا : « لم اتلق من جميع مسلمي هذه المدينة سوى جميع

١٥) تراخ العاملة الحسنة وكل أشكال التفضيل والميلانية ، حيث كان كل انسان يصادقني ويبدى لي المودة : (١٢) -

ولا شك في ان مثل هذه الأوصاف جديدة بأن يحملها الانسان في عقله عندما يقرأ ما يكتب عن « تنصيب » مسلمي البوسنة في القرن التاسع عشر . ومن اليسير جدا أن يفترض أي انسان أن ذلك التنصيب كان خبة دائمة متوارثة في اسلام البوسنة - ولا ريب أن اتجاها إلى التنصيب قد نما بالتأكيد ابان القرن التاسع عشر بين بعض اليكوات ورجال الدين الاسلامي والطبقة الدنيا من المسلمين . ولكن هناك أسبابا قوية للظن بأن وراء ذلك أسبابا سياسية واقتصادية من نوع خاص - وقد كتب شوميت دي فوسيه ، بعد ان قضى سبعة أشهر في البوسنة في ١٨٠٨ ، تطبيقا عميقا حول تشكك اليكوات في المسيحية . قال : « لو شئنا النصفة لمسلمي هذا الاقليم ، وجب علينا أن نقول ، كما يسلم بذلك الرعية (أي الفلاحون المسيحيون بصفة رئيسية) انفسهم ، انهم كانوا شديدتي اللين في تلك السنوات الأخيرة القليلة - ولكن منذ بداية هذا القرن دفعهم مركزهم السياسي الى الامتلاء بالرغبة والشكوك » . وقال انه بعد استيلاء الفرنسيين على منطقة الداناشيا والعصيانات المسلحة للصرب والجبل الأسود ، شعروا أنهم محطون ومهددون - ان هذا الموقف وقد اثار مخاوفهم ، جعلهم يشعرون بالتوجس من كل انسان . وقد بث فيهم ذلك شعور الخوف من أن تتورد رعيتهن ، ولكن يفسنوا خضوعهم اضطروا الى معاملتهم بشيء من الهجينة البربرية » (١٣) . ومعلوم أن الاستقطاب السياسي الاجتماعي الديني بين ملاك الأراضي والفلاحين ، كان قد قارب الاكتمال في تلك الفترة . ولا بد أنه قد لعب هو أيضا دوره . وكان ما اثار مخاوف رجال الدين المسلمين هو قيام صربيا بوصفها دولة مسيحية مسلحة وشبه مستقلة ، وقد طردت جميع المسلمين الذين نجوا من المذابح طردا وحشيا عميقا - وما زاد في حدة مشاعر التشكك والحسد في أنفس سكان المدن المسلمين العاديين ، تلك الزيادة المستمرة في أهمية طائفة التجار المسيحيين في سراييفو ، الذين نصوا في أوليات القرن التاسع عشر بحماية المواطنين القسطنطينيين التابعين لفرنسا والنمسا وبروسيا . ولذا فانه عندما وافقت ١٨٢٢ كان في امكان زائر فرنسي آخر هو شارل برتوزيه Charles Portusier أن يكتب أن « المسلم متطرف في أيمانه الى حد التنصيب » (١٤) . ولا ريب في أن هذا الحكم العام كان ينطوي في ذلك، الحق ولو على شيء من الصعق - بيد أن الحال لم يكن كذلك على الدوام .

الفصل التاسع

يهود وخبز البوسنة

لم تعرض حتى الآن ليهود وعبر البوسنة الا يادى قدر من الذكر ، رغم أن وجودها في البوسنة منذ مرحلة مبكرة : وربما سبق وجود الخبز الغزو التركي ، واليهود الذين وفدوا خلال القرن الأول من الحكم التركي ، وسيقدم هذا الفصل خلاصة موجزة لتاريخهم بأرض البوسنة منذ وطئت أرضها أقدامهم حتى بواكير القرن العشرين . ويبدو أن هذين الشعبين لا يكادان يفترقان في شيء تقريبا ، فضلا عن أن كلا منهما احتفظ تماما بطبيعته وهويته ، وهو مشنت في عدد لا يحصى من البلدان . ولكن في الحالين كان العارق في المعاملة التي كاتا يلقىانها في الامبراطورية النمساوية وتلك التي كانوا يتعرضون لها في اوربا الغربية والشمالية ، فرقا هائلا يسترعى الأنظار . وعلى أولئك الكتاب الذين يشعرون بصودة آلية الى عدم تسامح الحكم العثماني ، ان ينظروا نظرة أعمق الى تاريخ هاتين الاقليات . ولا جدال أن التعامل على اليهودي والفجري كان موجودا في المجتمع البلقاني . ولكن هذا التعامل المحل لم يهلك هذه الآلاف المولمة منهم كما حدث لهم في القرن العشرين . فما كان يستطيع أن يفعل ذلك الا ايدولوجية تطورت في الاجزاء ، المسيحية ، الأكثر نفعا في أوربا .

وكما هو الحال مع الاسلام ، يمكننا أن نتكهن بوجود صلات شديدة القمم بين اليهودية والأرض البوسنية . ونحن بفضل الحفائر الأثرية التاريخية ، نجزم بأن كثيرا من اليهود قد سكنوا في المناطق المجاورة ليوغوسلافيا الواقعة تحت الحكم الروماني : تشهد بذلك أطلال المعابد اليهودية الباقية لنا منذ القرنين الثالث والرابع ، والمقابر اليهودية في دالماتيا ومقنونيا والجبل الأسود . وعند مدينة أوسيك (Osijek) التي بعد ثلاثين ميلا من الحد البوسني الشمالي الشرقي - وأشد تلك الاكتشافات صحرا وانحنا بالآيسلب ، جبانة للأفار من القرن الثامن.

او التامح تقع قرب نوفي ساد (شرقي أوسبيك ، وعلى بعد مماثل من البوسنة) ، وهي تحتوي على عدد كبير من القبور عليها وحوز يهودية ونعوش عبرية ، وهو أمر يشير الى أن هؤلاء الأفار قد استوعبوا بعض قبائل خزر القرم القديمة التي اعتنقت اليهودية أثناء القرن الثامن (١) .

وظلت مجموعة من السكان اليهود تعيش في مقدونيا طوال الحكم البيزنطي بأكمله . وبسبب أهمية طريق التجارة البري الى سالونيك ، اجتذبت أعضاء جديدا من الطوائف اليهودية في بعض الأجزاء الأخرى من أوروبا ، الذين انضموا الى أحفاد يهود سالونيك الرومانية . وهناك يهودي مقدوني شهير هو ليون مونج (Leon Mung) الذي تحول الى المسيحية وأصبح كبير أساقفة أوريد (Ohrid) في ١١٢٠ ، لعله كان من الذين فروا من وجه الاضطهاد في ألمانيا - ولابد أن لاجئين آخرين قد فروا الى مقدونيا بعد طرد اليهود من المجر في القرن الرابع عشر ، وفي ذلك الوقت كانت هناك أيضا وبائل ، مجتمعات يهودية في راجورا وسبليت وبلغراد (٢) . ولكن أكبر نزوح من نوعه هو الذي تم في نهاية القرن الخامس عشر ، حيث رحبت الامبراطورية العثمانية باليهود المضطهدين من إسبانيا وأكرمت مناهم وأحسنّت معاملتهم . واستقر كثير من هؤلاء اليهود السفرديم في مدينة سالونيك . كما تحرك بعضهم شمالا الى مدينة سكوبيي (Skopje) التي سرعان ما حولوها الى مركز تجاري مهم .

ولم تكن البوسنة واقعة على طريق التجارة من الشمال الى الجنوب (الذي مر من خلال صربيا) ، ولكن طريقا مهما من الشرق الى الغرب امتد من راجورا خلال فوئشا (جنوب سراييفو) حتى نوفي بازار واستمر حتى سكوبيي . ولابد أن التجار اليهود من سكوبيي وراجورا كانت لهم تعاملات تجارية كثيرة مع الوسطاء البوسنيين . ولكن يبدو أن التطور الذي ألم بسراييفو بوصفها مدينة تجارية في حد ذاتها هو الذي جلب اليهود الى التربة البوسنية والإقامة بها واستيطانها . على أن تاريخ وصولهم الى هناك ليس معروفا ، لكن ثلاثة سجلات للحاكم في ١٥٦٥ تشير الى أن هناك تجارا من اليهود . كان من الواضح أنهم مستقرون تماما في سراييفو (٣) . والراجع ان العائل الحاسم في ذلك هو بناء « مسوق المنسوجات » في بورصة وهو سوق أقامه غازي خسرو بك في ثلاثينيات الألف وخمسة ، حيث كانت تحلوة الحرير مع بورصة الى حد كبير في أيدي يهود الأنغول (٤) . ومن غير المعروف ما إذا كان اليهود جاؤوا عبر هذا الطريق الطويل من بورصة ليستقروا في سراييفو ، فقد كانت الروابط الرئيسية لطاقتهم في سراييفو مع سكوبيي أو سالونيك خلال القرنين

التاليين ، ويمكن افتراض أن كثيرا من المستوطنين اليهود كانوا من أبناء
 هاتين المدينتين ، وقد لتجارة المسجلات التي هي على رأس الواردات الى
 البوسنة طوال الفترة العثمانية ياكلها . ان تطل في أيدي اليهود حتى
 تم تدمير طائفتهم ابل الحرب العالمية الثانية (٥) .

وكان يهود سرايفو يعيشون أولا في محلة او حي المسلمين ، لكن
 مسح لهم في ١٥٧٧ ، مكافأة لهم على العون الذي قدموه ضد الهابسبرجيين .
 بناميس حي خاص بهم (٦) . وكلمة « حي » تكاد تكون ترجمة مضللة
 لكلمة « محلة » ، فكما لوحظ في الفصل الخامس ان هذه انما كانت
 تقساما أصغر للمدينة . ربما لم نحو أكثر من أربعين بيتا ، فاما لفظة
 « جيتو » (Ghetto) ، التي تستخدم للدلالة أحيانا على هذه المحلة
 اليهودية ، فانها ايضا تسمية غير صحيحة : فقد كانت حرية الحركة
 التامة مكفولة ، دون يرايات او حظر تجول او أى نوع من الاجرامات
 التمييزية . وهناك قصة وردت في مطبوعة من القرن الثامن عشر تقول
 ان المسلمين قد اشتكوا الى الضجة التي كان يحدثها اليهود ومن الخطر
 من الحريق - ومغزى هذه القصة ، على فرض ان لها نصيبا من الصديق .
 هو انها تدل على ان يهود سرايفو كانوا بالفعل يشتغلون بالصناعة .
 ولعلهم كانوا في الراجح يسرون مسبكيا للمعادن (وهو شيء كان مشهورا
 بأنه واحد من أعمالهم في السنوات التالية لذلك) . وإذا كانوا يماورون
 في صنع الأسلحة والمهمات المعدنية التي كانت تحتاجها حملة عسكرية ،
 فربما كان ذلك تفسيرا لامتنان السلطات التركية لهم - ومع ذلك ، فإن
 كاتيا يهوديا من القرن السابع عشر سجل أن نقل اليهود لحي خاص بهم
 تم بناء على طلبهم (٧) . ومهما يكن السبب ، فإن اليهود الأكثر ثراء انتقلوا
 الى بيوت متجاورة في منطقة قرب السوق المركزي ، وانتقل آخرون الى
 مبنى خاص هناك أقامه حاكم خير للبوسنة في ١٥٨٠ - ١٥٨١ ، وعرف

المبنى باسم « وقف سيفوش باشا » (Sivus Pašas Daire) وكان
 المبنى يتكون من بيت كبير يحتوى على ٤٦ حجرة وحوش داخلي : وبه كانت
 تسكن العائلات الأكثر ، تسكن كل منها في حجرة او حجرتين صغيرتين .
 وكان اليهود يسكنونه باسم « الحوش » (Il Cortijo) ، فاما المسلمون
 فكانوا يسكنونه « الحوش الكبير » او « بيت اليهود » - (وكانت مثل هذه
 البيوت المجهزة تبني أيضا في مناطق أخرى من البلقان : منها المبنى المقام
 في بلجراد والمسماى بيت اليهود الأثراو ^٨ *Türkischer Judenbof* وكان
 يحتوى على ١٠٣ غرف و ٤٩ مطبخا و ٢٧ يدروما للتخزين) (٨) . وفي
 نفس الوقت شيد في سرايفو أول معهد لليهود ، على امتداد الحوش (٩)

وأثار المجتمع اليهودي في القرن السابع عشر بسرايفو قليلة . ونحن نعلم يقينا أنه كان له وجود مستمر ، ولكن ليس ممكنا أن يكون له برود بالغ ، وذلك لأنه لا يكاد يوجد ذكر عنه في أية كتابات أخرى لليهود في تلك الفترة . وكان أول حاشاش عرف لهم وهو مسويل باروخ قد جاء من سالونيك في بواكير القرن السابع عشر ، والماتود ابن قهره هو أقدم قبر يجباة اليهود بسرايفو (١٠) . وعندما دار إيليا تشيليبس المدينة في ١٦٦٠ لاحظ أنه أصبح لليهود في المدينة محلتان (١١) . وكان الوضع القانوني لليهود مائلا لوضوح المسيحيين : إذ أنه حسب قانون الرعاية لم يكن مباحا لهم بناء أماكن جديدة للمعبدة بغير إذن خاص . وكان هذا . شأن معظم أنواع التدابير القانونية الأخرى ، يتم الحصول عليه بفتح الأموال المناسبة . واليهود شأن المسيحيين ، كانت تموزهم المساواة القانونية بالمسلمين في المحاكم العثمانية ، على أنه كان مباحا لهم استخدام محاكم خاصة بهم للحكم في القضايا المدنية بدخل مجتمعهم اليهودي . وكان اليهود أيضا يدفعون الخراج ، كما أنهم كانوا خاضعين لقواعد قانون الرعاية في تحديد نوع الملابس . بما في ذلك الشروط الإضافية التي أمر بها السلطان مراد الرابع في ١٥٧٤ ، حيث أصبح يوجبها محرما على اليهود أن يلبسوا السانم والملابس الحريرية ولا أي لباس باللون الأخضر . وما لبثت أن استقرت فيما بعد ممارسة السماح للحاخامات بارتداء العمامة شريطة أن تكون صفراء اللون (١٢) . ولكن يمكن القول على وجه التحديد أن معاملة اليهود كانت تنطوي على قدر أقل كثيرا من التمييز الديني مما كان يطبق عليهم في أية أرض مسيحية إلى الشمال والشرق ، أثناء أواخر العصور الوسطى وبواكير العصر الحديث .

وفي ١٦٦٥ أصابت يهود الإمبراطورية العثمانية مزة شديدة نسا عبيد قداول أسماعهم . فإن حاخاما شابا من سيرن (Smyrna) ذا حضور شديد هو ساباتاي شيفي Sabbatai Sevi ، أعلن أنه المسيح المنتظر . واحترق هذا الإعلان كل أرجاء أوروبا شرقا وغربا ، وأحدث الكتابات الدينية العبيبة لأتباع ساباتاي ، وخاصة كتابات تلميذ وحواريه الأول والداعية الأكبر له وهو ماتان من غزه ، تقرا بشغف شديد : إذ يذكر تقرير أن يهود فيينا تلفوا نسخا من أعمال ماتان التبعية في ١٦٦٦ من سرايفو (١٣) . وقد قامت مبادئ ساباتاي وأتباعه (الساباتانيين) على التقليد الماثورة على القبالة ، وهي طريقة تقوم على استخلاص التنبؤات والحقائق اللاهوتية الخفية من كلمات وحروف التسموس العبرانية المقدسة . على أن أعظم لفز وفضيحة في قصة الساباتانيين بأكملها إنما حدثت في ١٦٦٦ عندما وافق ساماتاي شيفي ، وقد اعتقل وأضر بين ،

بني السلطان ، على اعتناق الاسلام . وتبعه في ذلك كثير من اتباعه ، واحتفظ غيرهم ممن ظلوا على عقيدتهم اليهودية ، بتماليكه وكونوا لاهوتا عجيبا متطرفا ، كان فيه هذا المروق المجيب عن اليهودية يد عملا ضروريا وعيبيا (يكاد يمكن مقارنته بطبيعة موت المسيح في اللاهوت المسيحي) . وكان من أبرز السابانانيين في الجيل التالي نحميا خايون (Nehemia Hayyon) ، الذي ولد في سراييفو في ١٦٥٠ ، وكانت عائلته (التي ينطق اسمها كايون Kazon او جايون Gozon او حسانون Gaon بالصربوكرواتية) من العائلات اليهودية القديمة بالمدينة . قد ظلت مقبلة هناك حتى عهد متأخر من القرن العشرين . وقد قام خايون برحلات في فلسطين واليونان وإيطاليا وألمانيا . وأصدر في بلن في ١٧١٣ كتابا هو « قلوة الله » Od l'Elahim ، وصف بانه الوثيقة الوحيدة المطبوعة للقبالة السابانانية ، وهو يحتوي على رسالة نسبت الى ساباناني نفسه . وأحدثت نسخة عظيمة في الدوائر اليهودية . ثم وجدت الى حايون فيما عقب ذلك من الزمان نهمة الهرطقة . حيث وجهها اليه أحد حاخامات أمستردام وهو سفيي اشكيزي ، وهو من عائلته في سراييفو من ١٦٨٦ حتى ١٦٩٧ يوم مر الى الشمال مع جيش الأمير يوجين (١٤) . (ولعل هذا الحاحام هو اليهودي الوحيد الذي شعر بالامتنان نحو الغزو النمساوي ، فقد أصابه المحلة اليهودية تدمير شديد من جراء قصف مدفعية الأمير يوجين . وفي منابر تخفيض في الضرائب ، وافق يهود سراييفو على المساواة في دفع نفقات إعادة بناء المنطقة بأكملها) (١٥) .

وكانت أقدم سجلات مجتمع سراييفو التي بقيت لنا في أي شكل من الأشكال ، هي التي ترجع الى عشرينيات وثلاثينيات الألف وسبعينيات . وقد تولى المؤرخ هوريتس ليفي طبع بعض فقرات منها ، لكن الوثائق نفسها ما لبثت أن دمرت مع جميع المخطوطات اليهودية في سراييفو أثناء الحرب العالمية الثانية (١٦) . وتذكر أسماء ست وستين عائلة من تلك الفترة الباكورة ، كما أن قائمة بالأسماء تعود الى ١٧٧٩ تحوي ٢١٤ رئيسا للعائلات ، وهو ربما يبادل سكانا يزيد عددهم قليلا عن الألف نسمة . وجاء أيضا ذكر مدرسة أولية يهودية سميت (تلمود تورا Tal mud Torah) وكان يهود سراييفو يمارسون حروبا متنوعة من المهن : فبالإضافة الى التجار كان هناك الأطباء والصيادلة والخياطون وصناع الأحذية والجزازون وعمال الخشب والحادين وصناع الزجاج والصاغون (١٧) . وكان يتولى الحفصات الدينية بينهم في معظم تلك الفترة حاخامات مجتلبون من مناطق أخرى : وكان أشهر هؤلاء الحاخامات هو دافيد بارو ، وهو يهودي من البندقية ، الذي كان رئيس حاخامات سراييفو في ستينيات وسبعينيات القرن

الثامن عشر . وكان علامة بارزا وكاتبا متميزا . وقد أسس كلية تطريب الحاخامات (yeshiva) هناك أثناء فترة توليه منصبه . وحتى ذلك الحين كانت سراييفو تابعة للمجتمع اليهودي في سالونيك ، أما الآن فإنها أصبحت قادرة على إنتاج حاخاماتها الخاصين بها (١٨) . ومع ذلك فقد أصبحت الخلية في مجال التجارة والثروة لطاقة بلجراد المجاورة . وكان بتلك المدينة ، عاصمة المستقبل لصربيا ، مجمع مختلط من يهود السفرديم والاشكنازي . ويبدو محتملا أيضا أن بعض الاشكنازية كانوا يأتون أيضا إلى سراييفو ، على أنهم لو استقروا هناك فلا بد أنهم قد امتصع المجتمع السفرديم الناطق باللغة اللادينية (Ladino)؛ وذلك نظرا لأنه لم يكن هناك عيب اشكنازي في سراييفو حتى آخريات القرن التاسع عشر . واللاذيم هي لهجة من أسبانية القرن الخامس عشر إلى كان يتكلم بها أحباء اليهود المطرودين من أسبانيا في ١٤٩٢ ، ولا يزال يتحدث بها بعض يهود سراييفو الباقين على قيد الحياة حتى اليوم . وهناك آية حاضرة لا تزال تدل على تراث سراييفو الأسباني ، هي ، صلاة سراييفو (Sarajevo Haggadah) وهي مخطوط أسباني من القرن الرابع عشر للقديس الذي يقام في الليلة الأولى من عيد الكيبور وكان مملوكا لخمى العائلات اليهودية في المدينة حتى ١٨٩٤ وهو من أبداع الأعمال الفنية من نوعه في العالم كله (١٩) .

وفي العقود الأولى من القرن التاسع عشر كان عدد السكان اليهود في البوسنة يماثل ألفي أو أكثر . فقد كتب القنصل الفرنسي في سالونيك تقريرا تفصيليا ، بعد أن ذهب إلى سراييفو لجمع المعلومات حول أحوال التجارة في ١٨١٣ ، قال فيه . أن هناك ألفي يهودي في سراييفو ، ولاحظ أنه من أهم الأعمال التجارية في المدينة كانت هناك اثنتان يهوديتان وواحدة يونانية وواحدة نمساوية وواحدة فرنسية (٢٠) . وكانت هناك حتى ذلك الحين جالية يهودية صغيرة تتكون من ستين فردا يهودية ترافنيك : وقد اكتسبت هذه المدينة أهميتها لكونها مقر وإلى البوسنة وكان عدد سكانها يبلغ سبعة آلاف معظمهم من المسلمين (٢١) . وفي مستنبتات الألف وثمانئة كانت هناك عائلات يهودية قليلة تعيش في موستار أيضا (٢٢) .

وهناك قصة تأخذ بالآليات ، ترجع إلى أوليات القرن التاسع عشر ، وتدور حول مصير يهودي من ترافنيك هو موسى كافيفو Moses Chavivzo الذي اعتنق الإسلام واتخذ اسم الفرويش أحمد . وراح يثير المسلمين المحليين على اليهود . وفي ١٨١٧ شكوا زعماء اليهود البوسنيين من مهاجمته لهم . وتمكنوا من تقديمه للمحاكمة وإعدامه . وما عثم جماعة من أتباعه أن شكوا فيما بعد إلى وإلى البوسنة وهو رشدي باشا ، الذي انتهر الفرصة

فأمر حص المال من أيدي اليهود غصيا ، وطالبهم بأن يدفعوا خمسمئة ألف جروش (وهي عملة بسلوية) ، وألقى القبض على عشرة من كبار اليهود كان من بينهم الحام ، وبعد قتالهم إذا لم يسد المال فعلا - وانتهت القصة بتفريق جماعة من ثلاثة آلاف مسلم حولوا أسلحتهم وطالبوا بإطلاق سراح اليهود ، فسارع الباشا بتلبية طلبهم (٢٤) . ويبدو أنه على وجه العموم كانت العلاقات بين المسلمين واليهود طيبة ، وكثيرا ما كانت أحسن منها بين المسلمين والمسيحيين - وهي كثير من أرجاء الامبراطورية العثمانية كالالمسيحيون ينظرون الى اليهود نظرة احتقار ، ولذلك أسباب منها ان الشعور بالماء نحو اليهود يجد تربة خصبة في اللاهوت المسيحي ومن المرجح أيضا أن بعض الولاة العثمانيين كانوا يعتمدون على الأطباء والتجار اليهود ، ويتخذون منهم مستشارين شخصيين ودبلوماسيين ، بحيث أن الوجود اليهودي يدا في أعين المسيحية والمسيحيين كانوا هو طرف ملازم للدولة التركية - (والواقع أن ارتداء اليهود نفس ملابس الأتراك ، كان عاملا اضافيا يبض أقطار البلقان الأخرى ، ولكن ليس بالبوينة ، حيث كان المسيحيون يلبسون نفس ثياب المسلمين ، فيما خلا بعض التفاصيل الثقافية التي تميزهم بنص قانون الرعاية) .

أصدر بعض السلاطين من دوى النزعات الإصلاحية في ثلاثينيات وخمسينيات الألف وثماننة قوانين تمنح حقوقا مدنية ماثلة لرعايا جميع العقائد الدينية ، ولكن ذلك ظل مسألة نظرية أكثر منها صاعدة عملية - وجاء أكبر تغير في الوضع القانوني لليهود مع احتلال دولة النمسا والمجر ببلاد في ١٨٧٨ : وبعد ذلك بسنوات أربع ، شكلت لليهود في سراييفو طائفة على غرار نظام الطوائف الدينية النمساوية عرفت باسم « طائفة السفرديم الاسرائيلية الدينية » وكانت هذه الطوائف تنتخب الهيئات الحاكمة الخاصة بها وتضع سجلا لجميع اليهود السفرديم المقيمين في المدينة ، كما خول لها أن تفرض الضرائب عليهم بمقدار يصل الى ما يعادل عشرين في المائة من الضرائب المباشرة المفروعة للدولة ، وقد أقبل كثير من اليهود الاتسكانزي من المجر وغاليسيا وبولندا وأرض الشيك وغيرها من الأماكن ، على الاستيطان في البوسنة تحت الحكم النمساوي الجري أيام امبراطورية النمسا والمجر ، فشكلت لهم طائفة مستقلة أيضا (٢٤) - وكان اليهود الناطقون باللاتينية ينظرون اليهم نظرة ازدراء ، وعاشمت كل طائفة من هذه الطوائف عيشة خاصة بها - وبصمهم مراقب في ١٩٠٨ بأنهم : « قوم متميزون بشسدة أحسنهم عن الآخر » (٢٥) وهذا التلحق أو التزوج الشديد للسكان اليهود الى المدينة.

حيث ظل ثابت العدد حول ألفين طوال القرن كله ، ثم قما الى ٢٦١٨ نسمة
فى ١٨٨٥ ، ثم ٤٠٥٨ فى ١٨٩٥ ، ثم ٦٣٩٧ فى ١٩١٠ (٢٦) .

وكان عدد السكان اليهود فى الأجزاء الأخرى من البوسنة فى ازدياد
هو الآخر بفضل الهجرة : فعلى ١٩٠٠ كان هناك ٩٩١١ نسمة فى سائر
أرجائها (٢٧) . وعادت السياسة الاقتصادية التى اتبعها النمساويون
بقرص جدينة على البوسنيين اليهود ، وعلى العكس من المسلمين اضطروا
على العور فى المشروعات الصناعية . وكأب النتيجة أن أكبر ثلاثة من ملاك
المصانع البوسنيين كانوا جميعا من اليهود السعديين . وكذلك أيضا كان
للسياسة النمساوية أثر فعال فى اندماج اليهود مع سائر المجتمع
البوسنى : ومن ثم فإن اللغة الصربوكروانية قررت فى متاحف الدراسة
بالمدارس الابتدائية اليهودية . كما أن بعض اليهود أرسلوا أطفالهم ليتدبروا
أول مرة فى تاريخ هذا المجتمع اليهودى ، تعليمًا دينيًّا فى مستوى
المدارس الثانوية (٢٨) . وحتى عام ١٩٤١ ظل يهود البوسنة يعلمون دورا
جوهريا فى الحياة الاقتصادية لوطنهم . فقد كان هناك مجتمع يهودى من
سراييفو وتراڤنيك ومونستر وبانيا لوكا وريبنكا ويوجوشو وباييلينا
وفوشيكو وروجاسيكا وفلاميتينكا وتريسل (٢٩) . وقد مزق هذا المجتمع
اليهودى شر مرق فى طوفان البربرية الذى اجتاحت العالم فى ١٩٤١ .

أما غجر البلقان فالغرض يكشف تاريخهم أكثر كثيرا من اليهود ،
اذ بهم لم يتركوا وراءهم قرائن كثيرا من المنشآت المعمارية والمباني
أو السجلات المكتوبة أو الكتاب أو المتعلمين . ومع هذا فإن أصلهم كان
اعظم ، كما أن وجودهم فى البوسنة كان على الأرجح أقدم كثيرا . ومع اسا
لا نعلم شيئا عن تاريخ خروجهم من الهند ، فابهم كانوا موجودين فى الأرض
البيزنطية فى عام ٨٢٥ ، وهناك من البينات الأكيدة ما يدل على أن الغجر
قد عبروا الى الجزء الأوروبى من الامبراطورية البيزنطية بحلول القرن
الحادى عشر . وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر كان المركز الرئيسى
للمستيطان الغجرى هو جنوب بلاد الأفريق . كما أنهم أيضا كانوا مستقرين
فى جزيرة كورفو . ولعل بعضهم قد واصل المسير قداما على السواحل
الأدرياتيكي . ولعل بعضهم الآخر انتشروا برا . وقد ورد ذكر للغرى
الغجرية فى غرب بلغاريا . فى عقد هبة عقارية يعود الى سنة عام ١٣٧٨ ،
وهو أمر يشير الى أنهم كانوا مستقرين أيضا مدة طويلة تماما بتلك المنطقة .
وهم أيضا شأن الإغلاق كانت لهم بعض التقاليد العسكرية : اذ يسجل
التاريخ ضربا من التجمعسكرى بين الغجر فى بلاد اليونان أثناء القرن
الخامس عشر . ومن ثم فإن ما يثير الاهتمام أن يعرف المرء أن أول سجل
محدد التاريخ عن الغجر بأرض يوغوسلافيا الصربية انها هو وثيقة قانونية

من راجوزا في ١٣٦٢ ، قدمها اثنان من المصريين (Egyptians) ، (لاى
الفجر Gypsies) اسما فلاك وفيتاتوس (٣٠) .

وقد ربط البعض بين لاسم ذلك المواطن الفجرى « فلاك » وبين
الأفلاق ورعوا انه كان هناك شيء من التمايش بين الفجر والأفلاق في تلك
المناطق أثناء العصور الوسطى المتأخرة . ولا ريب في أن حياة البداءة
لدى هذين الشعبين كانت من نوعين مختلفين تمام الاختلاف ، ولكن اذا كان
الفجر قد عملوا بأشغال المعادن وما إليها من حرف ، فقد كان من الممكن أن
يكون لهم نصيب لدى قوم يشتغلون بترقية الحبل والتجارة . وهناك كذلك
بيئات لغوية دسائفة فكرة وجود علاقات اطلاقية فخرية بالبلقان الغربي
والأوسط . وقاموس مفردات معظم اللهجات الفخرية بفرب أوروبا ، لا يدل
قطعا على وجود دين يدل عليهم للغات اليونانية والسلافية الجنوبية ،
وإنما يحتوي أيضا على بعض آثار اللغة الرومانية أو الافلاقية . ونرى بلم
أن هذه القبائل من الفجر حركت خارجة من جنوب شرقي أوروبا في اوليات
القرن الخامس عشر ، وربما قصوا بعض الوقت في رومانيا ، ولكنه زهر
غير طويل ، وليس هناك أي أثر لاي تغافل أو نموذج لغوي فخرى على مفردات
لغتهم . وكل الدلائل تدل الى احتكاك أطول مدى مع الساطقين الافلاقية في
الجنوب من الدناوب (٣١) .

ولو صح هذا الرأي أو الافتراض السابع من الوثيقة الراجوزيه
فمعنى هذا أن الفجر كان لهم وجود بالهرسك أقدم كثيرا من العرو
العثماني . ولسنا ندرى شيئا عن نشاطاتهم بالبوسنة أبان السنوات
العثمانية الأولى ، غير أن بعضهم ربما اعتنقوا الاسلام في مرحلة مبكرة :
فإن قانونا أصدره في ١٥٣٠ سليمان القانوني حول الايالة الروميلية
(وكانت في ذلك الوقت تضم البوسنة أيضا) ، يميز تمييزا حادا بين
الفجر المسلمين وغير المسلمين . فاما الأولون فكان عليهم أن يدفعوا ضريبة
مقدارها اثنان وعشرون أسبيرا (عملة قضية عثمانية) ، وغير المسلمين
يدفعون خمسة وعشرين أسبيرا . وكان حرما على الفجر المسلمين السكنى
مع غير المسلمين منهم (٣٢) . وقد وردت أول اشارة خاصة الى الفجر
في البوسنة في عام ١٥٧٤ . عندما أصدر سليم الثاني فرمانا يمنع
امتيازات ضريبة للفجر الذين يصلون بالمناجم : وقد نص فرمان على
ذكر الصال الذين يصلون في ساحم الحديد الخام قرب بانالوكا ، فضلا
عن الفجر الآخرين الذي يصلون في مناجم و خارج توفي يازار . - ولعله
كان يعنى مناجم كوسوفو الشمالية . وبالإضافة الى ذلك أيج لصالح المناجم
الفجر انتخاب قائد لكل مجموعة من خمسين رجلا (٣٣) . فهل كان هؤلاء

عجرا محليين جنحوا الى الاشتغال بالمناجم ام كانوا تازحين جاوا - شأن
عمال المناجم الساكسون - هابطين من الاراضي المجرية الرومانية ، ذلك
لما لا يمكن معالجته الا بالحس والتخمين - وما ان وافقت اواخر القرن
الرابع عشر حتى كان الفجر مستقرين تماما شمالي الدانوب ، وبينهم
القنات التقليدية لعجر ترانسلفانيا الرودارية (Budari) البايشنية
(Bajasi) من رجال المناجم ، والاورارية (Aurari) من عمالي
الذهب (٣٤) - ولعل بعض هؤلاء النشالين للذهب الذين لاحظ وجودهم
الراهب بنديكت كوربيشتش في نهر تريب من جابس في ١٥٣٠ ، كانوا
عجرا من هذا النوع (٣٥) -

كان الفجر اثناء معظم الفترة العثمانية ، يلقون معاملة حسنة من
الادارة التركية - ويشير فرمان صدر في ١٦٠٤ حول عجر جنوب البانيا
وشمال غربي اليونان الى الفجر المسيحيين والمسلمين ، ويمنى على :
« لايجوز ان يرمى اي انسان او يضطهد ذلك الجسد المذكور » (٣٦) -
وهو موقف يتسم بروح انسانية اكبر مما اظهرته اية حكومة في لوربا
المسيحية في ذلك الزمان ، مثال ذلك انه حدث قبل ذلك بشماية اعوام ان
منه ستة من العجر قد ادينوا في مدينة يورك وقطعت رؤوس تسعة منهم
بمقتضى قانون من البرلمان في العهد اليزابيثي يهدف الى « مواصلة انزال
المعربات بالشردين الذين كانوا يسمون أنفسهم بالمصريين
(Egyptians) » (٣٧) ، وبطبيعة الحال طلل معظم الفجر عند القاعدة
الدنيا للمسلم الاجماعي في الحياة العثمانية ، شأنه في كل مكان آخر -
وكانت ادواته المدن تفصل تركهم يعيشون خارج حدود المدن ، بدلا من
ان تخصص لهم محلة خاصة بهم ، الا اذا تمكنوا من اقتناعهم بالاستيطان
يوصفهم صناعا مهرة - ويوضح سجل من بلغاريا في ١٦١٠ ان الجزية
او ضريبة الراس حدثت بمئتين وخمسين اسبرا على كل عجرى غير مسلم ،
ومئة وثمانين لكل عجرى مسلم ، وبفض النظر عن هذا التخفيض ، فان
هذا يبدو كابسا هو ضرب من التمييز ، اذ لم يكن مطلوبوا من المسلمين ان
يؤدوا هذه الجزية اطلاقا (٣٨) - وعند نهاية القرن السابع عشر يبدو ان
الموقف والقلوب اشتدت وقست في الادارة العثمانية ، وكلمت ضمير حلة
اتهمت نساخهم يانين من البخايا ورجالهم بانهم قوادون ، ومن ثم زيرت
الرسوم على الفجر زيادة ثقيلة (٣٩) -

ومع هذا ، فان الحقوق القانونية الاساسية للعجر كانت هي نفس
القواعد المطبقة على اخوانهم من المسيحيين او اخوانهم من المسلمين - وكانت
القالية العظمى من العجر البوسنيين مسلمة ، ويبدو انهم غلبت عليهم
البدانة والتدخل حتى قرب نهاية المئولة العثمانية ، وانهم كانوا موقورى

المعد : إذ ذكر الأسقف مارافيتش في تقرير من البوسنة في ١٦٥٥ :
 « لقد وجدنا الفجر بكل مكان » (٤٠) - وعندما فتح النمساويون البوسنة
 في ١٧٨٨ انضم عدد كبير من الفجر إلى القوات البوسنية ليقاتلهم (٤١) .
 ولستنا نعرف عدد السكان الكلي في البوسنة في تلك الأيام ، ويقدرهم
 شوميت دي فوسيه بتلاتين ألفا في ١٨٠٨ ، ولكن بروتوزيه ، الذي كان
 هناك بعد ذلك بأربع سنوات ، يحدد عددهم بأنه ثمانية آلاف ليس
 غير (٤٢) . ولو حكمنا بواسطة الإحصائيات الأخرى التي قدمها لنا ،
 عرفنا أن برنوريه كان أجدر الاتيين بالنقطة ، وتقدر الإحصائيات التركية
 لعام ١٨٦٥ جلة تعداد الفجر بـ ٩٣٣٠ بالبوسنة والهرسك ، ثم جاء مصدر
 ألماني في أواخر ذلك العقد وقدر عددهم بـ ١١٥٠٠ ، أما إحصاء
 ١٨٧٠ فيحدد عددهم بـ ٥١٣٩ فقط ، ولكن الإحصاء اعتمد على مسح للمبوت
 ولعله أغفل كثيرا من الناس الذين كانوا لا يزالون يحيون حياة الترحال
 خارج المدن (٤٣) . وقد بذلت جهود كثيرة لانتفاع الفجر بالاستقرار ،
 وفي أثناء القرن التاسع عشر كانت هناك « محلات » كثيرة للفجر في
 سراييفو وترفنيك (حيث لاحظ شوميت دي فوسيه أن عددهم ثلاثمائة)
 وبايالوكا وقيسوكو (٤٤) .

وفي ذلك الوقت ، كانت هناك ثلاث فئات من الفجر تعيش في
 البوسنة : أقدمهم المروقون باسم « الفجر البيض » ، وكانوا أكثر
 استقرارا ، كما أن أعضاء تلك الفئة كانوا يهجرون اللغة الرومانية
 بالتدريج . ولكن لم يرح معظمهم حتى قدومها تماما عند حلول القرن
 العشرين . وهؤلاء الفجر كانوا مسلمين فاضل البوسنة ، ولكن « الفجر
 البيض » الذين كانوا يقيمون بصربيا ومقدونيا كانوا من الأرثوذكس .
 وكانت لهجتهم الرومانية تشير إلى إقامتهم الطويلة في الأراضي السلافية
 الجنوبية . ثم كان هناك من الناحية الأخرى « الفجر السود » الذين
 احتفظوا بحياة ترحل أكثر ، وعملوا بصفة خاصة في صناعة السكر ،
 وكانوا يعرفون باسم تشرجاشي (Čerčaji) المشتقة من الكلمة التركية
 تشرحي ومعناها « الخيبة » . وقد أسلموا ولكنهم في بعض الأحيان منعوا
 من المساجد بحجة أنهم نجسوا غير طاهرين وكانت الصورة التي كانوا
 يبتغون بها اللغة الفجرية ، تحتوي على عناصر رومانية أكثر ، وهو أمر
 يشير إلى أنهم قد هبطوا من ترانسلفانيا أو إقليم البانات أثناء العصر
 العثماني الأول . (ومن الممكن كما نشرنا أعلاه أن عمال المناجم الفجر أثناء
 القرن السادس عشر كانوا يشبون إلى تلك الأرومة نفسها) . وكانت تلك
 الطائفتان تشيران إلى انضمامهما بأنهم « ترك » ، يعنون بذلك « مسلمون » .

وكانت المجموعة الثالثة تسمى نفسها «رافلاقي» أى الأفلاق السود . وكانوا يرفضون أن يوصفوا بأنهم من الفجر ويدعون أنهم رومانسون . والحق أنهم كانوا يتحدثون بالرومانية . كما أن أحد الكتاب الرومانيين القوميين الوطنيين ، ديج أكثر من مئة صفحة في ١٩٠٦ حاول فيها أن يثبت أنهم ليسوا من الفجر على الإطلاق . ولكن كل من كانت له عينان كان يستطيع أن يرى بنفسه أنهم من الفجر الذين جاؤا في الأصل من رومانيا . ذلك أنهم بنى النظر عن الرومانية نفسها كانوا يتكلمون لهجة من اللسان الضجى مشبعة بمفردات رومانية . وكان السكان المحليون يسمونهم الفجر « الصربيين » . وهو اسم محير ربما كان أصله أنهم علموا فيما سلف من انزما شطرا من الوقت في صربيا ، أو لأنهم كانوا من أتباع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية (٤٥) .

ولم تكن لهم بطبيعة الحال أية علاقة بالمورلاش أى ، الأفلاق السود . الموارد اسمهم في التاريخ الأقدم . لقد كانوا يشكلون جزءا من أولئك السكان الفجر المتكلمين لهجة رومانية مما يدعونه بالأفلاقية (أى اللهجة المتأثرة باللغة الرومانية) . الذين انتشروا إلى أوروبا الغربية في موجة جديدة من الهجرة وكونت الأساس للسكان الفجر الأمريكيين . وكان ينصهم من مدرسي الدببة . ، وهى حرفة رومانية تجارية قديمة يصرف صنفوها باسم الأورسارى (ursari) . وكان بالإمكان العثور على مدرسي الدببة الوسنيين ، وهم يضربون في الأرض بفرنسا حوالى سبعينيات القرن الألف وثمانئة (٤٦) . ولاحظ صافر اسيليزى باليومسنة في تسعينيات الألف وثمانئة . أنهم كانوا يتجولون في كل أنحاء أوروبا مع دببة راقصة (٤٧) . كما أن الكابتن فون روث ، وهو ضابط نمساوى باليومسنة قال أنه رأى أحدهم بمدينة لندن . « ويواصل حديثه ليصفهم بقوله : « أنهم قوم عجيبون الشان ، يعيشون في حفر في الأرض » (٤٧) . وأول رد فعل للقارئ أزاء هذا القول هو أنه القائل أنا يكرر في الواقع الأراء المتحيزة التى كان يرددها عليه محدثوه من النمساويين أو البوسنيين . ولكن الواقع أن الفجر الرحل في الأراضي الرومانية ، كانوا لهود طويلة يتجولون وهم يحملون الخيام أثناء الصيف ، ويحرقون لأنفسهم في أرض الغابات ملاجي . أثناء الشتاء (٤٨) .

(*) ولد راجم للترجم سنجية رشيد في عام ١٩٦٦ . حيث مرت مجموعة من

الجلاب ومعه دة اعنى يلعبونه في الشوارع - (الترجمة)

وكان هناك دون أدنى ريب عدد من التحركات الأخرى الأصغر شأنًا للسكان الفجر إلى داخل البوسنة . وكانت أهم تلك الجماعات النازحة في أوائل القرن التاسع عشر جماعة نرجت من مستنقعية نوفي بازو ، (وكانت آنذاك جزءًا من الأيالة البوسنية) ، وسكنت قرية بوجلي جالا قرب روجانيكا إلى الشرق من سراييفو . وأقام رادى أوليك ، وهو خبير في شئون الفجر البوسنيين بوجلي جالا قبل الحرب العالمية الثانية ووصفها آنذاك بأنها : « دون أدنى ريب أشد مستوطنات الفجر حيوية واتانة للاهتمام بالبوسنة » .

إن الناس شديدو الجدة في العمل والكفاية وحسن التدبير ، وهم مسكينة آمناء يظهرون كفاية في التنظيم . ليسوا بالبؤ الرحل ، وهم يسكنون في بيوت تبعدو عليها ستة الفتر . وهم يجوبون البوسنة أثناء فصل الصيف فيما بين الربيع والخريف ويضون في اتجاهات مختلفة متنوعة ، بقطارات السكك الحديدية ، ملتصقين العمل في كل عام . . . ومظلمهم يستطيعون الكتابة ، وهم يحتفظون بلسانهم الفجري . ينتهي الحرم (٤٩) -

وعندما عاد رادى أوليك إلى بوجلي جالا بعد الحرب العالمية الثانية ، وجد القرية خالية قد هجرها سكانها : « اليوم هي يباب نساما ، والبقية الباقية من الفجر الأحياء فروا إلى الجزء الشمالى الغربى من البوسنة » . وقد أبعد ثمانية وعشرون ألف فجري أداة تامة داخل دولة الأوستاشا ، ولكن الفجر المسلمين كانوا أحسن حالا من الأرثوذكس الفراق - وقد سب رادى أوليك يقول : « وبفضل تدخل الأئمة الكبار من المسلمين منعت مذبحة أكبر كانت تدبر للفجر البوسنيين » (٥٠) . فأما السبب الذى دعا الفجر المسلمين إلى بوجلي جالا إلى الفرار من جنوب شرقى البوسنة ، فكان فتك الصرب بهم . وكان من القتل للأحياء الإسلامية الفجرية في مدن كثيرة ، في جنوب شرق وشمال شرق البوسنة ، أن تشهد أحداثًا مماثلة من القتل والتدمير في ١٩٩٢ - ١٩٩٣ .

المقاومة والاصلاح

١٨٦٥ - ١٨٧٨

عندما اختربت الفترة النابوليوية من نهايتها . كان واضحا للسلطات في اسطنبول انه كانت هناك نقاط ضعف في بنية الامبراطورية العثمانية لابد من معالجتها بشدة وقوة ان لم يتسأ لها أن تنزق اربا . وكان توالى نجاح الثورات الصربية ضربة أصابت الكبرياء العسكرية التركية ، كما أن الحروب النابوليوية في حد ذاتها ، قد أبرزت مستوى جديده من الكفاية العسكرية في أوروبا الغربية . جعل الجيش العثماني يبدو متهالكا وقديم الطراد - وهو ذلك كان قد انحط اليه بالفعل - وكان وضع صربيا شبه المستقل الجديد سابقة يمكن أن تحتذيها بقية أجزاء الامبراطورية ، وبدأت بوادر التمرد في بلاد اليونان ، كما أن اتجاه الدول الأوروبية من ناحية أخرى ، وبخاصة روسيا والسبا إلى جعل نفسها نصراء وحماة لجميع أنواع السكان المسيحيين بلاد البلقان ، أنزل بالسلطان ضحا مضاعفا لاصلاح الوضغ القانوني للرعية (أي غير المسلمين) ، كما أن الحاجة دعت إلى ادخال اصلاحات قانونية وادارية أخرى لمجرد طبع النظام كله بالطابع المصري وتحديثه وتحسينه - بيد أن اعظم مشكلة سياسية في المدى القريب ، كانت نمو السلطة والاستقلال الذاتي ليس في أيدي الرعايا المسيحيين وحدهم . بل في أيدي الحكام المحليين المسلمين شبه المستقلين . وكان أوفرهم طموحا هما علي باشا حاكم ألبانيا في شمال غربي اليونان ، الذي حاصرت هناك القوات التركية في ١٨٤٠ . وما لبث في النهاية أن قتل في ١٨٤٢ ، ومحمد علي باشا في مصر . وهو شخصية جبارة أقوى شكسية بكثير ، شاد قوته بنقله الطرائق العسكرية والادارية عن غروب أوروبا : وقد قامت محاولة لضمه بالقوة في أوائل ١٨٤٠ بفشل ذريع - وكان حكام آخرون أقل منه قدرا وقدره ، يصلون هم أيضا على توطيد مكانتهم ، ولكن قل بينهم من فهم أن الحاجة ماسة إلى الاصلاح على الطريقة

التي اتبعها محمد علي . ولم يكن هناك شخص يهتم بالإصلاح المستقبلي
بالتأكيد بين الثائرين س يكونات وقايطانات وأغاوات اليوسنة .

وجاءت أولى المتاعب نتيجة لتصادم بين شخصية حاكم لليوسنة
شديد الاعتماد بنفسه وكبرياء أهل مدينة سراييمو ولعنتيازتهم للتوارثة ،
وكان هذا الحاكم وهو علي باشا السلطان . قد تولى منصبه في ١٨١٢ .
وكان رجلا عسكريا قوى الشخصية حاد الطبع متهورا عازما على كبح استقلال
اليوسنة . فأعلن عند وصوله الى سراييفو أنه لا ينتوى أن يخفى بها الأيام
الثلاثة فقط التي يسمح بها العرف المتبع . بل يدلا من ذلك فانه سيبادل
بين سراييمو وتوافيك على فترات كل منها ستة أشهر . ورفض هذا
الاقتراح ، وعندئذ اضطر الى ارسال قواته (ومعظمهم من الترك والألبان)
لإخضاع المدينة (١) . كما أن موستار . كما سبق أن راينا ، هوجست هي
ايضا في ١٨١٤ بجيش عظيم . وانخفضت إجراءات مماثلة في ١٨٢٠ عندما
رغب السلطان في أن يخضع الا تقوم اليوسنة بإحداث أية متاعب له حين
يكون الجيش العثماني مشغولا بالقضية على علي باشا في شمال غربي
اليونان : حيث أرسلت قوة تاديبية بقيادة جلال الدين باشا هاجمت
موستار وسريبريتكا . وقتلت القاييطانات الثائرين في باياالوكا
وديرلينقا (٢) .

ولم تكن هذه الصدامات الا من قبيل مقابلة المقاومة بالقوة . بيد
أن هجوما نظاميا أكثر على القوة المحلية ، كان مبيتا في أثناء عشرينيات
الالف وثمانئة ، وكان يتضمن اصلاح النظام العسكري والسياسي الذي
كان هؤلاء السادة المحليون يستمدون منه السند . وكانت نقطة البداية ،
شأن جميع محاولات الإصلاح العثمانية السابقة ، هي الجيش . وهناك
حقيقة واقعة وهي أن السلطان اضطر تماما الى أن يعتمد على جيش محمد علي
الذي دربه الفرنسيون في مصر ، لسحق الثورة القائمة ببلاد اليونان ،
وهي تدل على أن اصلاحا عسكريا جنويا كان شيئا لا بد منه . وعندما أصدر
السلطان محمود الثاني أمره بإنشاء قوة حربية جديدة ، احتشد
الانكشارية في ميدان تدرييم ، للزحف على القصر الإمبراطوري وتنفيذ
الانقلاب الانكشاري المهود . ولكن السلطان محمود كان أعد عدته ،
وركز قوات موالة له مجهزة بالمذفع حول الميدان ، وبعد نصف ساعة من
القصف المدفعي القوي تم القضاء على القوات الانكشارية في اسطنبول
وأبليت إبادة تامة . وهذا الحادث (الذي يشار إليه في التاريخ العثماني
باسم الواقعة ، الميونة) ، مكن السلطان محمود من القضاء نظام

والانكشارية ، منشأ بذلك جيشاً نظامياً جديداً مفرق الاساسى لمطابق لروحانات جديدة في الولايات يجند لها الجنود مدة خدمة تقوم اثنتى عشر عاماً (٣) . وكان رد فعل ذلك في اليوسنة ، حيث كان الانكشارية يتكونون مؤسسة اجسامية لها اميازاتها وينتمى اليها بعض سكان المدن هناك ، هو الغضب الشديد . فأرسل عليهم السلطان وزيراً جديداً هو حاجى مصطفى باشا يصحبه ستة قومبارية لفرص الإصلاح على ذلك البند . ولكن اليوسنيين ردوه على أعقابهم . وعندئذ أرسل السلطان قوة بقيادة عبد الرحمن باشا في ١٨٢٧ ، فدخل سراييفو وقضى على الانكشارية هناك وتبعه حكم الاعدام في نتيجة من مصانهم . ولكن المقاومة ما لبثت أن شتمت مرة ثانية في ١٨٢٨ . ومعه ثلاثة أيام من القتال في سراييفو ، اضطر عبد الرحمن باشا الى ترك المدينة والموتة الى العادة القديمة وهو الإقامة في ترافنيك (٤) .

واحد التغييرات الاساسية في الجيش ، وهي تضمن استجلاء طرد مدعوب تقوم على النظام الادنى الغربى الحديث واليدل العسكرية الادوية ، الى استمرار المقاومة في اليوسنة ، وانتهاز السادة المظبور الفرصة فسفروا هنا للاستيلاء التام بين المسلمين لتوجيهه نحو صلاحتهم السياسية الخاصة . وفي ١٨٢٦ تقدم فاييطلان شاب ذو مواهب قيادية من جراداتشك بمسألة اليوسنة . يدعى صبيح حتى وصل الى ترافنيك بقوة صغيرة ولحقه المدينة . وفيه امر الوريث كنوع من التحفيز له بخلق زية العسكرية الحديثة . ثم نمره . بعد الموضوع ، بالموتة الى لوتنايا ملايكه التقليدية القديمة . وازداد أن يحتفظ بالودى لسيما . بيد أن اسيره غافله وفر الى النمسا (٥) . واقام ذلك الحادث سابقة للتعاون في المستقبل بين السلاطون النمساوية والمثابية ، على عهد الحدود : حيث كان النمساويون ملوا من مواصلة الانتظار على اليوسنة يتصرف من القاييطلان المحليين للتصدي (٥) . وفي الآونة نفسها تعبر جيشان آخر هما في ولكنه أشد خطورة في شمال البانيا . وكان الجيشان تأتي يتحرك ترفاً ليصتري في القتال مع القوات النمساوية بقيادة الصغر الأعظم . وانتهم القاييطلان جيشين ملوا الفرصة ، فقاد جيشاً عتقاً خبيثاً وعشرون ألف يوسنى حتى بلغ كوسوفو ، وهو يظهر أنه يريد أن يساعد القوات النمساوية . فلما وصلوا لعمروا فاجلجلباتهم : الاستقلال الفنى الادارى ، واتجه الإسلامطين بأرض اليوسنة ، ووعدا بأن يكون وزير اليوسنة منذ ذلك الحين على الدول بربكا يوسنيا في القاييطلان يوسنيا : هتويي القاييطلان حسيه في تلك الطريقة لوتنايا .

ورافق الصدر الأعظم على تلك الطلبات . ولكن لم تكن لديه أية نية في اضلعا . وسرعان ما أخذ يعمل تائسلا على إثارة المشاحنات بين هؤلاء البكوات البوسنيين المختلفين . وفي ١٨٢٢ تمكن من ابعاد قابيطنات الهرسك الذين كان يقومون على أغا ريزدان ييجوفيتش (Ali-aga Rivan bogovich) من الانضمام لتمرّد حسين قابيطان . ثم عاد في ١٨٢٢ فارسل جيشا على البوسنة عدته ثلاثون ألف رجل . وحاول حسين قابيطان الصمود في سراييفو ولكن مساعديه تفرقوا عنه . ثم اضطر هو أيضا الى أن يلتصق للجبا بالنمسا . ولكنه ما لبث فيما بعد أن منح عفوا مشروطا من السلطان . ثم أرسل الى منفي في داخل البلاد بمدينة طرايزوبد . وكانت مكافأة على أغا ريزدان ييجوفيتش أن فصلت له الهرسك عن ايلة البوسنة . ومنحت له كولاية منفصلة تحت حكمه (٦) . ثم وقعت بعد ذلك بعض عمليات القارعة الجديدة في البوسنة . ولكن الوالي الجديد وهو محمد صالح باشا فيججيا (Mehmed Salih-pasha Vojvodina) قمها بقوة ثم احتدع أجلا من بايالوكا دائم التمشق حتى حضر الى سراييفو ثم حُيِّلَ (٧) .

وبينا حين القابيطان يحلم بقيام بوسنة ذات استقلال ذاتي داخل الامبراطورية النمساوية . استمر التحول التدريجي لتلك الامبراطورية . فالتى نظام المقاطعات التيمار في ١٨٢٦ . ولكن ذلك لم يلقه الاوضاع في البوسنة : إذ أن كثيرا من القرى (المسماة) تجاملوه . وتشجعت جموعة أخرى من ملاك الاراضي على الامراع بتحويل التيمارات الى « اغالوكات » و « بيجالوكات » (٨) . ولا شك في أن احداث ثورة الفلاحين على ملاك الاراضي كان لها وقع . تحقق في ١٨٢٤ و ١٨٢٥ . والأمر المثلث في ثانية حافتي التوديق هو التملق الذي حدث بين حوالى الارض الكاثوليكية والارثوذكس (٩) . ومن ثم فقد تفرّد اصلاح شمس بالبوسنة والهرسك وحدهما . وبه تم إلغاء نظام القابيطانات في ١٨٢٥ . ولا تدرى كيف استقبل هؤلاء القابيطانات انضمام ذلك الاصلاح . ولكن لا ريب في أن غضبتهم كانت اقل كثيرا مما كان متوقعا . وبدا من القابيطانات أصبح حكم البلاد يتوطأ بوسلج (وهم موثوقون بملوك الوالي ويصنون من قبله) . وعين في وظيفة المسلمين هذه كثير من القابيطانية والاجانات والمسلمين السابطين . وهو أمر لم يلهو به اليهم كبريائهم وان خرجوا من بعد ذلك من قيادة قواتهم الخاصة المحلية . وتوزعت المنصب . ورغم أن بعضهم قد تار في البوسنة الغربية في ١٨٢٦ لكن تودتهم انضمت على يد جنود من الاناطول . وما لبث بعض الاغالوات أن غاروا مرة ثانية في السنة التالية . وسعت تمرّد آخر في ١٨٤٠ . حتى آل طرد الوالي مؤلفا من تروفيك . ولكن انشدته بعد ذلك البجته النظامية . وعمرى فوما به كيف أن القابيطانات الاخرين البقيدين

عن هذه الأحداث والذين لم يمينوا موسيليين ثاروا في آخر الأمر في
١٨٤٩ و ١٨٥٠ فلقبهم نفس المصير (١٠) .

لم تنس معظم الإصلاحات الأخرى التي أدخلتها الدولة العثمانية
في ثمانينات القرن التاسع عشر وضع البوصنة الا يدوية الخ . ومنها
إدخال نظام الخدمة البريدية وإنشاء جريدة رسمية وإنشاء مدارس جديدة ،
وإصلاح الوزارات . ولكن في ١٨٣٩ ، تولى العرش بعد السلطان محمود
ابنه عبد المجيد الأول الذي أصدر في نوفمبر من تلك السنة فرمانا مكونا
من خمسة أكر كثيرا من الإصلاحات في وثيقة تسمى الخط الشريف
جولانه Hatt-ı Sherif (وهو اسم معناه الحرفي فرمان النبيل الموقر
من قنا حديقه الورد . وقد أسمى بذلك الاسم تيمنا بفته مراد التوكتابي
الذي صدر عنه ذلك فرمان) . وأعلن هذا فرمان أن جميع الرعايا ،
بغض النظر عن دينهم ، معروفون أماما متساويا على الحياة والشرف
والممتلكات . وبذلك ألغى في الواقع قانون الرعية . وقد أقام أساسا جديدا
للتجنيد في الجيش ، وكان يحتوي على طرائق جديدة لتقييم الضرائب
وجميعها ، ملغيا بذلك طريقة الالتزام والقيمة السيرة . كما تم إحكام
علم المبادئ بسلسلة متلاحقة من الإجراءات التالية ، تكررت في فرمان
مسائل صادر في ١٨٥٦ هو حط صايون (Hatt-ı Humayun) . والمجموع
الذي لإجراءات الإصلاح أثناء تلك الفترة يعرف باسم جامع هو التنظيمات .
ويعني ذلك إعادة تنظيم الامبراطورية ، أو لو شئنا أن نستخدم له مصطلحا
صدر في آخريات القرن العشرين ، مع كل ما صاحبه من أسدله سوء الحظ
والخسر والنجاح . وهو مصطلح البروسنويكا (١١) . والمبادئ المقبلة
في الخط الشريف مبادئ نبيلة أجيده تجميعها والتفكير فيها . ولكن لم يكن
لها لسوء الحظ إلا أثر طفيف (أو حتى لا أثر إطلاقا) ، في المناطق
الخارجية البعيدة من الامبراطورية كالروسنة مثلا ، حيث قوبلت
بتجاهل تام .

وكانت البوصنة عند ذلك الوقت تروخ تحت حال شديد من السوء .
وربما لم يقاس أي جزء من البلاد بدرجة بالغة السوء من كثرة القتال
والاضطرابات . وربما لنا أن نتردد قل أن نعرض أن كل سكان البوصنة
جميعا هم قرا في وجة البؤس والشقاء ، فإن امرأة ارتودكسية أبطلت ذاك
انجليزيا في منتصف سبعينات الألف وثمانية أنه « قبل ثلاثين سنة كان
علمة الناس ليس حلا بكثير منهم الآن . إذ لم يكن عليهم أنفاق من غيرات
إلا الخراج » كانوا أغنياء ويلكون الخيل والبراري والخنازير والقطاني
والغواصين . ومع أنهم لم يكونوا ينصون بأية حرية ، فمع ذلك كانوا

اليكوات وغيرهم من مربية الأرض يحضون ويدافعون عن موالى الأرض التابعين لهم « (١٢) » ولكن لا يجب أن ينسى أنه على العوام يبدو للناس أن الأمور كانت أحسن حالا منه ثلاثين عاما . وفي الواقع كانت الأحوال شديدة السوء في منتصف سبعينيات الألف وثمانية . ومن المؤكد أن الحال العامة في البوسنة لم تكن حسنة في أربعينيات الألف وثمانية ، فإن جنتها الأساسية والاقتصادية دخلها الضعف بسبب ما مر عليها من القتال . وقد أصدر الجغرافى والمؤرخ الفرنسى العظيم لى بوردو (Ami Boudou) تصنيفا للطرق البلقانية في ١٨٤٠ . وفيه وصف أدنى فئة بأنها « في حالة يرثى لها » ، وخص بها البوسنة وألبانيا ، وهو يصف هذه الطرق بأنها : « سلال من أجبار » (١٣) . وما هو القنصل الرسمى النمساوى . وهو ديميتري دماناسكوفيتش (Dimitri Dmanashewitch) يبلغ هيتريخ بعد زيارة للبوسنة في ١٨٤٤ : « أن الاضطرابات التي خرجت بها عند رحيل من البوسنة تكاد تكون لسوا من التي كونها عند وصوله » (١٤) . فقد كانت طبقة ملاك الأرض . وقد أصبحت المرأة وسقطت كمالها السياسية القومية مرارا أخذت تتركس كل طاعتها في محاولة التصطب القصى ما يمكن من الأحوال من أى الفلاحين بدلا من للمسى لتحسين الأوضاع . وكانت نخوس اليكوات مسئلة بالتشكوك المتزايدة . كما لاحظ بوردو . خضية أن يلبا المسيحيون إلى استعداد إجهاد طغتهم من الأجانب كل فرد البلاد . وكانت المسألة كل البوصيرة الاقتصادية وسياسية وليست دينية (١٥) . وكان الملاحون المسلمون يعانون من « نفس » الاقتصاد ، يبلغ النقص بشرقى في أحوالهم المسيحيون وكهنة القماش يمزق نياط القلب خوفا من آل وال البوسنة في ١٨٤٢ يتكلم فيه كتابه من ارتخاع الرسوم والضرائب فوق طبقة الناس . وقد بدأ يقول : « نحن ثوارطين المسلمين والمسيحيين المتصبة في كل أرجاء منطقة تيساى (Tessaly) » (١٦) .

وحاول الرالى الجديد الذى وصل في ١٨٤٧ . واسمه طاهر باشا ، أن يخلق النظام المتباد من الرسوم والضرائب المفروضة على الفلاحين . بالنسبة للمزارع الاعاقية : فالتى السخرة . (وهو القنصل الاجبارى في أتركن لصاحب الملك . كما أنه في مقابل ذلك رفع نسبة القمح التي كان يلبى تقديمها إلى حاكم الأيهر من الربع إلى الثلث . والسوء لاحظ أن معظم الملاك كملها البند الثاني من هذه التغييرات دون الأول وهو السخرة (١٧) . إذ عليها حاول طاهر باشا كذاك تنفيذ إصلاحات الجيش ، التي لم تكن تطبق حتى ذلك بطريقه على . في البوسنة ، انضمرت ثورة اليكوات والاعاقون للمرة الثانية . وانقضت البلاد في خوة قتال في ١٨٤٩ .

كما ن التحدو كان لا يزال في القوة عندما توفي ظاهر باشا في
١٨٥٠ (١٨) -

وعندئذ ارسل السلطان الى اليوسفة واحدا من اشد الولاة قابلية
ودكاء . في هذا القرن الآخر من الحكم العثماني ، وهو عمر باشا لاتاس .
كان اسمه في الأصل وله عيشيل لاتاس ، اذ كان سلافيا من منطقة ليكا
وشغل رتبة جاويزي في الجيش النمساوي على التحويم العسكرية ، وكان
يجيد الحديث بالالمانية ، وبهم كيف تسير الأمور في جيش أوروي غربي .
وبملك مهارات سياسية وعسكرية حقة . وبعد أن قص على التحدو قضا
مبرما في ١٨٥٠ - ١٨٥١ ، ارسل كثيرا من البكوات وغيرهم الى المنفى ببلاد
الاناضول ، والتي أيضا البشالوكية (Pashalik) المنفصلة لبلاد الهرسك ،
ووصح نفسيهما اداريا جديدا لليوسفة والهرسك ، حولهما الى تسع مناطق .
وضع كل منها تحت امره قائمقام Kaza (وهو مثل الوالي يكاد
يكون صورة عسكرية أكثر للموسلين) (١٩) . وقد التقى به ديمتر
اتاناسكوفيتش ، الذي عاد الى اليوسفة كقنصل عام للنمسا في ١٨٥٠ ونقل
عنه هذا التعليق ، قال : « هناك اسباب سياسية لا تستطيع الحكومة
العثمانية من أجلها الا أن تسير بشمل شديد وحلو في مسألة اصلاح
احوال المسيحيين ، حتى لا تنضب المسلمين الذين تعتمد عليهم الدولة من
حيث السند والقوة تماما » (٢٠) . ولم تكن بعض اجراءاته الاصلاحية
مقبولة تماما لدى الفلاحين المسيحيين : فان سياسته في نزع السلاح من
ايدي السكان جيسا جعلتهم يشعرون بانهم مستضعفون . كما أن بعض من
عينهم من القائقامات من ليسوا من اصل يوسني ، قد ارتكبوا بعض
الاحطاء . كتب اتاناسكوفيتش في ١٨٥١ يقول : « قد عم الناس التحدو
والسخط » (٢١) . ولكن القوة السياسية للطبقة القديية من ملاك الأرض
قد قسمت قصما لا رجعة فيه . وعند تلك اللحظة أصبح في الامكان بذل
المحاولات لادخال الاصلاحات الواردة في التطلعات العثمانية .

ولا اهل على المعالجة المكثفة الى هذه الاصططحات من التماس لوصلة
مسيحيو اليوسفة الى السلطان في ١٨٥١ . وقد جاء من بين ما طلبوه من
طالب اهم يرجون أن يعاملوا بوصفهم أتراكا لا بوصفهم « رعية » .
وطالبوا بالمساواة أمام القانون ، ورغبوا في وجود عدد متساو من القضاة
المسلمين والمسيحيين ، والنمساوا ازالة ضريبة الرأس أو الخراج (٢٢) .
فاما الطالبان الأولان فكانا من قديم منذ مسعود فرحان حديقة الورد في
١٨٢٩ ، كما أن الثالث كان اعتدادا وتوسعة لنفسه للبدأ . (والواقع أنه
كان هناك فعلا ثلاثة قصاة مسيحيين بحكمة المدينة في ترافنيك ، بيد أن

هذا كان ترتيبا استثنائيا (٢٣) - وقد لاقىه الخراج أن يتم في ١٨٥٢ عندما رفع الخطر التاريخي القديم الذي كان يمنع المسيحيين من الانضمام في الخدمة العسكرية النظامية - ولكن نظرا لأن الخراج قد بدل به رسم بدلية عن الخدمة العسكرية ، وهو رسم كان يجعل بنفس الطريقة ، ونظرا لأن معظم الرعايا المسيحيين استمروا في امتناعهم القديم عن الانخراط في الخدمة ، فالواقع أن هذا التغيير لم يحدث أي فارق عند المسيحيين في الممارسة العملية للأمر - والفرق الحقيقي الوحيد أنه وجب على غير العاملين في الجيش من المسلمين دفع ضريبة اضافية لا بد من دفعها (٢٤) .

وكما أشرنا آنفا ، كان موقف المسلمين من البوسنيين ازاء المسيحية قد اتخذ مئة سنة من الصرامة قرب النصف الأول من القرن التاسع عشر . يتقدم التقارير التفصيلية أثناء تلك المدة أمثلة كثيرة في هذا الشأن - وعندما حصلت الجالية الأرثوذكسية على اذنة بمدينة ترافنيك لبناء كنيسة في ١٨٥٢ - أصروا المواطنون المسلمون على أنها لابد أن تبني خارج المدينة - وفي نفس العام رفض طالب الكاثوليك أن يبتدوا لأعضائهم كنيسة في سراييفو (وإن منح ذلك التصريح بعد ذلك سريعا - ولكن ذلك من ناحية جزئية نتيجة للضغط من جانب الهيئات التفصيلية الأجنبية) - وشكا القسيس الكاثوليك في ليفنو من أن المسيحي من هؤلاء لم يكن يستطيع أن يحصل على حكم لصالحه من إحدى المحاكم في حالة واحدة من مئة (٢٥) . على أننا نحس نفرا هذه الشكاوى ، ينبغي لنا أن نتذكر أن عددا لا بأس به من الكنائس الجديدة وعشيقات الكنائس والمدارس كان يجري بناؤها في أجزاء مختلفة بين ١٨٢٠ و ١٨٥٠ وما بعدها - وبالإضافة الى المؤسسة الأولية برافيو ، التي كانت لديهم صد يواكير القرن الثامن عشر ، كانت للطائفة الأرثوذكسية مدرسة ثانوية هناك في ١٨٥١ ، وكانت لهم من قبل بالفعل مدارس أولية في عشر مدن بوسنية أخرى ، ولابد أنه في ١٨٧٠ قد كانت لهم بالفعل ثمان وعشرون مدرسة أولية ، وربما بلغ مجموع ما لديهم من مدارس سبعا وخمسين - وفي خمسينيات الألف وثمانئة كانت الكاثوليك مدرسين ثانوية ببعض المدن الكبرى - و ٢٧ مدرسة أولية ، وبنيت عدة كنائس كاثوليكية في خمسينيات الألف وثمانئة (٢٦) .

اما من حيث الكم والعدد ، فقد انخفضت أحوال كنائس الكنيستين بالبوسنة في أواخر العهد العثماني : ففي خمسينيات الألف وثمانئة ، كان هناك بالتقريب ٣٨٠ قسيسا كاثوليكيا وأكثر من ٤٠٠ قسيس أرثوذكسي (٢٧) - ولو نظرنا الى ذلك السجل من حيث الكيف فإن السجل يكون أقل تأثيرا - وقد عقب معظم الملاحظين الأجانب على ضعف مستوى

الفرنسيسكانين، بوجهه علم . كما أن جميع المراقبين أصبحوا يصدمة لما راوه من شبح رجال الدين الأرثوذكسي : وقد لاحظ زائر الماس أنهم كانوا يشتركون أبروغياتهم مقابل مبلغ يتراوح بين عشرين وثنى دوقية ، ووصفهم بأنهم « حالة البشرية » (٢٨) . ولاحظ آخر أن الاساقفة الأرثوذكسي كانوا يشتركون كراسي وطاقمهم بمبالغ طائلة من المال ، ثم يحاولون بعد ذلك استرداد هذه الأموال عن طريق استغلال رعيتهن . وأضربهم ذلك إلى « صفاة حميدة بصورة مرطبة مع السلطات المحلية المسماة » (٢٨) . ولكن لا شك في أنه كان يوجد بين كهراي رجال الدين المسيحيين والفرنسيين من كل من الكنيستين ، قلة من الأفراد الناشطين النابيين . فبعضهم كانوا مندنيين أصلاء مثل جرجو مارتيني (Grgo Martić) رعيم الفرنسيسكان في سراييفو من خمسينيات حتى سبعينيات الألف وثمانية . ولكن البعض الآخر منهم لم يكتفوا بالأنشطة الدينية ، بل جمعوا السياسة إلى الدين . وهؤلاء كانوا رجالا من أنصار الفرنسيسكاني إيفان فرانيو يوكيتش الذي التقينا من قبل بملحقته التاريخية حول تحول البلاد إلى الإسلام في أثناء العصور الوسطى . وهناك أيضا تيوفيل بترانوفيتش (Teofil Petranović) وهو مدني بالخدمة الأرثوذكسية بسراييفو في ستينيات الألف وثمانية . وقد شكل جماعة من الناس كانوا يطلعون إلى القسرى ليبلغوا الفلاحين الأرثوذكسي بأنه

« ينبغي لهم الخب عن تسمية اسمهم باسم هرشاني Hircani » (وهو المصطلح المحل الذي يطلق على الأرثوذكس) . وأن يشرعوا في تسمية أنفسهم باسم الصرب . وفاسو بيلاجيتش ، باطر المندسة الأرثوذكسية في بانيا لوكا الذي كان يدعو الناس لنصرة قضية « القومية الصربية » (٣٠) . وأخيرا اعتقل بيلاجيتش وحكم عليه بالسجن . وإن أذن له بالبقاء في مقر المطرانية الأرثوذكسية بسراييفو بدلا من الذهاب إلى السجن .

ولكن على وجه العموم ، فإن الأمر المستلزم للنظر هو تسامح السلطات البوسنية أراء مثل هذه النشاطات . وقد كانوا بطبيعة الحال على وني بأن القوميين على كل من جانبي الأراضي البوسنية في كرواتيا وصربيا . كانوا يهدمون إلى صمم البوسنة إلى قراضيمهم . فإن ضابطا من الجريستر (قوات الحدود المساوية المنجزة) بـكرواتيا هو الميجور

أنطوني أوريشكوفيتش (Antunje Orsković) بلغ به الأمر أنه حاول أن ينظم شبكة تورية في البوسنة في أوائل ستينيات الألف وثمانية يقصد تفجير ثورة عامة وإنشاء ولاية سلافية جنوبية جديدة . ولكنه كان يحترق كذلك تخليص الشعب من حكم النصارى . لذا كانت السلطات المساوية من التي انقضت عليه في النهاية هو وأصدقائه (٣١) . أما فيما

يتعلق بالدولة الصربية المستقلة استغلا شبه ذاتي ، فان اطاعها نرى اليومنة كانت واضحة تطلعا - فان للفكر الصربي الاكبر لوك كاراجيتش شر هتلا في ١٨٤٩ بعنوان « صربيون جميعا وفي أي مكان » ، ادعى فيه ان تنصب اليومنة ودالماتيا أيضا ينتميان عرقيا الى الشعب الصربي (٢٢) . وفي ١٨٤٤ وجدنا وزير الداخلية الصربي ايليا جالاشايتش

(Ilija Garašanin) قد كتب مذكرة سرية وصحح فيها بالتفصيل الخطط والوسائل التي تؤدي الى اثارة عاطفة موالية للصرب بين أبناء اليومنة ، وذلك بقصد استلحاقها في نهاية الامر وضعا الى صربيا - ومن بين تلك الخطط تهريب اليومنيين الشبان داخل الادارة الصربية واستئثار جهود كبار الرهبان القرنسيين (٢٣) . ونعطي - اذا طرنا الى هذه المحاولات في ضوء الاطباع التوسعية التي ترمي الآن الى تأسيس « صربيا الكبرى » ، فهو امر يعطى على مقارعة تاريخية . ففي ذلك الاوان كانت صربيا جزء الدولة الوحيدة التي كان في استطاعتها لمب الدور الذي لعبته « ييدوسوت » في توحيد ايطاليا ، بكل صربي شاء ان يرى دولة صلاوية جنوبية تولد وتنمو ، كان من الطبيعي ان يرى ذلك لا يتم الا على اساس توسعة صربيا نفسها . على انه من الناحية الاخرى كان هناك كثير من قادة الفكر الكرواتيين ، مثل اتي ستارتسيفيتش (Ante Starčević) و يوجي كفاتريك (Eugen Kvaternik) وهم قوم كانت لهم ايدولوجية سائلة ولكنها معاكسة ومناقضة . يظنون فيها ان اليومنيين من الكروات (٢٤) . هل ان السلطات المسلة في اليومنة لم تكن بطبيعة الحال تتابع هذه المبادلات الفكرية متعابة تمهيلية ، بيد أنهم كانوا على وعي كامل واضح بان اليومنة كانت حلما يتناقض عليه كلا البطارين الأرثوذكس والكاثوليكين تنافسا واضحا للبيان .

وبينا كل هذه الاضطرابات تضي في سجيلها ابرار متبنيات الالف وثمانية ، كانت اليومنة تنم ببطء من الزمان ذهبي الى حد ما ، تحت رحل من اعظم حكامها ادمعية . هو توبال عثمان باشا (Topal Osman-Pasha) . ويكاد يكون من المستحيل عليك الا تبلى اعصابك بهذا الرجل ، وذلك من ناحية جزئية لان كثيرا مما نعرفه عنه قد جاءنا من مذكرات طبيب سويسري محب للاتراك هو يورف كوتشيت (Josef Kutschet) ، الذي كان يقيم بسراييفو في ١٨٦١ حيث فتح بها صيدلية ، واصبح محل ثقة ومستشارا لمجموعة متعاقبة من حكام اليومنة . وكان واضحا ان توبال عثمان باشا كان احبهم الى قلبه - (ويهدي ان الاحوال لم تكن رغوة آنذاك وكان سبب مجيء كوتشيت الى اليومنة هو في المقام الاول انه كان الطبيب الشخصي لأمير باتشا لاس الذي أعيد

ارساله للمرة الثانية الى هناك قائدا عسكريا للقضاء على ثورة اخرى اشعلتها في الهرسك . جازها الجبل الأسود (١٢٥) - غير ان توبال عثمان باشا (وقد لزمته كنية توبال اي الأعرج ، إشارة الى أصابته بالعرج من جراء جرح أصابه في إحدى المعارك) ، كان كما هو واضح حينئذ مثالا لرجل الادارة التركي المتحضر ، وكان فيما سبق اميرالا وحاكما مدينا لسجراد . وكان يجيد التركية والعربية والفارسية وآدابها جميعا ، كما كان يجيد كتابة الشعر التركي ، ويتحدث الفرنسية واليونانية . وشيد في سراييفو مدارس اسلامية حديثة ، واخذ للمجتمعات المسيحية بيانا مدارس اكثر لاولادها . وبنا مكتبة عامة تجمع الأعمال والكتب العربية والفارسية والتركية في مسجد بجوفيا . وأنشأ مطبعة كانت تنتج الكتب الخيرية ، كما انشأ صحيفة اسبوعية هي « يوسنيا » ، كانت تصدر بالعروكيةرواتية والتركية . ثم طفق يصل في مشروع انشاء طرق باشط طموح ، حتى اتم طريقا رئيسيا يفضي من سراييفو الى الشمال حتى يصل الى بوساسكي برود (Bosanski Brod) في مدى مسنة واحدة . بل انه ارغب في رفع السكك الحديدية من بايالووكا الى الحدود الكرواتية . وكذلك ايضا انشاء مستشفى بسرائيفو . وهو اول مستشفى عام باليوستة كلها ، يحتوي على اربعين سريرا للمرضى من جميع الديانات (١٢٦) .

وتست على يديه ايضا بعض الإصلاحات السياسية - فان النظام الجديد لتجهيد العسكري للمسلمين ادخل اخيرا الى اليوستة في ١٨٦٥ . وكان توبال عثمان باشا حلوا مهم . فوعد بانهم لن يستغلوا مآرج اليوستة ، ويرسم تحيطا للإصلاح وبدأ في تنفيذ ، بأن جنده ما يورع على الف متطوع . وفي السنة التالية نفذ بالعمل التغيرات البعيدة المدى التي استوجبتها قانونه اصلاح الاقاليم الصادر في ١٨٦١ . وقد شمل ذلك التغير إعادة تنظيم ايلة اليوستة بأكملها ، (التي أصبحت تسمى منذ تلك اللحظة « ولاية ») . وبذلك تم اتمه محاكم جديدة (مع محكمة استئناف مختلطة تجمع بين المسيحيين والمسلمين) ، وتم تقسيم المناطق الموسنية والهرسكية الى سبع مستعجلات كانت كل منها ترسل آنذاك ممثلها (اثنان منهم مسلمون والثالث مسيحي) الى جمعية استشارية كانت تجتمع لمدة قد تصل الى اربعين يوما مرة كل مسنة . لتشير على الوالي في الشؤون الاقتصادية والمالية : الزراعة وفرض الضرائب ، واتقاء الطرق ، وما الى ذلك كله . كما كان هناك بالإضافة الى ذلك مجلس تنفيذي صغير - مكون من اثنين من المسلمين ومسيحيين ويهودي واحد ، كان يجتمع برئاسة الحاكم مرتين كل اسبوع ، ورغم الوضع الاستشاري للمجلسين ، لكن تأسيسهما كان

تقدما هائلا جدا . عن الطريقة التي كانت تدار بها الأمور في اليوسنة
على امتداد القرون الأربعة السابقة (٣٧) .

ومن أكبر المشاكل ، شأن الأحوال في تلك الفترة الأهمية من الحكم
المتناهي في اليوسنة ، مشكلة العلاقات بين الفلاحين وملك الأرض .
فيما كان الاجراء اصلاحى الرئيسى هو الفرمان الذى صدر فى ١٨٥٩ ،
فقبل وصول تولبال عثمان بلشبا بزمن يسير جدا . وبذلك واجهه
الدور الأصعب لتنفيذه . كان الفرمان محاولة لتفتيح الصرف حول
واجبات الفلاحين الذين كانوا يحصلون بمزاويع الإغاليوكات .
وهي مزارع القطيعيات التيما السابقة التي ظل لها أساس قانونى
في العلاقات بين الفلاح وملك الأرض . حيث حددت المكوس المدفوعة
لمالك الأرض بلشبا المصصول ، وهي المسماة بالترييتينا
Tritina (ومنهاما التلت) . ولا كانت عبء الدولة . وهي
مدفوعة نقديا يماثل عشر المصصول . تنضم أولا وتقدر الترييتينا الى التلت
على الباقي من المصصول ، فإن ذلك كان معناه أن هذه المدفوعات الأساسية
كانت تصل الى أربعين في المئة من المصصول الكلى للفلاح ، كما كانت هناك
ضرائب أخرى رسمية شتى ، كالضريبة الجديدة التي فرضت بدلا من
الضريبة العسكرية . وعندما يصف المؤرخون المصريون نظام الضرائب في
اليوسنة بأنه باعظ وتعمسى ، لأنه . . . يمتص أكثر من أربعين في المئة من
إيراد الفلاح . . . فإن قولهم هذا يكاد يفرينا أن نشبه بأنه يماثل نسبة
إجمالي الإنتاج القومى المأخوذة من جميع أشكال رسم الضرائب في كثير من
دول القرن العشرين (٣٨) لكن للمقارنة صعبة لأن العاملين في مصرنا هذا
يتوقعون أن يعود اليهم معظم ما يدفعونه من مبلغ في صورة الرعاية
الصحية والتعليم وما الى ذلك ، ولم يكن ذلك هو الوضع أيام الفلاح
اليوسنى . ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الفلاحون غير مضطرين الى شراء
بيوتهم ولا استثمار أى مال في الأرض . وهناك مبدأ آخر قدنه فرمان
١٨٥٩ . هو أن مالك الأرض ينبغي أن يزود الفلاح بالدار التي يسكنها .
وساعده في وقايتها واصلاحها . وكان الفلاحون أحرارا في ترك ملك
الأرض . وكان لملك الأرض الحق في طردهم ، ولكن ذلك فقط بشرط عدم
قيامهم بالعمل على الوجه المرضي . وعدم دفع المكوس المقررة . وذلك مع
الحصول على موافقة موظفى الحكومة الرسميين (٣٩) . ومن بيوة الحظ أن
هذه القواعد لم تكن تنطبق الا على الإغاليوكات ولم يكن لها أثر على
البكليكيات ، حيث كان ملاك الأراضي يستطيعون أن يقيموا أية علاقات
تعاقدية شاؤوا . ومن ثم فله أثرها الرئيسى كان تشجيع ملاك الأراضي على
نقل وتحويل حيازتهم للأرض من هذا الشكل الى ذلك .

ويرى يوسف كوتشيت في دراسته لهذه الفترة أن هناك مخالفة وتضحيما في تصوير ظروف الإبزاز وسوء المعاملة التي تعرض لها الفلاحون على أيدي ملاك الأراضي آنذاك حيث يقول :

كان معظم حوالى الأرض (الكيتس) يعيشون على أساس مقبول من المؤنة والصداقة مع ملاك أراضيهم - والواقع أنه كان يحدث في السنوات السيئة أن ملاك الأراضي - وأغنى بهم الأغنياء والمحترمين فيهم كانوا ينفلون كل مساعدة ممكنة لحوالى أرضهم . حقا أنه كان هناك أيضا بعض الاغترات غلاظ. الأكباد الذين كانت قبصتهم الحديدية ترسخ بثقل على كامل الفلاح المسكين الذي لا يجد ملامعا يدفع عنه . ومع هذا فإن المدا - الذى كان ينمو ويستعمل في مثل تلك الأحوال كان ناجما عن المصلحة الاقتصادية ، أكثر منه عن مسببات دينية أو سياسية (٤٠) .

ومن المؤكد أن الصورة التي يصورها كوتشيت للحياة في ماريافو في ذلك الوقت إنما هي صورة ودية . حيث يستعيد ذكريات أيام الأحد في الصيف . يوم كانت المأكلات الكاثوليكية والأرثوذكسية تخرج في النصر للنزعة على سطح التلال المطلة على الطريق إلى ايليدج (Dildzo) وكان المسلمون والمسيحيون واليهود يعيشون في طريقهم بسلام . . . وهم يستمتعون بفرحة واحدة من احساس بالأمن في ذلك الزمن المبارك حينما كانت القلوب تجهل معنى التصيب عن الكراهية الدينية . (٤١) . ولم يحدث الا عند نهاية ستينيات الألف وثمانئة حسبا يروى كوتشيت. إن الجو أخذ يربد بعد أن انتهت السنوات التسع التي حكم فيها توبال عثمان باشا البوسنة . وفي ١٨٦٩ مملوت عن اسطنبول أوامر ملحة بالبحث عن عثري الخشب من السلاف الذين يدفعهم الروس . ولذلك عسمرت الألوامر إلى كوتشيت نفسه . من الوالى الجديد بالبحث عن عروبي الحماية الصربية في دير دجيتوميسليتش (Djittomislich) الأرثوذكسي ، قرب موستار ، وهو أمر أثار ضيقه (٤٢) . وحدث المريد من التفرع الطنى في ستينيات الألف وثمانئة أيضا ، ولم يكن موجها ضد ملاك الأراضي . بل ضد جبهة الضرائب التابعة للولاية ، الذين جرت عاداتهم على تجديد قيمة محصولات الفلاح (والمطالبة بالدمع) قبل جنبها . وكان ذلك من أفضى الأشياء إلى الناس . وحدث في ١٨٦٨ أن ألفا من الفلاحين الأرثوذكس والمسلمين احتجوا في منطقة يوسافينا (Bosavina) بشمال البوسنة ، وفي ١٨٦٩ احتضت جماعة تقدر بمئة من الفلاحين المسلمين والأرثوذكس قاموا احتجاجا مماثلا في موتسسا (٤٣) . وهذه الأمثلة

للمعاون الديني المتبادل تزيد ، والحق يقال ، وجهة نظر كوثشيت بأن
الأسباب الأساسية للتغصب والاضطراب كانت في الحقيقة اقتصادية أكثر
منها دينية . ولكن في الوقت نفسه كان هناك بكل تأكيد احساس جديد
بالعداء نحو المسيحية ، أخذ ينتشر بين صفوف رجال الدين المسلمين
والحجرات (Hodjas) أي معلمي الدين بمدينة سراييفو . ولم يحدث الا في
فترة ١٨٧١ - ١٨٧٢ حسب رواية كوثشيت أن بدأنا لأول مرة نشهد
صورة للكرامية الدينية = (٤٤) .

وهناك قضية بارزة هي قضية بناء الكاتدرائية الأرثوذكسية - وكان
بناؤها ذلك دعما للوضع القانوني المتغير للمسيحيين البوسنيين ، الذين كانت
برسب مصالحهم آنذ الهيئات التنصلية الأجنبية وحكومتا الدولتين الحاميتين -
روسيا للأرثوذكس وحكومة النمسا والمجر (وذلك كان اسمها في تلك
الآونة) تلكاثوليك . والحق أن تحمل المنظمات المسيحية المتمتعة بالرعاية
الأجنبية بارضى البوسنة ، بعد من أبرز مظاهر تلك الفترة : ففي ١٨٦٩
سمح لجماعة من الرهبان الكاثوليك من ارض الراين ، أن تبني دبرا
في بانالوكا ، وفي ١٨٧٠ أشادت بولن ابرى (Pauline Ibray) مؤسسة
في سراييفو تولوها هيئة مسيحية انجليزية ، وتوصل بها معونات
بروكسفانت من بلانيا . وفي السنة التالية وصلت الى البوسنة جماعة من
الراهبات النمساويات (من اخوات الصدقة والاحسان) لكي يفتتنن دبرا
ويستغلن بالتعليم الأول (٤٥) . وعندما صدر التصريح في ١٨٦٣ ببناء
كاتدرائية أرثوذكسية في سراييفو ، جمع لها المال من كل أرجاء العالم
الأرثوذكسي ، وأخذ يبعث من مطرانية البوسنة يطوف بكل أنحاء روسيا
وهو يحمل أثرا دينيا مقدسا هو يد القديس نكلا ، ليجمع التبرعات (٤٦) .

وبعدا المبنى يهجر من جهته في ١٨٧٢ . قسب نزاع مروع بين
المبنيص الأرثوذكسي ورجال المين المسلمين ، الذين أصروا أن برج الجرس
الكاثولائية ينبغي ألا يطلو على منفذة مسجد بيجوفا (٤٧) . فلما قرع
الأجراس فكان في حد ذاته اعجوبة وبدعة ، فقد جرت العادة الناجمة أصلا
طويلا أنه ليس بالمسوح في مثل الهيئات بأي حق للأجراس المسيحية .
وقرع بعض القديساجريجين من الشباب والآلثة في إثارة السكان المسلمين
وتهميج انفسهم على هذه المسائل . وكان اسمهم رجلا هبهم اللجنة متبجعا
فلما دعى الحاج لوبو (نظرا لأنه حج الى مكة) ، وكان يعامل على أنه سجع
في الدين وإن كان في الحقيقة غير متمم على الاطلاق (٤٨) . فلما الآخر
فهو الامام المتعصب لمسجد بيجوفا . وبها يكن من شيء ، لانه عندما أثار
ذلك الامام الجدل حول قرع الأجراس في الكنائس ، وجد من هو كثر له
في الرأى الجديد ، وهو الباني لا يحب الهره اسمه محمد عاكف باشا .

وبدا لإمام حديثه بتلاوة آية من القرآن - فصاح به الزوال : « صمتا ليها
المسلم ! لتزيد أن تعلمنى للقرآن ١١٩ - ١٠٠ أنت اذن لا تطيق سماع صوت
الأجراس ايها الكلب ١١٩ - ١٠ وانتم أيضا يا من معه من الناس ١٠٠٠ اهلتم
من الشيك حتى لا تنذكروا أن هذا الوعد ان يمتنع أن يبق الأجراس بنفسه ،
ما دلم سينفخ له جرسون قرشا فى كل شهر على أداء ذلك ٢٠ (٤٩) »

وفى صيف ١٨٧٢ ، فرأوبه وعشرون تاروا مسيحيًا من البوسنة
الى كرواتيا ، وقالوا ان « كثيرا » من المسيحيين نفذ فيهم حكم الاعدام فى
البوسنة بسبب تأخيرهم مع الفصل النمساوى (٥٠) . وأعطيت مثل هذه
الحوادث أهمية عظمى فى المكتابات المساوية حول أحداث سيمينيات
الإثمة وشمائية ، بذلك نظرا لأنها بدت كأنها تضع التزاما خلقيا أو دينيا
على النمساويين فلتسجل . ولكن الأسباب الحقيقية التى أدت الى انهيار
الحكم النمساوى وتدخل الجيش النمساوى كانت أسبابا اقتصادية وسياسية
ولمست دهنه - إذ حدث فى صيف ١٨٧٥ أن جاءت الأخبار بأن الفلاحين
المسيحيين فى منطقة بيفوسيينا فى الهرسك (شرق بوسنار) قد فروا
الى الجبال تجنبيا لدفع المصروف الحكومى التى كانت تشكل عبءا لو كمن
محصولانهم ، وذلك لأن المصروف لميل فضلا تلبا فى ١٨٧٤ ، ولكن جبهة
الضرائب المحلية (واثان منهم مسلمون والثالث مسيحي) لجأوا الى
اجراءات عنيفة مع الناس لاجل دفعهم الى الدفع ، وما كده شهر يوليو - يوليو
مقتله حتى كان جميع الفلاحين فى المنطقة قد لجأوا الى الجبال وقد شرعوا
فى القيام بمقاومة مسلحة (٥١) . وكانت هذه منطقة حساسة جدا من
الناحية السياسية بسبب شدة قربها من نفوذ الجبل اليهود : وقد قتلت
هكايات أخرى كثيرة مشابهة حول الصراع بين القوات النمساوية وقوات الجبل
الأسود ، كمثلة عمر وانسا فى ١٨٦٠ - ١٨٦٧ ، كما أن أمر الجوسيل
للأسود ، وهو جبل الرصاص كانت حوله القبهات بأنه إرهاب الى رجال
والأسلحة لاتابة للشعب الى الهرسك (٥٢) .

ومرعا ما أخذت ثورات أخرى للفلاحين تحدث بشمال البوسنة ،
ففر من جراء ذلك أعداد ضخمة من الناس الى كرواتيا والجبل الأسود -
اما بسبب تعرضهم لأعمال العنف أو من جراء الضرائب «قذرة»
أو بسببها كليهما (٥٣) . وكان السبب الاسمى للتعرض بين الناس
زاديا يمتا ، ولكن السكان الأرثوذكس ، الذين أنشأوا علاقات اتصال
مع صربيا ، ركبوا الموجة وصرخوا الآن علنا بولائهم للدولة الصربية (٥٤) -
وعندئذ تقاطر على البلاد متطوعون من صربيا وسلافونيا وكرواتيا
وسلويفيا ، إل حتى من روسيا نفسها (بالإضافة الى بعض النازية الذين
الايطاليين وحمار هولندي يجرى يوحنا بالونى) ، وذلك لاحتلالهم بأن

ليطة لسلاف الجنوب كانت على الأبواب (٥٥) . وجمع ولى البوسنة جيشا في البوسنة والهرسك ارتكب أعمالا وحشية لكنها لم تؤت أي أثر قتله خريف ١٨٧٥ - ١٨٧٦ وشنتها القارس . وحما استنفر اليكوات لرق جندهم غير النظامية المسلحة بالبش يزن (Bashi-bazouks) وادخلوا من هزيمة عامة في البوسنة شرعوا في ترويع السكان الفلاحين . وتم في أثناء ١٨٧٦ أحرقت مئات من القرى وقتل خمسة آلاف ملاح على الأقل . عند نهاية السنة بلغ عدد اللاجئين من البوسنة فيما يرجع مئة ألف إنسان وربما كانوا ٢٥٠ ألفا (٥٦) .

وعند منتصف ١٨٧٦ كانت هذه الأزمة الكبيرة قد أصبحت أزمة دولية . فاشتكت الأنبارتتشر بكل أرجاء أوروبا عن شيوع ثورة مماثلة في بلغاريا . وعن احادها بوحشية بالغة (وهي القتلان البلقانية التي وقعت في الشينج المسن جلاستون (٥٧) . بل وحلت أيضا في يوليو ١٨٧٦ أن صربيا والجبل الأسود أعلنتا الحرب على الامبراطورية العثمانية بعد أن اتفقتا فيما بينهما على أن تستلمن الأولى البوسنة وتضم الثانية الهرسك . وحقت الجبل الأسود بطى النجاح المسمى . ولكن صربيا منيت بهزائم في الحرب ولم ينفذها من إعادة الفتح المصغى لها الا تدخل الحكومة الروسية . التي أجبرت الترك على قبول هدنة في شهر نوفمبر . ولكن تصرفات صربيا أدت إلى زيادة شدة السلطات البوسنية في موقفها المادي لسكانها وأبناء وطنها من الأرثوذكس . فان متلك لاجئا سمح تقارير في ١٨٧٧ بأن هناك عملية تطهير قام لأبناء الشعب الصربي في البوسنة . ذلك لأن السلطات التركية تقتصرهم وتطفي عليهم وتطفي تطويعا تاما للبش يزن والمهر وكذلك للكاثوليك واليهود بالفضل عليهم . (ومع هذا فان هذه الملاحظة عن الكاثوليك واليهود اما تشير بوضوح إلى أن اللاجئين كانوا من الأرثوذكس المميزين . ولاحظ أرتو ايغانس أنه كانت من أصعب الظواهر في الضرر الحال في الطريقة التي حاربت بها جنبا إلى جنب الطائفتان المسيحيتان (٥٨) .

وفي ١٨٧٧ أعلنت روسيا الحرب على الامبراطورية العثمانية . وجرى بالفعل قبل ذلك مفاوضات كثيرة وراء الكواليس بين الروس والنسايين . ابتداء وضع خطة لاكتناح نصيب من ارض البلقان لكل منهما . ومع ذلك فقد حث في بروكس ١٨٧٨ . يوم توصلت القوات الروسية أن تصل إلى

(٥٦) جاستون . مايو - يونيو (١٨٧٥ - ١٨٧٦) . سولي موطاني خطيب حجة
عبد القوي القلي . وفي عهد رابطة لبلدية اعطت موطاني حجة - (بالترجم) .

أبواب اسطنبول ، أن مكنت الروسية من املاء شروط مصلح ، اشبهت بمصلحتها أكثر مما أرادت مصالح النمسا . وبمقتضى هذه الاتفاقية : المسماة بمعاملة سان استيفانو ، وسعت بلغاريا ، أكبر عييل لرومينا بأرض البلقان ، توسيما هائلا وسعت ما كاد أن يكون استقلال ذاتيا تاما . وظلت البوسنة أرضا عثمانية ، شريطة أن تدخل اصلاحات متنوعة اليها . وبمقتضى المادة الرابعة عشرة من المعاهدة وجب أن تستخدم إيرادات البوسنة لخدمة الاغراض البوسنية البحتة (تمويل اللاجئين والسكان) مدة السنوات الثلاث التالية (٥٩) .

عند ذلك استيقظت الاجلام للتدنية للبكوات اليوسنيين ، في الحصول على حق للحكم الذاتي . للبوسنة داخل الامبراطورية العثمانية : ولا حظ آرثر ايمانس في ١٨٧٧ ، أن الولايات والموظفين الرسميين البشانيين ، موضع شك المسلمين البوسنيين والمسيحيين البوسنيين على السواء ، (٦٠) ومن سوء الحظ أنه بعد أحداث السيليكس الثلاث الأخيرة ، بلغ الحقت التبادل بين البوشنيين المسلمين والمسيحيين من القسوة بحيث انه لو تركت البوسنة وشأنها - لاصبحت دار قتال طامية امه سنين طويلة آيلة - كانت تلك احدى الاعتبارات التي تولت وطأتها على الدولة الاوروبية عنيهما اجتمعت في مؤتمر برلين في يوليو ١٨٧٨ لإعادة كتابة وصورة التي رسمت في سان استيفانو . ورسم الخريطة من جديد ، ولم من هذا كانت رغبتها في اعانة التوازن لزلخ نفوذ الروس في البلقان ، ووضع حد لانتيمه الى البحر للتوحد . وهكذا لم يقتصر مؤتمر برلين على قضية اطراف بلغاريا ودفعا الى الجنوب ، بل وأعلى لجبا أن البوسنة والهرسك ، وان ظلتا من الناحية الخرية تحت السيادة العثمانية ، لابد لهما من أن تحتلها وتديرها النمسا والمجر .

ولمرة الثانية وقع النمساويون في نفس الخطا الذي وقعوا فيه اكنه القرنين السابع عشر والثامن عشر : حيث افترضوا أنهم سيكونون موضع الترحاب من معظم الشعب البوسني ، والا لا اقتدوا التة على ارساء اخبار قرارات المؤتمر الى مراهيقو الشرق في اليوم الثالث من يوليو . قبل حصول الصحف الاوروبية عليها بشرة أيام ، وفي اليوم الخامس من يوليو عقبه اجتماع عام للمسلمين في مسجد بيجوا ، وظهر الباج لور الثير القدير للمسيح ويسط برفا اخطر ، (رمزا للاسلام) وشد على رأس المجموعة الى دار الوالي (٦١) . ووافق الوالي على تعيين ، قومندان ، مسكرين والابتعاد مقاومة النصارى . ولكنه فيما يبدو لم يكن مؤيدا لفهم السياسة التي تطوى على لمة على التزامات السلطان في المعاهدة . وفي

اليوم العشرين حنرت صحيفة سرايفو من وقوع غزو بوسوى وشيك ، وبعد اربعة ايام عبرت طلائع الجيوش النمساوية بالفعل نهر السافا . وقاد الحاج لويو مظهره لخرى الى دار الوالى فى السابع والعشرين ، وشجع الطامية على التسرد ، وحصل من الوالى دعوة على قرار يطسرد كثير من المواطنين الرسميين وتاليف « حكومة قومية » . وفر القائد العسكري من المدينة مع ستة من الحند الراكبة ، ولكن لم القبض عليه ، واقتناعه بان يساعد فى تنظيم الدفاع ضد النمساويين (٦٢)

وفى الحين نفسه ، حصل الحاج لويو على المساعدة المتخصصة من كبار القساوسة الأرثوذكس . الذين سطخوا بالظن بان البوسنة قد رمت عن كاهلها الحكم الثمانى وانها ليست لديها ادى رغبة فى ان يحل محله حكم النمسا . وعند اجساج عام المسلمين والأرثوذكس كان من شأنه كما يذكر بعد ذلك بورجه كوشيت: « انه الأرثوذكس سافا كومانوفيتش (Sava Komunovic) والتيسيس ريسكو كانتا نوكا كوميتش (Risto Kosta Novakovic) . وقد ارتدوا ليسلب رؤساء القرايف (قطاع الطرق) المصوص . بما فى ذلك التسلق بالندارات والخناجر . وضما نفسيهما على ولى جمهور من القساوب الصربيين وطفقوا يرددون الأناشيد » . وفى اليوم الثمانى من أغسطس غفقت مذبحة من المتطوعين المسلمين تصحبهم « الكتيبة المسيحية التى تتكون من الأرثوذكس بشكل ساحق حلف » . مع قلة قليلة جدا من الكاثوليك » . ولكن رصيده لويو انتهى بعد ذلك بزمن غير بعيد . عندما أطلق النار على فلاح مسيحي سلب . ولكن لمصاله نجح فى كتابة المسلمين فى اجراء لخرى من البوسنة أيضا . وهنا تجسست قوات غير منظمة الى حد ما ، بلجزاء متنوعة من الاقليم بلغت عدتها ما يقارب الأربعين ألف رجل (٦٣) .

لغاما النمساويون فكانوا من الناحية الأخرى اثنين وثمانين ألف رجل . منهم ٩٤٠٠ جندي كانوا يؤلفون «قوة احتلال» المنوط بها التقدم الى داخل البلاد من دالماتيا والنيسك بالأناكن التى تستولى عليها القوة المطاربة الرئيسية . وكانت القوة الرئيسية « تمت قيادة قومندان كرواتي هو البارون يوزيب فيليبوفيتش (Jozep Filipovich) تتحرك بسرعة متفرقة شمال البوسنة مستولية على بانالوكا ومجلى ورايبه - وكان النمساويون فى جولة من عدم السلاح . كما كانوا على علم جيد بمدن البوسنة وطرقها وكبارها . وكان ذلك بفضل رجل مسلحة نمساوى عسكري سمعت له السلطات البوسنية . سمعته الى انقوا السباحة ، ان يطوف فى فوجا القلبي من ١٨٧١ - ١٨٧٢ (٦٤) . وفى (٦٥) أغسطس تمكنوا من ان ينزلوا هزيمة

ثقيلة بقوة بومسية بمركبة كلوكومي (Klokoti) قرب فيتير (Vitez) . وفي ١٨ أغسطس وصل النمساويون إلى أربانت سرايفو . قبضوا الهجوم في الصباح التالي بقصف مدفعي في الساعة السادسة والنصف صباحا . ثم دخلت القنادة المدينة حيث أطلقت عليهم التوتون * من كل بيت ، ومن كل نافذة ومن كل باب - - - حتى النساء أنفسهن اشتركن في ذلك ، ولكن المركبة حسمت في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، وبلغت خسائر النمساويين ٧٥ قتيلًا و ٣١٤ جريحًا . ثم تحرك الجيش إلى الأمام متخفيا أرض الهرميك وسنجية نوفي بازار فيما تبقى من أغسطس وسبتمبر ، وفي العشرين من أكتوبر كان الاحتلال التام للمدينة والهرميك قد اكتمل . ولم يستغرق ذلك منهم إلا أقل من ثلاثة أشهر . نعم أنه قد حدثت مقاومة عنيفة بشكل ما ، وتكررت هجمات من نوع حرب العصابات: والمخاض ، وقمت ثلاث وخمسون بمركبة ، انتهى الكثير منها بالاستيلاء على مدن محصنة ، وبلغ عدد الضحايا النمساوية النهائي ٩٤٦ قتيلًا و ٣٩٨٠ جريحًا . ولم تستطع أية مدينة أن تصمد أكثر من يومين كالمطيف ، فلو سلطنا بالحالة الرهيبة التي كانت عليها الطريق ، لم يكن يمكنه من المقاومة بأية حال القول بأن الجيش النمساوي فتح البيسنة في ستة زمنية لا تزيد كثيرا عن الوقت الذي يتطلبه ذراع لرجل للاقليم (٦٥) .

الفصل العاشر عشر

البوسنة تحت الحكم النمساوي المجري

١٨٧٨ - ١٩١٤

لم تتخذ دولة النمسا والمجر قرارها بالاستيلاء على البوسنة إلا بعد تردد وتمح - وبطبيعة الحال ظل المحبون يحتاجون طويلا بأن البوسنة تمتلك قدرا عظيما من الثراء (الزراعة والغابات والموارد المعدنية) ، وإن من المقول لها أن تنمي كجزء من وحدة اقتصادية مع الساحل - الذي كان أرضا نمساوية - وكان العسكريون في النمسا حريصين أيضا على فتح الأراضي الداخلية التي تقوم وراء الساحل الدانابي المستهدف وغير الحصين (١) . ولكن عندما طرحت فكرة الاستيلاء على البوسنة للمناقشة في ١٨٦٩ ، كان اثنان من صناع السياسة في الدولة ضدها : وهما جيولا أندراسي (Gyula Andrássy) وريسر الخارجية ، وبنيامين كاللاي (Benjamin Kallay) حيدر التاريخ السلافي الجنوبي (والمؤلف فيما بعد لتاريخ مشد من الصرب) ، وكان يشغل آنذاك وظيفة القنصل النمساوي في بلجراد - ولم يكن واحد منهما ليريد للنمسا والمجر أن يبهظ عاتقها بشغل مليون أو ما يقاربه من السلاف (٢) .

ولقد كانت هناك مشاكل سياسية لابد أن يتمخض عنها ذلك التكوين ذو النوع الخاص للملكية الثنائية : فهل تحكم النمسا البوسنة أم تحكمها المجر ؟ أو تحكمها لجنة مشتركة ؟ أم هل سوف توجد مع كرواتيا ، التي كانت تستمتع منذ ١٨٦٨ بنوع من الحكم الذاتي (مع حاكم تعيينه المجر) ، ولها برلمان كرواتي خاص بها ومجموعة من أعضاء البرلمان في البرلمان المجرى ؟ لقد كانت المتاعب التي لاقتها النمسا من كرواتيا أقوى مبيد دما إلى عدم الرغبة في ضم البوسنة هي الأخرى : فزيادة عنصر ضخم آخر من السلاف الجنوبيين لابد أن يزيد من قوة حجة أولئك الكروات الذين

يطالبون بوضع قانوني أعظم لوطنهم . وكان بعضهم يطلب أن ترفع كرواتيا الى درجة المساواة المتساوية مع النمسا والمجر (وهو ذلك الرأي المسمى بالفكرة الثلاثية) . وكان غيرهم يهدف الى منح كرواتيا استقلالاً تاماً وتأسيس دولة سلافية جنوبية . ولكن لم تلق واحدة من هاتين الخطتين ترحاباً لا من فيينا ولا من بودابست . ولكن كان هناك شيء . كانت السلطات النمساوية والمجرية أشد حرصاً على تجنبه : فإن توسيع كرواتيا حتى تصبح دولة سلافية جنوبية سيكون أمراً سيئاً والحق يقال - ولكن إذا كان لصربيا أن تعمل ذلك وتنفذه بدءاً باعتصاص البوسنة وانتقالاً الى نفوذ الحكم المسمى المجرى في دالماتيا ، فهو أمر أسوأ كثيراً . وكان إعلان صربيا الحرب على العثمانيين في ١٨٧٦ هو العامل الحاسم الذي أفضى بالنمساويين الى التفكير جدياً في الاستيلاء على البوسنة ، ولو أنهم كانوا على يقين من أن السلطان يستطيع أن يحتفظ بالسلطة في البوسنة الى ابد الأبد ، لما أهمهم الأمر في قليل ولا كثير .

حتى اذا وقع المخطور ، وأصبحوا هم المسئولون عن حكم البوسنة لم يبق مجال لأنصاف الحلول . وتم الاتفاق مع الحكومة العثمانية على مجموعة من البيانات حول ما ينبغي أن يحدث في البوسنة في أبريل ١٨٧٩ ، ولكن بعض هذه البيانات كانت أنصاف حقائق . وبعضها الآخر لا ينطوي على أية حقيقة إطلاقاً . وتم الاتفاق على أن : الحاق البوسنة بالنمسا والمجر ، لا يمس حقوق السيادة لصاحب العتلة الامبراطورية السلطان ، وأن العتلة التركية ستظل مستمرة التداول ، وأن إيرادات البوسنة ستستخدم محلياً ، وأن الادارة الجديدة ستستخدم موظفين من الأتراك فضلاً عن الأهالي البوسنيين . وأن يباح للمسلمين حرية العبادة ، وأن يظل اسم الخليفة السلطان قائماً يردد في صلاة الجمعة (٣) . تلك وعود صدرت ، ولكن لم ينفذ منها بدقة الا الاثنان الاخيران . فاستبعدت النفود التركية وأدخلت البوسنة في اتحاد الجمارك النمساوية المجرية (وكان معنى ذلك أن إيرادات الجمارك التي تجمع على الحدود البوسنية كان في الامكان اغراقها في ثمن مكان من الامبراطورية) . وانتقلت الادارة الى حد كبير الى مواطنين نمساويين مجريين . أما فيما يتعلق بسيادة السلطان فإن أية فكرة بأن هذه الولايات المحتلة قد تعود ذات يوم الى الحكم التركي كانت مستبعدة منذ البداية ولم يعد أمام البوسنة ما تصبر اليه اكثر من أن يتحول الاحتلال الى ضم بحيث تنفذ جزءاً من الامبراطورية . وعندما انضم الامبراطور النمساوي الى حلف الباباطرة الثلاثة مع روسيا وللاتيا في ١٨٨١ ، كان من بين الفقرات السرية نص : ان دولة النمسا

والمر تبنيها لتفسيها بالحق في جميع الولايات في أية لحظة تراها
مناسبة ؟ (٤) .

أما مشكلة صم البوسنة ، وهل يكون ذلك الى النمسا أو المجر ، فقد
حلت بحلها أرضي تاج (Crown Land) ، ومعنى ذلك أنها كانت
لا يحكمها أحد منهما ، وفي الوقت نفسه كان يحكمها كلاهما . وأنشئت
نجة مشتركة تابعة لوراثة المالكة المشتركة (في النمساوية والمجرية) .
ومن الناحية النظرية كانت السلطة الرئيسية في البوسنة بيد الحاكم
المسكوي المسؤول مباشرة أمام التاج ، غير أنه وزير المالية المشتركة هو
الذي كان يضع القرارات السياسية الواجب اتباعها . ومن الناحية
النظرية أيضا كانت البوسنة تعيش تحت ظل القانون المسكوي ، ولكن
اعلانا صدر في أواخر ١٨٧٨ يعلن أن جميع القوانين النمساوية مستظل نافذة
للمفعول حتى اعلان آخر ، ولم تكن هذه القوانين تستعمل بأخرى لو تستكمل
بالقوانين النمساوية المجرية وبالقوانين الجديدة المخصصة بها البوسنة
إلا بالتدريج البطيء . وكذلك بقيت سلطة الحاكم الشرعية التي تنفذ
الشرعية الإسلامية وتطبق مجموعة من المسائل المدنية بين المسلمين ، وعلى
المسوم لم تفسد الامارة الجديدة البنية الأساسية للثورة النمساوية في
الجوانب التي رأت أنها صالحة للعمل فلم تطيح بالطابع المسوي المجرى
الامن حيث الاسم وحيث التعليم بها : وأصبحت تسمية البينوفيات
بالمناطق ، كما أن أحياءها العصرية وهي القاميلوكات سميت بالبنواحي
ويرأس كلا منهما مشرف . لكن بينما كان النمساويون يحكمون تلك
الأراضي كلها ستة وعشرين مؤلفا ، لأن عبد الوظيف الاداريين النمساويين
المجريين - من جراء حيلط عجيب من البيروقراطية المطلقة وقوانين
ماركندون - ارتفع حتى وصل في ١٦٠٨ الى ١٥٢٢ (٥) .

وكانت السنوات القليلة الأولى لوصف البينويات وطأة على الادارة
الجديدة . وكانت هناك منذ البداية مشاكل كبيرة مثل الحاجة الى اعادة
أكثر من مئتي ألف لاجئ الى ديارهم ، وكانت خزان العنف تيشمل أحيانا
في بعض المناطق ، وذلك بوجه خاص في تلك المناطق من الهرسك التي
كان الجبل الأسود لا يزال يشهر تمردا بعض الإطباع : فثارت فتنة في
منطقة نيفيسيتا لليرة الثانية في ١٨٧٨ ، كما حيث هجوم خطير على
وحدة من الجند قرب جاكوف (Jakovac) قرب الحدود مع الجبل الأسود .
في ١٨٨١ (٦) . ولكن تيمت الحكومة النمساوية دعائم الثقة بين السكان
في الهرسك ، وتشجع اللاجئين على العودة الى ديارهم ، بحيث الى انشاء
قوات ميليشيا عسكرية محلية ناجحة هي د. البانور . ، على أن كتبها من

أعضاء الميليشيا هؤلاء تردوا من أنفسهم ، فتعول بعضهم إلى عضائهم
 قطاع طرق (٧) . وفي نوفمبر ١٨٨١ بلغ عدد جند النمسا والمجر ١٢٨٤٠
 في البوسنة وحدها فقط ، و ٤٠٠٠ في الهرسك - وكل هذا العدد لا بد
 أن يكفي لحفظ السلام والنظام ، إلا أن السلطات أعلنت إجراء جديدا
 قدر له أن يكون موهب بعض الشعب : وهو قانون للجيش يخلع جنود
 المومنين من الذكور تحت طائلة التجنيد في القوات المسلحة العظموية
 المجرية - وترعان ما تقام مخيمات مسلحة ببلاد الهرسك ، وما انصف
 شهر يناير ١٨٨٤ حتى انتشرت عضائهم التوار بالهطقة (٨) .

وتشير التقارير النمساوية إلى هؤلاء الضاة بأنهم « لصوص » .
 ولا شك في أن بعضهم كان ينطبق عليه ذلك الوصف ، ولكن انضم اليهم
 رعياء البانور وروساء القرى الكبار أيضا ، ولم تكن انشطتهم الأولى
 ولا الأساسية في السرقة بل مهاجمة مراكز الشرطة ومواقع الجيش ، ووقع
 طابور من الضاة أرسل لمنازلتهم ، تحت يران كتي كمن له في طريق بين
 التلال واضطر إلى التقهقر إلى موستار ، وعندئذ أرسلت عليهم قوات أكبر ،
 وتواصل القتال أثناء فبراير بأكمله بالمنطقة المحيطة بفوتشا التي تضم
 بعض الجبال الممتدة بين فوتشا وسرايفو . وقدر أن الضاة وصل عددهم
 إلى ألف رجل مقسمين إلى وحدات يعلب عليه الأرثوذكس بقيادة ضابط
 من ميليشيا البانور هو بترو تانجور (Petro Tanjug) وثلاثة مسلحة تحت

قيادته مالك أرغل شهير هو عنصر شاقشيتي (Omar Satić)
 وثلثان منقلتان (٩) . وبالعموم تمكنت القوات النمساوية المجرية
 من استعادة سيطرتها على المنطقة ، خصصت من التقرير الرسمي : « إن
 المنطقة كلها التي كانت تغطيها شبكة كثيفة من الطواوير السريعة الحركة ،
 التي كانت لا تبرح تلف حول العضائات وتضيق عليهم الخناق حتى
 انهم بعد محاولات عديدة من المقاومة السريعة ، عادوا فاستسلموا تماما
 في شهر يناير » (١٠) . واستمرت عضائات من أنواع مختلفة بأرض
 الهرسك مدة تزيد على عقد من الزمان . كان هذا هو التمرد الأخير
 على الحكم النمساوي .

وكان سبب لقصفت المقاومة وهو أن عددا ضاهيا من العناصر
 المتمسكة في طاعتها للسلطان الجديد غادر البلاد بصورة نهائية ، وكانوا في
 غالبيتهم من المسلمين الذين رحلوا إلى بلاد الترك - ومنهم من كان يأس
 لدواع دينية أن يعيش في ظل الحكم الكافر ، كما أن بعضهم ، بلا شك ،
 من خافوا أن تأخذهم العدالة بما فعلوا أو الانتقام منهم على الأقسام
 الرهيبة التي أنزلوها باليه يمينين أثناء السنوات الأخيرة من الحكم العثماني .

وكانت الغالبية العظمى من هؤلاء المهاجرين من الفلاحين ، بيد أنه كان بينهم أيضاً بعض ملاك الأرض الذين أسسوا في اسطنبول جماعة تطالب بضغط سياسي ترمي أكبر على الحكومة النمساوية المجرية في اليومنة (١١) فكم كان عدد المهاجرين النهائي ؟ تلك مسألة دار حولها جدل شديد وحام بين المؤرخين المحدثين . على أن السلطات النمساوية المجرية أصدرت بياناً رسمياً يذكر أنه بين ١٨٨٢ - ١٩٠٥ غادر البلاد ٢٢٦٢٥ وعاد إليها ٤٠٤٢ (١٢) . ويضيف بيان آخر بأن أربعة وعشرين ألفاً غادروا البلاد بين ١٩٠٦ و ١٩١٨ . على أن هذه الأرقام لا تذكر إلا الذين حصلوا على تصاريح رسمية بمغادرة البلاد - وهو شرط فرض في ١٨٨٢ عندما أحست الحكومة بالانزعاج إزاء عدد الناس الذين يهاجرون تجنباً للتجنيد ، وهو لا يضم عند أولئك الذين خرجوا من البلاد بطريقة غير قانونية ، ولا أحداً من أولئك الذين فروا في السنوات الأربع الأولى . وادعى بعض مؤرخي المسلمين أن العدد الكلي للمهاجرين بلغ ثلاثة ألف إنسان ، بيد أن ذلك الرقم يبدو عالياً جداً إلى درجة غير معقولة . وهناك جغرافي درس عدد السكان المهاجرين وذرياتهم ، وقدر بأنه يوجد الآن ٢٥٠ ألف بوسنيك (*) في تركيا ، ومع ذلك ، فإن ذلك المصطلح يطلق في تلك البلاد (أي تركيا) على أولئك الذين جاءت أسرهم من صربيا والجبل الأسود بالإضافة إلى البوسنة أيضاً - كما أن العدد الكلي اليوم يتضمن أعداداً ضخمة من انطلقوا عن البلاد في فترة ما بين الحربين (١٣) . على أن المؤرخين الصربيين من الناحية الأخرى ، يقدرون العدد الكلي بأنه يقارب المئتين ألفاً ، وهو رقم معتاد القبول بصحة الإحصائيات الرسمية بما لا يترك إلا ما لا يزيد عن مائة آلاف في الفترة المقتضية بين ١٨٧٣ و ١٨٨٣ (١٤) . ولا شك في أن عدداً يقارب دائرة المئة ألف يعد رقماً محتملاً أكثر كثيراً لصالح الهجرة والمهاجرين . على أن هذا لا يخرج عن كونه مجرد تخمين فقط . وينبغي ألا ننسى أنه ليس كل هؤلاء من المسلمين ، فإن مئات كثيرة من الفلاحين الأرثوذكس ظلوا يغادرون بلاد الهرسك كل عام حوالى منتصف القرن (١٥) . وهناك أدلة دوحام ، وهي من أشد المراقبين الأجانب دقة إدراك وبعداً عن التعاطف مع النمسا ، وهي تورد سبباً بسيطاً للهجرة بين ١٩٠٠ و ١٩١٠ ، قالت : « كانت الأجور منخفضة ، والفلاحون في غاية الفقر . وكان بالإمكان الحصول على أجور عالية جداً بأمريكا ، فبلغ عدد المهاجرين إليها الآلاف » .

(*) بوسنيك مصطلح يستخدم به أهل اليومنة للمهاجرين منها إلى تركيا -
(المترجم) .

ورغم أنهم كانوا ينسبون هجرتهم الى الحكم المسوى ، بيد أن الشيء نفسه كان يحدث بالجيل الأسود ... لقد كان الأمر كله مسألة اقتصادية من عرض وطلب » (١٦) *

وكان السبب الرئيسي في الضغط على النمسا والمجر بين هؤلاء الفلاحين المسيحيين ، هو خيبة توقعاتهم في حدوث اصلاح لنظام الملكية الزراعية . وكان هذا أبرز مثال من أمثلة السياسة النمساوية المجرية في حرصها على الاستثمار على القديم . والتخرج في التحديث . وقد استقر الرأي منذ مرحلة مبكرة جدا ، على أن آخر اصلاح عثمانى ضخم ، وهو فرمان ١٨٥٩ سيظل قائما ومعوّلا به ، وأنه لن تفلح أية تغييرات جذرية على ذلك القانون منذ تلك اللحظة . وقد بذلت جهود صغرى لتحسين حال الفلاحين : فان تقديم قيمة مباحيلهم وكل الى مندوبين ضرائبيين عدول ، وإلى خبراء في التقدير ، وأشياء سجل للأراضي ديدنه الاعتدال لمنع التعديلات التي كان يقوم بها ملاك الأراضي ، كما أشاء نظم لتقدير متوسط المشور . (ومعنى ذلك ان المشور كانت تجدد على أساس متوسط لو معدل الانتاج في السنوات العشر الأخيرة ، وبذلك يدفع فلاح يكون محصوله في ازدياد أقل من نسبة المشور المتوجبة على محصول سنته الجارية) . وتم التاكيد على حق موالى الأرض في تحرير أنفسهم بفتح مبلغ على سبيل التمويض - وهي قاعدة كانت قد أقرت في قانون تركى صدر في ١٨٧٦ ، كما أدخلت إجراءات اضافية على الوسائل التي تزيد قدرتهم على دفع ذلك المبلغ بسهولة . وتمكن ٤١٥٠٠ من اقتناء الأرض من تحرير أنفسهم بهذه الطريقة في المئة من ١٨٧٦ الى ١٩١٣ ، ولكن في أوائل ١٩١٤ قدر وجود ٩٣٦٨ أسرة من موالى الأرض يعملون في مزارع الأغالوك التي كانت تشمل على وجه التعريب ثلث الأرض الزراعية كلها (١٧) . ولا ينبغي عن الأذهان أن نسميتهم باسم اقتناء الأرض لا يعنى مع ذلك أنهم كانوا جميعا يعيشون في ضنك وضيق وظلم . فان المؤرخ البريطاني وليم ميلر لاحظ عندما زار البوسنة في تسعينيات الألف وثمانئة ، أن « فن الأرض البوسنى ليس حالا من الفلاح الدلباشى أو الصقل » . كما أنه لاحظ أيضا أن تكرار تقسيم الأرض حسب شريعة الأتراك في قوانين ميراثهم ، أدى الى تعثيت ثروة الكثير من الأغاوات بحيث أصبحت لا تزيد على ثروة الفلاحين من أصحاب الحيازات الصغيرة (١٨) *

وبينما كان رجال الادارة النمساوية المجرية شديدى الحذر من اتفق أى شيء يؤدى الى تغييرات اجتماعية كبيرة ، فانهم كانوا بالنسبة للتقاضي من سعيهم نحو تطوير الاقتصاد البوسنى . وكان ابعاق الوحيد الذى يقفه حجر عثرة في سبيل خطتهم ، قانون صمد في فيينا في ١٨٨٠ يقرر في

ضرورة متكررة ذلك الوعد الذي أهدرهم للسلطات بأن خفت الإدارة
 مبسوطة ينبغي أن تعطىها الايرادات البوذية كسبها . وهو لم يصل من
 المصعب تحويل مشروعات البنية الأساسية القصصية المقصودة لتطوير
 البوذية . فاستغاثوا عن ذلك بالقروض . وفي السنوات القليلة الأولى
 قد تخط حدي من المصروف الكرواتية إلى زينكا (بطول ١٩٠ كيلومترا)
 وبضقات تقدر بمائتي مليون من الفلورينات . وما لبث بعد ثلاث سنوات
 أن تمد إلى سراييفو . (وهي مسافة ثمانين كيلومترا أخرى) بنفقات قيمتها
 مائة ملايين فلورين أخرى (١٩) . وكان حيار الاستعمار العام حالاً فمقد
 ١٩٠٤ كانت الحكومة قد مدت ١١٧ كيلومترا من خطوط السكك الحديدية
 البوذية للقاس . و ٩١١ من الضيقة للقاس وأكثر من ١٠٠٠ كيلومترا من
 الطرق الرئيسية وقتلتها أيضا عن الطرق الفرعية . بالإضافة إلى ١٢١
 كوربا (٢٠) . وتلقى ادمك درهم في ١٩٠٦ : . والطرق الجبلية لا تقل
 عن جميع ما في لوزيا ، (٢١) .

وكان وراء انشغاله بقى هذه الطرق والسكك الحديدية أهداف
 عسكرية بطبيعة الحال ، ولكنها كانت كذلك جزءا من اتجاه حائل نحو
 الإصلاح والتحسين الاقتصادي . واغلبت كلمة نحو هائلة لنشاطي قطع
 الغابات والتنقيب عن المناجم . وكذلك تم استخراج معادن أخرى مثل
 النحاس والكروم ، واستخرج خام الحديد من منطقة بريدور (Prilozor)
 وأضحت أيضا عدة مصانع للحديد والصلب . كما انتشرت مصانع
 ناعارية كثيرة . وعندما وافق ١٩١٢ - ١٩١٤ كانت لبوسنة صافرات
 تقدر بمائتي وعشرين مليوناً من الفلورينات . ولقد من العمال عليها
 في ألفا من الرجال (٢٢) . وكانت اليد العاملة في كثير من المدن من
 النساء (مطبوع من المسيحيات ، والقليل من المسلمين) ، مثال ذلك الذين
 في سراييفو كن يهتفن السجائر والأبسة . وبلغ الأمر بسلام مصنع
 النسيج أنهم ظلموا اضراباً في ١٩٠٦ اجتمعوا لتقبل ساعات العمل البوذية ورفع
 الأجور ومضى ذلك الاضراب في مدة خمسة أيام ، ولكن اضرابات أخرى
 مشكلة حدثت بعد ذلك أخرى ، وأطلق الرصاص على مظاهرة لعمال الصلب
 في زينكا فاصاب كثيرا من الناس . ولم يكن لهذا الاضراب أي أثر ضخم
 في سياسة القصر ، وإن تجمّع على انشاء نقابات للمصالح في كثير من
 الحرف والصناعات في السنة التالية (٢٣) . ومع هذا ، فإنه لما كان من
 دأبها البلاد الاشتراكية أن تصيد لنفسها من خلال ماضيها السابق على
 الاشتراكية ، أحياناً بطولية من هذا النوع . فإن الاضراب العام
 سنة ١٩٠٦ بولغ في تصويره ، في كتب التاريخ اليوغوسلافي المعصر
 عن تلك الحقبة (٢٤) .

ولم يكتفِ السلطات النمساوية المجرية الاهتمام بالزراعة التي تعتبر عماد الاقتصاد . فقد انشأت المزارع النموذجية ، ومنها مزرعة غنم فوفينية ، قرب سوسطار ، وكذلك مزرعة أسماك نموذجية . كما جرى تدريب المعلمين على مناهج التدريس الحديثة ، كما أسست كلية زراعة بمدينة إيلديج قرب براغوف (٢٥) . وأسست مزارع لتربية الماشية ورغبة في تشجيع تربية الخيل ، أنشئت حظائر سباق الخيل في مدينتي إيلديج وبريدور - (فإن تلك المحطات التي أصبحت شعبية ، لم تكن تدار في البلاد حسب قواعد أندية « الجوكية » : بل كان الفرسان يركبون الخيل عارية الظهر بلا سروج ، فلذا اقتربوا من عمود السبق قفزوا بأنفسهم بعيدا رغبة في التخفيف عن خيولهم ، التي كانت تصل الى خاتمة الشوط منفردة) (٢٦) . ولم تكن كل هذه الأنشطة الانمائية موضع التقدير العام من الفلاحين البوسنيين ، فإن أحد ضباط الفرقة النمساوية المجرية أبلغ أديت درهام في ١٩٠٦ : أن هذه التفضيرات كانت سريرة جدا فلم يفتلها الناس الذين كانوا يفضلون العوارج التركية القديمة ويؤثرون ركوب الدواب على العربات والطرق الحديثة ، كما أنهم كانوا ينظرون باوتياها الى كل جديد . وفي هذا الجزء الذي كان يصل به من بلاد الهرسك ، رفض الفلاحون استخدام حتى المحاريث الحديدية التي كانت تدفع بها الحكومة بأقل من سعر التكلفة . لقد أغلقنا النقود بلا نهاية ، محاولين تحسين نسل الماشية الحية : الكباشي والخنازير من أرقى أنواع الدواجن . وقد أرسلنا خنزيرا بدهسنا (لاستخدامه في تحسين النسل) في السنة الماضية الى إحدى القرى وجعلناه في حيازة رجل كنا نراه جديرا بالثقة ، فلما أتى عيد الميلاد ، ذهبه وشواء وجعله وليمة دعا اليها القرية بأكملها (٢٧) .

ومن أشد نواحي إثارة الجدل في السياسة الزراعية ، تشجيع الأجانب على الاستيطان . وكانت أول جالية من هذا القبيل جالية بسات بناء على مبادرة من قسوس ألماني نشر إعلانا في إحدى المجلات الدينية في ألمانيا ، حثمسا من الاقتبال من الفلاحين الضعفاء والسكنى في البوسنة . فجماعت الى البلاد عائلات من سهليريا وأرض الراين ، واشترت أرضا قرب الحدود الكرواتية وأنشأت مستوطنة عرفت رسميا باسم فيندهورست (Windhorst) ، وجزء منها تم تسميته « رودولفستال » (Rudolfstal) تيسا بزيارة ولي العهد الأمير رودولف في ١٨٨٨ ، وأنشأت مستوطنة أخرى جسيمة من البروتستانت الألمان وفدوا من الجسر وأسسوها « فرانكس يوزفسفيلد (Franzjosefsfeld) . وكانت الدولة تنظر بعين الرعاية الى هؤلاء الفلاحين ، فاعطتهم تنازلات ضرائبية ، وفي ١٨٩٠ أصدرت

قانونا خاصا بالمستوطنات الزراعية ، وبمقتضاها تمتع كل عائلة ما يصل الى اثني عشر هكتارا معفية من الاجبار في السنوات الثلاث الاولى وبعد ذلك يمدحون تمنا على اقساط بمائة بسيطة تنتهي بعد عشر سنوات ، ان هم اخذوا الجنسية البوسنية . وفي الجوع ثم انشاء ٥٤ مستوطنة من اصول لثالية ، وكانت الغالبية من السلاف (البوسنيين والتشيك والروثينيين) الذين اختلطت سلالاتهم مع السكان البوسنيين السلاف . ولكن مهما كان اصل المستوطنين وجنورهم ، فان تلك السياسة لقيت الرضى في ذلك الوقت ، وعندما حصل البوسنيون على يولان لأول مرة في ١٩١٠ ، كان من اوائل ما طلبوه وقف بناء هذه المستوطنات (٢٨) . وحتى تلك الآونة كانت الزيادة المتواصلة في عدد السكان الاجانب بالبوسنة بدأت تبعث القلق في نفوس الزعماء السياسيين المحليين ، اذ لم يكن هناك يارض البوسنة في ١٨٨٠ الى ٤٥٠٠ مواطن نمساوي واثنا عشر ألف مواطن مجري . وما زالت ١٩١٠ حتى كان عدد المواطنين النمساويين سبعة واربعين الفا وعبد المجريين واحد وستين الفا . على ان هذه الارقام ليست مزعجة تماما كما قد يبدو في ظاهرها . فان الكثيرين منهم كانوا من رجال العمل الادنى في النولة أو رجال الأعمال الذين لا يتصورون على الاطلاق الإقامة الدائمة بتلك البلاد . وكان بعضهم جدا : حيث جرت العادة العامة بان يعمل الجند النمساويون المجريون في أرض البوسنة ويعمل الجند البوسنيون في النمسا والمجر . فلما عن المواطنين المجريين ، فان معظمهم كانوا من الكروات ، ولم يكن منهم من الجيسار الا اقلية صغيرة (٢٩) . وبصن النظر عن الهوض بالمستوطنات الزراعية ، الذي كان القرض الاساسي منه زراعيا بحثا أكثر منه ديموجرافيا سكانيا ، علم يكن هناك البيئة اية سياسة جديدة للاستعمار الجماعي للبلاد ، ولكن ائتدق الذي حدث كان كافيا لتذكير اهالي البوسنة بانهم كانوا في الواقع واقعين تحت نزع من الحكم الاستعماري .

ولكن على وجه الخصوص كان رجال الإدارة النمساوية المجرية يصبون مثل هذه الحسابات ويحاولون أن يتجاوزوا عنها . فابيح لكل طائفة أن تكون لها مدارسها الخاصة ، التي أصبحت آنذاك تقدم من الحكومة المال . كما أن الحكومة أسست مدرسة للفرصة لتدريب قضاء المحاكم الإسلامية في ١٨٨٧ . وفي ظل نظام المدارس المجانية الحكومية التي اذنتها الإدارة للناس ، كان أعضاء كل جماعة يتلقون التعليم الديني على حدة على يد رجال دينهم الخاص . وقد سبب الكتائب اليوغوسلاف الصربون جام ذرايتهم على الجهود التعليمية التي بذلتها حكومة النمسا والمجر ، مشيرين الى انه لم يكن ينحسب للمدارس الا اقلية صغيرة من الأطفال .

ولكن حكومة تبنى ما يقارب المتن من المدلول الابتدائية وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة متعال وفنون وكلية للمعلمين ، لا يمكن أن توصف بأنها سهلة -أعمالا مغلقة على سياستها التعليمية - وليس ذلك بسبب ، فأن الفلاحين الذين رفضوا فيما مضى أن يستخدموا المماريت الحديدية ، لم يكن يعقل أن يحتمل منهم أن يدفعوا الى ارسال أبنائهم ليتلقوا تعليما لم يتلقوه هم أنفسهم فيما سلف . وادخل التعليم الاجباري في ١٩٠٩ ، أما حتى آنذاك ، فقد كانت السياسة هي كما لخصها ولهم ميلر بقوله : « ليس الفلاح مجبرا على ادخال أبنائه الى المدرسة على الاطلاق ، ولكن السلطات المحلية كانت تلجأ الى أساليب النقاش والحوار لاقناعه بمزايا التعليم إن اختار أن يحرم -أولاده منه .» (٣٠) .

على أن معالجة شئون الطوائف الدينية الثلاث الكبرى ، كانت الى أقصى حد أدق وأجرح دور يواجه الادارة النمساوية المجرية ، ووطبيعة الحال كان اتفاق المال على مدارسهم وسيلة لكسب تعاونهم وممارسة درجة ما من السيطرة عليهم . وبدلت أيضا جهود لضمان أن تكون للسلطات النمساوية المجرية السيطرة على تعيين الشخصيات الرئيسية في كل طائفة دينية : فإن الامبراطور منح من البطريرك الأرثوذكسي الحق في تعيين الأساقفة في البوسنة ، وتيسر الحصول من البابا أيضا على حق مماثل لهذا لتعيين الأساقفة الكاثوليك . واقترح المسلمون بأنفسهم إنشاء بشيخة دينية في البوسنة مستقلة عن اسطنبول . وتم ذلك في ١٨٨٢ بتعيين الامبراطور لأحد الشيوخ رئيسا للعلماء (أي رئيسا للطائفة الاسلامية) يترأس مجلسا مكونا من أربعة أعضاء أو هيئة من المستشارين .

ومن بين هذه التنظيمات الدينية الثلاثة ، كانت الكنيسة الكاثوليكية أشدهن وضوحا ظاهرا من حيث النمو والتغير . وفقد الفريسيكان استكارهم واجتذب الجزويت (٣١) الى البلاد . واتشنت ثلاث كليات كهنوتية لمعلم فيها الجزويت الناس ، كما شملت في سراييفو كاتدرائية كاثوليكية . ما لبثت أن اتبعت بكنيسة للقديس بطومير من يادوا . وزاد تدفق الناس من النساء والمجر عدد السكان الكاثوليك زيادة كبيرة (حيث نما عددهم في سراييفو وحدها من ثمانية في ١٨٧٨ الى ٢٨٧٦ في مدى ست سنوات فقط ، وكذلك تفصل جهود أربعة أساقفة وكبير أساقفة يتصف بالمزم الشديد (هو المونسنيور ستادلر Stadler ، الذي خدم بسراييفو طوال

(٣٠) للفريسيكان والجزويت . جماعتان من الرهبان الكاثوليك تليقتان لدايا روما -

(المترجم) .

تلك المدة الممتدة من ١٨٨٢ الى ١٩١٨ ، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية اكثر نشاطا مما كانت عليه في اثناء الف الستة تقريبا السابقة من تاريخ التومنته كله (٣١) - على ان السلطات كانت تسي تماما ذلك الخطر القائم في تحويل الكاثوليك البوسنيين الى طائفة مميزة . فان ولهم ميللر الذي كتب في ١٨٩٨ ، مبينا ما كانت عليه سياستهم من خسر :

« لقد اصيب الكاثوليك ... الذين طالما شسخصوا باجسادهم الى النساء للمعاونة والتأييد ، كما انهم بالطبيعة رجوا بوصولها . بوصفها دولة كاثوليكية عظمى ، يشي من خيبة الأمل ، لانهم - وهم الذين كانوا يكونون اكثر قليلا من خمس سكان البلاد - لم يسمح لهم ان يقوموا بوظيفة « التثريك التبليغي » في « التثركة » البوسنية . وفي اعتقادي انه لا يقوم هناك اى دليل يدل على الاكران والمستواة في مشاركة الجماعة الدينية المتنوعة من جانب الحكومة اكثر من هذا الاحتشاش بعبية الأمل ، (٣٢) »

كما ان القسطنطين الاثريكي و . ا . كيرتس اللذان دار التومنته في ١٩٠١ ، تكوت في وقتنا اطباءة مماثلة عن طائفة البعالة والوازي من الجماعة . حيث شهد ان « اتباع مختلف الطائفة الدينية يتبادلون الهدايا والقرلة ، ويبدون احتراما وتسامحا متبالا » . وتدار الامور في المحاكم بشفقة وامانة ، والعمل مكفول لكل مواطن . بخص النظر عن دينه او مركزه الاجتماعى » (٣٣) . ولكن كان من المتكهن بين الصقي والفتحي ان تحويل المشكلات الدينية سيجر اجرة الحكم ولو كانت متسيدة على اهل درجة من الدقة .

وكانت اشد المشاكل المثيرة للفرقة والجدل مسألة التحول من دين لآخر . وكانت هذه القضايا تسي في المادة البنات المسلمات ، اللاتي كن يفتحن الى الكاثوليكية على يد خطابين وازواجهن ، وبذلك يزلن الفضيحة الكبرى والخرى الأعظم بأسرهن . وصنا تجد الفس الكاثوليكية . وان لم يجهروا بدعوة التنصير بين المسلمين ، فانهم كانوا يذلون اقصى ما في وسعهم لمساعدة اولئك الذين كانوا ياتون اليهم - وذلك اما بتخصه البنات في الاديرة او في مقر تليد الأساقفة مثلا ، ورفض الكشف عن مكانهن للشرطة . وبعد أحداث متحدة من هذا القبيل خضعت السلطات للضغط الاسلامي في ١٨٩١ . واسلوت قانونا يسي « قانون احتشاق الاكران » ، وضع اجراءات للتضاي المتنازع فيها : بعدا بفترة انتظار طولها شهران . قبل اعلان التحول رسميا الى الدين الآخر ، مع تشكيل لجنة حكومية للتحري حول اى اتهام بالايجاب والتهور ، وما الى ذلك من اجراءات .

وأدت تلك الإجراءات إلى تهديد متخوف المسلمين ، ولكن وقعت بعد ذلك
 ياتني عشر عاما حادثة تورط فيها كثير الأسقفية ستاندر وكان الآخر شخصا
 باربرية بصلية ووطنيا ، وقد اعترف بأن الحكومة بعيت اتفاقية سرية مع
 اليابان في ١٨٩٥ . منحت بها رجال الدين الكاثوليك الحق في الاتصال
 بين ترقى فيهم الرغبة بين اليابانيين هي التفتاق المسيحية - وهو أمر قوضي
 ووطنية سرية - قانون اعتناق الأديان - . ووجنا ثارت بآثمة المسلمين مرة
 أخرى . وقدموا الإلتصابات والتسكاي . ومع هذا ما منهم ما ليتوا حتى
 بدأت نفوسهم عنيدا اكتسبت الحكومة مكان اختفد الأرملة صاحبة هذه
 القصة هي ووطنيا في أجد للأديرة - وقامت الشرطة بالتعقب عليها ،
 وأعيدت إلى فرجها ، حيث وافقت على العودة إلى الإسلام ثانية (٣٤) .

ومن المؤكد أن مشاعر الغضب العامة استتوت مثل هذه الأحداث ،
 ولكن الطريقة التي تناول بها زعماء المسلمين تلك الوقائع ، والتي رملوا
 بها عدوما أخرى (مثل الشكاوى حول الضرائب وغير ذلك) ، تطل على
 وجود استراتيجية سياسية لديهم فهي ليست وليدة التعصب الأعمى .
 والأم كما تبصر عنه دراسة تفصيلية حديثة لتلك الأحداث يتلخص في
 التالي : « إن النشطاء المسلمين حرموا كل ستر لعدائهم في نوب الإخلاص
 الديني ، ولكن غرضهم الحقيقي إنما هو الاحتفاظ بقوتهم وسلطانهم
 أو حتى زيادتها ، (٣٥) . فقد شملت النفوذ الثلاثة الأولى للحكم النميري
 المحررى تنابسا على السلطة ، بين (النبهة المتنازعة المسلمة التي اكتسبت
 القوة والنفوذ عن طريق التعاون مع الحكومة ، وبين زعماء المسلمين
 الأتشد بصليا في كل من توافيك وموسيتار ، الذين اتفقوا عوقفا
 حوارضا متبديدا ، وأجلوا يسوعون بسبغة متافسهم من أبناء مراينلو .
 محاولين بذلك انتزاع السلطة منهم . (وفي تسميتات الآب وتيانبة ،
 زادت النمورية تمقيدا بظهور منافسات قوية بين مسلمي موسيتار
 أنفسهم أيضا) .

كانت اتيد المسائل الحموية هي السيطرة على المؤسسات الخيرية
 الاسلامية . وكما أوضحنا في الفصل الخامس ، كانت هذه المؤسسات
 المروقة باسم الخرافات طوب دوبا جورها في المجتمع الاسلامي ، وتقدم
 بالمال شيئون للمساجد والمدارس ، والتكايا بل حتى الجانات والكبارى :
 وكان وضعها للمال يكاد يكون دحرة ضخمة للامانة استعمالها على طول
 القرون . اذ كان على المعطي الطواصق أن يمين على تحارتها لولاده وأخواده
 كنظار مندوعى الأمر يتواترون ذلك للصل إلى أجد الأبدن ، وبذلك يخلق
 الواقع وديعة مالية عائلية تكاد تكون صفة من الضرائب . وفي ١٨٧٨ بقر
 أن الثلث تقريبا من الأرض الصالحة للزراعة باليوسسة كانت تملكها

الأوقاف - وكان من المبادئ الأساسية في الفريضة الإسلامية أنه متى حلت
 ان ملكية تحولت الى ارض وقف لم يجوز اطلاقا ردها الى الملكية العادية -
 وكان من اوقات ما قبله التمسويوة المجريون ان يجمعوا القوانين العشاقية
 التي حاولت قديما تنظيم ادارات ومظارات الوقف وقضت بوضع
 حسابات جبهة التنظيم وما الى ذلك من معالجة وقلموا بنشرها وعلى ذلك
 انشأوا لجنة للأوقاف في ١٨٨٢ . وعين في عضويتها بعض وجوه الطائفة
 الاسلامية : فوضعت جميع الأوقاف الاعلى الى العائلية المحلية تحت سيطرة
 مركزية ، ورسمت لها ميزانيات مطبوعة ووضعت خطة لسياسة
 شاملة للبوسة كلها من اجل توفير الاموال اللازمة للمساجد والمدارس .
 وقد ارتضى الجميع هذا كله ، باعتباره مصلحة عامة ولكن اللجنة
 خضعت لسيطرة الشخصيات الأكثر تصاوتا مع الحكومة من مسلمي
 سراييفو ، فاصبحت من ثم موضع حقد وبنى من وجوه المسلمين في
 المناطق الاخرى من الاقليم . وحتى عندما سميت لجنة الأوقاف في ١٨٩٤ ،
 لتضم ممثلين عن كل اوجساد البوسة ، ظل تعيين هؤلاء الممثلين بيد
 الحكومة (٣٦) .

وكان مسلمو موستار بقيادة زعيمهم ذى العزم الشديد ملة مصطفى
 جاييتش (Mula Mustafa Džabić) ، هم الذين حولوا موضوع ادارة
 الأوقاف الى مسألة سياسية ضخمة . فلقد تزعموا حملة لارسال
 الشكاوى والالتماسات وغيرها من الأنشطة ، خاصة وقد استلزم تحويل
 بعض المسلمين الى المسيحية ، وتمكنوا من الحيلة دون صدور مشروع
 قانون في ١٨٩٩ كان يقضى بانشاء جمعية أوقاف ، ذات استقلال ذاتي
 للهرسك . وبهذا من ان تقوم على التعيين الحكومي من اكبرها الى اصغرها
 فان الشكل الذي اقترحوه كان قائما على الجمعيات المحلية : فتقوم تلك
 الجمعيات بتعيين اعضاء من جمعيات النواحي ، ثم ترسل جمعيات النواحي
 مندوبيها الى مجلس المقاطعة (٣٧) . وكان اول رد للحكومة على ذلك هو
 انها لن تحت تعامل هؤلاء المسلمين بوصفهم متبرين خطرين للشعب ، ثم
 نقلت النادي الذي كان مركز انشطتهم . وعندئذ بدأ زعماء موستار في
 حشد الانصار بكل أرجاء الهرسك والبوسنة ايضا . وباستخدام السلطة
 المحوية لجاييتش وطائفت المهيجين الحركيين الاصغر سنا مثل شريف
 ارنأوتوفيتش (Rihard Arnaudović) كونوا تنظيما شمل القطر كله .
 كان في الواقع حزبا سياسيا في طور جنين - في طي سنة ، وعقدوا
 جمعية لزعماء البوسنة المسلمين يفتق بمدينة بودابست في صيف
 ١٩٠٠ . وبذلك بدأوا عملية مطولة من الدعوة للتمرد والمفاوضات ،
 وأخذت السلطات تسمى ثورة الى ارضائهم وثارة للصالح معهم وثارة
 اخرى لبث الفرقة بينهم وثارة ثالثة قمع المتناحيين منهم (٣٨) .

وكان هذا النجاح للنضال المسلمين ، موضع ضغط شديد من الرجز المستول عن شتون البوسنة في ذلك الزمان ، وهو يتيامن كاللاني ، وهو المؤرخ والديپلوماسي السابق ، الذي تولى وظيفة وزير المالية المشترك من ١٨٨٢ - ١٩٠٣ . وكانت كاللاني سياسة بوسنية عامة ، تنحصر في عزز البوسنة عن الحركات السياسية القومية بكل من صربيا وكرواتيا ، وتطوير الفكرة الداعية الى قيام القومية البوسنية كعامل منفصل وداع الى توحيد الصف . والواقع ان الاتسراك استغلوا في قديم الزمان مصطلحا مناه : « البوسنيون » ، وهو بوسنياكذر (Bosniaklar) للاشارة الى كل من كان يسكن البوسنة من الناس ولكن باللغة الصربوكرواتية ، كان الشعب الوحيد الذي كان يسمى نفسه حسب الماثور التقليدي باسم « البوسني » (بوشياق) هو المسلمين البوسنيين (٣٩) . (وكان الكاثوليك يطلقون على اسمهم اسم « لاتيني » أي اللاتينيين ، أو الكريستشيان Krišćani ، وهي كلمة تدل على المسيحيين - ولا يجوز ان تختلط مع كلمة « كريستيان » Križani الشائعة في المصور الوسطى - كما ان الأرثوذكس اسوا اسمهم « فلامي » أي الألاف ، أو « هرشيان » Hrašćani ، وهي كلمة أخرى منهاها لمسيحيون) . وكان كاللاني يأمل ان يسط مصطلح « بوسني » على الناس من جميع الطوائف الدينية ، وكان من الضروري لأصداه ان يقبل المسلمون أولا فكرة القومية - اذ كان يعرف ان خير الفرص المتاحة له كانت بين أيديهم ، وذلك لأنهم على عكس الكاثوليك والأرثوذكس ، لم يكن لهم أية قوى خارجية تدعمهم ويستطيعون التطلع اليها خارج الحدود البوسنية ، وكان من الواضح انه لو حلت وطوروا شخصيتهم وهويتهم الخاصة المنفصلة بدلا من ذلك فسيخفق «شروعه بأكمله » .

ونجح كاللاني نجاحا تاما مع مسلمي سراييفو الأكثر تماونا ، الذين رأوا في خط الفكر هذا استمرارا طبيعيا لسياسه السابق للحصول على الحكم الذاتي في عهد الممانيين - وأسس زعيمهم ، وهو عمدة مبرز سابق لسراييفو ، اسمه محمد بك كابيتانوفيتش (Mehmed-beg Kapetanović) ، صحيفة يومية في ١٨٩١ تسمى « بوشنياق Bosnjak » ، ومنها « البوسني » ، ومع انها كانت نغاطب القسرا ، من كل الأنواع ، فانها كانت في جوهرها صحيفة اسلامية وكانت تواجه السرعات المحافظة بين رجال الدين المسلمين ، كما حاولت أن تحارب محاولات القوميين الكروات والصربيين الذين زعموا ان مسلمي البوسنة كانوا من « الحقيقة » كرواتا أو صربا . وأعلنت هذه الصحيفة انه « بينما كان

الكروات يجعلون بأن الأرثوذكس هم أعظم أعدائهم وأن عالم الصربية هو نفسه الأرثوذكسية ، إنغة الصرب ينسجونه تاريخيا ذاتيا ، ضربوا فيه صبة الصربية على العالم كله ، وجرة أخرى صرحت : « لن ننكر أنها منسوبة إلى العائلة السلافية الجنوبية ، على أننا مع ذلك سنظل يوسنيتين مثل آبائنا ، ولا شيء غير ذلك » (٤٠) .

وما كان ليبنو في عيني أحد أن مقترح كالكلي سخيف وغير مجيد عندما ينظر قصصه إلى تاريخ البوسنة قبل الاحتلال النمساوي المجري يجيل أو أكثر قليلا . وكما رأينا ، فإن الكاثوليك والأرثوذكس بالبوسنة احتفظوا طويلا بروابطهما الدينية مع الكروات والصرب ، فلما في أثناء القرون العثمانية ، فقد كانت هناك عدة بويات دينية في البوسنة ، وكان بالإمكان أن تكون لهذه الهويات فضلا معاني وضمونات سياسية : إذ كان كثير من الكاثوليك البوسنيين يخصصون بأبصارهم إلى الأراضي خارج الحدود الكرواتية والبلغارية ، النمسا للمعون بل حتى التحرير . فسير أن ذلك كان شائنا من شئون الدين وليس من شئون القومية . فلهذا كان هؤلاء الكاثوليك يطفون بأبصارهم إلى النمسا الكاثوليكية أو إلى البندقية الكاثوليكية أو إلى كاثوليك آخرين الدين يتصالح أنهم كانوا من الكروات ، ولم يكونوا ينظرون إلى لغة الكروات بوصفها ذلك . ولم يحدث إلا في منتصف القرن التاسع عشر فقط على أبكر تقدير ، أن بدلت الفكرة الصربية للقومية في الانتقال من كرواتيا وصربيا إلى كاثوليك البوسنة وأرثوذكسها . ومن بين المعايير الثلاثة الأساسية التي كانت الامتياز الصربية والكرواتية تؤسسان وتميزان نفسيهما عليها أثناء تلك الفترة - وهي التاريخ واللغة والدين - لم يكن هناك إلا عامل واحد ينطبق على البوسنة هو عامل الدين ، حيث أنها قطر كان له تاريخه الخاص المنفصل ، وفيها كانت الخطوط الكفافية (الكتوتية) للخريطة للملوية تقطع وتسير جميع الحدود الدينية . ولم يحدث البتة أن كانت هناك أسباب اجتماعية ولا اقتصادية للكراهية مع الأرثوذكس والكاثوليك يارض البوسنة ، كما أن الأسباب التي كانت قائمة للعداوة مع المسلمين قد أزالها الحكم النمساوي المجري إلى حد جزئي . وهنا كاتبه أنجليزي يطلق في ١٨٧٩ على هؤلاء المسيحيين من المسلمين في البوسنة :

« من العجيب أنهم يحصلون مثل هذا القدر القليل من الكراهية نحو جلاذيتهم السابقين ، وربما كان تفسير ذلك أنهم كانوا جميعا أبناء جنس واحد » فهما يكن السبب ، فانه يؤيد تأييدا تاما الرأي الذي خرج به كل من درسوا تلك

البلاد في الأرمان التركية .. وفقدوا في الجبله النعمة الإلهية
التي كان عليها السكان . انما تعود الى اسباب رداية أكثر
منها دينية . وانه لو أمكن إزالة هذه الأسباب لانتشمع
بالتدريج الاحساس السني الذي خلقته تلك الأسباب (٤١) .

ولو ان كلالاي قد له بشكل ما أن يعزل البوسنيين الأرثوذكس
والكاثوليك عن التطورات السياسية الثقافية الموحدة في الأراضي
المجاورة ، فربما أمكن لميأسه أن تجد لنفسها فرصة ، ولكن مثل هذا
العزل المطلق النام . كان مستحيلا . وبينما كانت القومية الصربية
والكرواتية منتشرة بين صفوف البوسنيين الكاثوليك والأرثوذكس من خلال
هذه التشنكات من القسوس والمدربين والمتعلمين من قراء الصحف
التي ساعد الاحتلال النمساوي المجري على انتشارها ، أصبحت ضرورية
كلالاي البوسنوية المتميزة مقدرا عليها القسوس أكثر ما كان . حتى إذا
حلت سنة ١٩٠٨ ، إذ مراقبه نافذ البصيرة هو عضو البرلمان النمساوي
يوزيف بيرايتر (Josef Beranek) . يسلو على رؤوس الأشهاد
، موتها (٤٢) .

وفي نفس الحين ، فإنه خارج الحدود البوسنية . كانوا السوا
السلافية المجرية يضم نوا القومية الكرواتية والصربية وبنسبها لوارا
سنة بعد سنة . واتج الحاكم المجري لكرواتيا سياسة متعصبة من
اثارة العداء بين الكرواتيين والصرب ، باتخاذ اجراءات وتدابير متخفة
لا ضرورة لها مثل اصداره قرارا بضرورة أن يتكلم جميع صلب النساك
الحديثة في كرواتيا اللغة المجرية . وتدهورت العلاقات بين الحكومة
الثنائية الملكية وبين صربيا . كما انه جازا لأن تجارة الصرب كانت تعتمد
اعتمادا قاطعا على النمسا والمجر . فانه ولما لم يزد الصربيين إلا تضيق
وضيقا من سيادة آل هابسبورج وتسلطهم على المنطقة . وصعدت حاولت
صربيا ان تجد لنفسها مخرج لتجارتها في أماكن أخرى في ١٩٠٦ ، انتم
منها النمساويون المجريون بفرض رسوم تاديبية على الصادرات الصربية
الرئيسية : وهي الخشائر . (وفيه العقوبة التي سبقت . بحرب
الخنازير ، كان من صياها شأن غيرها من العقوبات التجارية في التاريخ
الحديث ، أن شجعت بالفعل على تطوير المزيد من المنافع التجارية) .
وكانت العلاقات بين الدولتين في تلك الفترة حرفة المارة - فبرغ وزير
خارجية (النمسا والمجر . وهو البارون فون آرنتال (Baron von
Arntshel) . ينظر جديا في الاستيلاء على صربيا غير خاتمة المطامير .
كما أن رأى سلطات النمسا والمجر في البوسنة كان يؤيد بسطة حدود
الامبراطورية الى صلافونكا أيضا : إذ بينما ادعى دوما تسليط يلفظ

البوسنة في ١٩٠٦ . لاحظت ان النمساويين كانوا خائفين الى تفوية مركزهم في البوسنة جهد الطاقة ، بحيث يكونون مستعدين للزحف الى الامام : فان عبارة نحو سالونيك ، أصبحت موضوع حديث محبب اليهم جميعا (٤٣) .

وفي حنا البجر والسياف ، قر الفراد على تغيير الوضع القانوني للبوسنة ، من ارض عثمانية محتلة الى ارض مستلقية بصورة كاملة بالامبراطورية النمساوية المجرية . وكان الذي جعل بتلك الحركة الى الظهور هو ثورة تركيا الفتاة في ١٩٠٨ ، وبنت الثورة وكأنها ستخلق نظاما في اسطنبول ربما طالب - ولا اثم عليه - باسترجاع حقو تركيا على البوسنة . وذلك بمنع البوسنيين صمتورا أكثر ديمقراطية من التي يسمون به في ظل الحكم النمساوي المجرى . وعصر الباريون فون أرنثال بسرعة ، حيث أعلن استلحاق البوسنة بالكامل الى النمسا في ٥ أكتوبر ١٩٠٨ . وادى ذلك الى ثورة الرأي العام في صربيا : اذ أحس القوميون هناك أن ارض البوسنة قد حطفت من قبضتهم ظلما وعدوانا بعد ان باتوا قاب قوسين أو أدنى من عديمهم ونظمت مظاهرات ضخمة في بلجراد ، وأنشئت بعد ذلك جمعيات سرية لعل حملة لتوحيد الكتلة الصربية : وحيا على التسوالى نارودنا اودبرانا (Narodna Odbrana) ومعناها الدفاع الوطني ، وايدى ايل سمرث (Jedjenje ili Smrt) ومعناها ، الوحشة أو الموت . وهى المعروفة أيضا باسم كونا روكا (Crna Ruka) أى ، اليد السوداء . ولم يبلغ عام ١٩٠٨ نهايته حتى كانت هناك فروع كثيرة لجمعية « نارودنا اودبرانا » بأرض البوسنة (٤٤) . ولم يمنع صربيا من اعلان الحرب على النمسا والمجر الا تدخل وزير خارجية روسيا ايزفولسكى (Isvolaki) الذي كان يشعر بالآلم الشديد لأن فون أرنثال خدمهم . ولكنه مع ذلك نصح بلجراد بأنه : « يجب أن نظل صربيا ساكنة ، والا تفعل شيئا يمكن أن يستنفر النمسا ويزودها بفرصة تقضى فيها على صربيا قطعا مبرما » (٤٥) . وما لبثت الحكومة النمساوية المجرية والتركية حتى وصلتا فى نهاية المطاف الى اتفاقية عققت في فبراير ١٩٠٩ ، وبمقتضاها تمسح للحكومة الأولى الحقوق الكاملة على البوسنة وان تنسحب من سنجقية نوفي بازار ، وان تضمن حرية العبادة كاملة للمسلمين البوسنيين . وتفتح لاسطنبول مليونين وخمسةة ألف جنية تركي . ومع ذلك فإن الأزمة السياسية ظلت تلوى شهورا عديدة بعد ذلك (٤٦) . وحيا يتبين ان التفاعل الذى أحدثه تناقض الدول الكبرى على وطنية الولايات البلقانية والذى كتمست عنه هذه الحادثة ، كان نذير شؤم يندر بأحداث أغسطس ١٩١٤ .

ولكن الأثر الأعظم الذي أحدثه الاستقلال في حياة البوسنة الداخلية ، كان أثرا كبير النفع لها والحق يقال - أد شعرت السلطات في كل من فيينا وبودابست بأحكام قبضتهما على البوسنة ، وأصبحت من ثم أشد رغبة في السماح بقيام حياة سياسية في داخلها - وفي ظل وزير المالية المشترك المتحرر الفكر ، البارون بوريان Baron Burian (الذي ظل يشغل هذا المنصب من ١٩٠٣ حتى ١٩١٢) ، حصلت البوسنة على تنازلات ضمنية : فتح المسلمون أولا نظام إدارة الأوقاف الذي طأنا طالبوا به ، ثم في السنة التالية ، انتخب برلمان بوسني - سم ، أنه كان مؤسسا على نظام اقتراع محدود ، كما لم تكن له أية قوة تنفيذية مباشرة ، ولكنه مكن بالفعل المنظمات التي أقامتها المجتمعات المحلية ، في السنوات الأخيرة - مثل المنظمة الوطنية الإسلامية (١٩٠٦) ، والمنظمة الوطنية الصربية (١٩٠٧) ، والجمعية الوطنية الكرواتية (١٩٠٨) - أن تبدأ العمل بوصفها أحزابا سياسية حقا (٤٧) .

وبذلك أتبع للنخب الممتازة من المثقفين والأثرياء في كل طائفة من هذه الطوائف أن تلعب دورا نشيطا في هذه الأحزاب بطبيعة الحال - وهذه الحقيقة تساعد على تفسير السبب الذي من أجله لم يقم الحزبان المسيحيان الرئيسيان بأية حملة شرسة لاصلاح نظام ملكية الأراضي الزراعية - وذلك رغم أن معظم الناس الذين كانوا حينئذ يدعون أنهم يمثلونهم ، كانوا من الفلاحين - وكانت هناك مسألة حسابية برلمانية لها وزنها أيضا : فمن طريق عدد أعضاء مجلس النواب الذي عكس بدقة تامة النسب الصاعدة بين السكان : (٣٧ لوثوذكس ، و ٢٩ مسلمون ، و ٢٣ كاثوليك ، وواحد من يهود) ، لم تكن أي من الطائفتين المسيحتيتين تستطيع أن تسيطر منفردة ، ولذا فإنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم مضطرين الى التنافس على التماس تعاون المسلمين معهم (٤٨) - وفي ١٩١١ فاز الكاثوليك في المنافسة وكونوا ائتافا مع الزعماء المسلمين ، الذين كانوا يرون أن احتمال قيام الكاثوليك بمساندة اصلاح الزراعى أبعد منه لدى غيرهم .

ولم يكن هذا التثليل الذي يلقاه المسلمون الا مجرد جانب من عملية تدليل فكرية وثقافية كانت مستمرة عدة عشر سنوات على الأقل ، حيث كان كل طرف من الأطراف يحاول أن يركز في الأذهان أن مسلمي البوسنة كانوا كرواتا « أقحاحا » أو صربيا « أقحاحا » - وفي أثناء معظم هذه المدة ، أصاب الكروات نجاها أكبر من حيث تطبيع الهوية الثقافية ، وبخاصة مع أصحاب العقول الناجمة من المسلمين ، الذين قضوا ردها من الزمان في غرب ، أو في جامعات أخرى تساووية مجسدية من التي يتردد عليها

الكروات . وكانت أكبر الجمعيات الثقافية شانا في سراييفو ، بل الأولى فيهن جميعا ، وهي « الحارث » (Harzret) ، وقد أسست في سنة ١٩٠٣) ، يسلط عليها في سنتها الأولى ، كتاب من أصحاب الزراعة الكرواية مثل الشاعر والمؤلف صوبت بك باشاجيتش (Basivet-beg

Basagiu) (٤٦) . ولكن في العين نفسه كان هناك قهو أكبر من التملوب السياسي . وأدجد على شكل فصاف غير رسمي . بين وعاء المسلمين والمصريين . في السنوات التي سبقت تكوير البرلمان . وقام الصربون بمحتلهم الخاصة هم أيضا . يقومهم مناصل آخر من مويسر

هو فوسلاف شولا (Volslav Sola) . وكان يطالب بالقاء هيئة دنيوية تكون أكثر استقلالا ذاتيا ، وقد أرسلوا كذلك وخمسم لكن يوازر المسلمين سياسيا في يودايست في عام ١٩٠٠ . بل وعقدوا مؤتمرا انقلابيا مخترا بينهم جميعا في السنة التالية (١٩٠٠) . لقد كانت هذه الجوانب الثلاثة جميعا تقوم بلمية دقيقة من الانتهازية السياسية . وكانت عملية الانجياز بينها مائعة دائما . ومع ان بعض البارزين من المفكرين الاسلاميين « اعلنوا » انفسهم صريين أو كرواتا ، فإن هذه الأعمال الفردية لم تقوض باية حال . المركز العام للمسلمين ، الذي ترسمخت اقتدامهم وتلمعت بركانهم في كتلة سياسية متميزة أدى (كيار خامس) . والأمر كما لخصه روبرت دونيا (Robert Donia) التعبير الأول في تاريخ تلك الملة : « ان هذه الاعلانات كانت في معظم امرها تكتيكية وسياسية في طبيعتها . وكان بعض المسلمين ينتقلون من مسكر لأخر تبعا لاختلاف المساسبات . ولو لجأنا الى التعبير عن الوضع ببسطة قلنا انه قيام حوية اسلامية منفصلة كان فكرة بالغة التندم بحيث لا يستطيع بسهولة أي مسلم ذي شأن أن يتخلل عنه » (٥١) .

ولمنا نستطيع أن نعلم الا على سبيل الظن ما الذي كان سيحدث لو تركت هذه التريبيلت القنادية والعزبية في مسانها . لكن ذلك لم يكن مقدرا له ان يكون ، ان كان اختصار الوطنية الصربية . الذي أتى بعد ضم اليوسنة الى السلا والمجر ، قد أخذ ينتشر بين قطاعات أخرى من السكان اليوسنيين الأرثوذكس - او على الأقل بين فئة قليلة من مئات تلاميذ المدارس وطلابها . وكان الشعور المضاد للنمسا والمجر أخذ في النمو في كرواتيا أيضا ، وفي الملة ما بين ١٩٠٧ و ١٩١٠ كان أخذ بصورة متزايدة في التحول الى شكل من التعاون مع الصربين في عملية القاء دولة سلافية جنوبية مشتركة . ويتجسد ذلك في الاسم الملقب لمنطقة من الطلبة كانت تعمل في جامعات خارج اليوسنة وراسها الكاتب اليوسني الشاب ايفو اندرجتش ، اذ كانت تسمى نفسها « حركة التنبيلب التقدمية»

المرير كروانية أو الكرواتوصريية أو اليوغوسلافية ، (٥٢) - وشرح الطلبة الصربيون في داخل اليوسنة يفرون سريما موقعهم بعد ١٩١٠ من النزعة الصربية الضيقة الى المطالبة بدولة يوغوسلافية - وهناك تجمع حتى من تلاميذ المدارس ، يطلقونها سري ، جمعية اليوسنة الفتاة ، (Mlada bosna) ، التي اتحدت لنفسها هذا الاتجاه الذي كان أبسط موقف مشترك يستطيع أن يتخذ عليه جميع ، أعداء آل هابسبورج ، وبذلك أصبح الانضمام إلى عضويته يمكن أن يضم الكروات بل حتى بعض المسلمين أيضا (٥٣) - والأمر كما عبر عنه أشهر أعضاء جمعية اليوسنة الفتاة أثناء محاضراته في ١٩١٤ ، وهو جافريلو برسيبي (Gavrilo Princip) « أغنى وطني يوغوسلافي ، أعدب إلى توحيد جميع اليوغوسلاف في وحدة مترابطة ، ولا يعني في خرج من الدولة يتبعني هذه الأمر ما دام يكون خليقا من النسميين » (٥٤) -

ولقد عالج الكتاب التي ، الكثير في جوانب الفلسفة السياسية هؤلاء ، النشطاء ، الشباب ، ولعلهم أسروا فيما كتبوا فلم يكن هؤلاء الصبية ، الذين لم يتألفوا قسما وافرا من التعليم الجيد ، من الفلسفة ولكنهم كانوا ضد رجال الدين وعارضوهم بشدة وكانوا يريدون الثورة الاجتماعية ، بالاضبط بنفسه قدر ما يريدون من التحرر الوطني ، وكانوا شديدتي الهافت على كتابات الفوضويين أو الفوضويين الإشتراكيين ، من أمثال باكوبي (Bakunin) وهرتسكن (Hertsen) وكروبوتكين (Kropotkin) ، وكانوا مؤثر كل شيء يبتغون أن يصبحوا أبطالا ، وكان الأول الراكد بين عدد متعاقب من هؤلاء الذين اتجهوا إلى عمليات الاغتيال السياسي ، طلبه من البرسك يسمى بوجود جيراييتشي

(Gligo Zjerna)، الذي ذهب إلى سراييفو يوم افتتاح البهران اليوسني الجديد في ١٩١٠ ، وهناك أطلق خمس طلقات على الحاكم العسكري ، وهو يقاتل الموكب ، فلما رأى أنه بخطا التصويب في كل واحدة منها ، أطلق السادسة على رأسه حتى ينتحر (٥٥) - وفي صيف ١٩١٢ حاول لوكا بوكيتشي (Luka Bukich) وهو برسنس كرواتي أن يقتل الحاكم العام لكرواتيا في وغرب وقبل ذلك بقبيل من نفس السنة ساعد بوكيتشي في تنظيم مظاهرات احتجاج من ثلاثة المدارس في سراييفو ، بالاشتراك مع جافريلو برسيبي وعدد كبير من الشباب ، ممن أصبحوا فيما بعد مشتركين فيما بعده برسيبي من خطط الاغتيال في ١٩١٤ - وفي هذه المناسبة ، كما دون أحد هؤلاء في مذكرته ، « كان برسيبي ينتقل من فصل مدرسي إلى آخر وهو يتهدد ، بقبضة من الحديد ،

جميع الأولاد الذين كانوا يتحدون في الاشتراك في تلك المظاهرات الجديدة (٥٦) .

ولم يكن ما اجتلب الناس الى القسوانغ فيما بعد في ١٩١٢ هو القصة الحديدية لبرنسيب ، وانما هو الأحداث الدوامية التي حدثت في شرق البوسنة وجنوبها . ففي أكتوبر أعلنت الجبل الأسود وصربيا الحرب على تركيا . وبمساعدة بلغاريا واليونان تمكنوا من طرد الترك من سنجقية بوفي يلزار وكوسوفو ومقوتيا . وقد أدت السرعة والحجم الضخم لانتصارات الصرب والجبل الأسود في هذه الحرب البلقانية الأولى ، الى ظهور موجة عظيمة من المشاعر بين النشطاء المناوئين لآل هابسبرج بكل من البوسنة وكرواتيا . حيث انفجح عدد كبير من أعضاء جمعية البوسنة الفتاة ، للعمل متطوعين مع القوات الصربية . ومن عجب انه من بينهم بعض الصبيان المسلمين (٥٧) . ولعلهم لم يكونوا يعلمون . أو حتى يسمعون ، بأن الصربيين وحلفائهم كانوا يذهبون القرويين الألبان المسلمين ، مما جل عشرات الآلاف من المسلمين السلاف يفررون من مقدونيا . وأوقع المسلمين الناطقين بالبلغارية تحت طائلة التحويل الاجباري الى المسيحية (٥٨) .

وبلغ الأمر انه عند حلول ربيع ١٩١٣ كانت العلاقات بين النمسا والمجر ، وصربيا بالغة التوتر . خاصة وأن الفتوح الصربية أوشكت أن تصاحب من حجم وقعتها ، ولو كانت استولت على جزء من الساحل الألباني أيضا (وهو امر كانت تنتويه بالفعل) ، لكانت قد تسببت في وقوع تهديد استراتيجي للنمسا والمجر على البحر الأدرياتيكي . ومع ظهور طرف تيسو ليه الحرب وشيكة الوقوع بين الدولتين ، فإن الحاكم العسكري للبوسنة ، وهو الجنرال بوتوريك (Potiorek) ، طبق خطة أمن عنيفة . فأعلن حالة الطوارئ في ٢ مايو ، وحصل البرلمان ، وأوقف المحاكم المدنية عن العمل . وأمر باغلاقات كثير من الجمعيات الصربية ، ووضع تحت تصرفه جميع المدارس البوسنية (٥٩) . ومضت تلك الأزمة المباشرة الى خائمتها عندما انتهت الحرب البلقانية الأولى بمساعدة لندن في الثلاثين من مايو . ثم اشتعلت نار الحرب بعد ذلك بين الحلفاء المنتصرين . في الحرب البلقانية ، الثانية ، في شهر يونيو ويوليو . غير أن سياسة الجنرال بوتوريك البالغة الشدة ، كانت وسخت جنوبها الآن في البوسنة ، فإن الوزير المشترك للمالية ليون فون بيلينسكي Leon Von Bilinski (وهو الذي تقلد الوزارة بعد بوريان في ١٩١٢) ، كان يفضل سياسة مرة أكثر ، بدفع الجبايات البوسنية

أحداها ضد الأخرى ، والاستفادة من الطغاة الصربية التجارية والمهنية ،
ولكن سياسة بوتوريك المتوافقة للصرب ، كانت لها الغلبة (٦٠) .

وبذلك تمهيأ المسرح لمناورات الصيف الكبرى للجيش التمساوى
المجرى فى البوسنة فى ١٩١٤ ، التى كان من المقرر أن يشهدها الأرشيدوق
فرانز فرديناند ولى عهد العرش الهابسبورجى والمفتش الصام للقوات
العسكرية للإمبراطورية - وكان من الحفاقة البالغة أن زيارته لسراييفو
حدد لها اليوم الثامن والعشرون من يونيو ، وهو العيد السنوى لحركة
كوسوفو ، ومن ثم فهو شهد الأيام قداسة فى التقويم الرومى للوطية
الصربية - وأنباعا لخط سير نشر فى اليوم السابق فى صحيفة البوسنة
« بوسنيشى پوست *Bosnijsko Post* » ، مرت عربات الليموزين
بوكه على ما لا يقل عن ٦ من أعضاء جمعية « البوسنة الفتاة » المسلحين
بالتفاهل والمستندات الذين كانوا يضمرون اغتياله - وأخفق خمسة لكن

أحدهم وهو بيديليكو تشابريشوفيتش (*Nedeljko Tshabrinovic*)
التى قبلة اعجرت حلف مسيرة الأرشيدوق وجرحت من كان
فى السيارة التى حمله - وعمدته اتحاد جابرلو برسيبيج موقعا
آخر لنفسه فى مكان متقدم من خط السير الرسمى المقرر لليوم عند منعطف
شارع فرانز جوزيف - وفى الوقت نفسه كان الأرشيدوق قد قرر أن
يغير الطريق ، لأنه شاء أن يذهب رأسا إلى المستشفى لزيارة الضباط
المصابين ، ولكن أحدا لم يبلغ سائقه بذلك ، فخرج السائق بالسيارة إلى
شارع فرانز جوزيف وفقا للخطة المرسومة - وأمره الجنرال بوتوريك
بالتوقف والعودة - وهكذا عاد بالسيارة إلى الخلف ببطء أمام الموقع الذى
كان يرتسبب واقفا فيه بالضبط - وقال برتسيبيج لوكيل النيابة الذى
تولى التحقيق : « لا أدري أين صوبت مسيرى ، ولكنى أعرف أنى كنت
أصوب المسلس نحو ولى العهد ، واعتقد أنى أطلقت النار مرتين ، ولم
أطلقها أكثر من ذلك ، وذلك بأنى كنت متفصلا جدا - وسواء أصبت
الضحايا أم لم أصب ، فذلك شأن لا يستطيع أن أقوله لأن الناس انهاروا
دورا على بالضرب » (٦١) . وتوفى كل من الأرشيدوق وزوجته اللوكة
جوهنيرج ببطء متأثرين بجراحهما - وبعد شهر واحد بالضبط ، أعلنت
التمسا والجر الحرب على صربيا -

الفصل الثاني عشر

الحرب والمملكة : البوسنة ١٩١٤ - ١٩٤١

لا يزال المؤرخون مختلفين هل كان وراء السبب في ذلك الاغتيال هو القومية الصربية او اليوغوسلافية ، لم الجمعيات الصربية الصرية ، ام كان مبادرة محلية صرفه ؟ ولكن كثيرا من البوسنيين سرعان ما حدثوا من هو المذوم : ففي مساء اليوم الناس والمضربين من يونيو ١٩١٤ ، حدثت اضطرابات طليقة للصرب في سراييفو ، صاحبها تدبير الدكاكين والبيوت التي يحلقها الصربيون . وهناك مخرج رئيس القلعة الشيخ جمال الدين شوشيفيتش (Gjerasim Todorovic) ملطنا استياء من عدا الاجرام المدير الذي راج ضحيته الابرياء . ووصح بعض الصربيين تحت حمايته (١) - وكذلك ايضا شعر بعض الرعية الصرب البوسنيين ان هناك حملا من الاكام الصربية لابد من تقديم الفخران عنه وعندما بدأت الحرب دعوا الناس الى السلطات ان تسمح لهم بالتحليق راسا الى الخط الامامي ضد صربيا ، ولم يبدوا ولاهم للامبراطور (٢) . وهناك حقيقة تبدو دلالتها واضحة . وهي ان معظم المتآمرين كانوا من الصرب البوسنيين ، وعندما ظهر في النهاية ان الفاعلين الرئيسيين وهما برنسيب وتشابريوفيتش تلقيا دراستهما في بلغراد . وحصلوا على قنابلهما منها رعبا بها الحدود الى داخل البوسنة . يدا الاتهام دائما وقاطعا . ومن الواضح انهما تلقيا بالفعل شيئا من الدعوة من عيسل لمنظمة الدفاع الوطني ، الصربية (النارودنا لوديرانا) ، كان يعمل في حمة الكولوب ، ابيس (Apis) رئيس ادارة المختبرات الصربية (٣) . والنظريات لابرال تضارب حول مدى اشتراك ابيس في المسألة وحول دوافعه السياسية الممكنة ، ولكن الفكرة الداعية الى ان الحكومة الصربية كانت هي التي دبرت للاغتيال ، قول يمكن رفضه بكل حزم .

وبلغ الامر انه حتى الحكومة المساوية الحرية نفسها لم تحمل الصرب المسؤولية المباشرة عما حدث . وذلك لان الإنذار النهائي الصادر

في ٢٢ يوليو لم يشك ألا من مجرد أن الحكومة الصربية ، تسامحت اود مؤامرات خبيثات ومعظمت عمة صادية للنظام الملكي . واللغة غير المنهية التي نستعملها الصحافة ، وتبجيد المحرمين على العنف . ومشاركة القضاة والموظفين في الحركات الهداية ، ... وكلها حقيقيه سابقا في جوهرها . ولقد قلب صربيا جميع المطالب العترة التي قدمت اليها لانها هذه النشاطات الا واعدا فقط . كان يتطلب حضور جنودهم سماويين معززين من محققين او رجال شرطة ومولاهم تحطيمهم على الأرض الصربية (٤) . وكان هذا الاعراض على نقطة واحدة سببا لاقبها لهؤلاء السياسيين في بودابست وينا وبرلين . وعلى الأخص برلين - الذين كانوا يريهون الحرب . واعتاد المؤرخون ان يكتبوا ما يشاؤون كاتسنة الحرب تسبب فيها شيء غير شخصي يسمى « النظام الدولي » . ولكن الحقيقة المتفق عليها بين الناس عامة هي ان ألمانيا كانت تدفع الأمور دفعا شديدا نحو الحرب ، لكي تصنع حدا حاسما لقوة روسيا المزعزعة (٥) . اما النمساويون المجرىون فكانوا أكثر ترددا . حيث كانوا يفضلون فصل روسيا (بوصفها حامية صربيا) بقدر ما كان الألمان يسمون الى ذلك . ومع انه كان بين وراء الحكومة النمساوية المجرية من كان يرغب في اتخاذ اجراءات تاديبية نحو صربيا . فاهم لم تكن لديهم خطط جديدة لريادة الرقعة الأرضية في بلاد البلقان : بل على التمسك فان الوزير المجرى تيمستسا (Tisza) . اصر (بسبب الخوف المجرى القديم من ردة عند السلافين اكثر ما يعني على أرضها) على انه لا ينبغي . باه حال ضم أية ارض صربية . فعني عنهما فكرت حكومة النمسا والمجر في س الحرب على صربيا في ١٩٠٦ و ١٩١٣ . فابها لم تعرف قط صرفة يقين ماذا تفعل بتلك البلاد لو انها فتحتها . ذلك بينما كان واضحا ان صربيا كانت تريد فعلا الاستحواذ على إقليم البوسنة . رغم انها لم تتصور يوما انها تستطيع ان تنصر في حرب حاسمة على الامبراطورية النمساوية المجرية . ولو انك اصغت النظر في صميم هذا النزاع البلقاني المحل . لوحثت فيه اسبابا قوية لردع المداوة . لكنك لن تجد دوافع كافيه لسن الحرب . فلولا الضغط الألماني لما اثار حداث الاعتقال في سراييفو فدا . يحتمل حتى ولو حربا بلقانة خطيرة الشأن . ناهيك عن حرب تنوردا فيها جميع القوى العالمية الكبرى .

قاتل الصربيون ببسالة . وكان كثير من العمد الذين ارسلوا الى صربيا تحت قيادة الحاكم العسكري للبوسنة . وهو الجنرال بوتنوريك . هم انفسهم صربيين من البوسنة نفسها ومن المناطق الحدودية العسكرية كرواتيا في السابق . وهذا ترى الا.توذكس يقاتلون الار.توذكس :

وكانما هذه عودة الى الأيام القديمة للحروب الهابسبورجية والعثمانية . ولكن كان من بين الجنود النمساويين المجريين كثير من المسلمين والكاثوليك ، ايضا والطائفة الاخيرة كان من ضمنها شاب صغير نصف كرواتي ونصف سلوفيني يدعى جوروي بروذ اشتهر فيما بعد باسم تيتو . وفي عام ١٩١٤ رد الجيش النمساوي المجري على اعدائه مرتين عن الاراضي الصربية ، مع تكبد الطرفين خسائر جسيمة . وصلت صربيا حتى آخريات صيف ١٩١٥ ، ثم حدث بعد ذلك هجوم جديد على الجيش الصربي بقيادة الجنرال الألماني فون ماكسنس (Von Mackensen) ودخلت بلغاريا الى ساحة الحرب الى جانب ألمانيا والنمسا . وعندئذ أخذ يتراجع الجيش الصربي منجسما خسائر جسيمة في الأرواح عبر جبال شمال البانيا الساحل الادرياتيكي . ولما بقي من ذلك التفوق على قيد الحياة فقد كتب عليهم أن ينضموا الى جيش الحلفاء الذي قاتل في سالونيك ، ومن هنالك شقوا طريقهم حتى بلغوا مقدونيا وصربيا ثم خريف ١٩١٨ ، معبدن فتح بلجراد في الأول من نوفمبر ، ثم متحركين الى داخل البوسنة والغربيدينا .

وكان بين صفوف الجيش الصربي مطعونون كثيرون من البوسنة وغيرها من الأراضي السلافية التابعة للنمسا والمجر . وكان من المعروف أن ما يقارب خمسة آلاف من البوسنيين انضموا الى « الفرقة الأولى للمتطوعين الصربيين » ، كما أنه كانت هناك ثلاث كتائب من المتطوعين من الهرسك في جيش الجبل الأسود (٦) . ومن ثم فليس مما يلحظ له أن السلطات بالبوسنة بقيادة يوتويويك لولا ثم بقيادة خلمسه البارون ساركوتيتش (Sarkotić) ، قامت ببعض العمليات شديدة الوطأة على الوطنيين الصرب وعلى « النشطاء » السياسيين وعلى غيرهم من المتعاطفين المتوقفين على القضية الصربية . وتم نقل صربيين من منطقة تخوم البوسنة الشرقية ، وأعيد توطينهم بفرب الاقليم ، وذلك تجسبا لنشاط الطابور الخامس . كما أن ما يصل بالتقريب الى خمسة آلاف عائلة صربية دفنوا عبر الحدود حتى دخلوا صربيا والجبل الأسود (٧) . وتمرض البعض للاعتقال . إذ أن روائي المستقبل ايفو أندريتش مثلا ، الذي عاد الى البوسنة في اليوم الذي سمح فيه بالانخيل اعتقل يوم ٢٩ يوليو . واحتجز في عدد متعاقب من السجون بدماشيا وسلوفينيا (وأخيرا وضع في قيد من النفي الداخلي في قرية قرب مستط رأسه ترافنيك ، حتى صدر العفو العام عن مثل هذه الحالات في ١٩١٧) (٨) . ولا أقل من ٢٣٠٠ وحتل حوالي ٥٥٠٠ من أبناء البوسنة المقتبسة فيهم ، معظمهم من الصربيين . ظلوا محتجزين في معسكرات اعتقال بكل من البوسنة

والمجرس . والمظنون انه مات عند إجراوح بين ٧٠٠ و ٢٢٠٠ من المتقنين هناك . وكانت وطأة الضغوط الشديدة على جمعية « البوسنة الفتاة » وغيرها من التجمعات الأخرى من تلامذة المدارس . قاسية وعنيفة . وقسم ١٤٢ فردا من هؤلاء الى المحاكمة في ١٩١٥ . وفي أشهر هذه المحاكمات اسما ، وهي محاكمة قوم مرتبطين بحركة « الدفاع الوطني » الصربية . والتي عقدت في بايالوكا في ١٩١٦ . كان عدد المتهمين ١٥٦ متهمًا ، صدر حكم الاعدام في خمسة عشر منهم . وحكم بالاضطال الشاقة على ٨٦ (٩) . ولم تجد كثيرا هذه الأفعال الحكومة النمساوية ولا الجهد الحربي النمساوي المجري كما كان متوقعا ، وان اكست الفايات الصربية ، قضية الوطنية اليوغوسلافية تماطقا شديدا .

ومع ذلك فان غالبية اليوسيين ، مهما تكن شكوكهم في الجور المحيط بهم ، ظلت موالية للدولة النمساوية المجرية . ومع ان بعض المسلمين انضموا فعلا متطوعين في الجيش الصربي فان معظمهم لم تكن لديهم ادنى رغبة في ان يروا صربيا تتبلغ وطهم بعد ان تضع الحرب أوزارها ، ورغم ان زعماءهم رضوا مر قبل ان يقيموا احلافا تكتيكية مع انصرب اليوسيين أثناء السنوات الخمس عشرة السابقة على الحرب وذلك ابتغاء اكتساب تنازلات خاصة من الحكومة ، لكن التحالف مع صربيا كان أمرا مثيرا تماما (١٠) . اما الكروات اليوسيون فكان الخلاف بينهم اشد ، عاكسا اختلاف الرأي داخل كرواتيا نفسها . وهناك تحليل شائق يصف مركز الكروات اليوسيين ، ورد في خطاب أرسله مدير المدرسة الكاثوليكية في ترافنيك الى الحكومة النمساوية ، قال : « ان بعضهم كان يريد الانضمام الى صربيا ، بينما كان آخرون ضد ذلك على الإطلاق ، فاما الذين أرادوا الوحدة غير المشروطة مع صربيا ، فكانت غاليبتهم من بين المتقنين ، بل لقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء أنهم كانوا على استعداد للتخلي عن كاثوليكيتهم : ذلك بأن ميولهم في التحضر من روما » كانت تتناغم وميولهم في التحرر من النساء » (١١) .

ولو استعرضنا القادة السياسيين في كرواتيا نفسها ، ومنهم من انضم الآن الى « لجنة يوغوسلافية » في المنفى ، ما وجدنا فيهم أحدا يتصور أن الدخول في الأرثوذكسية يمكن أن يكون تمنا للاتحاد مع صربيا ، فقد كانوا يريدون الاحتفاظ بهوية كرواتيا المميزة داخل تطلق دولة يوغوسلافية مستقبلية ، كما كانوا يرتابون في أية خطة تصل الى خلق صربيا الوطني . وازدادت شكوكهم في ١٩١٥ . يوم قبلت الحكومة الصربية اتفاقا تقتطع بمقتضاه اجزاء كبيرة من دالماتيا وإيستريا

وسلوڤينيا . وتعطى لاطاليا كمكافأة على دخولها الحرب الى جانب الحلفاء . وكانت مثل هذه الحركات تنوى من جهة أولئك السياسيين الذين كانوا لايزالون نشطين داخل الأراضي النمساوية المجرية . الذين كانوا يصيرون شكلا موحدا جديدا للحل السياسى الثلاثى الأطراف القديم ، الذى يدعو الى « وحدة ذاتية يوغوسلافية موحدة » كشرىك مساو للنمسا والمجر من خلال امبراطورية هابسبرجية مستمرة - وكان هذا هو الموقف الذى اتخذه المجلس الأول للسلوڤينيين فى البرلمان النمساوى وهو المومستيوڤ كوروشنيك (Korunc) (١٦) .

وفى يوم ٣٠ مايو ١٩١٧ ، أصدر كوروشنيك وبعض زملائه اعلانا يدعو الى « توحيد جميع الأراضي الموجودة فى المملكة التى يسكنها السلوڤينيون والكروات والصرب » - وأوتى « اعلان مايو » هذا اثرا قويا فى البوسنة . فانحياز اليه كثير من السياسيين الصرب والكروات . ورحب الصربون بادخال اسم الصرب صراحة فى مقترح الوحدة (الذى يعد ذلك تقدما على كل التعبيرات والصور السابقة الثلاثية الأطراف) . وراوا فيه اقرب صورة لدولة يوغوسلافية يمكن التوصل اليها تحت الحكم النمساوى المجرى . وكان المعتدلون من الكرواتيين اليوسيين يؤازرون خطة من هذا النوع . فاما الكاثوليك المحافظون ، فقدم كبير الاساقفة ستادلىر ، فكانوا يفضلون صورة معدودة أكثر لنفس الفكرة . يكون فيها الكيان المقصود شاملا للبوسنة . على أن يضم بطابع كرواتيا العظمى . ومع ذلك ، فان المسلمين كانوا أشد اختلافا ، فمعظمهم ذهب اثنان من قادة السياسيين المسلمين ، وهما شريف أرناؤوطوفيتش وصلاح بك باشاجيتش للقاء الامبراطور فى ١٩١٧ . طالبا بدلا من ذلك بالاستقلال الذاتى البوسنة داخل دولة يسيطر عليها الكرواتيون ، وكان معظم المسلمين أشد استقلالاً من الوضع القانونى الذى كانت تستمتع به كرواتيا فعلا من قبل . لم تكن فى الحق الا احياء للحلم القديم بالاستقلال الذاتى الذى شغل بال رمساء المسلمين منذ ايام حين قايطلان فى ثلاثينيات الالف وثمانسة . وكان التماسها الاساسى هو الجبلولة دون ابتلاع البوسنة داخل دولة يسيطر عليها الكرواتيون ، وكان معظم المسلمين حريصين على تجنب ذلك . وان ابدى صلاح بك باشاجيتش نفسه ميلا للكروات فى نظره الهامة الى الامور - حتى انه سرعان ما تحول الى موقف «ؤيد لقيام « كرواتيا الكبرى » (١٤) - على انه كان بين المسلمين كثرة ترى أن الاستقلال الذاتى نفسه تحت سيطرة المجر ، تسوية غير مرضية . وكانوا اميل الى الدخول فى غمرة دولة يوغوسلافية منفصلة - وكان من

هؤلاء رؤساء العلماء تشاوشيفيتش ، الذي أبلغ الموسنيور كوروشنيك في ١٩٦٧ أنه قد سئم من حكم الترك أو الألمان (١٥) .

وانتقلت السلطات النمساوية المجرية على دراسة هذه المقتضيات لكنه لم تفعل شيئا . ولما حله الوقت لأتخطا مخطط الجذب ، كان الأولي قد فات ، ففي فبراير من تلك السنة جمع نورد في الأسطول النمساوي المجري بأفليم الجبل الأسود ، وكلف المجرى من الجيش والفراتيات تتراجع يوما بعد يوم ، ولم يبق إلا توطيد النفس على قبول المزمعة المتطرفة . وبما الحاكم النمساوي لبوسنة البازون ساكوفيتش في الاقدام على منطقتين من المناقصات والمطامير ، وعدة منه في محاولة التدخل بعض التعديلات السياسية في التكم التي ربما تقيس سبيل الاحتفاظ بحكم آل هابسبرج . فبدأ أولا بأن حسم للامبراطور في مارس أن تصمم البوسنة لكرواتيا ، ثم عاد فاقترح في مايو التمازج البوسنة مع كرواتيا أو الحصول على الاستقلال الذاتي بوسنها . كانا مخطئا ، تحت ظل الناج المجرى . ثم عندما تفتتت هذه المسائل بالمجلس الامبراطوري في آخر مايو تحول الى تصديق الاتحاد مع كرواتية مئة ثلثة (١٦) . وفي أغسطس ، يوم كان الجهد المجري النمساوي المجري يترجح ويهدأ ، ربما بعد يوم ، نظم الموسنيور كوروشنيك ابتداء بجماعة لرجال السياسة نقل نشاطه فيه عن فكرة المسيحية النمساوية المجرية . ولما بدلت وجوب لسان « مجلس قديم » بقصد « توحيد الشعوب اليوغوسلافية داخل دولة مستقلة » . والأول وقد أصبحت المعالجة على مخرج البصر الرجل الامبراطور التوفير المجرى الكونت تيمستسنا لزيارة كل من دغريه وسرايغو في سبتمبر ، في محاولة نهائية مقضى عليها بالفشل ، لاقتسام السامويين المحليين بقبول هيئة دستورية جديدة . تحت ظل الناج المجرى .

والاجابات التي تلاها تيمستسنا في ميانيغو كطوبا بصوت مدهشة لواقعه زعماء السياسيين البوسنيين . وفلم المصربيون والكرواتيون (بقيادة السياسي الصربي نوسلاف تشولا) ، بقصدهم مذكرة مشتركة قالوا فيها انهم شعب واحد ، وانهم يرغبون في إقامة دولة يوغوسلافية مع جميع الصربيين والكروات والسلافين . وشكوا برارة من التدابير التي كانتها ظروف الحرب : مثل القضاء على الحكومة المحلية والمصادرات والمحاكمات السياسية . وكان من بين مطلقهم إصدار الأمر السلام عن السجنا السياسية وإعادة الحكم الدستوري مع الانتخابات الحرة وعقد برلمان جديد . ومن بين زعماء المسلمين ، كان أرفانوفيتش لا يزال يستنجد بوليد الأمة استقلال فلتى تحت حكم المجر ، وباشا جيتش كان

يرغب في أن يجعل ذلك الاستقلال مطلبه المفضل الثاني بعد الأول الذي هو التوحيد مع كرواتيا . ولكن الاتجاه المسيطر غير عنه رجل كان يشغل آنذاك وظيفةسكرتير غرفة التجارة ، ولكنه ما لبث أن أصبح الرجل السياسي البوسني الأول إبان سنوات ما بين الحربين وهو محمد سياهر . وقد شككوا أيضا بمرارة من سوء ما لاقاه شعب البوسنة من معاملة أثناء الحرب وبخاصة مصادرة المؤن وتجنيد الشيوخ من الرجال والمراهقين من الأولاد في الجيش . وقال أن عوامل التعريق بين المسلمين والمجتمعات الدينية الأخرى قد حبطت حدتها بسبب ما يعانيونه من يؤس وشقاء من جراء الحرب ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح معظم مسلمي البوسنة الآن - من حد قوله - يؤيدون إنشاء دولة يوغوسلافية (١٧) .

وسرعان ما حلت النهاية . ففي أكتوبر عقد في زغرب اجتماع عام للمجلس الوطني ، فاما المندوبون البوسنيون الذين حضروا فعادوا إلى سراييفو حيث أقاموا مجلسهم القومي الخاص للبوسنة . وفي يوم ٢٩ أكتوبر التي البرلمان الكرواتي رسميا حكم آل هاينسبرج وسلم السلطة إلى « المجلس الوطني » معلنا قيام دولة ذات سيادة من السلوفيين والكروات والصرب . وهذا الإعلان وإن انطبق فقط على الأراضي النمساوية-المجرية السابقة ، فانه كان مؤذنا بقرب قيام دولة يوغوسلافية . والآن ولم يبق على التوحيد مع دولة الصرب الا بضعة أيام . كما أصبح الجيش الصربي على مسافة قريبة جدا من الأراضي البوسنية . فلان الصربيين هم الذين شعروا بأنهم أقرب الناس إلى الصربين شعب البوسنة . وكتب اليادون ساركوتيتش في يوم ٢٩ أكتوبر يقول : « يبدو أن مقاسم الابتهاج والفرح التي أعرب عنها الصربيون وبالفوا في اظهارها كان لها إلى حد ما اثر مهدئ على الكروات والمسلمين » (١٨) . وفي اليوم التالي جاء زعيم المجلس الوطني البوسني لزيارته . وكانوا يحصلون التماسات وطلبات متنوعة ، مثل التوقف عن مصادرة الماشية ، ولكن من أعجب الأمور أنهم لم يطالبوه بأن يسلمهم السلطة . وكانت وزارة الحرب في فيينا . هي التي أبليتة بريقيا في تلك الليلة أن جميع القوات العسكرية في البوسنة ينبغي أن توضع تحت تصرف المجلس الوطني . وفي اليوم الأول من نوفمبر دعا ساركوتيتش قادة الجيش وزعماء المجلس الوطني لمقابلته وأخبرهم بمتنازله عن الحكم . وعندئذ سأله أحد زعماء الكروات البوسنيين وهو جوزيب سوناريتش (Jozep Sunaric) أن يطلق سلاح المعتقلين السياسيين ، وكان جوابه بسيطا : « ان السلطة لكم الآن » . وبعد ذلك بيومين اثنين شكلت « الحكومة الوطنية الأولى للبوسنة والهرسك » (١٩) .

وكانت نول نتيجة لانهايار القوة النمساوية العجيرة ، هي حالة عامة من الفوضى وثورات الفلاحين بالمناطق الريفية - وكانت اوضح الحالات من هذا النوع هي التي حدثت في شمال كرواتيا ، حيث نهبت كثير من المزارع الكبيرة وسرق كل ما فيها من مواشي - ولما حدث ذلك الشيء نفسه في البوسنة ، كان المسلمون وحدهم هم ضحايا هذه الهجمات لانهم كانوا هم المالكين لحظم المزارع الكبرى - بيد انه كان هناك ايضا نوع من الاحساس بالنصر من الصرب على المسلمين ، خاصة بعد وصول جند صربيا والجبل الاسود في اوائل نوفمبر - وفي مارس ١٩١٩ ابلغ رئيس الطلبة جمال الدين تشاوشيفيتش صحفيا فرنسيا ان ألف رجل مسلم قد قتلوا وان مسجدا ومستشفى امرأة احرقت حتى الموت وان مئتين وسبعين قرية قد نهبت بها مع المساعدة ، سلبية كانت ام ايجابية ، من الجند الصربيين - وعندما نشر هذا الصحفي هذا البيان في الجرائد الفرنسية ، فضطت الحكومة الجديدة في بلغراد على رئيس الطلبة لكي يسحب اقواله (٢٠) - وهذه القطائع لا تعد مع ذلك دليلا على عودة البقضاء العرقية القديمة بين اعالي البوسنة من الصربيين والمسلمين ، لانها حدثت في ظروف غير عادية ، في نفس لحظة انتهاء حرب لقي فيها الناس ضروبا من المعاناة القاسية - (من المسير علينا ان نحصى عدد الذين ماتوا في البوسنة في جراء العمليات العسكرية والتبغوس : ولكن هم المعتقد ان مئتين عدد السكان تقريبا هلكوا او صعدوا ديارهم اي ٢٠٠ ألف نسمة ، ويشمل ذلك جماعة من المسلمين فروا في هجرة ثانية من الهجرة الى تركيا بعد ١٩١٨) وطوال سني الحرب كلها ، كان مسلمو البوسنة موالين بوجه عام للحكومة التي كانت تشن الحرب على صربيا - وكذلك اشترك المسلمون (مع الكروات وبعض الصربيين ايضا) في فيلق الشوتس (Schutzcorps) ، وهي وحدة الدفاع المحلية التي نفذت سياسات الحكومة المضادة للصربيين في شرق البوسنة ، مستغلة في بعض الاحيان اساليب وحشية فظيمة (٢٢) - ومن اليسير ان نفهم ان بعض ابناء الطائفة الصربية المحليين قد اقصت المرارة نفوسهم - كما أنه لا شك في ان الجنود الذين اتوا من صربيا كانوا يحملون ضغينة الاحياء السابقة ضد المسلمين ، فحظهم لم يكن عايش المسلمين من قبل ، كما انهم قد رموا على ان المسلمين هموز اسطورية خفية لاعداء صربيا - ولكن هذا ينطبق على القرويين الصرب البوسنيين ، الذين عاشوا في سلام تام مع جيرانهم المسلمين مدة أربعين عاما أو تزيد .

ومع هذا كان من الواضح ان المسلمين البوسنيين كانوا بحاجة ماسة الى تنظيم سياسي قوى يحمي مصالحهم - وتشكلت عدة تجمعات في

هذه السهور الأولى : تشكيلات « منظمة المسلمين » ، و « الحرب الديمقراطي
 للمسلمين اليوغوسلاف » في ديسمبر ، و « اتحاد المسلمين » في بانيا لوكا
 في أوائل عام ١٩١٩ (٢٢) . ولكن الحزب الرئيسي الذي سرعان ما أصبح
 المسلمون على تأسيسه كان « منظمة المسلمين اليوغوسلاف » التي تأسست
 في سراييفو في فبراير ١٩١٩ . وانضم محمد سيافو إلى قيادتها
 وسرعان ما وجد نفسه متورطا في المجادلات حول المبادئ الأساسية للدولة
 اليوغوسلافية الحديثة . وهنا ظهر أن جماعة في داخل الحزب ، يقودها
 رئيسه إبراهيم ماجيلابيتش (Ibrahim Maglajlić) ، كانت تؤيد فكرة
 قيام يوغوسلافيا موحدة ومركزية في النوع الذي كان يحضي على إيجاده
 الزعيم الصربي السياسي نيكولا بانشيتش (Nikola Pašić) . وكان
 كثير من هؤلاء المسلمين من المتقهورين ، من تشكيلات أراؤهم وجهات نظرهم
 في الجمعية الثقافية الإسلامية ، « جابريوت » ، ذلك بأن جابريوت كانت عند
 ١٩٠٩ تبذل نحو الصرب ، (وبلغ من شدة ميلها ذلك أن فرضت على سلطات
 عليها حظرًا أثناء الحرب) ، وهي تدفع بأنه لكي تستقل البوسنة عن
 النمسا والمجر ، كان من الضروري للمسلمين أن يوحدها ويتوحد مع
 الصرب (٢٤) . ولكن تأييد هذا الاتجاه ما لبث أن تلاشى إزاء الصبب الموجه
 ضد المسلمين من الفلاحين الصربيين والجنود الصربيين في أعقاب الحرب
 العظمى الأولى . ولو أن البوسنيين المسلمين عرفوا الأذى الخاصة لأحد
 عرقله الحكومة الصربية هو ستويان بروتشيتش (Stojan Protitch) ، الذي
 استعصوب وصبغ في ١٩١٧ . « بجل » مشكلة مسلمي البوسنة من خلال
 برنامج يرمي لجلبهم على فتح هويتهم الدينية وإزالة المدايح بهم .
 لإضرب هذا الاتجاه بصورة أكثر حدة (٢٥) .

وكانت وجهة نظر محمد سيافو التي ما لبثت أن انتصرت في تلك
 الأيام لحل « منظمة المسلمين اليوغوسلاف » ، هو أنه ينبغي للبوسنة
 أن تعالول الاحتفاظ بهويتها كوحدة ذاتية الاستقلال داخل الدولة
 اليوغوسلافية . ولكن على وجه الصوم ، وضعت كرازة تلك في صف
 كروانجا في الحركة المطويلة التي نشأت بين المركزية الصربية والإنكليزية
 الكرواتية . التي قدر لها أن تسيطر على السياسات أثناء فترة ما بين
 الحربين . وأدى ذلك بالتأكيد إلى وضعه موضعًا لوثق قريبا من موضع
 الكروات البوسنيين ، الذين كان زعيمهم يوزيب سونارتشيتش ناقدا شرسا
 للمركزيين في بلجراد . ودافع عن قيام يوغوسلافيا كونفيدرالية . فاما
 حزب الصربيين البوسنيين الرئيس ، وهو « الديمقراطي الراديكاليون » ،
 فإنه كان يؤيد فكرة إقامة دولة يوغوسلافية مركزية . كما أنه ظل صادق
 الالتزام بأصولها الأولى في حركة ما قبل الحرب « البوسنة الفتية » ،

بمطالبته بإصلاح اجتماعي عميق الذي - وكانت هناك أيضا منظمة شديدة الميل للكتلة الصربية تصدر صحيفة تسمى الفجر الصربي (Srpska Zora) كانت تطالب بامتصاص البوسنة كلها في صميم صربيا (٢٦) -

وعندما غفلت الانتخابات اليوغوسلافية الشاملة بكل البلاد في نوفمبر ١٩٩٠ ، للحصول على جمعية تأسيسية تقرر قرارها في مستقبل شكل الدولة اليوغوسلافية ، فاز حزب سباهو بكل الأصوات المسجلة صربيا بالبوسنة ، محرزا بذلك أربعة وعشرين مقعدا (٢٧) - ونظرا لأن صوات هؤلاء النواب ، بالإضافة إلى أصوات ستة مسلمين غيرهم انتخبوا في مقنونيا ، كانت قادرة على قلب التوازن في الجمعية ، تكالب على اكتسابها الساسة اليوغوسلافيون الآخرون - وهناك مطلب كان سباهو شديد الحرص عليه ، وهو التخليف من وقع قوانين إصلاح الأراضي على ملاك الأرض المسلمين - وأصدرت الحكومة اليوغوسلافية مراسيم في ١٩٩١ ، تلغي نظام أكتان الأرض ، وتفضي بأن عائلاتهم ينبغي أن يكون لها حق قانوني في الأرض التي يملكونها - وقاتل سباهو قتالا عنيفا لتعويض ملاك الأرض التعويض العادل من خزنة الدولة ، وما لبثت الحكومة أن دعمت ملايين الدينارات ، ولكن كان المستوى العام للتعويض أدنى من قيمة السوق للأرض - ويبلغ عدد العائلات المسلمة التي تأثرت بهذا الإصلاح أربعة آلاف عائلة ، ومنهم من أُنزل به إلى حضيض الفاقة (٢٨) - وعرضت احتمالات سباهو عدم حزمه للانتقاد والتشديد به باعتباره مثلا للطبقات الاقطاعية القديمة ، لكن الواقع أنه لم يكن من بين مرشحيه الثمانية والسبعين الذين قدمهم حزبه للانتخابات في ١٩٩٠ ، سوى ستة من ملاك الأراضي ، بينما كان اثنان وخمسون منهم من المعامين والمحامين وغير ذلك من الحرفيين (٢٩) ، وعلى كل حال ، فإن ملاك الأراضي كانوا مجرد أقلية صغيرة من السكان المسلمين ، بينما الغالبية العظمى كانت فلاحين من ذوي الحياة الصعبة .

وكانت النقطة الثانية التي تشغل بال سباهو في الجمعية التأسيسية هو الإبقاء على الهوية الاقلية الادارية للبوسنة - وقد وفق في هذه النقطة إلى شيء من النجاح - وإن كان الثمن المجيب الذي دفعه هو أنهم اضطروه إلى أن يؤيد الدستور المطلق المركزي الذي قدمه الفلاح الصربيون (وأصبح ذلك صروفا باسم ديمتور التيدوفان (Vidoven) إلى يوم عيد القديس فيثوس ، لأنه تم تطبيقه في ١٩٩١ بموجب الثامن والعشرين من يونيو ، يوم الذكرى السنوية لحرارة كوسوفو) - ولم يكن هناك بذء مما حدث . وذلك نظرا لأن زعيم الحزب الكرواتي

الرئيسي . كان من الحقائق بحيث سحب بوابه مسجدا عاما من الجمعية . هكذا حدث لما تمت إعادة تنظيم جميع الأراضي اليوغوسلافية وتقسيمها الى ثلاث وثلاثين مقاطعة . ان معالم خطوط ثرواتية احتفت من الخريطة . ولكن معالم خطوط اليوسنة تم الاحتفاظ بها . والحق ان المطامير الست اليوسنية كانت تقابل بالضبط عددها في عهد النمساويين المجريين ، التي تم تأسيسها بدورها قبل ذلك على أساس السنجتيات في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني (٣٠) . وبفضل جهود ساهو صارت اليوسنة هي العنصر الأساسي الوحيد في يوغوسلافيا الذي استلطف بهوته بهذه الطريقة .

وكانت هذه المتاورات المستمرة التي دامت طوال العشرينيات في هذا القرن العشرين بينما التوتورات تزداد بين غرب وبلجراد تقرر لنا لماذا اقبل بعض أبرز المسلمين ان يطلقوا اسمهم على الملا ، كرواتا مسلمين ، او صربيا مسلمين . وقد رأينا في قبل ان بعضهم فعل ذلك في سني ما قبل الحرب . نتيجة لاحتباسهم بالحاجة لاطهار هويتهم الثقافية ، وبخاصة الكتابات مهم . مثل صفوت بك بلشاجيتشي . الذي عرق الى الاذنين في الثقافة الادبية الكرواتية . غير ان الأساس الأصلي لكل هذه التصريحات كان سياسيا بحتا . وكما ان الانجاء في أثناء العهد الأول كان الانحياز الى الصرب بوصفهم حلفاء طبيعيين على فيينا ، فكذلك أصبح الاتجاه الآن هو الانحياز الى الكروات بوصفهم حلفاء طبيعيين على بلجراد . وفي البرلمان اليوغوسلافي لسنة ١٩٢٤ ، وصف جميع النواب اليوسنيين انفسهم بأنهم كروات . اللهم الا سياهو طسه الذي أصر على ان يسمى يوغوسلافيا (٣١) . ومع هذا فان لأحوى سياهو قصة : فان احبها أصر على ان يسمى طسه كرواتيا . وأصر الآخر ان يكون صربيا . وهناك مقال رئيسي نشر في صحيفة المنظمة الاسلامية اليوغوسلافية في ١٩٢٠ ، استنصوب الكاتب فيه علنا ان يطبق المسلم على نفسه هوية امة تهيي اعظم فرصة . للتطور الاقتصادي (٣٢) . لقد كانت فكرة اختيار الهوية الوطنية ، على أساس السياسات الاقتصادية المتنافسة فكرة سطحية . ان لم تكن سخيفة . والواقع ان الأسباب التي كانت تدعو المسلم لاختاذ الهوية الكرواتية او الصربية في اليوسنة كانت أضغف من الأسباب التي تدعو اخوانهم لاتخاذ هويات صائفة . مثلا المسلمون في مقدونيا مع المقدونيين او مسلمو الصرب مع الصربيين . وكما رأينا آنفا . كان الأساس الوحيد الحقيقي الداعي للأرثوذكس والكاثوليك اليوسنيين لأن يسوا انفسهم صربيا كرواتا هو هويتهم الدينية . وطبيعي ان ذلك كان هو الشيء الوحيد الذي لم يكن المسلمون اليوسنيون بمستطيعين المشاركة فيه . والشيء الذي تظهره تلك المطابقة الفاتية ، المتصفة بالسطحية والتعذر

الكثير من اللياقة والكنيسة ، مع الصرب أو الكروات أثناء تلك الحقبة ، هو أنه كان لا يزال هناك تردد وتضع نظري في استئصال كلمة « مسلم » بوصفها بطاقة ثقافية تاريخية على نفس المستوى . ولكن الواقع الصل هو أن المسلمين كانوا يعملون فعلا بوصفهم طائفة تعادل الطوائف الأخرى تماما ، وتنافخ عن هويتها ، بل كان يعمل ذلك فعلا بطريقة أشد اثرا من أي تجمع آخر في إطار السياسات اليوسينية .

ويضا مصطلح « مسلم » يحتاز أهمية سياسية على هذا النحو . كذلك . أيضا كان الأساس الديني الدقيق للمصطلح يتآكل بالتدريج بفعل مؤثرات القرن العشرين المتجهة الى بث العلمانية . ولم يكن المسلمون المتسكون بدينهم في اليوسنة من « المتصيين » ، وإن وصفهم بعض الزوار المارضين بذلك ، أجل كان فيهم رجال دين شديدا التمسك بالأمور ، ولكن السكان بوجه عام كانوا أكثر تراجعا في ممارستهم . وكما لاحظ آرثر إيهانز في ١٨٧٥ : « فإن خطر تصوير الأتنية العلية ينفذ ويراعى بنفس القدر الذي يراعى به تحريم الخمر » (٣٣) . ولكن الأمر أحد يتغير مع اتجاه أعداد متزايدة من المسلمين الى تلقى العلوم الحديثة بمدارس الدولة . كما أن بعضهم الآخر واصل دراسة موضوعات مثل الطب والهندسة فيينا وبودابست . وبينما أخذت المزايا القديمة للسلطان الاقتصادي النابع من امتلاك الأرض تنحدر وتتناقص ، كان من الطبيعي أن الطبقة العليا من المجتمع الاسلامي أخذت تنتقل الى ممارسة الحرف والمهن ، وهو امر كان يستلزم أساسا من التعليم الغربي . وقد دعش مراقب في ١٩٢٠ من ضخامة عدد الشبان المسلمين الذين يدرسون العلوم في الجامعات والكليات الفنية (٣٤) . وفي حين نفسه تشجعت النساء المسلمات العاديات على الانخراط في سلك العمل بالمصانع في سراييفو - وهو شيء لم يكن من الممكن تصويره في المجتمعات المسلمة في ذلك الزمان .

ولتحت هذه الميول والاتجاهات الجديدة تلمسجيا قربا من رئيس العلماء تشاوشيفيتش الذي تلقى العلم في اسطنبول ، وقرا أعمال دعاة التحديث والإصلاح العظماء كالشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ، كما زار تركيا أتاتورك . وفي ١٩٢٧ أحدث ضجة عظمى بين رجال الدين المسلمين الأتشد محافظة ، حين اقترح أولا أن تحول أراضي الأوقاف في مراكز المدن التي كانت تستخدم مقابر الى استخدامات الفتح كبناء المدارس عليها ، ثم بتصرهه في حديث حشفي فند فيه تعجب- الفضاة ، قال : « اني أفضل أن أرى فتاة مسلمة غير محبة تتكسب قوتها يشرف عن أخرى تمشي يومها بالرجاء القوارع محبة نهارا » . ثم تكفي مسامحا في إحدى القهوات « (٣٥) » وأصر بأن النقاب انسا هو عادة

محسوب . وليس واجبا دينيا بآية حال - كما أنه اهتدى استحسانه أيضا
 لآله الطيبين واستخدام قيمة عادية يثابته . على طريقة آناطورك .
 ، ولا ينبغي أن الطربوش نفسه قد فرضه على الناس أحد السلاطين كوسيلة
 لطبع الدولة بطابع غربي في ١٨٢٨ . فلقى مقاومة شرسة في ذلك الزمان .
 بوصف كونه رمزا للكاتوليك . ولكن أحدا لم يدرك ذلك على الإطلاق بعد
 ذلك بتسبع وتسعين سنة (٢٦) - وتسميت ملاحظات تشاوشيفيتش تلك
 في أثناء عاصفة ضخمه من الاحتجاج . فالقبت الخطب وكتبت المشورات .
 وصدر قرار من المجلس الاسلام في سراييفو يدين آراءه . وقد
 كان تشاوشيفيتش يحمل بعمره ومعه قلة ضئيلة من بين رجال الدين
 المسلمين . وكان لا يزال امام عملية الطابع الغربي مشوار طويل لابد من
 قطعه قبل أن يمر قلوب مثل المنصب اليوسني العاديين - ولكن في الوقت
 الذي وجدت فيه بالفعل مريضا نوما مسئلة وهي بحرية نوري هاجيتش
 (Babirja Nuri Hadžić) . التي كانت تضي في دار أوبرا بلجراد . أصبح
 من البين تماما أن التفورات الاجتماعية كانت تضي مسافرة في طريقها
 فلا تردد . ولن يستطيع أي قدر من الأحكام التي يصدرها رجال الدين أن
 ينف في سبيلها أو يوقفها (٢٧) .

وربما بدأ للزائر العابر في المياه مستوات ما بين الحرمين هذه .
 شيء من التفرفة والتمييز بين المسلمين والمسيحيين أكثر مما سلف .
 لسبب بسيط هو أن المسيحيين كانوا أسرع من المسلمين في التخل عن
 الملابس الشرقية . - وكتب بعضهم في زمن قريب هو ١٩٠٢ .
 يجد الأجانب صعوبة شديدة في التمييز بين المسيحيين والأتراك في
 البوسنة . لأن الطرفين كليهما يرتديان العمام والصدريات المطررة
 والسراويل المفتوحة الفضفاضة والسراويل المتجصة عند الركبة . والأحذية
 غير ذات الكعوب وذات النقطة المقوفة لأعلى (المركوب) . (٢٨) . والآن
 وقد ميز الكاثوليك والأرثوذكس أنفسهم بوصفهم كرواتا وصربا . فانهم
 ألقوا جانباً . وذلك في المدن على الأقل . ملابسهم اليوسنية القديمة .
 وقد عقب الصحفي جون جيوثرز في ١٩٢٠ بأن : « المسلمون واضحون في
 شوارع سراييفو بسبب ملابسهم التقليدية » . وقال : « وادعي الانتباه إلى
 السحب مع ذلك بدا في الطريقة التي كانوا يتوافقون بها كل مع الآخر
 تماما وبكامل السعادة » (٢٩) - وقبل ذلك بسنوات ثلاث كان كاتب
 امريكي كون لنظمه انطباعا مماثلة لهذه حيث قال : « هنا يرى المرء
 فلاحا بوسنيا من أبنة العقيدة الأرثوذكسية يضع صدقة في كفه سائل
 كفيف مسلم يقعد الترفصه وهو يلحظ على نايه على بابي أحد المساجد » .

ولو نظرت الى الدكاكين الصغيرة الوادعة التي يختلط فيها المسيحيون
والمسلمون واليهود في اعمالهم التجارية ، بينما يذهب كل منهم بعد ذلك
الى الكاتدرائية والمسجد والكنيس ، لا يسعني الا ان اذيعب : اليس
التسامح واحدا من اعظم الفضائل ؟ (٤٠)

وكان التهديد الاكبر للتسامح يحيى شأنه في الكثير الاصح من التاريخ
اليوسفي ، من خارج السجون اليوسفية . وكان التوتر السياسي الذي
لم يمس بين دعاة المركزية وحسومهم ، يزداد على الدوام شدة وقسوة أثناء
عشرينيات الالف وتصلته . وكان محمد سباحو مشتركا في تلك
الحكومات العديدة غير المستقرة التي شكلت في تلك السنوات ، وكثيرا ما
كان يجد نفسه وهو يعمل في خط متوار مع القائد السلوفايني
المونستور كوروشيك ، بوصفه نوعا من القوة الثالثة التي تتوسط بين
الكروات المناوئين للمركزية والصرب الداعمين لها . وساعد الاثنان على
اسقاط الرئيس المستبد تولا باشيتش في ١٩٢٤ ، وادخل الاثنان كوروا
في حكومة واحدة يرأسها الصربيون في فبراير ١٩٢٨ . وفي تلك الآونة ،
كان الجو في السياسة اليوغوسلافية اخذا في التبدل ، اد استقطت عضوية
الزعيم الكرواتي ستيفان راديتش (Stjepan Radić) في البرلمان في
مارس ١٩٢٨ ، لأنه قال لوزير الشؤون الاجتماعية : « انما أنت رضيع
نكاه أوني عجوزة بدلا من رأس إنسان ! أها الجهول ! انك لست تجلس
في كرسى الوزارة ! » (٤١) وبعد ذلك بثلاثة اشهر ثارت ثورة تالب من
الجبيل الأسود لمقاطعة أثناء القائه خطابا ، فاضط غدارته واطلق النار على
نواب عديدين كان فيهم راديتش . وحاول الملك الكسندر في البداية
تهديد الأثرة وتعيين حكومة جديدة برئاسة كوروشيك . ولكنه عاد بعد
ذلك في يناير ١٩٢٩ ، فاتخذ إجراءات أكثر شدة وقمالية ، فأوقفه
المستور وفرض على البلاد نظاما سياسيا شديدا وعنف وألحق توحيدا
بكثير من أي نظام آخر حاول السياسيون الصربون قبل ذلك تطبيقه .

وكان أول تغيير له وزمته هو الاعلان ان « الدولة منذ الآن مستعدة
دولة يوغوسلافيا » - وهو مصطلح أكثر توحيدية من « مملكة الصرب
والكروات والسلوفين » . وقد أراد الكسندر أن يحو عن الخريطة
السياسية تلك الهويات الإقليمية القديمة ، ولذلك فإنه أدخل تقسيما
جديدا تماما على الأراضي اليوغوسلافية الى سبع باتوفينات (Banovine)
أي بانات Banate - وكان استخدام هذا المصطلح الكرواتي القديم
يكاد يكون بلة الريق الوحيدة للكريد الكرواتي ، وقضى لكل باتوفينا
نظاما تقطع بقتضاء الحدود القديمة للعناصر الأصلية المكونة للدولة

اليوغوسلافية • واسميت البانوفينات شيئا أمكن على أسبغ الأتجار •
وقسمت اليوسنة بين أربع بانوفينات : فرياسكا (Vrbanja) ، التي
كانت تضم بعض الأراضي الكرواتية ، ودريسكا (Drinska) ، التي
كانت تضم شطرا كبيرا من صربيا ، وريسكا (Zetaka) التي كانت
تتكون بصفة رئيسية من الجبل الأسود ، وبريمورسكا (Primorska)
التي كانت تمتد إلى الساحل الدالماسي • وبذلك حدث لأول مرة منذ أكثر
جزر أريستة عام أن قسمت اليوسنة •

وكان ، السابق • (Buz) حكما يعينهم الملك ، كما أنهم كانوا
ينورهم يمينون لهم موصفين في مكان حصول الحكومة المحلية المنتخبين •
وعندما قس يوسني صربي هو سيمو بيجوفيتش (Simo Bogović) ، وهو
شخصية محترمة كان النمساويون المحررون قد حكموا عليه بالإعدام في
محاكمات باياليوكا السياسية في ١٩١٦ ، قد قاد هذا متوبا عن الفلاحين
من نابل (Pale) إلى دار البان في سراييفو لكي يصفوا الشكوى حول هذه
التعديرات • فطلب من البان أن يعطيه أربعة آلاف دينار ، فساله البان
لماذا ؟ فاجابه : « أريد أن أسافر بها إلى فيينا لأن فيها قبر فرانز
يوزيف ، وبذلك أستطيع أن أقول له : استمع إلى يا فرانز •• لو أنني
علمت مقدما بالصيغة التي ستتقم فيها اليوسنة بعد موتك ، ما حاولت
فقط إيهادك » (١٤) • فإذا حاصر قس صربي أرثوذكس مثل هذا
الاحساس ، فيمكننا أن نتصور كيف كان الكرواتي العادي يحس ، وهو
الذي كان يعد يوغوسلافيا الموحدة الجديدة شيئا لا يقل في واقع الأمر عن
تحقيق آمال صربيا • إن أحدا لم يسمد بهذه التغييرات ولا حتى الساسة
الصرب أنفسهم الذين سادتهم الطريقة التي قصص بها اجنتهم الانقلاب
الملكي • وكان أهل اليوسنة المسلمون يمانون من التماسه : خاصة وأنهم
كانوا أقلية في كل بانوفينا من تلك الأربع التي كانت كل منها تضم
جزءا من اليوسنة السابقة • وكان الموظفون المسلمون لا يعطون إلا أدنى
الوظائف في وزارات ومصالح الحكومة الملكية الجديدة • بيد أن الكروات
كانوا أقلهم سمعة وأنهم مزاجا • وعندما غادر البلاد أشد السياسيين
الكروات راديكالية وهو أنتي بانفيتش (Ante Pavelić) • وشرع ينظم
في الخارج بمعاونة مومولين • « الأومسانا » وهي حركة المقاومة
الكرواتية ، التي ستناضل لتحقيق استقلال كرواتيا (١٥) • وجاء به
ذلك دور زعيم الحزب الكرواتي الرئيسي • وهو فلادكو ماتشك
(Vladko Matčec) وهو خليفة الزعيم ستيفان راديتش (الذي اغتيل) •
فاصدر « قرارا » في نوفمبر ١٩٤٢ يدعو إلى العودة إلى الديمقراطية
، وإنهاء السيطرة الصربية • ثم صدرت بعد ذلك بيانات أخرى مماثلة ،

اولها من كوروشيك في سلوفينيا ، وسيباو في البوسنة ، وعندئذ تم القبض على ثلاثتهم - فاما الزعيمان السلوفيني والبوسني فقد افرج عنهما سريعا ، واما ماتشيك فقد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات (٤٤) .

ومن بين التمايز الاقل شأننا الهادفة الى تطبيق المركزية أثناء تلك الفترة من الحكم الفردي القرار الذي أصدره الملك بإعادة تنظيم المجتمع المسلم في يوغوسلافيا . فقد كان هنالك حتى الآن نظيمان مختلفان ، أحدهما تنظيم مسلمي البوسنة والآخر تنظيم مسلمي مقدونيا وكوسوفو (المتركة في سكوبيه) . ويفتضي المرسوم الملكي الصادر في ١٩٣٠ ، وضع جميع المسلمين اليوغوسلاف تحت رئاسة رئيس علمه واحد . ومجلس منفرد ، مع نقل مقر رئيس العلماء الى بلجراد . وعندئذ استقال تسلاوشيفيتش بعد أن اعترض على هذه الخطوة ، وكان رئيس العلماء الجديد المعين ليوغوسلافيا كلها هو ابراهيم مجلابيتش . وهو الرئيس السابق لمنظمة المسلمين اليوغوسلاف التي عرف بانتصاره للحرب (٤٥) . وهناك تغييرات أخرى أصغر شأننا حدثت في نفس الوقت ومنها ادخال منهج دراسي عوامي غربي الى المدارس الاسلامية . وكان ذلك الاجراء جزءا من سياسة تهدف الى توحيد المناهج الدراسية بكل أرجاء المملكة (٤٦) . وعلى عكس البيان أن القانون الصادر في ١٩٣٠ أعطى الملك درجة ضخمة من التحكم والهيمنة على المجتمع الاسلامي ببلاده . ومع ذلك فإنه بعد وفاة الملك الكسندر (٤٧) ، صدرت قوانين جديدة ، وتم الاعداد لجنة ديمقراطية أكثر ، واعطاء الحق لجمعية طوار الأوقاف المحليين لتسمية ثلاثة مرشحين لمنصب رئيس العلماء ، يختار الملك منهم واحدا .

وحدث شيء من التراخي الحذر في النظام الأوتوقراطي الملكي بعد اغتيال الملك الكسندر في ١٩٣٤ . وكان الوصي الجديد على العرش وهو الأمير بول (الذي كان يحكم بالأصالة من الوارث للعرش الملك بيتر الذي كان يبلغ العادية عشرة من عمره) . قد افرج عن ماتشيك من السجن وعقد انتخابات جديدة في صربيا في ١٩٣٥ وعين ميباسيا صربيا شايبا هو ميلان ستويادينوفيتش (Milan Stojadinović) لتشكيل حكومة تراضي . وكان السياسيون الوحيدون المعروفون الذين أدخلهم في وزارته هما كوروشيك وسيباو . وبماونتها ، كما قال ذلك فيما بعد ، كانت الحكومة « قوية أمام الشعب ولكنها ضعيفة في البرلمان » . ومن قبل كان حزب كوروشيك قد قاطع الانتخابات ، وكانت منظمة المسلمين اليوغوسلاف برئاسة سيباو قد حاربت الانتخابات كجزء من قائمة المساوضة التي

(*) الملك الكسندر نقل بعد ذلك بكليل صربى قوسوى بمدينة مرسيلا . (المرجع) .

رأسها ماتشك (التي قامت بفعل نظام انتخابي أعطى عددا لا يتناسب من المقاعد للقائمة الفاشية) (٤٨) - وحلت بعد ذلك في ١٩٣٥ أن ألف ستويادينوفيتش حزبا جديدا للحكومة هو : حزب الاتحاد الراديكالي اليوغوسلافي ، وحشد فيه بين حزبي (الحزب الراديكالي الصربي) وكوروتشيك وسباهو ، على أن لجمعة الحزب الراديكالي عدلت عن ذلك التنظيم في الربيع التالي وأعلنت معارضتها للحكومة ، وبذلك وجه ستويادينوفيتش نفسه في موقف عرب بغير تأييد الحزب الكرواتي أو الصربي أصحاب الأغلبية وقائما فقط على السلافوفيتيين والمسلمين اليوسيين ومن بقي معه من مؤيديه الشخصيين .

دامت وزارة ستويادينوفيتش أربع سنوات ، وفي أثناء ذلك أحرر بعض التقدم التدريجي نحو الديمقراطية ، وسمح بمواصلة المباحثات مع ماتشك حول إعادة تنظيم يوغوسلافيا وصولا إلى نظام فيدرالي في خاتمة المطاف ، واستحدثت سياسة خارجية تقوم على التصالح والتراضي وتهدف إلى تنمية الشؤون التجارية والعلاقات الودية مع كل من إيطاليا وألمانيا . وكانت أشد القوى المدعومة في السياسة اليوغوسلافية أثناء تلك السنوات هي الوطنية الصربية : حيث نجحت الكنيسة الأرثوذكسية في إثارة الصربيين وحملهم على الخروج في مظاهرات عجيبة ، وتمكنت من إقناع ودان ببي يوغوسلافيا والفايكان في ١٩٣٧ وفي اليوم الثالث من فبراير ١٩٣٩ ، ألقي أحد وزراء ستويادينوفيتش الصربيين خطابا في البرلمان أكد فيه سيادة الصربيين على الكروات والسلوفاين : « أن سياسة الصرب ستكون على الدوام هي سياسة هذا المجلس وهذه الحكومة » ، وعندها طلب محمد سيباهو من ستويادينوفيتش أن يستنكر ذلك البيان ، ولكن ستويادينوفيتش لزم الصمت ، وفي تلك الليلة نظم كوروتشيك استقفاة حمسة ووزراء احتجاجا على ذلك بما فيها منهم سيلهو والوزير الصربي

دراجيشا سيفيتكوفيتش (Dragisa Cvetković) وحضر كولينوفيتش (Džafer Kulnović) ، الذي كان نائب سيباهو في منظمة المسلمين اليوغوسلافي . وتمكن الأمير بول بفضل هذا الفعل من أن يطرد ستويادينوفيتش من السلطة وأحلال سيفيتكوفيتش في محله (٤٩) -

والآن وهتلر يتقدم نحو تشيكوسلوفاكيا ، والمصعب به أنسر بالقليش في إيطاليا قد بات أكثر جرأة في مطالبته بفض اتحاد يوغوسلافيا ، أصبح واضحا أن مشكلة إيجاد حل فيدرالي مقبول من الكروات لم يكن من الممكن تأجيله أكثر من ذلك ، وعندها بدأت المباحثات في أبريل بين سيفيتكوفيتش وماتشك بهدف إعادة تشكيل أرض وطنيه

لكرواتيا ومنحها بعض السلطات السياسية الخاصة بها - وكان أول ما اتفقا عليه أن البانوقيين الرئيسيتين الكرواتيتين سالسكا وبريورسكا (اللتين كانتا تضمآن أجزاء من البوسنة) ، ينبغي أن تتوحدا مع منطقة دوبروفنيك ، وأن سكان بقية البوسنة ينبغي أن (يقرروا باستفتاء عام ما إذا كانوا يرغبون في الانضمام إلى كرواتيا أو صربيا) - وعندئذ يكون الهدف النهائي دولة فيدرالية ثلاثية الأطراف تتكون من صربيا وكرواتيا وسلوفينيا (٥٠) - ولكن الأمير يول رفض أن يقبل هذا البناء الدستوري ، وبدأت دورة جديدة من المباحثات ، وفي هذه المرة اقتطعت اجراء اضافية من اراضي البوسنة بمساحة تامة من الخرجة وأضيفت إلى كرواتيا : وهي تتضمن برتشكو ، وجرادانسك ، وديرفينا ، وترافيك ، وفونيك ، وبدلا من دولة ثلاثية الأطراف ، فالنظام الجديد يعامل كرواتيا بوصفها بانوقية ذات وضع خاص ولها برلمانها الخاص بها : وبذلك تظل بقايا البوسنة موزعة بين البانوقيتين الموجودتين أصلا والمقوصتين أيضا : بانوقية فرياسكا وبانوقية درينسكا - هذه هي الخطة التي تم اتباعها في النهاية في اتفاقية أغسطس ١٩٣٩ (٥١) -

وتوفي محمد سيباح في يونيو ١٩٣٩ ، وهذه المفاوضات في أشد مراحلها حرجا - لقد كان سياسيا حصبيا ، عمل على إعطاء مسلمي البوسنة درجة من الضغط السياسي في فترة ما بين الحربين ، لا تتناسب مع فؤدهم المملدية ، ولكن حتى ممارسته العنيفة لم تستطع إيقاف القصف - ودعا حلفه جعفر كوليتشيتش إلى إنشاء بانوقيا خاصة بالبوسنة - ولكن طلباته لقيت التجاهل التام ، ولم يكن أقل اسباب ذلك أن المناطق الباقية من البوسنة كانت بها غالبية من الصربيين الذين لم يكونوا راغبين في أن يفصلوا عن باقي البانوقيات التي يسيطر عليها الصرب (٥٢) - وظل كوليتشيتش عضوا في الحكومة ولكنه أصبح ممزولا وازداد حزنا واكتئابا - وعندما ذهب كوروشيك لزيارته في أوائل ١٩٤٠ ليسأله لماذا كان يقاطع اجتماعات مجلس الوزراء ، انهزم من قبه سيل من الشكاوى - فلم يكن حظه يتلقى سوى القليل من الفخر من الرعاية السياسية ، وأوضح أنه بات لا يطبق استمرار المباحثات حول إنشاء بانوقيات سلوفينية وصربية ذات وضع متساو لكرواتيا ، دون أي ذكر لفكرة إعطاء البوسنة وضعاً مماثلاً - أنه كان يطالب بإنشاء بانوقيا جديدة مكونة من الجزء الباقي من الأرض البوسنية ، وستجنيق توفى طراد التي مسكنها غالبية من المسلمين (٥٣) - وللمرة الثانية تبجعت رغبتهم ما أقام نفسه بالمرأة ، ويات يفسر عداوة مدينة نحو الصرب الذين كانت رغبتهم في ابتلاع البوسنة تنطج يوما بعد يوم -

وبينما هذه المسائل تناقش يكون نتيجة حاسمة ، أثناء الجهد الباقي من ١٩٤٠ ، كان الضغط الذي تمارسه دول المحور على يوغوسلافيا يزداد في كل يوم شدة . وصدم الرأي العام صدمة شديدة بانهيار مرسا السرب ، كما ثار غضبه بسبب مهاجمة إيطاليا لليونان . ومع هذا اضطر الزعماء اليوغوسلافيون ، ازاء التماس بين حدود الرايخ الألماني وبينهم (حتى ضم النمسا لألمانيا) ، وسبب ما كان واضحا من عجز الحكومة البريطانية عن تقديم أية حماية فعالة في البلقان ، الى أن يتخذوا سياسة مهادنة ومسالمة . على أن الأمير بول وحكومته صمدوا شهورا عدة ازاء الضغط الألماني وأبوا الانضمام الى حلف المحور . ولكن بعد أن وقعت بلغاريا على ذلك في أول مارس ١٩٤١ ، راوا أنهم لن يستطيعوا المقاومة أكثر من ذلك . ووقع زعماء يوغوسلافيا على الانضمام الى الحلف في قبينا ، في ٢٥ مارس ١٩٤١ . وفي اليوم التالي لمودتهم طردوا جميعا هم والأمير بول نفسه في انقلاب غير دموي قام به الجيش والأحزاب السياسية الصربية القديمة وحظي بتأييد شعبي . فضلا عن بعض الوزراء السابقين . ودعت الحكومة الجديدة الى سياسة من السلم والهدوء تجاه ألمانيا . ولكن الذي حدث بعد ذلك بعشرة أيام ، أي في السادس من أبريل أن شن سلاح الطيران الألماني سلسلة من غارات القصف المركز على مزاراد ، وما عتمت يوغوسلافيا أيضا من اجتاحتها قوات المانية وإبطلية وبلغارية ومجرية . وبعد قتال دام اربعة عشر يوما استسلم الجيش اليوغوسلافي استسلاما تاما للقيادة المدا الألمانية (٥٤) .

الفصل الثالث عشر

اليوسنة والحرب العالمية الثانية

١٩٤١ - ١٩٤٥

ان تاريخ الحرب العالمية الثانية في يوغوسلافيا ، انما هو تاريخ حروب كثيرة تراكمت احداها فوق قمة الاخرى . فكانت هناك أولا بطبيعة الحال ، الحرب الاولى التي شنتها المانيا وايطاليا على يوغوسلافيا نفسها . وضمت بعض الاراضي : فاستولت المانيا على نصف سلوفينيا ، واحتل ايطاليا النصف الآخر من سلوفينيا وعدة اجزاء من دالماتيا ، كما نالت الجبل وبلغاريا والبانيا الخاصة لسيطرة ايطاليا ، اجزاء اخرى . وكان القصد من تمزيق صربيا تاديبيا ، ولكن الهدف الرئيسى كان الانخضاع والسيطرة . ومضلا على ذلك كانت يوغوسلافيا مهمة للمواصلات وللاعداد بالمواد الخام وبالمال لتوفير حاجة المجهود الحربى فى الحرب الدائرة ضد الحلفاء . وكانت هناك أيضا حرب محتدمة بين جنود المحور وحركات المقاومة اليوغوسلافية ، على ان هذه الحرب ظلت ثانوية بالمسبة للانغراس الاوسع لاستراتيجية المحور ضد الحلفاء . وبعد ذلك شبت على الاقل نيران حربين اهليتين - اولاهما حرب شنها المنطرون الكرواتيون على السكان الصرب الامميين من اهل كرواتيا والبوسنة ، وهى حرب عنفوانية انتقامية شعواء لم يميزوا فيها بين محارب او مدنى . واجرا شبت هناك حرب بين تنظيمى المقاومة الرئيسيين ، اللذين تطوع فيهما الصرب من تلك النواحي : وهما تنظيميا التشيتيك والشيوعيين (البارتيزان) . وضمت الحركتان ، بعض الزمن ، فى عضويتهما جماعات عرقية اخرى كذلك . وليس من اليسر علينا ان نمك الاشتباك بين جميع هذه الخيوط المتشابكة ، لتحدد مسؤولية كل منها عن العدد النهائى للوفيات فى يوغوسلافيا اثناء تلك السنوات الاربع العظيمة . ولكن الواضح تماما ان الذين لقوا حتفهم فى ذلك الوقت لا يقل عددهم عن مليون انسان . ومن المحتمل ان غالبيتهم كانوا من اليوغوسلاف الذين قتلهم اخوانهم اليوغوسلاف (١) *

وفي اليوم العاشر من أبريل ١٩٤١ ، وحتى قبل أن تنتهي « حريمهم المظلمة » Blitzkrieg ، أعلن الألمان قيام « دولة كرواتيا المستقلة » الجديدة ، وقسم البوسنة بكاملها والهرسك - ولم تكن مستقلة بطبيعة الحال ، كما أنها قسمت بين منطقتين من الاحتلال العسكري الألماني والإيطالي يصلهما خط التقسيم الذي يمتد مائلا من حلال البوسنة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، وبناء على اقتراح موسوليني ، دعا الألمان أنمي يافيليتش ليتولى الحكم في دولة كرواتيا المستقلة بوصفه حاكما عاما أي فيرير (٢) ، ولم يكن لمركنه « الأوستاشا » (وهي الحركة القومية الكرواتية المتطرفة التي تولت السلطة في دولة كرواتيا المستقلة) حتى ذلك الحين تكتل بين الناس (ادربا لم ينضو نعت لوانها أكثر من اثني عشر ألف عضو في كل كرواتيا بكاملها) ، ولكنها سرعان ما أصبحت ذاتة تكتل كبير بمجرّد أن تولت السلطة ، وبعد عتدي من المقاومة السياسية لمركزية بلجراد ، فإن السالبية العظمى من الكروات رأوا أن إقامة « دولة كرواتيا المستقلة » حدث يستحق به ، مهما تكن ظروف ميلادها ومهما تكن لا شرعية وضعها « المستقل » - وأيا كان الأمر ، فقد بقي السياسيون المسؤولون البارزون في سلة ما بين الحرين ، مثل فلادكو ماتشك ، سلبين لا يتحركون ، بينما المنصبون يتولون رمام السلطة ويستغلون الدولة أداة للربح وإبادة الجنس .

وصدر أول قانون مضاد لليهود في « دولة كرواتيا المستقلة » في ١٨ أبريل ١٩٤١ - وبعد ذلك باثني عشر يوما صدرت ثلاثة قوانين للدولة : عن المواطنة ، والهوية العرقية ، وحماية الدم الآري ، وشرف النصب الكرواتي ، (٣) - على أن اضطهاد اليهود قد بدأ فعلا حتى قبل ظهور هذه الشكليات القانونية ، ففي ١٦ أبريل ، وهو اليوم التالي لوصول الألمان إلى سراييفو ، هاجم الحشد الألماني المعبد أو الكنيس القديم هناك - وفي مدى يومين من السلب والنهب ، كانت محتويات جميع المعابد اليهودية في المدينة قد دمّرت تماما (٤) - وفي الوقت نفسه ذهب ضابط ألماني على الفور إلى المتحف القومي ليصادر حاجادا (٥) سراييفو التي لا تقدر بحسن ، ولكن بفضل فطنة مدير المتحف ، أُنقذت هذه المخطوطة وحُجّث طوال فترة الحرب في إحدى القرى الجبلية (٤) - وعندما صدرت الأوامر في الشهر التالي بأنه ينبغي لجميع الحيوانات ومحلات الاستئثار الأخرى

(*) فيرير (وليس فريرر كما تنطق عادة) تعني القائد أو الزعيم باللاتينية .
 ولها دلالتها الخاصة في للنظم الفاشية الثلاثة على عبادة للورد .
 (**) الحاجادا - الجزء الأسطوري من التلمود - (المرجع) .

• ان يكون لها مندوب من « الأوستاشا » للاشراف عليها • • حصت الأعمال اليهودية بأشدهم غلظة وشراسة • وعندئذ بدأت سلسلة متلاحقة الحفلات من الاستيلاء على الأموال والاعتقالات • وبدأ الاعتقال الجماعي لليهود في دولة كرواتيا المستقلة • أما في صربيا التي عين لها رئيس غير متحصب ولكنه عميل خائن وحقاطي • مع الأعداء • هو الجنرال نيديتش (Nedić) فقد بدأت فيها ملاحقة اليهود بعد ذلك بقليل • وعندما حلت نهاية ١٩٤١ • كانت غالبية اليهود قد نقلت الى معسكرات اعتقال بكل من المنطقتين • وتمازجت هينات المواطنين المحلية في هذه الملاحقات في صربيا فصلا عن دولة كرواتيا المستقلة : ولم تكن أية منطقة بريئة من ذلك إطلاقا • ولهمب جميع ما بالبوسنة من معابد يهودية • كما دمر كثير منها قنصرا تاما • وعند نهاية الحرب قدر انه من بين اربعة عشر ألف يهودي بالبوسنة قتل ما لا يقل عن اثني عشر ألفا (٥) •

وغنى عن البيان • مع ذلك • ان معاداة السامية كانت في الدرجة الثانية من الأهمية في ايدولوجية الأوستاشا • وكان الهدف الأساسي هو • حل • مشكلة الاقلية الصربية الكبيرة (١٦٩ مليوناً من اجمالي ٢٦٢ مليوناً) في ارضي دولة كرواتيا المستقلة (٦) • وفي مايو بدأت حملة من الترويع ضد المواطنين الصربيين • وفي يونيو حلت اعتقال حشاشي للنصر في موستار • فحضر المئات منهم بالرصاصي والقيت جثثهم في انديريفا • ونفذت فظائع صائلة لهم في دولة كرواتيا المستقلة بما في ذلك المدن البوسنية مثل بيهاتش وبرنيسكو ودوبوي • دمرت قرى بأكملها في منطقة سرايفو • وبلغ الأمر في يوليو انه حتى الالمان انفسهم اخفوا يشكون من فظاعة ووحشية هذه الاعتداءات (٧) • وكان رد هؤلاء الفلاحين الصرب • وخاصة ببلاد الهرسك • وهي معقل ثورة الفلاحين المسلحة في ١٨٧٥ و ١٨٨٢ • عروفا مقنما : ففي منطقة نيفيسيني ارجفوا بالشورة في يوليو ١٩٤١ • وطردوا قوات مليشيا الاوستاشا من مواقعها • وأسسوا الى حين محدود • منطقة محررة • ضموا الى منطقة أخرى للمقاومة قائمة في الجبل الأسود المجاورة • وعند ذلك استندادوا على القرويين المحليين من كروات ومسلمين • اذ كانوا يمدون دخلهم تحت حكم دولة كرواتيا المستقلة نوعا من التواطؤ • فقتل أكثر من ٦٠٠ مسلم في الركن الجنوبي من الهرسك • وفي يوليو وأغسطس بلغ عدد القتلى بالتقريب ٥٠٠ • بالمنطقة المحيطة بفيشيجراد (٨) • وفي منتصف أغسطس كتب أحد المسلمين الشيوعيين رسالة يقول فيها من سرايفو : ان القوار نهبوا سكان

الفرى المسلمين فى منطقة مومستار ، ويهدا قلوبوا على أنفسهم جميع السكان المسلمين كافة (٩) -

ولدت سياسات إبادة الجنس التى انتهجها نظام دولة كرواتيا المستقلة الى اندفاع الآلاف من العرب اليوسيين الى الانخراط فى واحدة من حركات المقاومة المنظمة . وكانت هناك اثنان من هذه التنظيمات تعملان فى الأراضي اليوسيتية . مع صفات مميزة مختلفة واهداف شديدة السابى - وبلغ من شدة اختلافهما ان أصبح جليا ان هناك حربا أهلية وعنه بينهما تتراعى من بعيد أمام الأنظار حوالى أكتوبر ١٩٤١ . وقد شكل الأولى كولوبيل فى الجيش اليوغوسلافى اسمه دراجسا ميخايلوفيتش (Dradja Mihailovič) . وهو صابط ملكى النزعة معب للانجليز ، وجير منورس فى حرب المصائب ، وكان يعيم فى البوسنة عندما حدث الهرو الألماني . مسافر شرقا مصحبة بقية الرجال الذين كانوا تحت امرته الى منطقة دال رادو جورا (Ravna Gora) ، فى غرب وسط صربيا . وهناك اقام مقر قيادته . وكان بوصفه ضابطا فى الجيش ، يمثل البقية المالية حية من السلطة الملكية (وعندئذ عملت الحكومة الملكية اليوغوسلافية فى المنفى فيما بعد الى ترقية الى رتبة الجنرال وتعيينه وزيرا للعرب) . وتمكن بوصفه صربيا وطنيا من ضمان ولاء كثير من المواطنين العرب العاديين . وأصبح رجاله يعرفون باسم التشيتنيك أى رجال المصائب . وهو المصطلح التقليدى المأثور لأولئك الفراضية قطاع الطرق من المراسل الكما الصناديد ، والمقاتلين البواسل فى التاريخ العربى القديم . وكان ذلك الاسم مصدرا لعدة التباسات ، وذلك لأنه است هناك قبل ذلك منظمة رسمية من « التشيتنيك » تقوم على حركة من قدامى المحاربين من الحرب العالمية الأولى . وأصبحت مساعدا للنظام الميل العربى . وشأت نعمات صربية كثيرة فى أمكنة أخرى وأسست معها « تشيتنيك » . ولكن لم تكن لها أدنى علاقة بجماعة ميخايلوفيتش ، وكانت نقطة الضعف الكبرى فى مهمته ، هي ان فولده المتفرقين بكل مكان كانوا يصلون آمادا طويلة فى استقلال تام . أو عدم اهتمام بقى أواصر تصدر عنه (١٠) . وبها الجند التشيتنيك التابعون له المقاومة الناشطة القتالة ضد الألمان فى مايو . ولكن السياسة العامة التى اتبعها ، كما طلبته اليه ذلك الحكومة فى المنفى فى يوليو وسبتمبر ، كانت التبرص وبناء منظمة ، وتسريب الصلا فى قوات نظام الميل الخافى نيديتش ، والتهمز للقيام بشرة ، لابد فى حانة المطاف ان تأتى ، عندما يكون العلفاء قد انقلبوا ضد الألمان (١١) .

وأما المنظمة الأخرى وهي منظمة « البارتيزان » (الانصار) وهم رجال المقاومة الشيوعية ، فكانت لها أغراض أخرى مختلفة تماما . فقد لعب الحزب الشيوعي دورا يكاد يكون مكمولا في السياسات البلغوسلافية في فترة ما بين الحربين ، وذلك لأنه كان مطلوبا لحد تلك الفترة . وفي ١٩٤٠ لم يكن به سوى ستة آلاف عضو في كل أرجاء البلاد كافة (١٢) . وكان قائد المنظمة تيتو (جوريف بروز) وهو الجاوش السابق في الجيش السوي المجري) ، من المخلصين لستالين ، وجاء من عمليات التطهير التي جرت في موسكو ، وفي أثناء المدة المصهرة بين عقد صلح مولوتوف ريبنتروب وغزو هتلر لروسيا ، كان يواصل اتباع خط « الكومسترون » الرسمي من التمسك في المدون البريطاني على ألمانيا . بيد أنه كان رجلا واسع الحيلة والتدبير ، كما أنه كان ذا قدرة فطرية على تدبير المؤامرات وتنظيمها . وبعد أيام من غزو ألمانيا لروسيا في يونيو ١٩٤١ ، كان يدير عملية مقاومة ، لم تكن تقتصر فقط على تدبير مقاومة لعدو الألمان من البلاد (بينما تكون ألمانيا فيما قدر بتفكيره قد حزمت سريرا على يد روسيا) بل واشتغل أيضا في تحضير ثورة اجتماعية تتسلم السلطة أعدادا لدولة شيوعية بعد الحرب . وكان معنى ذلك الهدف الأخير أمكان أن تكون تكتيكاته مختلفة تماما لتكتيكات قائد التشيتيك . وكان ميخائيلوفيتش يريد أن يحافظ ، ليس فقط على السكان بل وأيضا على النظام الاجتماعي بأكمله ، فكان من ثم شديد الحرص على عدم استعباد الألمان أو إعاقة الخراب بسنابل كاملة من البلاد . ولكن من الناحية الأخرى كان يفسر المجتمع ، وحلق نوع جديد من أهل البلاد والسكان منزوع من جذوره ومعلق بالراديكالية ، أمرا يحد في مصلحة تيتو ، كانا هو يقدم لمطعمته . ومن ثم فإن المناطق التي كانت تحررها قواته كانت تصبح علنا بالصيغة السوفيتية . وعلى ذلك فإن كثيرا من البوجوزيين المحليين نفذ فيهم حكم الاعداد ، بل لقد حدث أنه حتى بين صفوف انصاره ، نفذ الكساد . رانكوفيتش رئيس الأمن لدى تيتو ، نظريات قام بها من تلقاء نفسه . فالثورة الاجتماعية كانت الهدف الاسمي فوق كل شيء : وكما عبر واحد من أشد معضدي تيتو ، وهو ميلوفان ديلاس : « ان العمليات العسكرية » كان الدافع إليها ايدولوجيا الثورية . فالثورة لم تكن ممكنة بغير كفاح عام مشترك متزامن ، ضد قوات الاحتلال (١٣) فلا يحب إذن في أن تملأوا خشنا ولكنه وثيق بين الفلاحين والتشيتيك وقوات البارتيزان الشيوعية تكن من أن يحرر مؤقتا مناطق قسمة من الجبل الأسود والبوسنة وغرب صربيا في آخرات صيف ١٩٤١ وخريفها . ولكن كان من المستحيل أن تقوم التعاون طويل الأمد بين المنظمات . فلقد حدثت فعلا بعض خلافات

وصدامات بينهم ، قبل أن يجيء هجوم الثاني في شتاء تلك السنة ، فزوى
جوش ميخايلوفيتش في صربيا وأجبر البارتيزان على الانتقال إلى المرتفعات
في جنوب شرق البوسنة .

وهناك ناحية أخرى سياسات التشيتنيك والشيوعيين المتنافسة
بحاج هي الأخرى أن تذكر هنا : هي طريقة تعاملهم مع المسلمين ووضع
البوسنة . وقد كان بين التشيتنيك عدة أفراد من الرابيد (Rapid)
وهم قوم صربيون وطنيون ، كانوا لا يرغبون فقط في ابتلاع البوسنة بل
وأيضا دالماتيا والجبل الأسود وأجزاء من كرواتيا وسلافونيا ، بل حتى
أيضا شمال ألبانيا وصهون حبيما إلى أرض صربيا (١٤) . ولقد كان ينبغي
هذه الأعداء اثنان من رجال الفكر في الحركة التشيتنيكية : أحدهما

هو المحامي والسياسي الصربي دراجيشا فازيتش (Dragisa Vazic)
والمحامي الصربي البوسني (من بانيا لوكا) ستيفان موليفيتش
(Stevan Moljevic) . وأصدر الأخير منهما في يونيو ١٩٤١ مذكرة
عنوانها « صربيا المتجانسة » . وفيها طالب بأن تنجح في صربيا جميع
الأراضي سالفة الذكر ، وأوضح أن « الواجب الأساسي » هو أن « تخلق
وتنظم صربيا متجانسة تشمل المناطق العرقية التي يسكنها الصرب » (١٥) .
وكتب موليفيتش في خطاب أوسله إلى فازيتش في فبراير ١٩٤٢ : « أن
الأرض الصربية ينبغي أن تسط على طول الخط إلى دالماتيا ، وأنه ينبغي
أن يتبع ذلك عندئذ تطهير الأرض من جميع العناصر غير الصربية » . وعندئذ
يكون الشيء الواجب عمله هو إرسال جميع هؤلاء المعتدين إلى حبال
سيليم : فالكروات إلى كرواتيا ، والمسلمين إلى تركيا أو ألبانيا . « والآن
وقد أصبح قوم من أمثال هذا الرجل هم الذين يؤثرون في سياسة قيادة
التشيتنيك » (حيث أصبح موليفيتش المدير السياسي للحركة في
أوليات ١٩٤٣) . صار واضحا أنه كان هناك أساس نظري لسياسة
مضادة للمسلمين بصورة لا حواجة فيها .

ولكن من الناحية الأخرى ، ليس هناك أي دليل قاطع يدل على أن
دراجا ميخايلوفيتش قد دعا البنية إلى التطهير العرقي ، والوثيقة الوحيدة
التي ظلنا استشهد بها على أنها دليل على ذلك ، هي مجموعة من التعليمات
أرسلت إلى اثنين من القواد المحليين في ديسمبر ١٩٤١ ، اتسا هي فيما
يحتمل وثيقة مزيفة . وإن وجب علينا أن بين أنها وثيقة لم يزورها أعداء
يريدون منها الخط من قدر ميخايلوفيتش . بل القواد القسم الذين رجوا
أن يتناولها الناس على أنها وثيقة أصلية تشيتنيكية صحيحة (١٧) . ومن
المسلم به أن ميخايلوفيتش كان قادرا على استخدام مصطلح الوطنية الصربية

وبلاغتها . فلان اعلانا عاما نسب اليه تصريحاً يقول : « انى من اينما -
شوماديا الصربية (وهي منطقة في وسط صربيا) ، من ارض صربيا ، ومن
ارومة صربية . » ويصغى هذه قامى ساقاقل من اجل أسس المثل العليا
التي يستطيع صربى ان يهاجر بها : من اجل التحرير الدائم والتوحيد
الى الابد للارض الصربية فحيثما وجدت قبور صربيا . . . فثم ارض
الصرب (١٨) ورغم ذلك . فانه ظل خادما مخلصا حواليا للملك
وحكومته فى المنفى ، التي كانت سياستها انقاذ واعادة بناء مملكة
يوغوسلافيا بأكملها . وقد علق ميخائيلوفيتش ذلك مرة قائلا : « ان الصرب
من حقهم ان يقولوا : نحن منذ الآن لم نجد نريد يوغوسلافيا ، ولكن هناك
بصالح اسمى تضطربنا اضطرارنا الى اعادة سبع هذه البلاد » (١٩) . وهو
ابداً كان يعد نفسه منافيا في سبيل اعادة يوغوسلافيا الى الوجود .
بما في ذلك بايوية كروانبا شمه ذاتية الاستقلال . الى سابق عهدها
بالضبط قبل الحرب . على أنه عندما ادرك المدى البعيد القليل للذابح
الاوتمتاشا ، وافق على ان تؤخذ من كرواتيا بعض الاراضى : مثل طرفها
الشمالى (سرم وبرابا) ، الذى ينبغي ان يضم الى صربيا ، وينبغى ان
تتضم جنوب دالماتشيا الى البوسنة ، كما ينبغي ان تاحه صربيا القسم
الشرقى من الهرسك . وسيطلق للبوسنة نفسها الحق فى ان تقرر عن
طريق الاستفتاء هل تريد ان تنضم الى صربيا ام لا ؟ (٢٠) ولما كان الجذع
الاساسى من البوسنة يضم غالبية من السكان الصرب . فان هذه التسوية
الاقليمية لابد ان تنتج نتيجة صائبة تماما لتلك التي ينطلمها مستشاروه
الاعمق منه ايدىولوجيا . وكانت نقطة الفارق الرئيسية بينه وبينهم هي انه
شخصيا لم يكن لديه أية خطة لطرد المسلمين . ولكن مهما يكن الامر ،
غايه على العكس من نيتو . لم يكن يتوقع ان يدير القطر بنفسه . فان كل
هذه القرارات ، لو قدر له النجاح ، ستكون فى قبضة السياسيين والمثلك .

فلو سمعنا بان نينو كان يصرى بالفعل ان يدير الدولة بعد
الحرب . فستجيب عند اول نظرة من قلة المعلومات التي قدمها للشاكلة
بالتى ستنظم بها البلاد او ستقسم . بل ان هناك سيبا بسيطا للبلد ،
بانه فى تلك المرحلة كان لا يزال خادما مخلصا حواليا لستالين . وكان
لايستبح اطلاقا عن اتيان كل ما تطلبه موسكو : سواء اكان دولة مركزية
خوية التمركز ام اتحادا يوغوسلافيا من جمهوريات فيدرالية اشتراكية ،
او حتى تكوين اتحاد فيدرالى يلفانى يضم أيضا بلغاريا والبايتا . ويمكنك
ان تقول ان المحيط المكون من القوية النظرية والانتهازية القاسية
التي لا ترحم . وهي الصفات التي بعثت بها حياة ستالين ازاء . مسألة
القرمبات . كانت كلها امورا واضحة . فى الحزب الشيوعى اليوغوسلافى

أيضا • وحتى منتصف تسعينيات الألف وتسميته • كانت ميسية الكومنترون تعد يوغوسلافيا جزءا من جدار الدول الثائرة للاتحاد السوفيتي في غرساي : وقد دعا الكومنترون الى تفكيك يوغوسلافيا في ١٩٢٤ ، وتلقى الشيوعيون اليوغوسلاف تشجيعا على استفزاز القوميات المعادية على بلجراد • كوسيلة تتخذ لتلك الغاية • ولكن في ١٩٣٥ تغير خط الاتجاه تقريبا تماما : اذ كان المطلوب من الشيوعيين الآن أن يحافظوا على يوغوسلافيا • وأن يصلوا بروح • الجبهة الشعبية • ضد الفاشية الدولية (٢١) • وليس هناك أدنى شك في أن متالفين لو أنه كان قد أبدى كراهية لجميع أشكال الهوية الوطنية ولو كان قد سبها بأنها بورجوازية وطالب بالغاءها • لفضت تبتو من خلال ذلك الطوق ايضا • وفي غمرات الحرب تعلم بعض الدروس من واقع تجربته في محاولة بث التلاحم في صفوف جيشه بين كل ما جرى من أعضاء القوميات اليوغوسلافية المختلفة المتنافسة •

من أجل ذلك لا نحمى اذ نجد الحزب الشيوعي اليوغوسلافي يفتخر الى فكرة واضحة عن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه البوسنيون المسلمون • على أن ذلك الحزب في أول مراحله في ١٩١٩ الى ثلاثينيات الألف وتسميته • لم يكن يميز الا أقل القليل من الالتفات لتلك الموضوع • لأن الحزب الشيوعي للبوسنة نفسها لم يكن الا شطية منزلة من الناس • ولم يكن به حتى ١٩٣٩ الا مئة وسبعون عضوا فقط (٢٢) • وجرى عاداته أثناء تلك المرحلة يرفض الفكرة القائلة بأن أية مجموعة من الناس تعدلها وياقتها يمكن أن تكون لها هوية سياسية او قومية • ولكن بعد التحول الجفري في موقفه في ١٩٣٥ • شرع الشيوعيون في أن يقدموا ما يشبه أن يكون عدة مقترحات شبه فيدرالية • للدولة او قطر يتكون من سبع وحدات اقليمية تكون البوسنة واحدة منها • وكان معنى ذلك مقاومة الدعاوى المتنامية بأن البوسنة • كرواية حقة • او • صريضة حقة • • وأدغمت الشيوعيين على أن يمثلوا بهوية المسلمين الخاصة (٢٣) • وفي ١٩٣٦ كتب أحد المفكرين الشيوعيين المبرزين وهو ادلفرد كارديلي (Edvard Kardelj) السلوغيني يقول : • لسانا نستطيع الكلام عن المسلمين كافة • ولكن كجماعة عرقية خاصة • (٢٤) • وقال • خطاب مفتوح • كتبته الشيوعيون في البوسنة : • ان المسلمين ظلوا في البوسنة دائما كذا خاصا او كيانا خاصا • • ولكن التصنيف ظل غلظا بصورة متصعة • وفي مؤتمر الحزب الذي عقد في ١٩٤٨ • وصف الرجل المتط • به سياسة شئون القوميات وهو ميلوفان ديلاس المسلمين بأنهم : • جماعة عرقية • • ومع ذلك فإنه أخرجهم من قائمة الشعوب اليوغوسلافية (٢٥) •

وفي أثناء الحرب طالت منشورات قياد الحزب غامضة بل حتى «تناقضة» فان وثيقة نشرها «مجلس البوسنة المضاد للفاشية» (وهي الجمعية الشيوعية الاقليمية) في ١٩٤٣ اشارت الى «ممثل الشعب الصربية والكرواتية المسلحة» . ولكن الذي حدث في نفس السنة اذ اجتمع «المجلس المضاد للفاشية» الذي وضع أسس يوغوسلافيا الفيدرالية الاتحادية بعد الحرب . رفض الفكرة الذاعية الى أن المسلمين أمة . وقد اقيمت الخطة التي قدمها ديماسي على شكل «النموذج السوفييتي» : «خمس جمهوريات قومية» . من أجل «أمم يوغوسلافية الخمس» (الصرب والكروات والسلوفس والجبل الأسود والمقدونيين) . أما البوسنة فتكون وحدة منفصلة متميزة ، على أن تكون ولاية ذات استقلال ذاتي ليس الا وليست جمهورية قومية . وكأنه كانت هناك عبارة «شعب الجبل» . بين المؤيدين الصربيين الذين أرادوا أن تكون البوسنة متمجة في صربيا . والمندوبين البوسنيين الذين شاموا لوطنهم أن يكون له وضع معادل . بوصفه جمهورية . واختار جامته التسوية النهائية . باعطائها وضعها الجمهوري ولكن مع وصفها بأنها جمهورية يسكنها «أجزاء من الأمتين الصربية والكرواتية» . بالإضافة الى المسلمين البوسنيين» (٢٦) .

وكل هذه المناقشات كانت على كل حال أكاديمية نظرية بحة . حتى استمر رجال المقاومة الشيوعية (البارتيزان) في الحرب - وأعني بها الحرب على التشينيك . وكان كل من الجانبين يحارب من وقت لآخر ضد قوات المحور . وكان رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان يفعلون ذلك أكثر من التشينيك . وذلك من ناحية جزئية للأسباب السابق ذكرها . ولكن الحرب على التشينيك . هي التي سيطرت على استراتيجية تيتو . وبعد فراره من صربيا الى منطقة عوتشا في الجنوب الشرقي من البوسنة في نهاية ١٩٤١ . اتجه قلق تيتو في خوفه من أن تصبح منطقة وسط صربيا هي والمسبقة اقلية تشينيكيا . الأمر الذي حدث فصلا . وما أسرع أن أصبح الجبل الأسود وأجزاء من الهرميك تحت سيطرة القوات التشينيكية أيضا بقيادة قواد محليين . الذين اضطروا ترتيبا للميل مع المحتلين الإيطاليين ١ . (وكان الذي يحده الإيطاليين على ذلك هو الرغبة في الوصول على حياة عادية والتحصن ضد البارتيزان) . وإرادة حقيقية في ترك السكان المحليين يحسون أنفسهم من رجال الأومستاشا . وفي صيف ١٩٤٢ . زحف تيتو الى الشمال الغربي متخفيا البوسنة على امتداد الخط الفاصل بين منطقتي احتلال الألمان والإيطاليين . واستقر بمنطقة تتركز حول بيهاتش لا توجد بها أية قوات للمحور .

وهناك أقام بضعة أشهر وهو يحشد حشوده اذ اخذ يجمع فيها البوسنيين الصرب وبعض الكروات أيضا . وعند طول الخريف ادعى أنه سيطر على منطقة محررة ، في حجم سويسرا . وذلك لأن قوات المحور وقوات دولة كرواتيا المنسقة لم تأبه بهاجته .

ومع أن جيش تيتو كان يضم آلاف من الرجال البواسل الأشداء ، فلابد أن يقال ان القتال الضخم الميار الذي شب بينه وبين قوات المحور ، إنما حدث بناء على مبادرات من قادة المحور ، الذين كانوا يقررون بين حين وآخر اجلاء رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان من مناطق يمينها . فاما « تحرير المناطق » على يد تيتو وهي مناطق الريف المسيحية البعد . فلم يكن له اثر حيوى على الجهد الحربى الالمانى اذ كان الالمان والايطاليون يواصلون السيطرة على المدن الكبرى . وعلى الطرق والسكك الحديدية الرئيسية ، وعلى المساح . وكثيرا ما قيل ان تيتو قد « ألزم » أعدادا ضخمة من الفرق العسكرية الالمانية و « ربطها » فى مواقعها ، ولكن الواقع انه لم يكن هناك عند بداية ١٩٤٤ سوى أربع فرق عسكرية المانية ، ذات مستوى خفيض ، بكل يوغوسلافيا بأسرها . (وفى أغسطس من تلك السنة انضمت اليهم فرقتا احتياط من محشرين تحت التدريب ، و فرقة واحدة منهوكة القوى من ستالينجراد . ثم أصبحت اليهم قلة بعد ذلك قرب نهاية العام بعد استسلام القوات الايطالية فى سبتمبر) (٢٧) وكما كتب ناقد صداد لتيتو ، وان كان قوله يتسم بقوة الادراك ونعاذ البصيرة : « هناك فى مناطق البوسنة والهرسك وكرواتيا حيث كان رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان يروحون ويشعلون ، جرت بالطبع اشتباكات متكررة بينهم وبين قوات المحور . وقد دمرت جميع المواصلات بأعمال التخريب ، ولكن لم يكن ذلك وفق أية خطة استراتيجية . وعلى اغلب الظن انها خربت لحماية تعفر رجال المقاومة البارتيزان ، كما أن الحركات كلها كانت فى واقع الامر تعقرات حائشا » (٢٨) .

والسبب الرئيسى الذى من أجله قرر الالمان اجلاء قوات تيتو من الشمال الغربى لبوسنة فى أوائل ١٩٤٤ ، هو خوفهم من أن يتزل الحلفاء حروشهم على الساحل الدالماتى ، وهم من ثم شملوا أن يحكموا سيطرتهم على تلك المنطقة الداخلية من الأرض المهمة من الناحية الاستراتيجية ، ولنفس السبب سمم الالمان على القيام بهجوم على الثيتيتيك فى الهرسك والجبل الأسود (٢٩) . وكانت فكرة نزول الحلفاء برا . سيطرة على استراتيجية وفكر جميع القواد العسكريين . وكان ميخائيلوغيتش يريد ازالة رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان ، حتى لا يكون هناك أى عائق

يجتنب تقدم الحلفاء السريع الى الداخل ليمسوا الى قواته ايضا (٣٠) .
 فلما تيتو فاته ارسل ثلاثة من كبار موظفيه للتفاوض مع الألمان في مارس
 ١٩٤٣ . وذلك أولا في مدينة جوري فاكوف اليوسنية ، ثم بعد ذلك في
 زغرب : فابلغوا الألمان انه في حالة نزول برى اتجلبو امريكي ، كان تيتو
 مستعدا للتعاون مع الفرق العسكرية الألمانية في كرواتيا في عمليات
 مشتركة ضد الفزاة ، (٣١) . وكان تيتو على يقين من ان اجتلال الحلفاء
 لبوغوسلافيا لم يكن له الا معنى واحد هو اعادة الملك وحكومته الى البلاد ،
 وانتهاء كل حلم بقيام امتيلاء شسوي على البلاد . وظلت هذه
 المخاوف تؤرقه حتى بعد ان أخذ يتلقى مساعدات مباشرة من الحلفاء في
 أخريات صيف ١٩٤٣ . وكما لاحظ أحد كبار الموظفين الألمان في
 بوغوسلافيا : « في ١٩٤٤ كانت هناك لحظة أصبحت فيها قلق رجال
 المقاومة الشيوعية البارتيزان من الألمان أقل منه من نزول الحلفاء
 بهرا » (٣٢) .

وفي أثناء ١٩٤٣ أدى هذا التضارب في الأهداف الى مجموعة من
 الانحرافات التكتيكية المتعاقبة بين استراتيجيات القوات المختلفة الثلاث -
 أو قل الأربع ، وذلك نظرا لأن سياسة الإيطاليين نحو التشيتنيك كانت
 تختلف عن سياسة الألمان المتشككة - ودفع الألمان رجال المقاومة الشيوعية
 البارتيزان نحو الهرسك في أوائل ١٩٤٣ . وعلى كل حال ، فان تيتو كان
 يفكر في خطة الانزلاق الى الجنوب للتحرض للقوات التشيتنيكية في
 الهرسك والجبل الأسود . وفي مارس تمكن - وإن لاحقا الألمان وقاموه
 التشيتنيك - من النجاح في عبور نهر نيريتا بالهرسك والتحرك جنوبا
 حتى دخل الجبل الأسود معقل التشيتنيك الحصين . (وعند تلك النقطة
 بالضبط شرع في احراء مفاوضات مع الألمان ، لاقتاعهم بأنه من مصلحتهم
 السماح له بالطلاق يديه على ميخايلوفيتش) (٣٣) . وكان الإيطاليون
 يتعاونون تصاونا وثيقا مع التشيتنيك ، ولكن الألمان كانوا لا يزالون
 يعتبرون تسخير قوات ميخايلوفيتش هدفا استراتيجيا مهما : ومن ثم فاتهم
 قبضوا على بضعة آلاف من التشيتنيك بالجبل الأسود ، وجردوهم من
 سلاحهم في مايو . وأرسلوا قائم المنطقة التشيتنيكي الى معسكر اعتقال
 في جاليسيا (٣٤) . ثم ما لبث الألمان ان انقلبوا في أوائل صيف ١٩٤٣
 على رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان ، وأوشكوا ان يحاصروهم على جبل
 دورميتور بشمال الجبل الأسود . بيد أن رجال تيتو قاتلوا بمزم فائق
 أكيد ، وأخيرا استطاعوا شق طريق لهم من خلال القوات المحاصرة ،
 متحركين من خلال جنوب شرق البوسنة ، ثم الحول بدورة نحو الشرق من

مرايفو ثم السير غربا من اولوفو الى ترافتيك (٣٥) . وانخبا تمكن تيتو
من اقامة مقر قيادته في منطقة جايس في غرب وسط اليوينة .

وعلى جبل دورميتور . انضم الى تيتو ضابط بريطاني هو وليام
ديكون * وكان عميق الاعجاب بقدرات رجال المقاومة الشيوعية (البارتيزان)
القتالية * وادت التقارير التي ارسلها هو وكثير من الضباط البريطانيين
الآخرين من زاروا رجال المقاومة أثناء الصيف والخريف . الى اقتناع
الحلفاء بقل مساندتهم من ميخايلوفيتش الى تيتو . وفي الحين نفسه
هاز رجال المقاومة البارتيزان ببيعة عظيمة على التشيكتيك . عندما استسلم
الاطاليون في سبتمبر ١٩٤٣ . فسقطت بذلك في ايدي رجال المقاومة
البارتيزان مقادير ضخمة من المعدات الايطالية . وعندئذ اخذ فواد
ميخايلوفيتش الاقليميون يتعاونون لأول مرة مع الالمان (٢٦) . وفي اثناء
١٩٤٤ زهدت مساندة الحلفاء لتيتو قوة . كما ان قواته زادت حجما وعددا
عندما ادق السقوط العام لحكم الأوستاشا الى مل - صفوف جيشه بالناشرين
من الكروات والبوسنيين وكذلك الصربيين . وفي صيف تلك السنة بدأ
الالمان انسحابهم من يوغوسلافيا . وارسلت مقادير ضخمة من الأسلحة
الى تيتو لتمكينه من تمويح انسحابهم . ولكن أهم ما كان يشغل تيتو في
ذلك الحين هو اتساع انتصاراته في الحرب الأهلية . وفي سبتمبر افتتح
الحلفاء الملك بيتر أن يوصى جميع اليوغوسلاف بمساندة تيتو . ولكن
عند نهاية السنة تمكنت القوات السوفيتية (الجيش الأوكراني الثالث
بقيادة المارشال توليوشين (Tolbuzhin) من احتلال ما يقارب ثلث
مساحة البلاد . وبذلك تأكد الآن الحكم الشيوعي ليوغوسلافيا .

ولا شك في أن موقف الكروات البوسنيين والصرب البوسنيين أثناء
سنوات القتال الأربع هذه واضح سهل الفهم . فإن الأولين منهما سلكوا
مسلك الكروات في كرواتيا : إذ عمدت قلة منهم الى تقديم المساعدة الفعلية
الى الأوستاشا . بينما رحبت الغالبية بتأسيس دولة كرواتيا المستقلة
في البداية فقط . ثم اخفت وريدا وريدا نفق من الانهيار بها . الى أن
بلغ الأمر بهم في ١٩٤٣ و ١٩٤٤ أن اخفت أعداد ضخمة منهم تنضم الى
رجال المقاومة الشيوعية البارتيزان . على أن الصرب البوسنيين . كما رأينا
سابقا . مرعان ما ذهبوا الى معارضة دولة الأوستاشا واحتلال المحور
المسكري . وكانت هناك ثلاث فترات رئيسية قضى فيها جيش المقاومة
البارتيزان عدة شهور بمكان واحد . وهو يجسج المؤونة ويضم اليه مجتدين

جلدا • وكانت كلها في الأراضي البوسنية (فوتمنا في النصف الأول من ١٩٤٢ وببهاش في النصف الثاني من نفس السنة ويأيسه في النصف الثاني من ١٩٤٢) • ومن ثم فقد منحت قرص كثيرة أمام الصرب البوسنيين لكي ينضموا الى قوات المقاومة البارتيزان • وكانت قوات ميخاييلوفيتش التشيتنيكية تجند الصرب البوسنيين أيضا ، وخاصة في منطقة وادي الدرينا الواقعة في شرق البوسنة ، وفي أراضي الحدود للهرمك والجبل الأسود •

وكان موقف البوسنيين المسلمين أكثر تعقيدا • فكما رأينا كانت المواقف السياسية العامة للمسلمين أميل الى زغرب أكثر منها الى بلجراد طوال فترة ما بين الحربين • ومع ان السياسة الرسمية لمنظمة المسلمين البوغوسلاف كانت تنحى الى « اليوغوسلافية » المنخفضة الى حد ما بدرجة من الاستقلال الذاتي الإقليمي ، ومع ان سباهو ظل على الدوام يصف نفسه بأنه يوغوسلافي ، فإن معظم زعمائه المسلمين قد سموا أنفسهم كرواتا مسلمين • ومع ذلك فإن حقا التحديد للهوية كانت له جوانب قصور ، فعلمنا اقام اتحاد المسلمين السياسيين ميسلا الى الكروات وهو حتى

حاجيتش (Hakija Hadžić) فرعا اسلاميا لحزب الفلاحين الكروات استعدادا لانتخابات ١٩٣٨ لم ينضم اليه الا حفنة من خصوم سباهو • ولم يحصل على بضعة آلاف من الأصوات الا بشق الأنفس (٢٧) • وشاع بين رجال الدين المسلمين اتجاه عجيب التخليط نحو فكرة « الكرونة » (أي الصبغة بالصباغ الكرواتي) • وكان فهم شقيق محمد سباهو ، الذي تولى منصب رئيس الطلبة من ١٩٣٨ – ١٩٤٢ ، وقد اعتبر نفسه « كرواتيا » ولعب دورا زعيما في الجمعية الثقافية الاسلامية المسماة « نارادونا اوزدانيكا » التي كانت تناصر الكروات • (وذلك بينما الجمعية المنافسة ، وهي جمعية جابرات طلت تيدي هوى نحو الصرب) • بيد أن فهم سباهو حرص أيضا على الاحتفاظ بهوية المسلمين الخاصة ، التي شمر بأنها معرضة للخطر • ومن ثم فإنه أصدر التعليمات بمنع الزيجات المختلطة ومنع استخدام الأسماء غير الاسلامية في تسمية الأطفال • بل لقد بلغ به الأمر أن صحح المسلمين بمصم الدخول الى الكنائس الكاثوليكية خشية أن يضطروا الى خلع طرايشهم متى دخلوا هناك (٢٨) •

وعندما قوبل المسلمون بضرورة الاختيار بين أن يحكموا من بلجراد أو زغرب ، اختار معظم السياسيين المسلمين وكبار رجال الدين زغربية شريطة الحصول على ضمانات بأن ممارسة العقيدة الاسلامية ستستمر غير معرضة لأية مضايقة • وذلك ما حرص انتى باديتش على أن يضمنه به

في خلع ايام من وصوله الى الرئاسة . وفي ٢٥ أبريل ١٩٤١ ارسل اليهم ديمونا ليؤكد الفهم سببها انه يريد من المسلمين البوسنيين أن يصرحوا « بأنهم أحرار وراضون تماما ويستكون حقوقا متبادلة » . وقدمت الضيافات للمسلمين بحرية العقيدة . بما في ذلك نظام التعليم الخاص بهم . ودعى أحد عشر سياسيا من رجال منظمة المسلمين اليوغوسلاف السابقين للانضمام الى البرلمان المنعقد في زغرب (٣٩) .

وعين جفر كوليتوفيتش رعيم الحرب نائبا لرئيس حكومة دولة كرواتيا المستقلة في نوفمبر ١٩٤١ . وكان على اللوام رجلا محبا للكروات في تطلعه ونظريته . كما أنه . كما رأينا . يشي من سياسة بلجبراد في السنوات الأخيرة السابقة على الحرب . بيد أنه لم يكن متحمسا للأوستاشا . وكما عبر أحد الخبراء المتخصصين في دراسة هذه الفئة . حيث قال : « ومع أنه بقي في الحكومة حتى النهاية . فإنه لم يحرر قط لغة الأوستاشا . كما أنه فقد سمعته بين أتباعه من أعضاء منظمة المسلمين اليوغوسلاف » . وبفضل الضغط الذي كانوا يمارسونه عليه أخذ يقول : « انه ليس مثلهم أو نالهم في حكومة دولة كرواتيا المستقلة وأنه لا يمشي إلا نفسه » (٤٠) . وبعد وفاة محمد سباجو . أصبح أعظم الزعماء نفوذا في « منظمة المسلمين اليوغوسلاف » رجل أعمال من سراييفو هو اوزير

الحاجي حسنوفيتش (Usir-aga Hadžihasečnović) . وقد شجع كوليتوفيتش في الانضمام الى حكومة دولة كرواتيا المستقلة ليحول دون حدوث مخالفات للقانون . كما استخدم نفوذه ضد المتطرف المحب للكروات وهو حتى حاجيتش الذي عيى آنذاك صندوبا سياسيا للأوستاشا في البوسنة . وفي نهاية أبريل ١٩٤١ اشترك حاجي حسنوفيتش في محضره وقد مشترك مسلم - صربي مع السياسي المسلم الصربي ميلان بوجيتش . ليطالب من حتى حاجيتش الاستقلال الذاتي للبوسنة . وكانت نتيجة هذه المبادرة أن اعتقل بوجيتش وزملاؤه الصربيون ثم قتلوا بعد ذلك بقليل . وأبلغ حسنوفيتش بأنه ينبغي له أن يتحلل عن جميع آرائه المناهضة للكروات (٤١) .

وما لبثت فكرة الخداع أن ازبلت حريما عن أعين كثير من المسلمين . ومع أنه لم يكن هناك برنامج ضلعم . إلا أنه كان واضحا أن الوعد باحترام حقوقهم لم ينفذ . وبميساطة لم تطبق دولة كرواتيا المستقلة مبدأ سيادة القانون . وأصدر علماء المسلمين سلسلة من القرارات والاحتجاجيات في أثناء صيف وخريف ١٩٤١ . بدأ باليوم الثاني من أغسطس . وظهرت تلك القرارات في سراييفو وبريبدور ومومستار

وبانيالوكا وبييلينا وتوزلا . وإشاد قرار موستانو الى : « ما لا جبر له من الجرائم والاعتداءات والأساليب غير القانونية والتحريل البشري القهري ، التي كانت ومازالت تستخدم ضد الصرب الأرثوذكس » . وغيرهم من المواطنين ، وشكا رجال الدين في بانيالوكا من سرقة وتهب ممتلكات وممتلكات الصربيين واليهود ، كما أن التماسا اعده حاجي خستوفيتش ووقعه ستة من مرأة المسلمين في سراييفو ، تسجب أعمال العنف التي تمارس ضد اليهود والصربيين وطالب : « بتأمين الحياة والكرامة والممتلكات والدين لجميع المواطنين بقبر استثناء » . وفي نهاية العام نفسه كان الألمان يلفون رئاستهم أن « العلاقات بين الحكومة والمسلمين قد تدهورت ، تدهورا شديدا » (٤٢) .

وفي الحين نفسه ، أدت أعمال العنف التي كان يرتكبها القرويون الصربيون ضد المسلمين ، وبخاصة في بلاد الهرسك الى أن يتجه المسلمون في النهاية بانه من المستحيل عليهم أن ينضموا اليهم في كفاحهم ومقاومتهم للأوستانشا . وعلى العكس من ذلك تماما فقد دفع بعض المسلمين الى أن يخرطوا في ميليشيا الأوستانشا بدلا من مقاومتها . بل بلغ الأمر أن المسلمين البوسنيين لم يكن لهم مثل في الحكومة في المنفى ، ومن ثم فلم ينضموا الا بغير قليل من الولاء لذلك الممثل العسكري لتلك الحكومة وهو ميخائيلوفيتش . ولكن الذي حدث في النصف الثاني من ١٩٤١ ، عندما أصبح البارتيزان أقوى من الناحيتين السياسية والعسكرية من التشيتيك (وعندما أصدر قواد المقاومة البارتيزان أوامره بمنع هجوم رجالهم على القرى المسلمة) ، شرع المسلمون ينضمون الى جيش تيتو . وشكلت اول وحدة مقاومة بارتيزان اسلامية وهي المسماة موينانتشيتا (Mujina beta) بعد أغسطس ١٩٤١ ، حتى اذا وافى ديسمبر كانت قد أصبحت كتيبة . ثم تكونت وحدة من شباب المسلمين أيضا أثناء اقامة تيتو في فوتشا في سبتمبر ١٩٤١ - ١٩٤٢ . وفي أوائل ١٩٤٢ ظل المسلمون يواصلون الانضمام الى كتائب المقاومة البارتيزان في زينكا والهرسك . وتشكلت وحدات اسلامية اخرى في أثناء تلك السنة ، ولم يلبث شهر ديسمبر أن شهد تشكيل « الألى الثامن الاقليسي الاسلامي » بقيادة عثمان كارابيجوفيتش (Osman Karabegović) (٤٣) . وكان عدد المسلمين المجتهدين قليلا في بادئ الأمر ، ولم ينضم الا سياسي مسلم بارز وحيد فقط هو نوري بوزدراك (Noriža Ponderac) الى الشيوعيين في تلك المرحلة المبكرة . وكان من الصبر اقتناع آتمة وعنتى البوسنة ، بأن مستقبل شعبهم إنما يقوم مع الشيوعية الاتحادية . ولعلمهم قد سمحوا قبل ذلك بتلك المعاملة الرهيبة التي يلقاها الاسلام في الاتحاد

السوفييتي ، أثناء السنوات العشرين السابقة - ولم يكونوا يشعرون بأي
افتتاح لدى قراءة النشرات التي كان يكتبها تنظيم تيتو آنذاك - التي
تظهر روسيا ستالين وكأنها هي أرض عجائب من التسامح والحرية
الدينية الإسلامية (٤٤) .

ومع ذلك ففي أثناء تلك المدة ، وبينما كان القواد التشيتيك
لا يزالون يسمحون لجندهم بهاجسة القرى الإسلامية ، كان التشيتيك
يلتصمون اللون روسيا من المسلمين . وكما كتب في ١٩٤٢ - أحد الزعماء
التشيتيك بالهرسك وهو دوروسلاف يديفيتش (Dobrosav ydjevici)
في يوليو ١٩٤٢ : كان من الضروري أن نتجمل بالتسامح نحو المسلمين
لأسباب تكتيكية . وذلك ، دون أن ننسى أنه لا يمكن أن تقوم هناك وحدة
حقيقية معهم . (٤٥) . ولم يكن من المحتمل ولا المنتظر من مسلمي جنوب
خرق البوسنة والهرسك أن ينصروا ذلك . وذلك نظرا لأن التشيتيك
ولم يرحم من القوات المحلية الصربية ، قتلت عدة آلاف من المسلمين في
عنته ١٩٤١ - ١٩٤٢ وصيف ١٩٤٢ . وكان من أشنع المذابح ما حدث
في منطقة فوتشا - تسارينيتش - حيث قتل ألفا مسلم على الأقل هناك
على يد قوات تحت إمرة قائد تشيتيك هو زاهاريا أوسنتويتش
(Zaharia Ostojic) في أغسطس ١٩٤٠ ، وفي فبراير ١٩٤٢ قتل أكثر
من تسعة آلاف من الأفراد ، بينهم ثمانية آلاف من الشيوخ والنساء
والأطفال (٤٦) . والآن ، أصبح العداء قائما بين الطرفين . وكلما زاد عدد
المسلمين المخبئين إلى الباريزان اشتدت نظرة التشيتيك إلى المسلمين
كاعداء . وكلما فتك التشيتيك بالمسلمين ، زاد احتمال تعاون المسلمين
الحليين مع قوات المقاومة والألمان والإيطاليين ودولة كرواتيا المستقلة ضد
التشيتيك .

ومع هذا كله ، فقد كانت الصورة والنموذج يتغيران من مكان إلى
آخر . حتى بلغ الأمر في بعض المناطق . أن كان من الممكن والمحتمل أن
يتبادل المسلمون والتشيتيك التعاون . فقد حدث أن جماعات التشيتيك
والمسلمين بمنطقة زينكا بحثت برسالة إلى الألمان في مايو ١٩٤٢ قالت
فيها : « أزيلوا الأوستاشا من البوسنة ، وعندئذ نعدكم نحن المسلمين
والصرب باتيعة النظام هنا في مدى أسبوعين » (٤٧) . وكان أحد
المسلمين المؤازرين للتشيتيك نشاطا صا الدكتور عصمت بوبوفاك
(Ismet Popovak) عمدة كونيكا ، وفؤاد موسى كادييتش رئيس شرطة
مرايفو الأسبق - وكتب بوبوفاك إلى ميخايلوفيتش مقترحا عليه أن
يجند المسلمين في قواته ، وكان هناك من يؤيدون هذه الفكرة بين المسلمين
الأكثر ميلا إلى الصرب والأكثر معاداة للشيوعية في كثير من المدن

اليوسنية ، وعند ديسمبر ١٩٤٣ كان الناس يتصورون أن عهد موسى ميخائيلوفيتش من المسلمين قد يصل إلى ثمانية في المائة من جندهم - ولعلهم كانوا يملنون أربعة آلاف أو أكثر (٤٨) . وقد بوبوفاك بنفسه هجوما قام به بتحرير قرية مسلحة في يناير ١٩٤٣ . وحدث فيما بعد في تلك السنة نفسها ، أن قبض الشيوعيون على بوبوفاك وموسى كاديتش ، وأعدموهما وصيا بالرصاص (٤٩) .

وفي بمران هذا الدردور (الفواحة) من القوى المتصارعة - التي كانت كل واحدة منها ، كما يلحظ القاري ، ذات مصادر من خارج اليوسنة - كان خط السير الأقرب إلى الطبيعة والأحب إلى قلوب الناس . الذي ينبغي للمسلمين أن يتبعوه . هو أن يشكلوا وحدات دفاعهم المحلية الخاصة ، ويحاولوا حماية أنفسهم من كل وارد من الخارج . وحدث فعلا أن نصت جماعات صغيرة من هذا النوع بكل أرجاء القطر . وفي أكتوبر ١٩٤٢ نشأ أيضا ، فيلق من المتطوعين المسلمين ، يتكون بالتقريب من أربعة آلاف رجل ، اشتبك في حرب مع المقاومة البارتيزان أكثر مما اشتبك مع التشيتنيك . وأدى علم أطمئناؤه نحو حكومة الأوسناشا (ومنها كان مع ذلك يحصل على إمدادات من السلاح) ، أن حاول أن يتعامل رأسا مع الألمان (٥٠) . وتجمعت قوة مقاتلة ولكنها أكثر استقلالا ، بمنطقة كازين (Cazin) . يشمال غرب اليوسنة قرب (بيهاتش) في صيف ١٩٤٣ : يطودها قائد كان في السابق من المقاومة البارتيزان يدعى هوسكا ميليكوفيتش . ويتكون في معظمه من المحاربين السابقين من البارتيزان الخارجين على كل سنة حلقية والفارين من الجندية من قوات الدفاع المحلي ، وكانت تنطوي على ثمانى كتائب وتسيطر على منطقة متسعة من الأراضي . وكان هوسكا ميليكوفيتش تتجاذبه انحرافات كل من دولة كرواتيا المستقلة والبارتيزان . ولكنه تباعد عنهما حتى ١٩٤٤ ، عندما عقد اتفاقا مع المقاومة البارتيزان - وعندما اغتاله بعض أفراد جيشه الميالىين إلى الأوستاشا (٥١) .

وكان كثير من الزعماء السياسيين من المسلمين يرى أن الحل الوحيد للمسألة هو في إعطاء اليوسنة نوعا ما من الاستقلال الذاتي . وأن الطريق الوحيدة للوصول إلى ذلك الاستقلال ، هي التوجه مباشرة إلى الألمان . لأنهم هم الوحيدون الذين يستطيعون منح ذلك الطلب . ولم يكن ذلك مجرد أطماع أو اقتناع بالحلم القديم للمسيحيين المسلمين . وأن ردده على الالتئام الذي قلته القوام مثل شريف أرنأوفوتيتش ليسلخو الاستقلال الذاتي تمت الحكم المجري ، عند نهاية الحرب المالية الأولى : فقد كان ذلك محاولة للوصول إلى حل عمل لموقف لا تبرح وطائفة تزداد

شعة على كواحل الناس • ومن هنا نشأت « المذكورة » الشهيرة التي وجهها زعماء البوسنة المسلمون الى هتلر في نوفمبر ١٩٤٢ • وهي المذكورة السالف ذكرها في الفصل الأول من هذا الكتاب • وبعد الاقاضة في الفخر بالاصل القوطي ، شكت المذكورة من الشكوى من كثرة المنابع التي ارتكبتها الأوستاشا ضد المسلمين ، والتهمت ايضاف جميع الأنشطة الأوستاشية في الاراضي البوسنية ، ولحماية البلاد التمسست المذكورة الاذن بتوسيع عدد فيلق التطوعيين المسلم ، وزغبة في بث الطابعية في نفوس الألمان ، اقترحت ان يوضح الفيلق تحت السيطرة الألمانية المباشرة (٥٢) •

كانت هذه طالفة من المقترحات محسوبة بكل عناية وحرص ، ولكن الطلب الأساسي فيها ، وهو الاستقلال الذاتي للبوسنة ، كان غير مقبول عند الألمان ، الذين كانوا يطعون مقلدا ان ذلك لابد ان يعود عليهم بنقص لا يمكنهم تحمله من زغرب • عل أنهم كان يهمهم شيء واحد ، هو زيادة فرص تجنيد الجند من تلك المنطقة • وفي ديسمبر امر هتلر فرقة « الأمير يوجين » التي كانت تتكون أصلا من رومانيين من أصل ألماني بالانتقال الى دولة كرواتيا المستقلة وجميع عدد أكبر من ذوي الأصل الألماني هناك • وعندما قال في فبراير ١٩٤٣ انه يريد من تلك الفرقة ان تتولى انشاء فرقة كاملة جديدة في دولة كرواتيا المستقلة ، اقترح حصار انشاء فرقة من مسلحي البوسنة • ومضى الاقتراح في طريقه جادا رغم الاعتراضات الترسمة من زغرب (٥٣) • ولا ينبغي ان يبدأ تجنيد فرق ألمانية متطوعة من الاقطار المحتلة ، كان مبدأ ثابتا ومعبولا به من زمن بعيد وسبق تنفيذه بفرق من فرنسا وبلجيكا وهولندا والدانمرك • ولقيت الفرقة المسلمة بالفرقة الثالثة عشرة وأطلقت عليها كنية « الخنجر » وهو اسم السلاح التقليدي في المنطقة وهو الخنجر التركي القديم المقوس أو السيف المقوس •

وابتداء التجنيد في ابريل ١٩٤٣ • وانتهر الألمان فرصة زيارة مفتي القدس الأكبر الموالي للألمان ، ليطلبوا منه العون لدى رجال الدين المسلمين (ومعلوم ان المفتي الأكبر كان قد استغزته الحماسة على البريطانيين امدا طويلا من الزمان : فبعد تصريح « بالفور » حول فلسطين في ١٩١٧ ، دعا العرب جميعا الى تشكيل محامدة أو اتفاقية عربية ألمانية ، لمقاومة السياسة البريطانية) • وقبل بغير التفتين والأكمة المسلمين يعاون يد العون لتجنيد المسلمين • وأعطيت كل وحدة في الفرقة مفتيا شابا ليفتيهم في أمور الدين ، ومع هذا فإن جميع الضباط تقريباً كانوا من أصل ألماني (٥٤) • وما انتهى شهر ابريل حتى بلغ عدد المجندين اثني عشر ألف شاب • كفة

من القوة النهائية للفرقة بلغت واحدا وعشرين ألف رجل . وكان التجنيد تطوعيا في معظم الحالات ، وإن كان الكثير منهم قد أعطى صورة للمستقبل مضللة جدا . حول الأغراض التي ستستخدم فيها الفرقة (٥٥) . وبالغية ظن مسلمي البوسنة ، فقد خدمهم الألمان بالعودة البراقة وظنوا أن الفرقة ستستخدم لحماية مدنها وقراهم ولكنهم أرسلوا في صيف ١٩٤٣ إلى ألمانيا وفرنسا ، لينتقلوا مدة طويلة من التدريب ، وأرسلت مجموعات من المسلمين من سراييفو وبانيا لوكا للانضمام إلى بعض المهندسين الكرواتيين في مركز للتدريب في فيل فرانشي دي روجر (Villefranco-de-Rouergue) قرب تولوز بفرنسا . وهناك في ليلة ١٧ سبتمبر ، وبقيادة أحمد المسلمين ، واسمه فريد جانيتشي (Ferid Džanić) وكرواتى اسمه بوزو ييليك (Bozo Jelenek) ، ألغوا القبض على ضباطهم ذوي الأصل الأجنبي ، وقسمهم إلى محاكمة سريعة ، ثم أعدمهم رميا بالرصاص . كانوا يدرون أن يفتلوا وينضوا إلى المقاومة الفرنسية ضد الألمان . ولكن ضابطا أعلى الإنذار ، فهاجمتهم القوات الألمانية . وفر ييليك ، ومات خمسة عشر من المتطوعين وقتل مائة وأربعون آخرون فيما تلا ذلك من عمليات التطهير . ولا يزال العيد السنوي لذلك التمرد يحتفل به إلى اليوم بمدينة فيل فرانشي دي روجر . وقد أطلق على هذا التمرد اسم يدل على الاستيلاء هو « ثورة الكروات » (٥٦) .

وبينما كانت فرقة الخنجر تواصل المزيد من التدريب في منطقة سيليزيا الثانية ، كان التفرع يتصاعد في البوسنة . خمسة شكايات تترابدة من البوسنيين المسلمين ، حول هجمات تشي على أبناء شعبهم من جانب الوحدات الأوستاشية . وشرع كثير من المسلمين في إنشاء وحدات دفاعية محلية ، عرفت باسم « النواة الخضراء » . وحصلت تلك المنظمة على

زعيم سياسى هو البروفيسور نيشاد توبيتشيتش (Nesad Topčić) وكان من يدعو إلى الاستقلال الذاتي للبوسنة . وثمة حركة مماثلة قام بها أحد كبار أعضاء مجلس رجال الدين المسلمين في سراييفو محمد بانجا (Muhammed Pandžić) ، الذى دعا المسلمين في ديسمبر ١٩٤٣ إلى أن ينزعوا عن اعتناقهم نير حكم الأوستاشا ، وينتقلوا ولاية بوسنية ذات استقلال ذاتي ، تضمن حقوقا متساوية متكافئة لجميع المواطنين . بنض النظر عن ديانتهم . فكانت لهفته هذه أثر بالغ القوة في فرقة « الخنجر » ، وذلك نظرا لأنه كان أحد أوائل المؤيدين الأصليين للدعوة إلى التجنيد فيها (٥٧) . ومع هذا ففى نفس الوقت أيضا ، حدث هجوم بين المسلمين على التطوع في صفوف المقاومة . وتكوين « القوى المسلم السادس عشر » التابع لتيقو في سبتمبر ١٩٤٣ (٥٨) .

وبعد تقديم عدة التماسات ترجو عودة فرقة الخنجر ، أعادها هتلر في النهاية إلى البوسنة في مارس ١٩٤٣ ، من أجل عمليات «حفظ النظام» . وانزلت الفرقة في شمال البوسنة وشرقها ، (توزلا وجراداتشاك وبيلينا وبرتشكو وزفورنيك) ، حيث قامت الفرقة أثناء ربيع تلك السنة وصيفها بأعمال انتقامية بلا تمييز . - من قتل وغيره من أنواع الجرائم - ضد السكان الصربيين المحليين (٥٦) . والعدد الحقيقي للضحايا غير معلوم ، ولكن لا مرا أنه ربما بلغ مئات كثيرة ، وربما كان بضعة آلاف . وبينما السنة تتقدم ، حدثت تطورات عديدة جعلت المسلمين أشد ميلا إلى أن يلقوا بحظهم وتصيبهم مع المساومة البارتيزان ، فإن ما أيسر من اتفاقيات ، تتزايد في علاقتها وصراحتها بين الألمان والنشيتنيك كانت تزيد في شكوك المسلمين في الألمان ، وما زاد الأمر سوءا ، قطع العلاقات السياسية بين ألمانيا وتركيا . وكان يتوحي ذلك الحين يوزر بنجاحات عسكرية جديدة ، وبعد استيلائه على مدينة ديرلينتا في سبتمبر ، أصدر إنذارا نهائيا بالرام القوات الكرواتية والبوسنية جميعا بالانضمام إلى المقاومة البارتيزان . وبلغ عدد أفراد قوات الخنجر الذين انضموا فعلا ألفي رجل . وكان الشعور المضاد لقوة كرواتيا المستقلة يشتد ساعة بعد ساعة أخرى بين الجمود المسلمين ، وذلك بينما أصبح الأوستاشا مستعدين بكل شيء في محاولاتهم إحمال الرحمة في نفوس السكان المسلمين بها كانوا يفتنونهم من أعمال الإعدام بدون محاكمة . فتنرق شمل فرقة « الخنجر » . وفي أكتوبر أبلغت السلطات الألمانية في زغرب رئاستها في برلين أن تلك الفرقة لم تعد تصلح للمصالحة إطلاقا . ومن استخف السخف ، أنه قدمت في تلك اللحظة مقترحات بأشدة فرقة أخرى ، ولكن تلك المقترحات لم تنفذ قط . وفي نهاية ١٩٤٤ ، حلت جميع وحدات الفرقة الألمانية المسلمة في دولة كرواتيا المستقلة (٦٠) .

وحررت المقاومة البارتيزان سراييفو في ٦ أبريل ١٩٤٥ . ولم تعص أسابيع قليلة ، حتى كان القطر البوسني بأكمله تحت سيطرتهم الكاملة . ونصحت « حكومة الشعب » في ٢٨ أبريل . وأصبح كثير من المسلمين راضين بإمكان قبيل حكم شيوعي : قبلا من أن تنص كرواتيا قطر البوسنة (وهو الحل الذي تلتزمه الأوستاشا) أو الانضمام داخل صربيا (وهو خطة النشيتنيك) . - يعرض عليهم الآن حل فيدرالي غامض ، تظل فيه البوسنة موجودة قائمة . ولكن فوق كل شيء ، كانوا يتطلعون شائعين بأبصارهم أماما إلى زمن ينقطع فيه الاغتيال والقتل . والمظنون أن مجموع من توقوا في الحرب من المسلمين قد بلغ ٧٥٠٠٠ مسلم : وهو ما يبادل

٨١٪ من مجموع عدد السكان الكلى ، وهى نسبة تملو ما قاساه الصرب ،
 (حيث بلغت النسبة ٧٣٪) لو ما قاساه أى شعب آخر اللهم الا اليهود
 والفجر (٦١) . لقد قاتل المسلمون فى جميع الجوانب - الأوستاشا ،
 والألمان ، والتشيتيك والباوتيزان ، - كما أنهم لقوا حتفهم على يد كل
 جانب من الجوانب - قتل الكثيرون فى معسكرات الموت الكرواتية
 والألمانية بما فى ذلك ياسينوفاك وبوخنفالد وداخاو وأوشفيتس (٦٢) .
 لم يكونوا هم الذين أوقدوا نار هذه الحرب وأجبروا لطاعا ، كما أنهم كانوا
 يقاتلون قبل كل شئ، دفاعا عن أنفسهم . بيد أن القتل لم ينته بعد -

الفصل الرابع عشر

البوسنة في يوغوسلافيا تيتو ١٩٤٥ - ١٩٨٩

كثيرا ما ينسب الى تيتو فضل عظيم في احلال السلام الداخلي والصلح الى يوغوسلافيا ، بعد الحرب العالمية الثانية . والواقع ان السلام قد جاء مملا ، وان جراح الحرب لم تلبث حتى اندمجت بالتمريج ، ومن الحق ايضا ان تيتو اعاد بعض فكره لاجساد التوازن بين الدعاوى المتصارعة ، لتسحب يوغوسلافيا ومناطقها . بيد ان القوة والسلطان كانت اهم قدرا عند تيتو من كل صلح ، كما ان النظام الشيوعي فرض على يوغوسلافيا بثمن فاحش وتقبل جدا . وابرر مثال على ذلك ، تلك المعاملة التي عوملت بها بقايا القوات المعادية للمقاومة البارتيزان المدييين المشاركين في تلك القوات المعادية ، الذين لجئوا لبلاد النمسا المشغولة بسيطرة الحلفاء ، في أثناء ابريل ومايو ١٩٤٥ : ما بين « حرس وطني » سلوفيني ، وجند أوستاشيا وتشيمنيك صربيين ومسلمين ، والكروات والصرب والمسلمون البوسنيون كانوا على هذا النحو موجودين في هذه الكتلة المهولة الضخمة من الجند المهرومين ، واعيد الى يوغوسلافيا أكثر من ١٨٠٠ جندي ، اذ اعادهم البريطانيون ، ردا على اصرار تيتو ، وأعمل الدبح في معظمهم في مدى ساعات من وصولهم الى الأراضي اليوغوسلافية .

ويقدر ان ٢٥٠ ألف شخص قد قتلوا سواء رميا بالرصاص أو خلال حيرات ، الموت ، القسرية أو في مصسكرات الاعتقال خلال عامي ١٩٩٥ - ١٩٩٦ (١) . وهناك تقرير حول الموقف أرسله موقف أمريكي في فبراير ١٩٤٥ جاء فيه « ان الدعاية والمظاهرات المنظمة ، التلقائية ، ، والاجبار على العمل سخرة ، والمصادرة الطائفية ، والاعتقالات والعقوبات ، كانت كلها أدوات تذكر الناس بالاحتلال الى أقصى حد » (٢) . وكان بوليس تيتو كإلبري ، المسمى « ادارة حماية الشعب » ، شديد النشاط في ملاحقة الأعداء السياسيين الحقيقيين أو المتخيلين . وهو ما حده تيتو بقوله : « ان الهدف من وجود هذه الادارة هو « بث الرعب » في صدور أولئك الذين لا يحبون هذا النوع من يوغوسلافيا » - وكانوا كثيرين (٣) . وكان

السبب من الذين نجوا من القتل ، يستخدمون حبيدوا المملوكة في مشروعات البلاد البنائية الكبيرة التي شارك فيها منهم بعض المتطوعين الأناضوليين ، الذين كانوا يأتون للعمل في « خطوط سكة الحديد الشيبلي » ، وكان أول خط أنشئ منها في ١٩٤٧ من سراييفو إلى زامبالا (Sarajevo) ، (على الحدود الفاصلة بين البوسنة وكرواتيا) . وقد أشار أحد المعلقين إلى أن ذلك الطريق الصام للموصل بين بلجراد وزغرب ، كان من الأعمال العظيمة التي تفخر بها تلك الفترة ، فلم تعمل في بنائه فيالق الشيبان المتطوعين فحسب كما ذكرت ، بل شارك فيه عمال من السجناء ، وبخاصة من لاسووم « الأعداء الطبيعيين » ، من البرخوازيين « (٤) » .

وما كاد ستالين يطرده يوغوسلافيا من الكومنفورم (وهي المنظمة التي حلت الكومنترن) في ١٩٤٨ - حتى أصبحت كتابة التاريخ اليوغوسلافى سريريا لاظهار أن تيتو كان على الدوام يتبع سياسة مستقلة تماما ومتحررة مضادة للمساوات الستالينية . والحقيقة هي أنه قبل قطع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي ، ولحقه عدة سنوات بعده ، كانت ميالعات تيتو تسير موازية بدقة شديدة مع النماذج الستالينية (٥) . بل بلغ الأمر أن الدستور اليوغوسلافى نفسه ، الذي أعلن في يناير ١٩٤٦ ، كان ببساطة نامة . محاكاة مباشرة للدستور السوفييتي الذي أعلن قبل ذلك بعام سنوات . حيث كان يحتوي على ذلك الخليط المألوف من التصريحات الرنانة المدوية والمغالطات المنطقية . كإعلانه مثلا ، أن كلا من الجمهوريات المكونة للدولة تعتبر « جمهورية ذات سيادة » ، ولكنه أيضا الذي الحق في الانسحاب عندما أعلن أن شعوب يوغوسلافيا قد اختاروا بحسب إرادتهم العيش معا للأبد (٦) . ولا حاجة بنا إلى القول إن الدستور لم يشر أية إشارة إلى الحزب الشيوعي ، الذي كان في الواقع مصدر جميع المبطلات . واستخدم تيتو الطريقة المألوفة المتبعة في أقطار شرق أوروبا الأخرى ، في تمويه الحزب الشيوعي وإظهاره بصورة الجبهة الشعبية ، وذلك كخطوة البداية الأولى ، حتى يجيء الوقت الذي يمكن فيه إزالة جميع التمديدات السياسية في خاتمة المطاف (٧) . وأعلن في ١٩٤٧ مشروع خطة خمسية ، مبالغ ومصرف في طموحه . وفي ١٩٤٩ بعد قطع العلاقات مع ستالين، حوشت المزارع الخلصنة بالقوة إلى ملكيات جماعية ، بكل أرجاء البلاد ، وكانت نتيجة ذلك أن عدد شجج المراجعة جميع المدن الكبرى في السنة التالية (٨) .

ومن أشد الظواهر النموذجية المصيرة عن السياسات الستالينية ، تلك الحملة التي شنت على الدين . فعملت الكنيسة الكاثوليكية بنقطة

وقسماته الخاصة ، وذلك على أساس التواطؤ الذي كان جاساريا بين بعض وجهائها وبين الأرستقراطية كرواتها والبوسنة - وجمرت بعض الكنائس تدريجاً كلها ، كما أغلقت أبواب الأديرة والرباطيات والمعاهد اللاهوتية . وتكن الكنيسة الأرثوذكسية لقيت معاملة أحسن قليلاً ، وإن لقيت مؤسساتها ضلطة شديداً أثناء السنوات الثلاث أو الأربع الأولى . ولقد تعاون بعض كبار رجال الدين بها مع النظام العييل في صربيا ، بيد أنه كان هناك أيضاً العديد من صفار القسوسنة ، التقدميين ، من عملوا وعلموا دينيين في جيش تيتو . وكانت تنظيمات شباب القسيسين تلقى التشجيع داخل الكنيسة ، كوسيلة للتسلح للحزب الشيوعي أن يمارس سيطرة غير مباشرة عليها (٩) . أما الاسلام ، فيبدو أنه قاسى أسوأ مذبحة في أعين حكام يوغوسلافيا الجدد : فالولا كان ينظر اليه على أنه : وذلك صدق وحق) نسط من الدين لا ينطوى فحسبه على معتقدات شخصية ، بل وأيضاً صارسات اجتماعية ، وثانياً لأنه كان ينظر اليه باعتباره عقيدة رجعية أسبوية . ولكن هناك أيضاً نوع من الاحساس بإحقاد قديمة تمت تسويتها في نهاية الحرب ، وهى الأخلاق التي عاد المسلمون النشطون الى تذكرها فيما بعد : « وأنزلت به في ذلك الوقت على يد الشيوعيين أشد الخسائر عندما كانت الوحدات العسكرية تدخل القرى . فقد كان كل من يحتل كونهم خصوما ، خاصة الأشخاص ذوى المقام الاجتماعي الأعلى والمفكرين المرفين بإيمانهم . يعدمون بدون اتخاذ أية اجراءات قانونية أو تحقيقات (١٠) » وبطبيعة الحال كان دستور ١٩٤٧ يحتوى على العبارات المألوفة للوحدة : التي تعلن أن يوغوسلافيا متحافظ على حرية العقيدة ، وتصور الفصل بين الكنيسة والدولة ، ولكن الأحداث توضح بغير ذلك .

فألغيت المحاكم الاسلامية الشرعية في ١٩٤٦ . وصدر قانون بمنع النساء من ارتداء الحجاب في ١٩٥٠ . وفي نفس السنة صدر قرار بإلغال الحُر ككتائب تحفيظ القرآن ، وهى المدارس الأولية التي كان الأطفال يتلقون فيها التعاليم الأساسية للقرآن الكريم ، واعتبر تعليم الأطفال في المساجد جريمة يعاقب عليها القانون . وفي ١٩٥٢ أُلغيت جميع التكايا الموجودة بأرض البوسنة . وحظرت جميع طرق الدراويش . وذكرت بعض التقارير أن المسلمين الذين كانوا يؤمنون باللغة العسكرية ويسلمون فيها كان يسمى (اعداء) باسم فيالق العمل . كانوا يرغمون على تناول لحم الخنزير ، وحظر المواطنون الرسميون الشيوعيون بالأا يبروا عملية الختان لأولادهم . وألغيت الجمعيات الثقافية والترفيهية الاسلامية : جازيت وناودونا وأوژدانكا وغيرها كلها ، ولم تسمح السلطات الا بوجود جمعية اسلامية واحدة (وقد أصبحت تحت سيطرة الدولة منذ ١٩٤٧) .

مع جهرتها الإسلامية التي عليها اشراف حرمي لتدريب رجال الدين المسلمين - كما كان دار الطباعة الإسلامية في سراييفو أغلقت في الأخرى ، ولم يجر منه يصرح بصعوبة أي كتاب دراسي إسلامي حتى ١٩٦٤ . ولكن بعض هذه الاجراءات قوبلت بشكوك مستمرة مع ذلك : فان كتب النصوص الإسلامية طلت تدور في التداول ، وظل الأتصال يتلقون التعليم في المساجد ، واحتفظت طرق الدراويش الصوفية بشعائرها وممارستها داخل الهيوت الخاصة ، ولكن تنظيمها للطلبة هو « تنظيم الشهاب الإسلامي » تقوم العملة الموجهة على الاسلام ، فمجن بعض أفرادها في ١٩٤٩ - ١٩٥٠ .

وعانى المجتمع الإسلامي بالفعل دمارا ماديا شديدا اثناء الحرب . فحسب التقديرات المحسوبة في جميع أجزاء يوغوسلافيا ، فان ٧٥٦ مسجدا دمرت أو حُرمت تخريباً شديداً - واعد بناء كثير منها بالجهود المحلية الخاصة ، ولكن لا زالت ١٩٥٠ كان لا يزال هناك من المساجد غير المستعملة مئة وتسعة وتسعون باليومسة ، كان بعضها لا يزال ينتظر إعادة البناء ، وحولت السلطات المحلية بعضها الآخر إلى متاحف ، أو صناديق ومستودعات ، بل حتى إلى أسطولات - أما الهيئسة التي كانت تدبر الاوقاف ، فقد وضعت في الواقع تحت سيطرة الدولة ، وصدرت إليها التعليمات أن تسلم كثيراً من أبنى منسكاتها وأعلامها كية (بما في ذلك أول مبنى مكتاب حرمي في سراييفو) إلى السلطات المحلية . وحولت كثير من الجبانات الإسلامية إلى حدائق عامة أو إلى متسعات من الأرض ليداء المصالح الحكومية والسكان ، صحيح أن رئيس العلماء تشاوشيتشي سبق أن اقترح أشياء من هذا القبيل قبل الحرب ، ولكن الشيء الذي لم يخطر بباله هو أن يتم ذلك بغير رضا المجتمع الإسلامي . كما أن الضربة النهائية التي أرغلت بالأوقاف التي سودرت أملاكها من قبل قطعة بعد قطعة بانتزاع ملكية الأراضي الزراعية ، جاءت عند تأميم المنشآت الإيجارية في ١٩٥٨ مما قضى على المؤسسات الخيرية الكبرى التي انفضها فازى خسوف بك في ١٥٢٠ وظلت من بعده تصل ٤٠٠ عام (١١) -

على أن الظروف العادية العامة للحياة الدينية في يوغوسلافيا تصنفت بعد ١٩٥٤ ، عندما مرر القانون جديد يضمن حرية العبادة (مرة ثانية) ويضع الكنائس تحت سيطرة حكومية مباشرة . ووضع برنامج لقوى قهرهم الإدارة الأرثوذكسية منذ ١٩٥٦ فصاعداً ، وكان ذلك من ناحية جزئية وإلزامي فقط بالسياسة ، ومن ناحية جزئية ثانية فإن العلاقة بين كبار رجال الدين الأرثوذكس والدولة كانت قد طلت لتكسيب

شيئا من الود (١٢) - وتحسنت معالجة العقيدة الإسلامية بوجه عام في
أخبارات خمسينيات وستينيات الألف وتسعينات ، وكان ذلك بسبب خاص
جدا : إذ أصبح المجتمع اليوغوسلافي الإسلامي يستخدم أداة دبلوماسية
عدم الانحياز ، والفوجية التي اختطها نيتو لنفسه .

وتشان كثير من الانحازات الواسعة الاعلام لتيتو ، كانت ميساسة
عدم الانحياز تلك سياسة عثر فيها نيتو بالصدفة تقريبا ، فبعد أن طرد
(لهفته) من الكومنفورم ، أصبح معتادا اعتادا شديدا على القروض
والمعونات والمساعدات الدبلوماسية الغربية ، بات بحاجة إلى أيديولوجية
يملو بها فوق ذلك الموقف القاذ الحرج حتى يبدو مستهدفا هندا مقصودا
أو نالسا ، ويمكنه في نفس الوقت من أن يجسد مبررا مقسوبة من
الديمقراطيات الغربية التي تخرجه مساعداتها ومعوناتها - ووجد بنيتها
في جولة قام بها في أثيوبيا والهند وحضر في ١٩٥٥ الثروت عن تلك
السياسة - وسرعان ما شرع بعد ذلك بخلق الخطب والبيانات التي تنمي
على العالم انقسامه إلى كتل ، وفي السنة التالية تابع إصدار بيانات حركة
عدم الانحياز أثناء زيارة ليوغوسلافيا قام بها جمال عبد الناصر
ونهر (١٣) - وتم التعارف بين كل من جمال عبد الناصر وسوكارنو وبين
رئيس العلماء عنه زيارتهما لبلجرا في ١٩٥٦ ، وبينما تلقت الهيئة
الرسمية التي تمثل المسلمين اليوغوسلافين ، وهي : المجتمع الديني
الإسلامي ، التعليمات بمقاطعة المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عقد في
كراتشي ١٩٥٢ ، فإن أعضائها ما لبثوا حتى أرسلوا سريعا في جولات عامة
حول العالم ، لإراهم مسلمو العالم الثالث والتجعات غير المنحازة (١٤) -
وسرعان ما أصبحت الخلفية الإسلامية تعتبر مزية إيجابية لأي إنسان يأمل
في العمل في مجال السلك الدبلوماسي اليوغوسلافي - وفي منتصف
الستينيات ، كان الدبلوماسيون المسلمون اليوسنيون يمثلون يوغوسلافيا
في كثير من الدول العربية ، وفي أفونيسيا أيضا ، وكان من بينهم
أين لرئيس سابق للعلماء (١٥) ، ورغم أنهم كانوا أعضاء في الحزب
الشيوعي وأنهم تغلوا إلى حد كبير عن ديانتهم ، لكن أحدا لم يبال بذلك
حالا كانت أسماؤهم محمدا واحدا ومصطفى .

ولكن التساؤل ظل قائما حول ماهية الإسلام في اليوسنة ، هل هو
هوية دينية أو عرقية أو قومية وذلك على الرغم من اعتقاد الحزب الشيوعي
اليوغوسلافي في ستوات تيتو الأولى أن هذه المسألة سوف تتورى من
الأذهان ، وكان الموقف الرسمي في الأربعينات هو أن هذه المسألة لا بد لها
أن تحل نفسها بنفسها بالتدريج ، عندما تقوب هوية المسلمين في نوية

الكروات أو الصرب . وفي أول مؤتمر للحزب بعد نهاية الحرب ، ذكر أن : « ليس بالإمكان تقسيم البوسنة بين صربيا وكرواتيا ، وليس ذلك فقط لأن الصرب والكروات يعيشون مختلطين بعضهم ببعض في كل أرجاء المنطقة ، بل وأيضا لأن المنطقة يسكنها مسلمون لم يستقر راجعهم بعد على هويتهم القومية أو الوطنية » (١٦) . فاما ما كان يعنيه تغييرهم : « يقررون هويتهم القومية » ، فهو أنهم « يقررون أن يكونون صربيين أم كرواتيين » . وكان أعضاء الحزب يتعرضون لشيء من الضغط ليقرروا ويصوتوا لهم من أولئك أم من هؤلاء . وإن تحليلاً لموقف الحزب من ذوى الأسماء الإسلامية في أول دليل عام للشخصيات في يوغوسلافيا ، ليوضح أن ١٧٪ أعطوا أنفسهم كرواتا وأن ٦٧٪ صربا - وهي علامة تدل على شيء آخرى على الجهة التي كانت تهب منها الريح في الحياة السياسية البوسنية في ذلك الوقت . وفي تعداد ١٩٤٨ كان المسلمون موزعين فيه بين خيارات ثلاثة : فكان في إمكانهم أن يسماوا أنفسهم صربا مسلمين أو كرواتا مسلمين أو مسلمين غير محتلين أي غير محظيين . « وادى ذلك إلى إعطاء المسلمين البوسنيين فرصة يظهرون فيها كم هم غير راغبين أن يصيروا بالصباغ الصربي (يتصربوا) أو بالصباغ الكرواتي (يتكرواتوا) : فقد اثنان وسبعون ألفا منهم أنفسهم من الصرب ، وعد خمسة وعشرون ألفا أنفسهم من الكروات ، ولكن ٧٧٨ ألفا سجلوا أنفسهم غير « محتلين » . وكانت نتيجة التعداد التالي في ١٩٥٣ مماثلة لهذه . وهذه المرة ، كانت السياسة الرسمية تدعو لتطوير وتنمية الروح اليوغوسلافية : « نأزله جند مسلم من التعداد ازالة ثامة ، ولكن سمح للناس بأن يسجلوا أنفسهم بأنهم « يوغوسلاف غير محتلين القومية » . والتي حدث في البوسنة أن ٨٩١٨٠٠ فعلوا ذلك (١٧) » .

ولم تبدأ السياسة الرسمية في التغير إلا في الستينيات وليس واضحا على الإطلاق لماذا حدث هذا التغير . ففي السنوات الخمس عشرة إلى العشرين الأولى بعد الحرب ، كانت المناصب الرسمية العليا في البوسنة يسيطر عليها الصرب : وفي الأربعينيات كانت عضوية الحزب الشيوعي البوسني تتألف من عشرين في المئة من المسلمين ، وستين في المئة من الصرب . وكانت سياسة حكومة الجمهورية البوسنية شديدة الخضوع لبلجراد ، مع جتوج إلى معاملة الجمهورية كما لو كانت إحدى مقاطعات صربيا الخارجية أو البعيدة . ولكن خلع ديورو بوكار (Djuro Pucar) الصربي من زعامة الحزب في البوسنة في ١٩٦٥ أدى إلى اضمحاض هذا النفوذ ، وعندما طرد الكسندر وانكوفيتش ، الرئيس الجبار لجهاز أمن تيتو ، من اللجنة المركزية اليوغوسلافية ، اتسمت سياسة التعامل

مع الشعوب الصربية بجميع أنحاء البلاد يتوء من الظلم ، ومع ذلك ، فإن الانتقال الى الاعتراف بالبوسنيين المسلمين كلمة ، كان يسعى الى طريقه فعلا قبل أن تطرح هذه الأحداث . ولعله نفسا عند انقراض عتلقين هذين : استفراد الرأى على قبة سياسة ، التكامل اليوغوسلافي ، وكهيم الهويات الجمهورية بهلا من ذلك في بواكير الستينيات وبروز نخبة من المسؤولين الشيوعيين المسلمين في جهاز الحزب في البوسنة وهو امر كان قد تأخر كثيرا (١٨) .

وجاءت اول دلالات التغير في تعداد ١٩٦١ ، حيث سمح للناس بتسمية أنفسهم « مسلمين بالمعنى العرقي » . ثم جاء دستور ١٩٦٣ ، فأشار بدرجة متعادلة في ديباجة الى « الصرب والكروات والمسلمين » الذين كانت لهم في الماضي حيلة مشتركة ، وإن لم يذكر صراحة ، أنهم سيمتثلون لمسا متساوية (١٩) . واعتبرت هذه خطوة حاسمة ، وهذا تلك اللحظة فصاعدا أصبح من التسانع المألوف في البوسنة ، معاملة المسلمين بأنهم تجمع قومي يتعادل تماما مع الآخرين ، وانعكاسا لهذا الفكر ، اقتضت مستندات انتخابات الموظفين في « رابطة البوسنة للشيوعيين » في ١٩٦٥ على تسجيل اساء الناخبين بوصف كون كل منهم اما « صربي » او « كرواتي » او « مسلم » (٢٠) . ومع هذا ، فان تسمية المسلمين بالتحديد لمة لم يتم اعلانه رسميا . كما أن عددا من الاكاديميين والموظفين (تحت اقيامة الفكرية للبروفيسور محمد خيليبوفيتش (Muhammed Filipović) ، بمساعدة مجموعة من الموظفين الشيوعيين مثل عاطف بوريفاترا (Atif Purivatra) ، واضلوا الدعوة للتفريق بين كلمة المسلم كوصف لاحد أبناء الامة الاسلامية والمسلم كأحد أبناء اتباع العقيدة الاسلامية . وقاموا هذا بعض أعضاء الحزب . مما أدى الى طرد البروفيسور خيليبوفيتش من الحزب في ١٩٦٧ . على أنه الفوز العام ما لبث أن أتى في النهاية في اجتماع للجنة البوسنة المركزية في مايو ١٩٦٨ ، حيث صدر عنها بيان يحتوي على النص التالي : « أظهرت المماومة العملية لقرار مختلف أنواع الضغط .. من اليوم الذي كان فيه المسلمون يسمون فيه كرواتا او صربا من وجهة النظر الوطنية » . ولطهرت الأيام كما أكلت المماوسات الاشتراكية الحالية أن المسلمين لمة تتميز بنفسها » (٢١) . وعلى الرغم من الاعتراضات الشرسة الصادرة في بلجسراد من الشيوعيين القوميين الصربيين ، مثل دوبريكا تشوسيتش ، قبلت الحكومة المركزية تلك السياسة . وهكذا حدث في نمالاج أبناء الرأى في تعداد ١٩٧١ أن ظهرت لأول مرة عبارة : « مسلم ، يعني لمة » (٢٢) .

ويظهر مصدر آخر لمفوضية هذه السياسة هو حرم رئاسات الحزب الشيوعي في مقدونيا . ذلك لأن المفوضية أنفسهم لم يعترف بهم كأمة إلا مؤجرا جدا في ١٩٤٥ . فلم ترفعهم فكرة أن اقليتهم للسلسلة السلافية الخاصة ، التي لها جذبها وورثها الكثير ربما تنزع الآن الى الانسلاخ بطريقة مماثلة من القومية المقدونية (٢٢) . ولكن المقارنة باليوستة نمكنا من ان يرى لماذا كانت السياسة اليوسنية معقولة تماما ، وان بدت في ظاهرها عجيبة - فهي حالة للمسلم السلافي القومى يكون من السهل الحديث عن الدين بوصفه قشرة ظاهرية . يمكن ان نرى من خلالها الطبقة التحتية العرقية او القومية المسبكة . ولو انك ازلت هذه القشرة لوجدت نفسك وجهها لوجه امام « سلافى » تحسبه مقدونيا قعا . بسلك اللغة والتاريخ . ولكن الامر يختلف في حالة اليوسنى المسلم : فبالا ينبقى للانسان ان يسمى تلك الطبقة التحتية العرقية ؟ انه يستطيع ان يسميها « سلافية » او « يوسنية » ، ويستطيع المرء ان يسميه ايضا « بالصربوكرواتي » ، لكن تسميته اما « بالصربى » او « الكرواتى » تكون خطأ لسببين : اولهما انه ليست هنالك اية هويات صربية او كرواتية مسيرة في اليوسنة في الفترة السابقة على نشر الاسلام . ومن ثم فان من الخطأ التحدث عن « صربى مسلم » . لاذ ذلك يوحي بان اجناده كانوا من الصربيين قبل ان يكونوا مسلمين . اما السبب الثانى فهو انه عندما نزع اليوسنيون المسيحيون في مرحلة متاخرة جدا في اتخاذ هويتهم كصربيين او كرواتيين ، لم يكونوا يعملون ذلك الا على اساس دقيق من الدين فقط . (وهكذا حدث ان اسلاف وسلالة المستوطنين الكاثوليك المجريين او الالمان الذين جاؤوا الى اليوسنة في الفترة النمساوية المجرية ، انتهوا الى تحديد هويتهم بانهم « كروات » . كما ان حصة النجر الارثوذكس الرومانيين ، احتساروا « الهوية الصربية ») (٢٣) . وكما رأينا ، فان الكثير من اليوسنيين الارثوذكس ربما كانوا يتحدرون من مهاجرين صربيين او من افلاق . ولكن كان هناك عدد كبير من عمليات النزوح عن البلاد والىها ، والتحول من دين الى دين ، بحيث انه يتندر من الافراد من يستطيع ان يحدد بدقة أصله العرقى . ولتقرون طويلا ظلت لغة الارثوذكس والكاثوليك اليوسنيين واحدة وكذلك تاريخهما والوطن الجغرافى لاقيتهما - وهو امر هناء ان الطبقة التحتية التي تقع تحت هويتها الدينية الخاصة . طبقة واحدة لا اختلاف بينها اطلاقا في النواحي الجوهرية .

على ان الانتقال والتحول المصطنع بصفة اخرى ، كان هو التحول الذى أحدثه اليوسنيون الارثوذكس لى الكاثوليك في اثريات القصرن

التاسع عشر وبواكير القرن العشرين ، عصفنا شرعا يسميان أنفسهما بالاسم العربي : « العرب والكروات » . وهو أمر كانت له مبرراته التاريخية كما رأينا - ولكنها ما أن شرعا في تلك الحركة حتى أصبح من المحتمل على المسلمين أن يتخفوا السبيل المنطقي ، والذي كان يحتم عليهم أن يصنوا دينهم بأنه الإسلام ، والطبقة العربية النحوية من كياناتهم بالبوستية إذ كان ذلك سيؤدي إلى البدء في استخدام كلمة « يوسني » كمصطلح ثالث في مقابل « صربي » و « كرواتي » - وهو شيء يماس استئصال مصطلح « مسلم » كمصطلح ثالث ، وهو ما يؤدي أكثر للانقسام والفرقة . وذلك لأنه يمكن على الأقل أن يشار إلى الجماعات الثلاث بأنهم البوسنيون المسلمون والبوسنيون العرب والبوسنيون الكروات .

ولم يكن الدافع إلى المطالبة بالاعتراف بالبوسنيين كأمة لها كياناتها . في أخريات الستينيات فصاعدا وبواكير السبعينيات ، حركة إسلامية . بل على النقيض من ذلك ، فإنه كان على رأس قياداتها شيوعيون وغيرهم من المسلمين المتطبعين بالطابع العلماني ، الذين شاعوا للهوية الإسلامية في البوسنة أن تتطور إلى شيء بالتاكيد ليس دينيا . وفي أثناء تلك الفترة يمكن متابعة شيئين متميزين تماما في البوسنة : هذه الحركة القومية الإسلامية العلمانية وحركة انتعاش للثقافة الإسلامية (٢٥) . وإن كانت كلتا الحركتين منفصلتين عن الأخرى ، وكان خير تعبير عن الحركة الثانية في الرسالة القصيرة التي كتبت (ولكنها لم تنشر) في الستينيات ، مؤلفها هو غل عزت بيجوفيتش (Glenn Izetbegovic) المصنوية « الاعلان الإسلامي » (٢٦) . إذ أن الأفكار التي تتجوزها رسالة عزت بيجوفيتش (التي سنبناقشها في الفصل التالي) ، لم تكن متميزة الاختلاف عن جميع السياسيين مثل بيوريانزا فحسب ، بل كانت مناقضة لهم مناقضة إيجابية : فلم تكن تدور حول مشكلات البوسنة ومشاكلها ، وإنما تدور حول موقف الإسلام في العالم أجمع ، وكتب عزت بيجوفيتش عن الوطني والقومية بأنها قوة تدفع إلى الانقسام والشقاق . وعن الشيوعية بأنها نظام غير وافي . ولم يكن هذا الانتعاش الديني المضاد للشيوعية إلا ظاهرة صغيرة في بداية الأمر ، وإن كانت سياسة تينو في ميدان « عدم الانحياز » سهلت لهم أن يحصلوا ويحتكوا بالعالم الإسلامي على اتساع أرجائه ، الأمر الذي نشط بذلك دراسة الدين الإسلامي في البوسنة . وسمح لعدد أكبر من البوسنيين بأن يدرسوا في الجامعات الإسلامية العربية في السبعينيات . وفي ١٩٧٧ بلغ الأمر أن أقيمت كلية للدراسة الإسلامية (يتولى من الملكة العربية السعودية) . بجماعة سرايفو (٢٧) .

ولكن مثل هذه التطورات كانت أبعد ما تكون عما كان يحصل عليه
 ويصبو اليه أرباب الصناعات القوية مثل بيورغاتي - وكان أشد ما يشغل
 بالهم هو أن يساهم اليوسنة لا يحظون بالصندوق الكافي من المستثمرين لهم
 في الادارة الشيوعية للجمهورية . وإن الجمهورية في مجملها كانت تعد
 لتنتفض الى حد ما في وضعها القانوني ، من جمهوريات يوغوسلافيا الأخرى .
 وقد جاءت هذه المعاملة الدنيا - على حد احسبهم - لأن اليوسنة كانت
 ينظر اليها لا على أنها لغة واحدة ، بل قطعة من أمتهن أخريين (هما الصرب
 والكروات) ، بالإضافة الى عنصر لا أمي . وقد كان ذلك القول تحليللا
 ينطوي على قدر عظيم من الصلف . فإن اليوسنة كانت تعامل بمعاملة
 أقل من وزنهما في نظام الاتحاد الفيدرالي اليوغوسلافي . وكان تطورها
 الاقتصادي يضي متناقلا ومتاخرا تأخرا بعيدا خلف تطورات جيرانها
 الاشد قوة منها . ثم حدث بها طفرة من التنمية استمرت فترة وجيزة بعد
 الانفصال عن الكومنفورم في ١٩٤٨ . عندما عزم تيتو عزما أكيدا ، وقد
 شغل باله احتمال قيام السوفييت بفرض بلاده . أن يضع مصانع الأسلحة
 والصناعات الأخرى ذات الأهمية الاستراتيجية في أجزاء اليوسنة الوحيدة
 التي لا سبيل الى ولوجها . على أنه سرعان ما عطل عن هذا ، وتبركت
 اليوسنة نتج بما وصفه أحد المحللين بأنه : مصانع جديدة (وغير مكتملة
 في غالب الأحيان) . أسست في مناطق نائية (التي البصا لكتها بميزة
 عن الأسواق والطرق واليد العاملة الماهرة) (٢٨) .

ولو قورنت اليوسنة بما عليه حال الأجزاء الباقية من يوغوسلافيا
 من الركود والتدهو الاقتصادي ، لراينا أنها عانت أثناء الخمسينيات
 والستينيات من الركود والتدهور الاقتصادي حتى انخفضت انتاجية
 الفرد من ٧٩٪ في ١٩٥٢ الى ٧٥٪ في ١٩٥٧ . وإلى ٦٩٪ في
 ١٩٦٥ . وفي ١٩٦١ اعتبر جزء كبير من مساحتها منطقة « نامية » أي دون
 درجة التطور الواجبة . وهي وحدها دون سائر الجمهوريات
 اليوغوسلافية ، كانت تمتلك أقل نسبة من التمر الاقتصادي على طول المئة
 بأكملها من ١٩٥٢ الى ١٩٦٨ . مما أدخل اليوسنة القومى الذي كان دون
 المعدل القومى العام بمشرين في المئة في ١٩٤٧ ، فقد هبط الى ٢٨٪ تحت
 المعدل عند حلول ١٩٦٧ (٢٩) . وتعددت الإحصائيات الاجتماعية بقصة
 صائبة تماما . وتكشف عن مشاكل كانت من ناحية جزئية أعرفها
 « للتأخر » الاقتصادي . كما أنها من ناحية جزئية أخرى تعد أسبابا له .
 ففي أوائل السبعينيات ، كان اليوسنة أعلى نسبة لوفيات الأطفال ،
 في يوغوسلافيا عدا كومنوفورم . وكانت بها أعلى درجات الأمية
 كقياسا بعد كونسوفور للمرة الثانية (وأعلى نسبة للأشخاص الذين

لم يقضوا سوى ثلاث سنوات في التعليم الابتدائي (عدا كوسوفو أيضا) ، وأقل نسبة للناس الذين يعيشون في المدن (عدا كوسوفو) - وكان بها أيضا أقصى حد للهجرة إلى باقي الجمهوريات اليوغوسلافية - بالتقريب ١٦ ألف إنسان في كل سنة طوال الخمسينيات والستينيات - وكان معظم هؤلاء قوما صربيين نزحوا منها ليمشوا في صربيا (٣٠) - ونتيجة لهذا أن أغلب المصلون على الصرب في البوسنة - برصفهم أكبر عنصر سكاني للسكان في منتصف الستينيات -

وكان تأسيس « وضع الأمة الإسلامية » في أواخر الستينيات نعب دورا ما في انعاش الكبرياء الجمهوري ، ساعد على تحويل مسار الاقتصاد البوسني - وادت التغيرات الكثيرة في الدستور الفيدرالي أثناء تلك السنة بأكملها ، بدأ بالدستور الجديد لعام ١٩٦٢ ، وانتهت بكتابة جديدة للدستور في ١٩٧٤ ، ال اعطاء اقتصاد البوسنة مجالا أوسع لمناجاة البيع في سياسات التنمية التي أخذتها كل جمهورية على عاتقها - وبناء السبورتيات أقامت السلطات البوسنية مشروعات صناعات عامة ، ونمت ضواحي من أيراج عالية المباني في مدنها الكبرى - حتى قال أحد من زاروها في ١٩٨٠ أن « سرايفو بنت كامسا هي مشروع ضخم لآلة المرافق العامة » وأعيد تشكيل نظام أمانيب الصرف والمياه واحتفرت الشوارع في أقسام المدن وأعيد إصلاحها - وانتزعت خطوط الترام ليحل محلها خطوط عرض ، وهكذا دواليك (٣١) وكان السبب المباشر في كل هذه الأنشطة في العاصمة البوسنية ، هو إعدادها للألعاب الأولمبياد الشتوية التي أقيمت هناك في ١٩٨٤ - عل أن هذا التطور الجديد كان صرحا من عمليات التحديث التي جرى تنفيذها في كثير من أجزاء الجمهورية ، واعتمد في دويلها أساسا على القروض -

ومن عجب أن إزالة المركزية من يوغوسلافيا التي بلغت أوجها في دستور ١٩٧٤ ، كانت مع ذلك تخلق مشاكل أكثر مما كانت لحل - وأن هذا البناء الهوياتي المنفصلة القومية السياسية شح شهية أبناء القوميات المختلفة ال المزج - ويرينا التاريخ بأوضح صورة أن النظم الفيدرالية أو الاتحادات التي تتكون من كيانات قومية مختلفة ، لا تستطيع أن تصل بنجاح إلا إذا أقيمت على نظام سيادي حقيقي الديمقراطية - بيد أن ذلك لم يكن هو الحال هناك في يوغوسلافيا الشيوعية - حيث كانت كل محاولة لتفهم قدر أكبر من الاستقلال الذاتي القومي ملزمة أنه تنص كما يحسن ورق التشفير كل صنف الانتماء السياسي المرير ، الذي كان النظام السياسي بأكمله ينضج به - ومن السهل عليك أن تتخبر أنه

بأنها نظم وتضبوط لم تدبر لها المزايا من أمة أخرى ، بينما للنظام الذي حاصر الامتياز ككتيها كلف نظاما غير ديمقراطي ولا عادل يأكمله ، وأما هو ظالم بطبيعته . كسبب أنه للسبب الطبيعي لكل أنواع التمييز أيضا هو الاقتصاد الضعيف المختل - وهو شيء كان ضمنونا تسلمنا بتسلل النظام اليوغوسلافي الشيوعي . على أن سوء الإدارة زاد سوءا نتيجة التدهور المركزية التي طبقت في الستينيات والسبعينيات ، وذلك نظرا لأنه كانت هناك إزهاجات زائلة عن الحاجة في الصداقات ومقروعات القيمة الأساسية بين الجمهوريات . وغنى عن البيان أنه أسوأ أنواع المفاسد هو ذلك النوع الذي يحدث بين الصناع عندما يكون عملها ممتعا على الترويض والتمسك من السلطة السياسية ، مع عدم جعل المنافسة نفسها خاضعة للنظم الحق للأسواق .

وظهرت بعض الثورات القومية الكتيبة التي عبرت عن امتصاصها من النظام القائم أثناء الفترة بين الستينيات وأواخر الثمانينيات ، وكان أهم هذه الحركات هي كرواتيا وصربيا . وفي الستينيات بدأ عدد من التنظيمات المختلفة يتجمع في كرواتيا : ومنها شكوى من تطور صورة جديدة رسمية للغة الصربوكرواتية تتقلب فيها أشكال الكلمات الصربية ، ثم القضة القوية التي كانت تقبض بها السوق في بلجراد على اقتصاد السياسة في والمناشيا ، كما دارت الشكوى أيضا حول مجال واسع من المسائل الاقتصادية والسكانية الأخرى (٣٢) . وهذه الحركة التي تدعو بإصرار للحفاظ على حقوق كرواتيا ، والتي أصبحت مرتبطة بحملة تطالب بتحرير أكبر للنظام السياسي اليوغوسلافي - وقد أصبحت معروفة في الغرب باسم « الانتفاضة الكرواتية » - كانت في جوهرها موجهة ضد الصربيين ، ولكنها ما لبثت حتى حملت وطيس المصركة إلى صميم البوسنة أيضا .

وعندما حل عام ١٩٧١ نشرت صحيفة كرواتية لطيفا للهوات العرقية لجميع المواطنين الذين يصلون في الإمارة البوسنية ، أظهر أن الكرواتيين كانوا لا يصلون إلا جزءا قليلا منهم . ومع أنهم كانوا يشكلون أكثر من عشرين في المائة من السكان ، قالهم لم يكونوا يصلون إلا بنسق الأتقي إلى الأوصاف والمستويات المهمة من المناصب ، مثل وظائف الإدارة العامة لرايدو وتليفزيون سرايفو ، لكل رؤسائه القضاة كانوا من الصرب ، ولم يكن أحدهم من الكروات يمسك وظيفة الهير في أي من الوكالات الجمهورية (الهيئات السيادية) للتنويع . وأجلب كبار المياسمين اليوسفين مثل حديق بوذدراك بأنه ليس ينبغي أن يتم الناس قومية

الموقف ، بشرطة أن يصل لصلحة اليوسنة بأكملها (٢٢) * ولكن المتأففة بين احتمالات ومصالح القوميين الصرب والكروات حول اليوسنة ، أصبحت من القوة ، بحيث لا تستطيع مثل هذه المبادلات أن تستبدلها . ولم يفت أحد الكتاب الصربيين وهو جوزيب يوتكونزوراك أن يصدر كتابا في ١٩٦٩ يفتح بأن جميع سكان اليوسنة قاطبة (وسكان دالماتيا أيضا) كانوا في الحقيقة صربيين * واستمرت هذه المبادلات في التسعينيات ، وشرع الكروات والصرب القوميون في التحدث علنا عن استقطاب أجزاء من الأراضي التي تسكنها العرقيات من البوسينة وضمتها إلى كرواتيا وصربيا على التوالي (٢٤) * ولم تلب أية اشارة توضح أن سياسات السلطات اليوسنية كانت متوازنة أو ضد الصرب أثناء تلك الفترة ، ولكن تمايلت على المسرح ظاهريا للضغط الاحصائي من ناحية والتاريخ العرقي المزيف من الناحية الأخرى . وكان الأمر الوحيد الذي أنتجته تلك المبادلات الاحصائية على الطريقة التي تدار بها الأمور في اليوسنة ، هو نشوء نظام حصص مرقي لعينين الموظفين في الوظائف يكون تنمسيا ، أو يكون على أسس * واحد من كل منهم * - وهو اسهام صغير اجمالي للفوضى الاقتصادية والادارية .

ولكن قدر لنمو الوطنية الصربية في النهاية أن يكون له اثر مدمر . وفي ظاهر الأمر ، لم تكن لصربيا الا أسباب للتضرر أقل عددا من أية جمهورية يوغوسلافية أخرى ، أثناء السنوات العشرين الأولى من الحكم الشيوعي . لقد أصبحت البلاد تحكم من بلجراد مرة أخرى ، وكان الصربيون يهيمنون على الحزب والقوات المسلحة ، وكان يخشاهم الذين عاشوا الحرب احساس قوي بأن سجل صربيا أعلى صفويا من سجل كرواتيا * ولكن * تسوية ما بعد ١٩٤٥ ، من جانب تيتو ، لم تخط صربيا مكانا اقلية . فحولت ارض طوفونيا اليوغوسلافية بكامل أرجائها إلى جمهورية منفصلة ، ومع أن سكانها كانوا غير صربيين ، لكن البنيوي الصربية كانت قد فزتها في حرب ١٩٩٢ - ١٩٩٣ ، وأصبحت بالملكة الصربية تحت اسم مصطنع هو * صربيا الجنوبية * . ومن ثم فإن التغيير الذي حدث في ١٩٤٥ كان يراه الصربيون الوطنيون نوعا من العودة للأراضي الصربية . لما المنطقة الشمالية من فويفودينا ، حيث كان عدد الصربيين يقل عن ٥٠٪ من السكان . فانها أصبحت جزءا من المملكة اليوغوسلافية في ١٩١٨ ، ولكن تيتو منعها وضع * ولاية ذات استقلال ذاتي * داخل صربيا . وكان هذا عند بعض الصربيين عهد عملا صاوريا لصربية . وإن لم يعتبر قط أن فويفودينا كانت في أي يوم جزءا من صربيا نفسها . كما أن منطقة كوسوفو ، التي تسكنها الغلبة البالية ،

وهي أيضا منطقة فتحها الصربيون في ١٩١٢ - ١٩١٣. اعتبرته مستقلة - استقلالاً ذاتياً - من صربيا . إن هذه التغييرات الهبت بالضخينة صدرت كثير من الصربيين . وبعدهم يستهينون بفلك الكسب الاقليمي الفكن - احرزته صربيا عنما أعطاهما تيتو منطقة سترم وهي الحافة الشرقية الضخمة للأراضي الكرواتية - (ولم يحدث تيتو أى تغيير على الإطلاق في النجم التاريخي الذي يفصل بين صربيا والبوسنة ، الذي ظل ثابتا كما هو في آخريات الحكم العثماني والفترة النمساوية المجرية) .

كانت جميع الأحوال ملانة لتوليد نظرية تأمرية تزعم أن تيتو نصب السلوفيني قد تأمر على صالح صربيا التاريخي . كما أن ذلك القصور لم يبرح يزاد نمسا في الستينيات وبواكير السبعينيات . وذلك بينما تناميّت التغييرات الكثيرة في المستور ، وكانت تمنح مقادير أكثر فأكثر من الاستقلال الذاتي الإداري لفرطودينا وكوسوفو ، حتى وصل الأمر في دستور ١٩٧٤ ، أن أصبحنا تملكان بعضي - وإن لم يكن كل - سلطات الجمهوريات الكاملة السيادة ، بما في ذلك تمثيلهما في الهيئات الفيدرالية الرئيسية . وبعد سقوط رئيس إدارة الأمن ، الكيسنبر وانكوفيتش ، وألقى حكم كوسوفو بغضيب من حديد ، ومستعينا بمدد ضخم من الموظفين الصربيين ، تغير الموقف هناك تغيرا درميا . فأولا حدثت انتكاسة إلى الخلف إذ انقضى الألبانيون المحليون على الصرب المحليين أيضا مع حركات شعب مضادة للصربيين في ١٩٦٨ . وأعمال عنف موجهة ضدهم ثم حدثت بعد ذلك حركة مرمية ترمي إلى إضفاء الطابع الألباني على كوسوفو ، مما أقلق صرب كوسوفو بشأن وضعهم كأقلية صغيرة بين سكان الاقليم . وهنا غادر آلاف من الصربيين الولاية إلى صربيا نفسها ، وكان بعضهم يفر فرارا لشعوره بأنه يطارد ويهدد . ولكن الكثير منهم كانوا يتطلعون إلى الحصول على عمل أو قل أنهم كانوا يشاركون في ذلك القصور العام الذي دفع أبناء الاكليات إلى النزوح إلى مراكز قوميتهم الأصلية . وهي الحركة التي رأينا أنها اثرت أيضا في الصرب البوسنيين كذلك أثناء تلك المدة نفسها (٣٥) .

والوقف في كوسوفو الذي بلغ من شأله في أوليات الثمانينيات أن أصبح أزمة مستحكة واحتلالا عسكريا . بات بيت القصيد والبهرة الأساسية وانتعاش الوطنية الصربية . ومنذ زمن مبكر هو ١٩٦٨ ، كان القيصويون الوطنيون من الصرب منسل تدويركا تشوشيتش يظهرون الشكوى من انقلاب السياسة في كوسوفو بعد سقوط وانكوفيتش - . كان المرء يستطيع أن يرى الهدف التاريخي القديم ، والفكرة القومية -

فكرة توحيد الشعب المصري في دولة واحدة - بإيجاصان من جعفر في
 موسى الصوريين ، ، هذا ما قاله ذلك الرجل (١٣٦) . وهذا القول الذي قيل
 بلفظ التحدير ولكنه صدر بروح التهديد - تسبب في طرد تشوشيتشي من
 اللجنة المركزية . وكان تشوشيتشي يعاوض أيضا كل انجاء لنهج الوضع
 القومي لمسلمي البوسنة وإن لم يكن ذلك شيئا جسيما من قبيل الاتفاق
 المتزامن . وذلك لأن الألبانيين في كوسوفو كانوا في الغالب من المسلمين
 مما جعل الشعور المضاد للإسلام ظاهرة للنزعة القومية الصربية . ولم يكن
 ذلك بالشئ الجديد ، فانه طالما كان جزءا من الثقافة الأدبية الصربية ،
 ولكن يتم التعبير عنه الآن بقوة أكثر كثيرا . كما حدث في تلك الرواية
 الشرسة التعصب ضد الإسلام المحنونة ، السكين ، التي نشرها القومي
 الراديكالي فوك درايشكوفيتش (Vuk Draskovitch) في أوليات
 الثمانينات (٢٧) - ولم تنمأ الكنيسة الأرثوذكسية الصربية هي الأخرى
 ان تغتفر فرصة أحياء الاحساس بالهوية الدينية . في ثقافة البلاد الأدبية
 والسياسية ، وهناك أيضا ادعاءات النبك الصربية المهووسة حول
 كوسوفو ، فانها في الواقع كانت تقوم على وجود بعض القوم الأديرة
 الأرثوذكسية الصربية ومباني الكنائس ، بما في ذلك البطركية نفسها ،
 في ذلك الاقليم .

وأكاب انتماع الأرثوذكسية أيضا . انتماع بالاعتماد بموضوع
 التشبثيك المظهور أثناء الحرب العالمية الثانية - وفي الحقيقة كانت
 سياسة الشيوعيين هي حظر كل ما هو تشبثيكي بدون تمييز ولا تحليل
 سبب تواطؤ التشبثينيك مع الفاشية ، ولذا جاء رد فعل الوطنية
 الصربية ، متعلقا منهم ضد هذا النظام ، وإصدار دوبريكا تشوشيتشي
 رواية قصصية في ١٩٨٥ بطلها أيديولوجي ومنظر تشبثيكي ، وفي السنة
 نفسها ظهر كتاب حول التشبثينيك للمؤرخ فازيلين جوريتشيتش في حلة
 افتاحتها أكاديمية العلوم الصربية . وكانت هذه الحادثة نقطة تحول مهمة ،
 ومؤشرا على أن القومية الوطنية الصربية أصبحت أمرا مقبولا لدى المؤسسة
 الفكرية في بلغراد . وفي يناير من السنة التالية ، وقع ميثاق من أبرز
 الأكاديميين والكتاب في بلغراد ، على التماس ائثار بعبادات دستورية الى
 ، المندوبان الألباني ، والى ، التطهير المبني ، بقاطعة كوسوفو . فكان
 جميع أنواع الاستياء الصربي قد ظهرت الآن على السطح : وشكا ذلك
 الانتاس من ، أن هناك محاكمة سياسية شائكة للأمة الصربية وتاريخها ،
 ظلت مستمرة عقودا متتالية من الزمان (٢٨) .

وفيما به في ١٩٨٦ ، سطرت مذكرة في الأكاديمية الصربية للعلوم
 (أو على الأقل على يد لجنة عينتها تلك الأكاديمية معلوم أن تشوشيتش

كان بين أعضاءها ، اجمعت لها الشكوى من كوسوفو الى الاتهام الصريح لتيغوب بأن سياسته كانت تهدف الى اغتصاب صربيا . وقد شكت تلك المذكورة من أن : « التوعية الوطنية إنما خلقت من أجل » ، وبطيعة الحال ، لم تكن هذه الكلمة لعلوة الى الوطنية الصربية ، التي جاهد هؤلاء الكتاب لحفظها من وجهة نظرهم ومصالحهم الخاصة ، وأما الى الهوية الوطنية للكروات والسلوفينيين والمسلمين ومواطني الجبل الأسود والمسلمين البوسنيين ، وادعت المذكورة أيضا أن منطقت استيعاب القوميات كان يجهز في كرواتيا ، ويهدف الى تحويل من بها من الصرب الى كروات . وكذلك شكت أيضا من أن الكتاب الصرب المرفيق الذين يمشون في أماكن مثل الجبل الأسود ، كانوا يوصفون بأنهم يكتبون لا أدبا صربيا ، بل أدب « جبل أسودى أو بوسنى » بدلا من ذلك - وكانت نقطة الجبل الأساسية في المذكورة هي أن « الشعب الصربى » بكل أرجاء يوغوسلافيا ، كان نوعا من الكيان الابتدائي ، يمتلك مجموعة توحيدية من الحقوق والمعايير التي تملو على أى أقسام سياسية أو جغرافية بحتة : « إن مسألة تكامل الشعب الصربى وثقافته بكل أرجاء يوغوسلافيا تفرض نفسها كموضوع حاسم بالنسبة لبقاء ذلك الشعب وتطوره » (٢٩) . ومن أسف أن السعى لتحقيق ذلك « التكامل » هو الذى أدى غشى النهاية الى تدمير يوغوسلافيا وإزالة الحراب بالبوستنة أيضا .

ومع انتشار هذا الرأى في صربيا في السبعينيات والثمانينيات ، كانت هناك حساسيات متزايدة في حدود السلطات في البوسنة إزاء أى نصير عن أحياه النزعة الإسلامية الذى ربما ينطوى على صانع سياسية . ولا ننكره القول بأن الحكومة البوسنية الجمهورية لم تكن تفضل مسترشدة بالروح الجديدة ، للوطنية الصربية ، المضادة للمسلمين ، وأما هي كانت على العكس من ذلك تحاول أن تحتفظ بالسياسة الشيوعية الرسمية التي تهدف الى اذابة وإزالة أى عنصر دينى في الهوية الوطنية القومية في خاتمة المطاف . ومن ثم فإنها كانت تنزعج لأية دلالة على وجود تسلط سياسى نابع عن بواحد دينية بين المسلمين بنفى الشدة التي الإجماع بها من الحلف الجديد النافى بين النزعة القومية والارتودوكسية المنتشر بين الصرب ، كما لمكانها أن تدرك أن لدى نمو في الأولى مسجد الثانية بالزاد والخبرة . وأخذ أعضاء الهيئة القومية الإسلامية في البوسنة يبررون بصراحة أكثر عن انتقاداتهم للنظام الشيوعى ، وترددت الشائعات والاقتعاص بعد الثورة الإيرانية في ١٩٧٩ بأن سوريا ٩٩ الله الخميني قد شوهته عتقة بالثوافة البوسنية ، وهو أمر مريب للسلطات شيئا آخر من الانزعاج . ومع أنه كان لسياسة عدم الانحياز القديمة دور كبير في

وقع الإسلام من هلاكى الركود والفتور في البوسنة وزادت من اتصالها
بسيائر أجزاء العالم الاسلامي . فان السلطات قروت الآن أن تعمل ضد
حجوت نوي نو جديد في شعبية القضية الاسلامية . وفي ١٩٧٩ تلقى
شيوخ مسلم هو دوروش شوشيتش شيئا من التشجيع على أن ينشر في
صحيفة سرايفو « لوسلو بوديني » سلسلة من المقطعات من كتاب له كان
يكتبه ، وكان يرضى (بتشديه وكسر الراء) يتناولون كبار الاعضاء من
رجال الدين المسلمين مع الأوستاشا ومع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية .
وعندما هوجم شوشيتش لذلك في الصحيفة الناطقة بثمان الجساعه
الاسلامية رسميا وهي « ريپورودر Proporod » . دافع عنه علنا أحد كبار
الرجال المبرزين عن السياسة الرسمية في الدين ، وهو البروفيسور
غولجيهويتش ، أحد اساتذة جامعة سرايفو . وما لبث أن نزل العومة
رجل من أقطاب الشيوعيين المسلمين . وهو حمدي بورذراك ، الذي انتقد
علانية ما اسماه بنزعة الجامعة الاسلامية (٤٠) .

وفي إطار هذه الخلفية . جرت أحداث أشهر التضاضة على النشاط
المسلمين في البوسنة حيث قدم للحاكم في سرايفو في ١٩٨٢ ثلاثة عشر
رجلا اتهموا بأنهم « قاموا بأعمال معادية ومضادة للثورة نابعة من القومية
الاسلامية » . وكان على رأس المتهمين الدكتور علي عزت بيغوفيتش ، وهو
صاح ومدير متقاعد لشركة مبان . وكان قد أتم كتابه « الاعلان الاسلامي »
قبل ذلك بثلاثة عشر عاما . وكان هو وثلاثة من المتهمين أعضاء في
« منظمة شهاب المسلمين » ، التي كانت تناقض الهجوم الشيوعي على
الاسلام في نهاية الحرب العالمية الثانية . ووجهت تلك التهمة اليهم أيضا
حيث ، اتهموا بأحياء أهداف منظمة « ارحاية » . واتهم عزت بيغوفيتش
أيضا بأنه كان يسعى الى ادخال الديمقراطية البرلمانية على الأسلوب الغربي
الى البلاد . وكان أهم دليل اتهم قدم ضدهم هو « الاعلان الاسلامي » الذي
كان حسب منطق صحيفة الاتهام اعلاما بأشياء تولة بوسنية اسلامية
نقية المنصر صافية العرقية . ولكن عزت بيغوفيتش أوضح ان الاعلان
لم يكن يحتوي على أي شيء يحث عن تطهير البوسنة عرقيا . وأنه في
الحقيقة لم يكن يحتوي على أية إشارة الى البوسنة على الإطلاق : ولكن هذه
التفاصيل وأمثالها لم توقف المحكمة التي حكمت عليه بالسجن أربعة عشر
عاما . خلصت بناء على التماس قدم منه الى أحد عشر عاما (٤١) .

ولكن لهذه المحاكمة أثرها السيئ في بث الخوف في جميع الأنشطة
الامتلحية الدينية بأرض البوسنة . كما أنها قوت الى حث مركز كبار
الشيوعيين من المسلمين مثل حمدي بورذراك الذي كان في الامكان أن يتقبل

ويقتنع بفكرة الهوية الإسلامية الوطنية ، ما دامت سنظل في جوهرها علمانية . لكن لم يمض وقت طويل حتى قوض أيضا هذا التماثل من السياسة الإسلامية بفعل فضيحة مالية صارخة تسببت في سقوط بوزدراك . وكانت الفضيحة تدور حول مشروع في الركن الشمالي الغربي للبوستة يسمى « أجروكومرك » . هذا مشروع مزودة دواجن في المستعيمات ثم اخذ يتصو في ظل مديرها ذي الموجهة القيادية وبكرت أيديتش

(Bikret Abdic) . بلغ من عظم نموها انه عثفعا واقت سنة ١٩٨٧ كانت تستخدم ثلاثة عشر الف عامل رموظ في المنطقة ، وكانت واحدة من أكبر المشروعات الاستثمارية الثلاثين في يوغوسلافيا كلها . وكان السر وراء نموها انها أصدرت أوراقا تعهدية مالية ذات فوائد عالية النسبة دون ان يساندها راس مال حاضن ، وذلك شيء كان ممكنا أذاك . هنا دامت الأوراق مبهورة ومظهرة بالطعام الرسمي للبنك المحلي . (وواضح ان الخاتم قد سلم الى شركة أجروكومرك بدلا من الاضطرار الى اخذ الأوراق الى البنك) . ولم تكن هذه القصة بالشيء العجيب او الغريب في يوغوسلافيا ؛ ولكن الشيء الوحيد الغريب هو مجرد حجم الضريبة كلها ، حيث بلغت قيمة هذه الأوراق التعهدية خمسة مليون دولار . والأمير كما عبر مصرفي كبير القدر من بلجراد : « ان جميع القاطب رجال البنوك والسياسيين لابد انهم كانوا يعرفون تمام المعرفة ان مشروع الأجروكومرك كان يسحب على المكشوف » . وكان ما فعله أيديتش يتم في كل مكان ، وكانت غلطته الوحيدة هو أن فعل ذلك بدرجة مفرطة . وبالمثل كان كل انسان يعرف أن كبار مسئول الحكومة الوطنية كانوا على صلة بذلك المشروع بما في ذلك بوزدراك الذي كان أخوه حتى مستشارا لمشروع الأجروكومرك . أما أيديتش نفسه فكان عضوا في اللجنة المركزية الوطنية ، ولكنه الآن فصل . وكان بوزدراك يشغل منصبا أكثر هيبة ومقاما ، وهو منصب نائب رئيس يوغوسلافيا ، على أنه استقال في نهاية الأمر ، رغم انه ظل يؤكد براءته (٤٤) .

مع هذا ظل أيديتش شخصية محبوبة من المسلمين العاديين الى أقصى حد ، حيث شتموا أنه بذل جهودا عظيمة في جنب المشروعات ونتحقيق الرفاهية والرغد في البوستان . وكان كثير من الناس على التنازع بأن المسألة كلها اتما دبرتها بلجراد كوسيلة للتصماء على أبرز رجال السياسة المسلمين . وكان أوزدراك نفسه يمد في طبعة المرشحين لرئاسة يوغوسلافيا ، وكان كذلك رئيسا باللجنة الدستورية التي كانت تصعد مراجعة جديدة للدستور ، الذي كانوا يعتقدون في بلجراد أنه سيكون « مناهضا لصربيا » فيما سيأتي به من تغييرات . ومن المؤكد أن الذي حصل

يوزدراك على الاستقالة هو الضغط الذي أنزلته الصحافة ، وبخاصة صحيفة البوربا (L'Orba) . وكانت نتائج ذلك الأمر حشرة رهيبة العاقبة على اقتصاد النمطر الشمالى الغربى من البوسنة ، بما حوى من أغلبية مسلمة كبيرة .

وهذه القصة يجدا فبرها ترمز بطريقتين الى التوتر والامزجاج الذى نكبت به البوسنة ويوغوسلافيا قاطبة عند منتصف الثمانينيات . فأولا كان هناك الانهيار التام للنظام الاقتصادى المتهاك الذى لم يستطع العيش الا على الأموال المقرضة ، حيث ملا البلاد بالمصانع المهولة الجبارة التى كان لا مفر من أن تعمل بالخسارة حتى مع علم سداد الفوائد على القروض التى حولت أقامتها . مثال ذلك أنه قد أقيم فى زفورنيك بالبوسنة الشرقية أعظم مصنع للألومينيوم فى أوروبا ، وهو يستخدم أربعة آلاف عامل - وهو مصنع بنى هناك ومول بالقروض الأجنبية . للاستفادة فيه من خام البوكسيت المحلى ، وما كادت آلات المصانع تعمل حتى اكتشف المديرون أن خام البوكسيت المحلى لم يكن على درجة عالية من الجودة ، وعند حلول عام ١٩٨٧ أصبحوا مضطرين الى أن يستوردوا خام البوكسيت من إفريقيا بدلا من الخام المحلى (٤٣) . ولا يخفى أن نظام تيتو الاقتصادى الذى وصف ادق وصف بأنه « الادارة الذاتية السيئة » - كان فى حالة من الاضمحلال المطلق ، مع هبوط انحدارى شديد وثابت فى الأجور الحقيقية ، ارتفاع فى نسبة غياب العاملين واضراباتهم . وعنفوا عن الزعيم البوسنى الكروانى برانكو ميكوليتش . ونيسا للوراء للحكومة الفيدرالية فى ١٩٨٦ ، وعد بأن ينجز اصلاحات بعيدة المدى ، وأن تخفض درجة التضخم الى عشرين فى المئة . وأدخلت بعض اجراءات التقشف ، فأدى ذلك الى كراهية الشعب للحكومة بوجه عام ، ومنها النظام الفيدرالى كله . بيد أن الاصلاحات المطلوبة فى التبة الأساسية لم تتحقق أبدا ، وبدلا من ذلك قضت الحكومة شهورا طويلة فى البت فى أمور مثل : إمكانية رفع عدد العمال المستحقين فى المشروعات الخاصة الى عشرة عمال لكل مشروع . وفى نفس الحين ارتفع التضخم الى ١٢٠٪ فى ١٩٨٧ ، وإلى ٢٥٠٪ فى ١٩٨٨ . وعند نهاية تلك السنة بلغ دين يوغوسلافيا الاجتبى الكلى ٣٣ بليون دولار ، منها ٢٠ بليون قد وجب سدادها الى دول الغرب بالعملة الأجنبية . وعلى هذا النحو أصبح التراث الطويل الأجل لسياسات تيتو الاقتصادية هو زيادة أعداد الفقراء والساخطين وبذلك تهيأ خير جو لعمل الديماجوجيين الذين كانوا يستغلون هذا الاستياء لصالحهم .

والطريقة الثانية التي كانت ترمز بها مسألة شركة الأجر وكومرك الى نظام نبتو السياسي كله ، تجلّت فيما كشفته من امر طيبة كبار المسؤولين الشيوعيين - اذ مضت عقود عديدة من السنين ومعلم البلاد تحكمه امر محلية متوارثة وهي عائلات من السياسيين جمعت في أثناء الحرب ثروات ميسرة ، وظلت تتلقى الرفعة والرقى من ربح ميكر وتتصل الى مناصب تستطيع منها أن تطور شبكة قوية من الرعايات الشخصية لكل من حولها . قاما الذين حاربوا مع رجال المقاومة الشيوعية (البارتيزان) ، فكان في امكانهم أن يوقعوا المشاركة في تمار مكاسب القوة والسلطة مع تيتو ، طوال المئة الباقية من حياتهم . وقد عبرت إحدى التكتات اليوغوسلافية عن تلك المسألة على الوجه التالي : « ما الفرق بين يوغوسلافيا والولايات المتحدة ؟ » . الإجابة : « أنت في الولايات المتحدة تشتغل أربعين عاما ثم تصبح رئيسا أربعة أعوام ، أما في يوغوسلافيا فإليك تعارب أربع سنوات ثم تظل رئيسا لمدة أربعين عاما » . كانت اسرة «وردراك أبرر» مثل على ذلك في اليوسنة : وذلك نظرا لأن أكبر الأثرة «نوري» انضم الى تيتو في ١٩٤١ وعندهذ ضمن المستقبل السياسي للعائلة ناسرها . كما أن الزعيم السياسي الصربي الأقدر في أثناء السبعينيات والثمانينيات ، وهو ميلانكو رينوفيتسا ، كان هو الآخر يتاجر بسجله التاريخي أثناء الحرب ، لأنه كان أحد القلة من الصربيين الموالين لرجال المقاومة الشيوعية (البارتيزان) في منطقة يقبل عليها طابع الميل الى التشيكتيك .

كان هذا النظام يصل كاسا هو قطاع مترابط من الدوقيات الفروسطية ، وبعب راحته شبك متداخلة من النفوذ والسلطان يشمل بها هؤلاء الأفراد المتميزين بالرضا والقبول أثناء جميع ادوار حياتهم ، شأن أي نظام آخر من الرعاية . كان هذا النظام يستطيع أن يسع المساعدة والرفعة والترقية لمن يستحقون ذلك من الافراد ، ولكن النظام بأكمله كان فاسدا . كما أنه كان يدفع بالبلاد الى الركود . وذلك نظرا لأن الجبن الفتي خاض القتال في الحرب قد تحلى من المعاش والتقاعد . وبرز جيل جديد شق طريقه الى أعلى في ذلك الهرم الأشم ، واخذ يتناور ليلوغ السلطة والقوة ، وهنا سهل عليهم الركود والأمن السياسي العام والاضمحلال الاقتصادي أن يلتصقوا الأوناش التي يستطيعون بها ازالة من يقفون قولهم في الطريق . وكان الاحساس بحياة الأمل عند اليوغوسلافيين المعادين عاما وشائعا بين الناس جميعا . وكان هذا عند الكثير منهم يتخذ شكل الانسحاب من كل نوع من أنواع الحياة السياسية . وفي مؤتمر ١٩٨٧ لخصه المؤسسين الشيوعية ، برزت الشكوى من النظام ، وكان هناك «جنوح متزايد في الشباب الى اظهار السلبية ، وعدم المبالاة

والحياد اظهارا وعكسا لعدم رضائهم عن الأحوال الجارية » (٤٥) .
ومع انهيار الاقتصاد ظهرت انفعالات أو عواطف أخرى في مناطق مختلفة
من البوسنة -

وفي يوليو ١٩٨٨ ، تظاهر الآلاف من عمال المصانع في بلجراد ،
احتجاجا على اجراءات حكومة ميكوليتش التشفية . وحدث بعد ذلك في
انحاء الصيف مظاهرات ضخمة جدا احتجاجا على كبار رجال الحزب المحلين
في فويفودينا والجبل الأسود ، حتى انتهى الأمر في النهاية الى استقالة
المكاتب السياسية بأكملها بكل من الاقليمين في أكتوبر ١٩٨٨ و ١٩٨٩
على التعاقب . والذي دبر هذا الصفط الشخصي واحكم تنظيمه هو الرعيم
الجديد للشبوعيين الصربيين . سلوبودان ميلوشيفيتش ، الذي تمكن
أنفذ من تعيينه اعوانه في المكاتب السياسية . والذي فعله ميلوشيفيتش
هو انه استغل التمر الحقيقي الذي كان يملأ نفوس الناس العاديين من
أبناء فويفودينا والجبل الأسود - الذي تولد من خيبة الأمل في النظام
الشيوعي بأكمله - واستخدمه لنافعه الخاصة . وكان في الحين نفسه
يضغط ضغطا شديدا على المسئولين الشبوعيين في كوسوفو ، بقصد
تحويلهم من المعارضة الى التبعية له ، والواقع أن مقاومة الألبان المحليين
لذلك الضغط الصادر من بلجراد سهّل عليه أن يصور الصليبات في
صورة معان وطنية وقومية ، فزعم بأنها دفاع عن المصالح التوجه الصربية
ضد الألبانيين المتقلبين الفادرين . وفي مارس ١٩٨٩ ، أقرت الجمعية
الصربية ، بناء على طلبه ، تعديلات دستورية ألغت الاستقلال الدائي لكل
من كوسوفو وفويفودينا : وأثار هذا التصرف مظاهرات حاشدة واضرابا .
علما في كوسوفو ، فاحمدتها قوات الأمن الصربية (٤٦) . والآن أصبحت
جميع اجزاء لجة الألفاز في مكانها الصحيح . وقد حل في بلجراد سياسي
طموح تعلم طرائق سياسات القوة وشق طريقه الى أعلى في جسم النظام
كله ، وكان هناك بالفعل شعور عام بانفلق والاستياء والتندر ، جس
الناس يحسون حينئذ شديدا الى قيادة حاسمة ، كما أن أيديولوجية القومية
الصربية ، التي طالت بها خيبة الأمل ، الاضاط ، أخفت تجدها الآن تعبيرا
عنها في سياسة . أرحت ، فويفودينا وكوسوفو الى السيطرة الصربية .
وبدا الأمر كأن هناك طريقتين قد صهرتا احدهما في الأخرى فأصبحتا
شيئا واحدا : جمع السلطة كلهما في يد ميلوشيفيتش . وتجميع
الصربيين في وحدة سياسية واحدة تستطيع اما أن تفلسط وتسيطر على
يوغوسلافيا أو تمزقها ارضا .

الفصل الخامس عشر

البوسنة وهرنية يوغوسلافيا

١٩٨٨ - ١٩٩٢

في اليوم الثامن والعشرين من يوليو ١٩٨٩ اجتمعت عدة مئات الآلاف من الصربيين بموقع معركة جازيستان خارج مدينة برشتينا عاصمة كوسوفو للاحتفال بالعيد السنائي للحركة كوسوفو (١) . وقبل ذلك بفترة أسابيع جرت عملية لاستنارة الضمور القومي في صربيا ، فاستخرجت عظام الأمير لارار الذي لقي مصرعه في الحركة ، وداروا بها دورة كاملة بكل أرجاء البلاد ، حيث أصبحت محجبا للناس جميعا حينما كانت - وفي حوش دير جرانثانكا (جنوب برشتينا) ، يسا كان الناس يحتشدون لتقديم ولائهم وحبهم لعظام الأمير في الداخل ، كانت الاكشاك تبيع اقويات الصور ليسوع المسيح والأمير لارار وسلوبودان ميلوشيفيتش ، وفي الاحتفال الذي اقيم بموقع الحركة اصطحب ميلوشيفيتش معه مطارنة من الكنيسة الأرثوذكسية في صربهم السوداء ، وفتين يرتدون الملابس الشعبية الصربية التقليدية ، وأفراد من شرطة الأمن في ملابسهم التقليدية وهو البذلة السوداء والنظارات الشمسية ، وصاح ميلوشيفيتش وهو يحطب في جماهيره : « اليوم وبعد قرون ستة عدنا ثانية ننشأ ملتجرات ، ورغم أنها ليست معارك مسلحة لكننا لا نستطيع ان نتجنب ذلك حتى الآن » (٢) . وزار الجمهور كله بالاستحسان والموافقة .

ولم يكن ذلك الا نقطة تحول رمزية في تاريخ البلاد اليوغوسلافية . فقد حقق ميلوشيفيتش الآن الشيء الكثير مما أراد . وقد حصل على مكانة ببلاد الصرب لا سبيل الى تحديها ، مكانة شخصية عن طريق خليط من القيصورية والبلافة القومية الوطنية . ولذلك أصبح الآن يسيطر هو الحكومة الفيدرالية على أربعة أصوات من ثمانية : هي صربيا وفويفودينا وكوسوفو والجبل الأسود . ولم يبق عليه الا أن ينزل مقدونيا الى مستوى

التبعية ، لكي يتيسر له ان يعمل ما يشاء مع الحكومة الفيدرالية ، وعندئذ
يمكن إعادة كتابة الدستور الفيدرالي ، لكي يثبت دعائم هيمنته الصرب
ومسيطرتهن .

ومع هذا ، فإن نفس السلبية التي اجتذبت الى هذه الخطوة جعلت من
غير المحتمل أن أجراء يوغوسلافيا التي لم يتمكن من السيطرة عليها
ستتصمق ابداً لمثل هذه الاعادة التنظيمية . فالاحساس القومي الكرواتي
الذي كان يخلل بسوم انتصر منذ القضاء على الانتفاضة الكرواتية في
اوليات السبعينيات لدع لدغة دفعتها الى الحركة والعمل اراء
اشعاش تلك الهوية الصربية في منتصف الثمانينيات . فان ميلوشيفيتش
لم يقتصر فقط على ابقاء ذلك الحظر المفروض على اشكال عميق من
الانتقادات الموجهة للكروات ، بل انه شجعها تشجيعاً ايجابياً بحيث ان
الاعلام الصربي الرسمي أصبح الآن على الصوم يشير الى زعيم الشيوعيين
الكروات ايفيكا رانسمان على أنه « اوستاشا » اي من الحركة الوطنية
الارهابية المتطرفة للكروات (٢) . ومن ثم عادت جميع المراجع الكروانية
القديمة قطعت الى السطح ثانية ، وهي هذا الجو الجديد الذي تحطمت فيه
امحرمات حول الحرب العالمية الثانية ، شرع الكثيرون يحسون بالمرور من
الربط الأوتوماتيكي للكروات بالأوستاشا ، وتلك الكتابات التاريخية
الرسمية التي بالفت بسداجة في الأعداد الكلية لم يقتلوا في كرواتيا
أثناء الحرب . وكانت النتيجة هي ظهور كتابات تدافع عن القومية
الكرواتية بل وعن الأوستاشا فيما بعد ، وكان من مؤلفيها عضو المقاومة
الشيوعية البارز بران القديم ، الجنرال السابق في الجيش اليوغوسلافي
فرانكو توشمان ، الذي كان يريد أن يميز بين الأعمال القديمة التي كانت
تراود الكروات في الاستقلال عن بلجراد وفصلها عن تاريخ الأوستاشا
الذي أصبح نهمة لصيقة بهم . وبفض النظر عن جميع المحاذلات
التاريخية ، كانت هناك مخاوف من المستقبل أيضاً ، كذلك التي تخص
عنها فكر دوبريكا تشوفيتش في يوليو ١٩٨٩ عندما أصر أحد الصحفيين
الذي كان يحادثه أن شطرا كبيرا من كرواتيا ينتمي « التخل عنه أي
جمهورية أخرى » (٤) .

وفي الحين نفسه حصلت أشد الجمهوريات تأثرا بالطابع الغربي
زاستافلا فكريا وهي جمهورية سلوفينيا ، الى أعداد الترتيبات للوقاية
من المراحل التالية من الصربية أو الاقلاية الدستورية المتمثلة التي يديرها
ميلوشيفيتش . ففي سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٩ وضعت مشروع دستور
سلوفيتي جديد ، وحرره قانونيا ، فكانها أعطت لنفسها ولاية تشريفية -

أو بمعنى آخر أنها قالت إن قوانينها الخاصة سوف تكون لها الأسبقية على قوانين الدولة الفيدرالية مع إعلانها سراحة حقها في الانفصال (ه) . وبينما ذلك كله يجري كى الانهيار الدرامى للدولة الشيوعية الكبرى فى شرق أوروبا يملا شاشات التلفزيون ليلة بعد أخرى . ولذا فلن الخط الرفيع من الأحزاب السياسية المستقلة ، التى بدأت فى التكون فى يوغوسلافيا فى ١٩٨٨ أصبح الآن أيضا جارفا . وفى يناير ١٩٩٠ خرج الشيوعيون السلوفينيون من مؤتمر الحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، وبعد ذلك بأسبوعين أطلقوا على أنفسهم اسم حزب التجديد الديمقراطي . وعدت كل من سلوفينيا وكرواتيا الترتيبات لانتخابات تجرى فى ربيع ١٩٩٠ . وفار بهذه الانتخابات فى الجمهورية الأولى انقلاب قوى ليبرالى وفى الثانية فاز الحلف الوطنى الكرواتى الجديد ، الرجال الجدد الكرواتيون الديمقراطيون « بزعماء فراميو موجمل » .

وكذلك غير ميلوشيفيتش اسم حزبه : فاسماه « الحرب الاشتراكى الصربى » . ثم أخذ يتحدث عن اجراء انتخابات متعددة الأحزاب بصربيا . ثم أجلت هذه الانتخابات حتى نهاية العام : وربما لم يملوشيفيتش شئ . من التزعزع بسبب انتعاش شعبيته لفترة فى النصف الأول من ١٩٩٠ ، وربما كان يود أن ينظر حتى تحل أزمة وطنية ، عسى ان يستطيع أن يصادق دوره بوصفه « المنقذ » لصربيا . ولما كان يملك الإداعة والتلفزيون الصربى ، وضمهما تحت سيطرة محكمة ، وليس هناك الا الخطر الضئيل فى فقدان الانتخابات الجيدة التخطيط . ولكن أصبحت الحاجة واضحة فى النصف الأول من ١٩٩٠ الى أن « يسلط » (بتدمير وكسر الدال) استراتيجيته ويصبغها بالمصرية . فحتى الآن ظل يواصل هدفه الأثير الأول : وهو الوصول الى السيطرة على يوغوسلافيا عن طريق الهياكل الموجودة للحزب الشيوعى والحكومة الفيدرالية . بيد أن هذا الاحتمار قد أفلت من قبضته بسبب تفكك الحرب الشيوعى والتقسيم « الرأسى » للسياسات اليوغوسلافية الى مجموعة من الأحزاب القومية بين الجمهوريات المختلفة . غير أن ذلك خلى بينه وبين اختياؤه الثانى : فأن لم يمكنه السيطرة على يوغوسلافيا كملكية مفردة فإنه سيشكل منها كيانا جديدا ، يكون قطرا صربيا موسعا . بصح له وله حله . وقضى رجال السياسة فى سلوفينيا وكرواتيا شطرا كبيرا من ١٩٩٠ وهم يتراقصون ويتحاجون فى طلب اتفاق سلمى يقوم على المفاوضات لنقل نظام يحول يوغوسلافيا من دولة فيدرالية الى دولة كونفيدرالية - وأعى بذلك أن تتحول من دولة يكون فيها القانون الفيدرالى والمؤسسات الفيدرالية هو الأساسى الى دولة تكون فيها الجمهوريات هى التى تسلك بقبضتها بالسلطة

الحقيقية . بينما المؤسسات العيدالية لا تقوم ببساطة الا بدور وكالات الربط والتنسيق - ولكن ميلوشيفيتش لم يبد أى اهتمام بتلك الخطط .

وجاءت أولى الملامات الواضحة على استراتيجية ميلوشيفيتش بمسألة نيس (Nis) في كرواتيا وهي جزء من الحد العسكري القديم بمنطقة « كرايما » التى بها غالبية السكان من الصرب . واستعدادا للانتخابات الكرواتية في أبريل ١٩٩٠ نظم هؤلاء الصرب أنفسهم فيما أسماه « حزب الصرب الديمقراطي » . والرأى أن ميلوشيفيتش شعر منذ البداية بشئ من الانحياز بهذا التطور ، ولكن يبدو أنه كان بمبادرة محلية ، تعبيرا عن محاولات الصرب المحليين من أن ينفذوا هويهم الثقافية في كرواتيا الوطنية الجديدة . وراح بعض أعضاء الحزب الأكثر تطرفا . في ترويديه اصدااء الدعاية المضادة من بلجراد ، يصرحون بأنهم اضطروا للدفاع عن أنفسهم ضد « دولة الأوساينا » - وهي إشارة تحيى في المقام الأول الى الراية الكرواتية الشبيهة بمرمحات لوحة الشطرنج . التى كانت بالفصل رمزا للأوساينا ومع هذا ، فقد كانت أيضا الراية الوطنية الكرواتية أحد مثاب السنين . وبعد الانتخابات ، عندما شرعت الحكومة الجديدة في طرد الموظفين الشيوعيين من مناصبهم ، علم الصبيحة بأن الصرب انما يطردون من أعمالهم رمزا . ولما كانت نسبة الصرب العاملين في الجهاز الحكومى بكرواتيا تعوق مستهم الحقيقية في عدد السكان (ويشكلون ما يقارب ٤٠٪ من أعضاء الحزب الشيوعى و ٦٧٪ من قوة الشرطة) ، فلم يكن بد من أن يظهروا في عمليات الفصل بصورة غير متناسبة اطلاقا ، ولا شك في أنه حدثت بعض المحاولات الجائرة لتصعيد الاتحاد القديمة أيضا .

ومع هذا ، فإنه حدثت في صيف ١٩٩٠ أن راس حرب الصرب الديمقراطى في كيب زعيم متطرف يبدو أنه كان على اتصال وثيق مع ميلوشيفيتش . وعقد استفتاء محلى في أغسطس على « الاستقلال الدائى » للصرب . حيث خرج الصرب في تحد للحكومة الكرواتية التى اعتبرته غير قانونى ، وبدأ جند ميليشيا صربيون مسلحون يظهرون في شوارع كيب . وكان يساعدهم ضباط من حامية الجيش الفيدرالى (وكان

قائدهم العام الجنرال راتكو ملاديتش Ratko Mladic) . وحاولت السلطات الكرواتية أن تصادر امدادات الأسلحة الخاصة بوحدة الاحتياط من اليوليس المحل ، وعدته عند الصرب ، وقد ابلغهم زعمائهم ووسائل الاعلام في بلجراد بأن « الأوساينا » يخططون لذبحهم ، لطلب الحماية من الجيش الفيدرالى - وحدثت فقاقل شديدة ، واطلعت النار على رجال الشرطة الكرواتية - وفي يناير ١٩٩١ كان زعماء الصرب

المحليين يصفون المنطقة بأنها منطقة « كرايينا الصربية المستقلة ذاتيا » ،
 واحتفوا يشككون « برلمانهم » الخاص - وبعد ذلك يشعرون حاول مسلحون
 من كرايينا ان يستولوا على حديقة بليغيس القوية ، وهي أهم مكان
 يصدده السياح في داخل كرواتيا : وكان هذا بعد تحديا مباشرا ومتصفا
 للحكومة الكرواتية - وحدث اطلاق نار مع الشرطة الكرواتية - وعندئذ
 امرت القيادة الفيدرالية قوات الجيش (رغم اعتراضات كرواتيا القوية)
 باحتلال الحديقة « لاعادة السلم والنظام الى مصابه » (٦)

وهذه الاحداث التي حدثت في الجانب الآخر من حدود البوسنة
 الشمالية الغربية جديرة بأن ينظر اليها في شيء من التفصيل ، لأنها تشكل
 « مسودة » لما تم فعله في البوسنة ذاتها فيما بعد - بعد اتبعت هنا ثلاثة
 اساليب ، كان الأول منها هو تبني الاعالي الصرب سلسلة متواصلة من
 الاكاديم والاشاعات وبث الرعب والخوف في قلوبهم من خلال وسائل
 الاعلام السياسيين المحليين : فكل عمل تقوم به حكومته توجمان يعرض
 على الناس في صورة عمل ارهابي « للأوستاشا » - (ويبقى لنا أن نوضح
 ان بعض اجراءات الحكومة الكرواتية كان فيها شيء قليل من الغلظة ،
 مثل اصدار الامر بحدف علامات للطريق بالحروف السيريلية ، يسا
 اشهدت الحكومة البوسنية تراجع لاستمالة الصرب من سكانها) - والطريقة
 الثانية كانت لسلوبا نموذجيا يمكن العثور عليه في الكتب والمراجع
 الخاصة بحرب العصابات : وهو اسلوب « تعرض القرى للخطر » ، مثل
 الذي كانت تستعمله المقاومة الفرنسية والقيبت كونج وما لايمكننا حصره
 من حركات حرب العصابات الأخرى - وكان هذا الاسلوب يعتمد على
 اصطناع حادثة - مثل اطلاق النار على عربة شرطة خارج قرية معينة حتى
 يدهمها رجال الشرطة ، ثم توزيع الأسلحة على السكان ، وتحذيرهم من
 ان الشرطة تخطط للهجوم عليهم - وعندما تصل الشرطة المسرح فلا ،
 يكون من السهل مشوب معركة ، وبذلك تصبح قرية بأكملها ، وهي بريئة
 في السابق تماما من كل ذلك - متصدة تماما الى جانب الثوار -
 اما الاسلوب الثالث فكان حيلة بسيطة - بل كان حيلة مكشوفة الى أقصى
 حد : وهي افادة أعمال عنف ثم طلب تدخل الجيش بوصفه حكا غير
 متحيز - بينما كان من الواضح تماما ، أنه انما كان في الحقيقة يعمل لصالح
 ميلوشيفيتش والصرب ، نظرا لولائه للجوراد وديمومة القيادات
 الصربية عليه .

وهذا الاستطلاع من الرقعة الكرواتية ، الذي بدأ قبل سنة من اعلان
 الكرواتيين استقلالهم في يوليو ١٩٩١ ، كان يعرض الى أقصى حد على

ادعاء أن الصرب في كرواتيا كان يتوهمهم نظام « الأوستاشا » ، لما في البوسنة فلم تكن هناك امكانية لجعل مثل هذا الادعاء يبدو مقبولا . ومن ثم وجب ان يتتبع نوع آخر مخالف من التهديد للصرب ، فبدلا من التلويح بخطر « الأوستاشا » ، حددوا الصرب البوسنيين من خطر الاصولية الاسلامية . ومن الضروري لنا الآن ان ننظر نظرة موجزة الى كيف ان امكانية هذا الادعاء نشأت وكيف كانت زائفة كاذبة .

ففي البوسنة كما في معظم الجمهوريات الاخرى كان الحزب الشيوعي قد انحلت عراه في اواخر ١٩٩٠ ، وتشكلت مكانه مجموعة من الوطنيين او الاحزاب الوطنية . ومنذ عام ١٩٨٩ فصاعدا كانت القوميات المجاورة في كل من صربيا وكرواتيا قد أصبحتا وجودين مخيفين ، ولم تكن تحجب عن الاعين الطموحات الكبرى لميلوشيفيتش وتوجهمان . اذ كان ميلوشيفيتش داعية صريحا لمشروعات الجامعة الصربية السياسية التي وضعا تشوسيتش والاكاديمية الصربية ، وكان توجهمان مؤمنا بأن معظم المسلمين البوسنيين « من أصل كرواتي » ، وأن البوسنة وكرواتيا تشكلان كيما جغرافيا واقتصاديا لا سبيل الى تقسيمه « (٧) » . وفي خريف وشتاء ١٩٨٩ أخذ كبار الموظفين البوسنيين يبدون مخاوفهم من أنه سيحدث الوقت الذي تضطر فيه كل من صربيا وكرواتيا الى ان تميدا فيه رسم الخريطة . وفي مارس ١٩٩٠ اجتمع مجلسا الجمعية الوطنية البوسنية في دور انعقاد مشترك للتهديد بمكرة ادخال اي تغيير على حدود البوسنة . ومع ذلك ، فإن الموقف لم يكن متعادلا بين الصرب والكروات . وكان هناك احساس واضح بأن ميلوشيفيتش هو الذي كان يقود التيسار ، وكانت السياسة الرسمية لحرب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي تمارس تباعا فكرة ادخال تغييرات على الحدود . وذلك ظرا لمرقتها بأنه متى سمح بحلول هذه الفكرة ، فستكون حدود كرواتيا اول من تقاسى . ولكن الدعاية المصوية التي أخذت تروج لها بلغراد ، حول « تعرض الصرب في البوسنة للخطر » ، والتي بدأت أيضا في صيف ١٩٨٩ ، كان من شأنها أن جمعت كلا من البوسنيين الكروات والمسلمين في صف واحد وجعلت الصرب في الصف المهاد . ولما تأسس حزب كرواتي في البوسنة في اكتوبر ١٩٩٠ ، فإنه لم يكن الا فسيلة نبتت من شجرة حزب توجهمان الاتحاد الديمقراطي الكرواتي ، وكانت سياسته الرسمية المعلنة هي الاحتفاظ بتخوم البوسنة سليمة لا يمسها سوء . على أنه عندما أسس حزب صربي في البوسنة في يوليو من تلك السنة ، أسمى نفسه الحزب الديمقراطي الصربي - وهو نفس الاسم الذي كان يدعو للاستقلال الذاتي ، في كرايتنا الكرواتية والذي كان على أهمية التمرد الصريح (٨) .

وفي مايو ١٩٩٠ تأسس الحزب البوسني المسلم الرئيسي الذي
 يسمى نفسه « حزب الحركة الديمقراطية » ، وكان رعيته هو علي عزت
 بيجوفيتش ، الذي اطلق سراحه في عام ١٩٨٨ - ولما كان المتهم الرئيسي
 في أشهر محاكمة جرت في ذلك العقد ، فانه كان المرشح والمختار الطبيعي
 لحزب البوسنة الاسلامي الاول - فيما بعد الشيوعية - « اللاتشيوعي » -
 (والواقع انه عندما أصبح في النهاية رئيسا للحكومة البوسنية ، فانه كان
 الوحيد من بين رؤساء الحكومات فيما بعد الشيوعية في أي من الجمهوريات
 اليوغوسلافية ، الذي لم يكن أبدا مستولا في الحكومات الشيوعية
 السابقة) - والآن وقد وضع صلحو البوسنة بين المطرقة والسندان
 للقومية الصربية والكرواتية ، فانهم تعرفوا بطريقتين مختلفتين : فانهم
 قورا قوميتهم المسلمة بالتركيز على أكثر السمات المميزة لهويتهم وهو
 الحقوم الديني فيها - كما اكثروا أهم يؤيدون الاحتفاظ بطابع التميز
 للبوسنة بوصفها جمهورية متعددة القوميات والاديان - وتم التمييز عن
 المنصر الديني في ذلك الرمز العام لحزب الحركة الديمقراطية برأيانه
 الخضراء ذات الأهلة ، أما المنصر التمدي فقد تم التعبير عنه في برامج
 ومناهجه - وبالمطلع تصادم هذان المنصران في سبتمبر ١٩٩٠ قبل اجراء
 الانتخابات البوسنية بثلاثة أشهر ، عندهما انشقت من حزب الحركة
 الديمقراطية ، المليونير العائد من الخارج عادل دو الفقار باشيتش ، ليؤسس
 حزبه الخاص وهو « المنظمة المسلمة البوسنية » ، وهو حزب له برنامج
 غير ديني واضح ومقصود - وعلى الرغم من التسمية الصريحة للدلالة
 لحزبه الجديد فان دا الفقار باشيتش كان يحاول أن يضع اسس سياسات
 جديدة للبوسنة تبعدا عن الطائفة ، يسوت فيها الناس باختيارهم القام
 على برامج سياسية (ليبرالية او اشتراكية او أي شيء آخر) وليس لمجرد
 النسب لابرار هويتهم القومية - وكان هذا - كما أوضح ذلك على عرب
 بيجوفيتش نفسه - طموحا غير واقعي في ذلك الوقت ، حيث كاشف
 أحد الصحفيين بقوله :

لقد خلق الشيوعيون بما ازلوه بالناس من المظالم هذا التطلع الى
 التعبير عن هويتهم الدينية أو القومية ، ولعلنا نستطيع في مدى
 أربع سنوات أو خمس أن نغير حقل الانقسام الى أفان المجتمع المدني
 الطادي - اما الآن ، لسوء الحظ ، فلا مفر أمام حزينا من أن يكون طائفا -
 فالأحزاب التي تحاول أن تمثل كل أسنان وكل فرد صغيرة وضعيفة -
 وهناك خطر حقيقي من نشوب حرب أهلية هنا ، وهذا الأساسي كحزب
 هو أن نحافظ على تجمع البوسنة والهرسك معا (٩) -

ولكن عزت بيجوفيتش كان بطبيعة الحال متطابقا شخصيا مع
 المنصر الديني ، للهوية الدينية او القومية ، فالرسالة التي استجتمت
 اسما للثمة الموجة اليه في عام ١٩٨٢ ، وهي : الاعلان الاسلامي ، اعيد
 طبعها في سراييفو في عام ١٩٩٠ ، وربما ظن بعض القراء أن نشر الاعلان
 كان نوعا من البيان الشخصي والدعاية للانتخابات البوسنية ، على أنه
 كثيرا ما كان يقدم على يد ارباب الدعاية الصربية على أنه مسودة لتحويل
 البوسنة الى دولة اسلامية اصولية ، رغم انه لم يكن يحوى حطة من هذا
 النوع .

فهذه الرسالة المكتوبة في السنينيات ، انما هي بحث عام في
 السياسة والاسلام موجهة الى العالم الاسلامي قاطبة ، وهي لا تدور حول
 البوسنة بل انها حتى لم تذكر اسم البوسنة ابدا . ويبدأ عزت بيجوفيتش
 بعنصرين اساسيين هما المجتمع الاسلامي والحكومة الاسلامية ، والحكومة
 الاسلامية كما قال : لا يمكن ادخالها ما لم يكن هناك من قبلها مجتمع
 اسلامي ، وهذا المجتمع الاسلامي لا يمكن أن يقوم الا اذا كانت الغالبية
 الساحقة المطلقة من المسلمين الصادقين المحلصين المتمسكين بدينهم .
 وبدون هذه الغالبية يتحول النظام الاسلامي الى مجرد سلطة (لأن المنصر
 الثاني وهو المجتمع الاسلامي ، غير موجود) ، وفي الامكان أن يتحول الى
 حكم استبدادي طاع ، (١٠) - وهذا الشرط كان يلغى انشاء حكومة
 اسلامية في البوسنة ، حيث كان المسلمون اقلية - سواء المسلمون منهم
 بالاسم ، او المتدينون منهم . ومن ثم تفقد طبيعة النظام السياسي
 الاسلامي ، وهو موضوع الرسالة ، غير ممكنة التطبيق على البوسنة
 أيضا . وعندما يقول عزت بيجوفيتش مثلا (وهي جملة طالما رددتها أيضا
 انصار الدعاية الصربية على طريقة « ولا تقربوا الصلاة ») ، انه لا سلام
 ولا تعايش بين العقيدة الاسلامية وبين المؤسسات الاجتماعية والسياسية
 غير الاسلامية ، فهو اما يشير الى دول ، على العكس من البوسنة ، يسود
 فيها المجتمع الاسلامي ، ويدفع بأنه حيثما كانت الغالبية من السكان من
 المسلمين الصادقين الايمان ، فانهم لا يستطيعون أن يقبلوا أن تفرض عليهم
 مؤسسات غير اسلامية (١١) - وليست هناك الا فقرة واحدة في الرسالة
 بالكامل تنطبق بطريق مباشر على الوضع السياسي لمسلمي البوسنة :
 « ان الاكليات الاسلامية في داخل مجتمعات غير اسلامية ، تكن الولاة
 نحر تلك المجتمعات وتلتزم بما يلتزم به افرادها الا ما يؤذى الاسلام
 والمسلمين مادام هناك ضمان بحرية العقيدة وبالحياة السوية والتطور
 الطبيعي » (١٢) .

وبعض الحجج الواردة في هذه الرسالة ، التي وصفت بأنها « أصولية » ، إنما هي بسط للعقيدة الستية السوية التي لابد لكل مسلم مخلص أن يوافقها - وهكذا يكتب عزت بيغوفيتش : « ان دولة اسلامية لابد لها من أن تمنع شرب الخمر والاباحية والبغاء » ، وهو يدعي بأن الاسلام ليس مجرد مجسوة من المعتقدات الخاصة ولكنه أسلوب حياة كامل له أيضا ابعاد اجتماعية وسياسية ، كما انه يصر على ان الحقوة العامة بين المسلمين المؤمنين في جميع ارجاء العالم أي « الأمة الاسلامية » تملو فوق كل حدود قومية (١٣) - وليس في هذه النقاط نقطة واحدة يمكن وصفها بأنها أصولية متعصبة - ونفس مصطلح « الأصولية » كلمة فضفاضة تسمح بانطباعات عدة : وهو مصطلح لا يستخدمه كثيرا علماء الاسلام ، عندما يحاولون التمييز بين أنواع الحركات الاسلامية المختلفة من المحافظة الحديثة والراديكالية والمضادة للصيرية التي تتراوح بين المذهب الرواحي التقليدي الاتجاه والأيديولوجية الثورية لايران آية الله الخميني (١٤) - وبدلا من ذلك فإن مصطلح « الأصولية » إما يستخدمه بصفة رئيسية رجال السياسة والصحافة ليحشروا فيها عددا من الخصائص بعضها فوق بعض - ومن بسها التطرف السياسي ، وهو الاعتقاد بأن النهاية من انشاء الدولة أو السلطة الاسلامية تبرر استخدام أية وسيلة وكل وسيلة - ويرفض عزت بيغوفيتش هذا الاعتماد صراحة وجهازا ، ويهاجم فكرة الاستيلاء على السلطة بنية خلق مجتمع اسلامي من اعل - والنقطة الرئيسية في حججه هي أن « في الامكان خلق مجتمع اسلامي (بين سكان تكون غالبيتهم ، على الأقل ، من المسلمين) ، وذلك فقط عن طريق عملية طويلة من التربية الدينية والالهام الأخلاقي (١٥) »

وهناك سمة مميزة أخرى لمصطلح « الأصولية » الفضفاض وهي إبداء عداوة سياسي وثقافي شرس نحو الغرب - ولم يمت عزت بيغوفيتش أن ينتقد ما أحدثه أتاتورك من علمنة في تركيا ، وهو أمر يرى فيه أنه أسس على افتراض أن كل شيء اسلامي كان من الناحية الثقافية رجيا وبدائيا ، كما أنه يهاجم بشدة « دعاة الاستفراق والتحديث التقنيين » ، وهم الذين يطبقون سياسة مشابهة لهذه بإمكانة أخرى من العالم الاسلامي (١٦) - على أنه مما لا شك فيه أن موقعه العام في هذه الرسالة لا يتضمن بنة ضد الحضارة الغربية بآية حال - فإنه كتب يقول : « ان الاسلام منذ ابتداء تأسيسه قول دون أدنى تعامل - عملية كبيرة هي دراسة وتجديد تراث الحضارة الذي ورثه من الحضارات الأقدم منه » ولذا ، فلسنا نرى لماذا يتخذ الاسلام اليوم موقفا مخالفا لتجزات الحضارة الأوروبية وأمريكية ، التي هو على اتصال عريض جدا بها (١٧) - ولم تلبث وجهات نظر عزت بيغوفيتش

في هذه المسائل أن عرضت بإيجاز أكبر في كتاب أطول وأهم ، ألفه في أوليات الثمانينيات ، وسماه « الإسلام بين الشرق والغرب » *Islam Between East and West* وفيه حاول أن يقدم الإسلام على أنه نوع من التوافق الروحاني والفنني والفكري ، يضم بين دفتيه كل القيم السائدة في أوروبا الغربية ، ويحتوي الكتاب على صفحات شديدة البلاغة في أطراف من عصر النهضة (شاملا التصوير) والأدب الغربي الأوربي ، وهو يصف المسيحية بأنها « شبه اتحاد بين السما الديني والسما الأخلاقي » ، كما أنه يحتوي أيضا على فصل خاص يطرح فيه الفلسفة والثقافة الأنجلوساكسونية ، ويثني على التقاليد الاجتماعية - الديمقراطية (١٨) - وما من شك في أن أصوليا كان يستطيع أن يكتب هذا .

وعندى أن الحديث عن تهديد بغيام الأصولية في البوسنة كان على كل حال غير صحيح بصفة خاصة ، وذلك لأن المسلمين البوسنيين كانوا عند تلك اللحظة من بين أشد الأمم المتطبعة بطابع علماني في العالم كله . نعم أن محاولات صغيرة الحجم ومتباعدة لاثارة الاضطرابات الأصولية في البوسنة ، قد حدثت دون أدنى ريب في ثمانينات القرن العشرين : فإن تقريرا صدر في صحيفة متطرفة مقرها في لندن يملأ بغرور وكبرياء أن هذا الاضطراب قد « أشعل جذوة الإسلام والهم مئات من المسلمين البوسنيين » (١٩) . ولكن التنصيص ، حتى وإن كانوا بالمثلثات ، لا يمكن أن يكون لهم إلا أدنى تأثير على مجموعة من السكان يرمو عددهم على مليونين من المسلمين ، أغلبهم لا يرى في الإسلام سوى نوع من الثقافة والتقاليد الموروثة . وقد أجرى استقصاء في ١٩٨٥ بين أن نسبة المؤمنین يبلغ ١٧٪ في البوسنة (٢٠) . ولا نسي أن فتودا متفردة من التسليم والثقافة الشيوعية السياسية دعمت بشدة ذلك الاتجاه . ومن العوامل ذات الأثر أيضا ذلك التضرر النامي الذي حدث للبوسنة . وإن جاء تباطؤا إلى حد ما في بداية الأمر ، ففي الثمانينيات كانت ٣٠٪ من الزيجات في مناطق الضرر « زيجات مختلطة » بين دينيين . وفي كثير من المناطق الريفية المسلمة ولدى الأغلبية الساحقة من سكان المدن ، أصبح معنى كلمة مسلم دل طريقة مبسطة جدا على مجموعة من التقاليد الثقافية : « الأسماء الإسلامية والختان والقلادة والاحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر ، ودعوة اثنين ليقتص شعر الطفل متى بلغ السنة الأولى ، وشرب القهوة في أقذاح صغيرة بلا أذان والشفقة على العناكب ، وغير ذلك من مختلف الممارسات التقليدية » التي كثيرا ما يكون الأصل فيها مجهولا لمن يمارسونها « (٢١) » . ويدهى أن برنامجا « أصوليا » ما كان يمكن على الإطلاق أن يتبناه أي حزب يكون عليه أولا أن يحصل على أصوات هؤلاء المسلمين أسما ، ثم يعود بعد

ذلك لينشئ تحالفا مع واحد على الأقل من الحزبين العميين الآخرين في البلاد .

وعندما أصبحت الأصوات توطئة لانتخابات ١٩٩٠ ، فاز حزب عزت بيجوفيتش ستة وثلاثين مقعدا من بين المائتين والأربعين المنتخبين في المجلس . كما أن مسلمين آخرين كان من بينهم حزب ، ذو الفقار باشيتش ، فاروا بثلاثة عشر مقعدا أخرى . أما الحزب الديمقراطي الصربي ، الذي يترعّمه الطبيب النفسي رادوسلان كاراديتش

٧
(Radovan Karadzic وأصله من الجبل الأسود) ، فقد فاز بـ اثنين وسبعين مقعدا . وقد دعا في حملته في شيء من الغوص إلى الدفاع عن حقوق الصربيين ولكنه لم يقل شيئا حول تقسيم البوسنة حتى ولا بالوسائل السلمية ، ماهيك في الحرب . ومن ثم فأننا نستطيع أن نستبعد فكرة أن هذه الانتخابات التي هيأت الدكتور كاراديتش بدرجة ما أن يسمى نفسه « زعيم الصربيين البوسنيين » قد أعطته أي سند ديمقراطي لأعماله اللاحقة . (وفي الحقيقة فإن كثيرا من الصربيين لم يطوّه أصواتهم ، كما أن المجلس كان به ثلاثة عشر صربيا آخر من غير أعضاء حزبه) . أما حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي فقد حصل على أربعة وأربعين مقعدا . وفي المجموع الكلي كان هناك ٩٩ مسلما ، و ٨٥ صربيا ، و ٤٩ كرواتيا ، و ٧ يوغوسلاف ، ولو نظرنا إلى هذه النسب (٤١ / مسلمين ، و ٣٥ / صربيا ، و ٢٠ / كرواتا) ، لوجدنا أنها تضاهي إلى حد ما نسب كل السكان (٤٤ ٪ ، و ٣١ ٪ ، و ١٧ / على الترتيب) (٢٢) . وشكك عزت بيجوفيتش ما كان في حقيقة الأمر حكومة وحدة قومية ، مكونة من تحالف رمسي بين جميع الأحزاب الكبرى الثلاثة ، وتقسيم الجميع المناصب الوزارية . وكان من دلائل صدق عزت بيجوفيتش ولعائته ، أنه أثر هذا الوضع ، بينما كان يستطيع أن يحكم البلاد بطريق تحالف إسلامي كرواتي ، ولكن أصبح واضحا منذ اللحظة الأولى في حياة هذه الحكومة أن الحزب الصربي قد وضع جدول أعمال مختلفا تماما .

كان الموقف العام في السياسات اليوغوسلافية عندما تولت حكومة عزت بيجوفيتش زمام الأمور في نهاية ١٩٩٠ شديد التوتر . وبما زاد الأمور تعقيدا ، أن اشتمت وفاة الكفاح بين صربيا من ناحية وسلوفاكيا وكرواتيا من ناحية أخرى ، في النصف الثاني من السنة إلى حد أن صربيا فرضت رسوم استيراد في أكتوبر على السلع المستوردة من هاتين الجمهوريتين . وكذلك أصبح من الواضح تماما أن ميلوشيفيتش استولى

بجرة قلم على شطر كبير من الموارد اليوغوسلافية الفيدرالية وأنفقها على صربيا ، وبذلك سوف خطة الإصلاح الاقتصادي التي كان يحاول بها أنقضى ماركوفيتش (Alue Markovic) رئيس الوزراء الفيدرالي التحكم في التخصيم الاقتصادي المبروخي المترايد في البلاد - وفي ديسمبر ١٩٩٠ عقد السلوفاقيون استفتاء مداره : هل تصبح الجمهورية دولة منفصلة وذات استقلال ذاتي ، واشترك في التصويت أكثر من ٩٠٪ من الناخبين ، وكانت النتيجة ٨٩٪ مؤيدة للاستقلال (٢٢) ، وذهب بعض السياسيين الغربيين في ١٩٩١ - ١٩٩٢ الى آراء مبهمه أرجحت حركه «سلوفينيا نحو الاستقلال الى » الضغط ، الألماني ، ولكن جميع المراقبين المتحايدين في سلوفينيا في ذلك الوقت ، كماوا يرون بوضوح تام أن الضغط الذي كان يعمل الحيلة الاقتصادية والسياسية للسلوفاقيين «متحيلة في إطار الاتحاد اليوغوسلافي في لحريات ١٩٩٠ كان آتيا من طجرد مباشرة »

وفي اوليات ١٩٩١ كان ميلوشيفيتش يقول علنسا انه لو بدلت أية محاولة ليحل محصل البناء الفيدرالي ليوغوسلافيا ترتيب كوفيدرالي فعضاى فانه سيسعى الى ضم مناطق كاملة من كرواتيا والهرسنة - ومع هذا فانه في الوقت نفسه ، بدلا من أن يدافع عن الوضع القائم الفيدرالي ، اخذ يدمر بالعمل المستور الفيدرالي - ففي يونيو ١٩٩٠ التي من جانب واحد المجلس الاقليمي في كوسوفو منخفضا وضع الاقليم الى أقل من بلدية ، لكنه ظل محتفظا بممثل لحكومة كوسوفو المحلية التي أصبحت غير موحدة آنذاك ، في الرئاسة اليوغوسلافية الفيدرالية ، وفي مارس ١٩٩١ وقد أزعجته مظاهرات الطلبة المضادة له في بلجراد ، حاول أن يجبر الرئيس الفيدرالي ، بوريسلاف جوفيتش (Borislav Jovic) ، على أن يملى حالة الطوارئ في كل أنحاء البلاد ، وعندما رفض جوفيتش هذا الطلب دمر ميلوشيفيتش استقالته على سبيل التلاعب ، كما طرد بالقوة ممثل الجبل الأسود وفوفودينا وكوسوفو ، وعند ذلك ذهب ميلوشيفيتش الى انليغزيون ليعلم أن صربيا لم تعد تطيع أوامر الرئاسة الفيدرالية . وبدأ الأمر لمدة يومين كاملين وكانما انقلابته الدستورية قد دخلت في مرحلتها الأخيرة - ولكن الذي حدث آنذاك هو أن جوفيتش عاد ببساطة الى منصبه . ثم تراجع ميلوشيفيتش من حافة الهاوية كما أنه أقام ، بطريقة غير قانونية ، على تعيين « ممثل » جديد لكوسوفو في مجلس الرئاسة . وكما لاحظ برانكا ماغاش (Branka Magas) في ذلك الوقت : « فإن ذلك الرجل الحديد ، سيدو بايراموفيتش (Sejdo Bajramovic) ، شخصية عجيبة جدا ، حتى بالنسبة للسياسيين الغربيين الحديثين :

حيث لم ينتخبه إلا ٠.٠٣٪ في دائرة الانتخابية ٠٠ أن ذلك الجاويش
للتقاعد من الجيش لا يشتهر بشيء إلا أحماته التومبولا ، (٢٤) .

وكان مركز الحكومة البوسنية منطقيًا . ولكنه خرج مع ذلك . ففي
أية دراسة أو مناقشة كانت تجري حول تغيير البند الفيدرالي . وتحويله
إلى كونفيدرالية فضفاضة . كانت البوسنة تنضم إلى جانب سلوفينيا
وكرواتيا وهما قضطان في سبيل التغيير . وذلك لأنها هي الأخرى كانت
تريد أن تنفص من نطاق تسلط وسيطرة بلجراد على يوغوسلافيا . ولكن
في الوقت نفسه لم يكن في مستطاع البوسنة أن تساعد سلوفينيا وكرواتيا
إلى آخر المدى في هذه المناقشات والمجادلات . فإن أحتمال تخليد تهديد
حاتين الجمهوريتين فعلا بالانفصال عن يوغوسلافيا . كان شيئاً شديداً
الازعاج لحظم البوسنيين . وذلك لأنهم عندئذ كانوا سيتركون معهم
جمهورية أخرى ضئيلة هي مقدونيا . تماماً تحت أصبح صربيا .

وبينما كان عزت ييجوفيتش يحاول أن يقوم بأداء هذه الخدمة
التوازنية الصعبة . في أثنائه النصف الأول من ١٩٩١ . راح الصرب
يهودون مستقبل كل من كرواتيا والبوسنة علانية . فهناك منظمة
« الكرايينا المستقلة ذاتيا » والتي أقامها الحزب الديمقراطي الصربي
في كرواتيا وقد أصبحت لديها نزعة عسكرية أكثر في مطالبها . كما أنها
أصبحت مسلحة تسليحاً أكثر على يد صربيا . وفي مايو شرع الحزب
الديمقراطي الصربي في البوسنة يطالب بتسليم أجزاء ضخمة من شمال
وغرب البوسنة . وهو أمر يلمته عندئذ إلى ضمنها إلى « الكرايينا » الكرواتية
لتتكون منها جمهورية جديدة . وأعلن الحزب الديمقراطي الصربي أن
ثلاث مناطق من البوسنة يطلب فيها المنصر الصربي من السكان أنها هي
« مناطق صربية ذات استغلال ذاتي » . متبعا في ذلك بالسيط نفس
الطريق الذي اتبع في الصيف السابق في كرواتيا . ولم يرض بعد ذلك
زمن طويل . حتى قام حزب صغير في كرواتيا هو حزب الحقوق الوطنية
المنطرف . يطالب بأن تنضم كرواتيا إليها كل البوسنة . وهما زاد الطين بلة.
أنه حدثت في يوليو ١٩٩١ شواهد تدل على أن تهريباً سرياً للسلاح إلى
الصربيين البوسنيين جرى بترتيب من ميلوشيفيتش ووزير الداخلية
الصربي ميهال كيرتس (Bibak Kertan) وزعيم الحزب الديمقراطي الصربي
البوسني رادوفان كاراجيتش (٢٥) . وجاءت البيانات التي تؤكد ذلك في
أغسطس . عندما سح رتيس الورداء الفيدرالي المتطرح - أنتي ماركوفيتش .
بإذاعة تسجيل لمحادثة تليفونية سمع فيها ميلوشيفيتش وهو يخبر
كاراجيتش . بأن دفعة الأسلحة التالية سيتمدها بها الجنرال نيقولا أوزيلاك

(Stjepan Urošević) قائد الجيش الفيدرالي في يانينالوكا (١٩٦٦) - ولم يجد هناك مجال للشك آنذاك في أن أعمال كرايجيتش كانت تدار خطوة بخطوة ، من الرئيسى الصربى نفسه : بل لقد بلغ به الأمر أن قاخر لصحفي بريطاني أنه « يتبادل الحديث التليفونى مع ميلوشيفيتش عدة مرات كل اسبوع » (٢٧) .

وعند ذلك كانت قد بدأت في يوغوسلافيا حرب على نطاق واسع . وكانت القصة الأخيرة لسلافينيا وكرواتيا قد تشكلت في رفض صربيا في مايو تقبل الكرواتى شتيبى ميسيتش (Stjepan Mesić) لتولى الرئاسة المؤقتة للجمهورية الفيدرالية - وبذلك أصيب النظام الفيدرالى ، الذى كانت صربيا تسمى أنها تدافع عنه ، بالتشل مرة أخرى - عندئذ أجرت كرواتيا استفتاء (في ١٩ مايو) على الاستقلال التام . وفيه صوت لصالح الاستقلال ٩٢٪ من المنتخبين - وفي ٢٥ مايو أعلنت كرواتيا وسلافينيا استقلالهما ، وفي الصباح التالى دخل سلافينيا طابور من دبابات الجيش الفيدرالى - وأحس ميلوشيفيتش أن بإمكانه أن يجعل من سلافينيا عبءا حتى يخاف الآخرون ، وذلك بتشجيع من المجموعة الاقتصادية الأوروبية التى أعلنت في أبريل أنها مسئولة عن « وحدة يوغوسلافيا وسلامة أراضيها » . ووزير الخارجية الأمريكى جيمس بيكر الذى أخذ على نفسه عهدا صائلا في بلغراد في ٢٠ يونيو ، فأما قيادة الجيش الفيدرالى التى يسيطر عليها الصرب والتي كانت تؤيد على وجه الاجمال اهداف ميلوشيفيتش ، (ولا يخفى أنها كانت تعتمد على استمرار بقاء يوغوسلافيا في تأمين امتيازاتها وتمويلاتها - حيث كان لهما أكثر من ٥٥٪ من الميزانية الفيدرالية ونظام كامل من الصناعات العسكرية) ، فقد ظنت أنها سوف تتمكن سرعا من بث الرعب في قلب كل من سلافينيا وكرواتيا واعادتهما الى جادة الصواب . ولكن سلافينيا نظمت مقاومة جسيمة التخطيط وسرعان ما أسقطت من الخطط الاستراتيجية لكل من ميلوشيفيتش والجيش أيضا ، وأما في كرواتيا فقد دبرت هناك سياسة ذات خطين متوازيين : أولهما التهديد المبرر العام (بدلا من الغزو والفتح وذلك في الابتداء) ليت الخوف والضعف فى قلوب الكرواتيين . وفي نفس الحين تقوية التماسك بين جيوب المناطق المسكونة بالصربيين التى كانت فصلا تحت سيطرة صربيين مسلمين - وفي أواخر أغسطس تم تصعيد هاتين الصليتين الى نقطة ومستوى الحرب الكاملة الأوار : فكانت المدن تتهاجم فتل الى سلافينيا ، ثم بدأ قصف دوبروفنيك في سبتمبر بالمذافع (٢٩٦) .

وهناك ظاهرة في القتال تنفر بالويل والنبور ، وكأنى بها تنفر بصورة مطلومة لا ستكون عليه الحرب في البوسنة ، وهي استخدام

الجند الصربيين غير النظاميين - ولاحظ أحد المحققين في سبتمبر ١٩٩١ « أن الاستراتيجية العامة التي تتبع تقوم على وصل جيوب الاستيطان الصربي ، عن طريق طرد الكروات المتواجدين بين هذه الجيوب بأعمالية التهريب والتخويف » (٣٠) - وكانت وحدات الميليشيا تعمل منذ ١٩٩٠ بإجراة كرواتيا التي يسيطر عليها الصرب : وقد سبق أن استخدمت تلك الوحدات في عمليات من أمثال الهجوم الذي شن على المدينة القومية في بليتيغس في مارس ١٩٩١ ، وفي وقت مبكر من ١٩٩١ كان وزير الداخلية في بلجراد وهو ميهايل كيريتس ، قد أقام معسكر تدريب تدريب فيه ذلك النوع من القوات ، وهو الذي عرف بعد ذلك باسم « حرس المتطوعين الصرب » ، تحت قيادة زليكو رازنجاتوفيتش (Zeljko Raznjatovic) المعروف باسم « أركان Arkana » ، وكان مجرما من نوع زعماء المافيا ، يطلبه البوليس الدولي الاتريبول من أجل جرائم عديدة ارتكبتها ، وكان حشيتها على نطاق واسع بأنه عمل لحساب المخابرات اليوغوسلافية في صلبة اغتيال المهاجرين اليوغوسلاف (٣١) - ويأتى ذى به ، فإن هذه القوة كانت تعمل من وزارة الداخلية ، ثم حث بعد ذلك في نفس السنة ، عندما أصبحت تعرف باسم « سود أركان » ، أنها أصبحت تعمل نفسها بنفسها بفصل الفنائم التي سلبتها من المدن والقرى الكرواتية .

وكانت هناك قوة مماثلة لهذه أسست نفسها ، الجيش التشينيكى

Detalk Army ، الذى أنشأه صربى متطرف هو فويسلاف شيشيل ، وهو رجل قدم الى المحاكمة في سنة ١٩٨٥ ، لأنه دعا الى تقسيم يوغوسلافيا الى دولتين هما صربيا وكرواتيا ، مع تقسيم البوسنة بينهما (٣٢) . وقد أصبح شيشيل الآن زعيما للوطنيين المتطرفين ، الحزب الراديكلى الصربى ، وهو مركز كان يستطيع منه أن ينفذ في نوع من المزايدات السياسية مع ميلوشيفيتش ، (وكانت المنافسة قائمة على أساس من التسانه المتبادل ، وكان ميلوشيفيتش هو الذى صمم عملية انتخاب شيشيل في البرلمان الصربى في يوليو ١٩٩١) (٣٣) - وفي حديث سضى مع جريدة دير شبيغل الألمانية في اواخر أغسطس ١٩٩١ ، قدم للناس آخر صورة لخطه ، وهي تتطوى على أن يرد الى صربيا كل اقليم البوسنة ومقدونيا والجبل الأسود . وعظم كرواتيا ، مع ترك الكروات يستقلون ، مما يستطيع أن تتركه من الأرض من أجل كاندراية زحرب » . ولما سألته محدثه الضمى عن البوسنة ، أجاب : « الحقيقة أن مسلمي البوسنة ضرب دفعا للاستلام ، كما أن جزءا من السكان المسلمين بالكروات يتكون في الحقيقة من الصرب الكاثوليك » . واستمر الحديث يسأل : « وملا يحدث لو قاوم المسلمون الضاء وضهم كاملا ؟ » فأجاب :

شيتشيل : « في تلك الحالة سنتركهم يخرج البوسنة » ، « الى أين ؟ » ،
« الى الأناضول » (٣٤) .

وإزاء التصريح علنا بمثل وجهات النظر هذه على ألسنة الصرب
البوسنيين أيضا ، أصبحت امكانية واحتمال أي حل سياسي للأزمة القائمة
في البوسنة بعيدة بعدا مطلقا . وفي نواتل أغسطس أقدم حزب الأقلية
المسلم « المنظمة البوسنية المسلمة » وزعيمه دو الفقار باشيتش على محاولة
عقد اتفاق مع كاراجيتش ضمن سلامة كيان الجمهورية البوسنية ،
لكنها كانت محاولة مقصبا عليها بالفشل . وفسر البروفسور محمد
ميليفوفيتش نائب زعيم حزب المنظمة البوسنية المسلمة ، الأمر على الوجه
التالي : « أن الصرب منجبون بالسلاح ، وقد اقتسوا دولة داخل الدولة
في البوسنة ٠٠٠ ومن الممكن أن ينتسب الصراع بين الصرب والمسلمين في
أي يوم من الأيام ، وللحيلولة دون ذلك نبذل الآن محاولة لتوقيع معاهدة
تسمى على الاحتفاظ بسلامة كيان البوسنة » . ولكن هذه الاتفاقية لم تكن
إلا مجرد تعهد سياسي بين شخص كبير وآخر صغير ، ولم يكن لها وضع
دستوري ، كما أن الرئيس عزت بيجوفيتش الذي كان يحاول أن يحدث
ساسكا بين أطراف الحكومة الثلاثية القومية ، اعترض على هذه الاتفاقية
على أساس أن الكروات لم يتقدم أحد لاستشارتهم في الأمر ، وأيا كان
الحال ، فقد جله هذا التعهد من جانب كاراجيتش فارقا من المضمون ،
إذ كان يعلن حزبه أن أجزاء كبيرة من البلاد « مناطق مستقلة ذاتيا » ،
ويطالب بتزعمها في البوسنة . وبعد بضعة أيام من تمديد عزت بيجوفيتش
عن انتكاده انتهز ممثلو الحزب الديمقراطي الصربي في الرئاسة الجمهورية
فرصتهم للتصريح بأنهم سوف يقاطعون اجتماعات الرئاسة من الآن
 فصاعدا (٣٥) .

وفي سبتمبر ١٩٩١ ، اتخذ الصرب البوسنيون ، إثر قل تلك الفئة
القليلة النشطة منهم في القيادة المحلية للحزب الديمقراطي الصربي ،
خطوتهم التالية . فإن « المناطق الصربية المستقلة ذاتيا » ، وكانت عدتها
في ذلك الحين أربعة ، طلبت من الجيش الفيدرالي أن يتدخل
« ليصميم » ضد تشوب عدد من الحوادث المحلية الصغيرة والطباق
الرصاص » (وكانوا في تلك الأونة قد أصبحوا يفضل ما كانوا يتلقونه
من مساعدات الجيش الفيدرالي ووزارة الداخلية جيدي التسليح إلى
درجة هائلة) . وعلى الفور نشر الجيش الفيدرالي في البلاد ، وأرسل
طابور مكون من مائة عربة إلى غرب الهرسك . وأرسل طابور آخر إلى مركز
المواصلات في نيفيسيتي . كما أرسل ٥٠٠٠ جندي إلى الهرسك من

مرايغو . وما أن بلغ سبتمبر نهايته حتى كانت هذه القوات تمكنت من إقامة « حدود » لتلك « المناطق الصربية المستقلة ذاتيا بالهرسك » ، كما أنهم أسسوا أيضا نقطة ارتكاز ثقيلة العتيد بالجند توطئة لميلياتهم ضد دوبروفنيك التي تقع بالوسط على خط الحدود الفاصل بين البوسنة وكرواتيا (٣٦) . وفي مقابل ذلك أرسل صرب الهرسك مائة من رجالهم ، يقوم بمهمة تربيته Trebinje للمساعدة في ضرب المدينة الكرواتية (بالقنايل) . ولم يقتصر الجيش الفيدرالي على هذه الميلية فقط ، على التراب البوسني . كان مركز التدريب على الدبابات في بانياالوكا كان أحد قواعد الميليات على كرواتيا منذ منتصف أغسطس . وحاول طابور فيدرالي مدفع حجة للنيوكوفار Vukovar أن يمر من خلال فيشيجراد Vlasograd في نهاية سبتمبر ، فأولفه عن التقدم المدنيون المسلمون والكروات : فطلق عليهم النيران (٣٧) .

ولم يعد بوسع الحكومة البوسنية ، أن تمسك على هذا الوضع فصرح الرئيس عزت بيغوفيتش (الذي ذكر ذات مرة في مطبوعة قالها عن الأحوال هناك أن الاختيار بين توجمان وميلوشيفيتش شنيع كاضطرار المرء إلى الاختيار بين سرطان الدم (التوكيميا) وورم في الخ) في أواخر أكتوبر بأن البوسنة تقف موقف الحياد بين صربيا وكرواتيا . وعندئذ أعلن رادوفان كاراجيتش استيائه من هذا التصريح ، إذ اتهمه بأنه « عمل مضاد للصرب » ، موصفا أن الحرب في كرواتيا إنما هي حرب على « الفكر الفاشيستي للموى » . ثم قال : لا تستطيع أن تعلن حيادها إلا حكومة ذات سيادة (٣٨) . وهو صحت تماما في هذه النقطة الأخيرة . وعندئذ شرعت الجمعية البوسنية بكل جدية في بحث فكرة إعلان المسيادة البوسنية . ولم تكن تصني بذلك الاستقلال التام ، ولكن السيادة التشريعية داخل يوغوسلافيا ، بحيث يتبها لها أن تصدر قوانين - ولو من الناحية القانونية النظرية على الأقل - تجب حقوق الجيش الفيدرالي في استخدام أراضيها . وفي ١٤ أكتوبر خرج كاراجيتش هو والتابعون له من النواب من المجلس الذي صوت عند ذاك على سيادة البوسنة . وبعد ذلك بإيام قليلة أقام كاراجيتش وحزبه ما أسماه « الجمعية الوطنية الصربية » في مقر الجيش الفيدرالي بمدينة بانياالوكا . متخذًا جميع المظاهر الكاملة للركان والحكومة بل حتى مظاهر الدولة الكاملة (٣٩) :

والخطوات التي اتخذها كاراجيتش وحزبه - وهي إقامة « المناطق المستقلة ذاتيا » وتسليح السكان للصربيين ، وتدير حوادث عنف على

الصعيد المحل ، وممارسة الدعاية بصورة مسنونة ، و « طلب الحماية » من الجيش الفيدرالي . ثم عقد « البرلمان » الصربي - انما كانت تضامى بالضبط ما كان يحدث في كرواتيا . ومن ثم فانه كان بين المراقبين من كان يشك بان هناك صلة واحدة تنفذ . وتبعد كل شك حول طبيعة تلك الخطة في مؤتمر حزب ميلوشيفيتش الصربي الاشتراكي في مدينة بيتش (Beč) في ٩ أكتوبر عام ١٩٩١ . وبوضوح تام وصف نائب رئيس الحزب ، وهو الفيلسوف المتشك السابق ميهايلو ماركوفيتش ، في خطبته التي ألقاها في المجلس ، طبيعة ذلك التزيق التي كان هو وسيده يدبرانه :

« سيكون هناك في النواة اليوغوسلافية الجديدة ثلاث وحدات فيدرالية على الأقل : هي صربيا والجبل الأسود ومنطقة متحدة تجمع بين البوسنة وكنتن (بمعنى انها ستكون منطقة تتكون من بعض اجزاء « المناطق الصربية المستقلة ذاتيا » والمنطقة الكرواتية الرئيسية المستقلة ذاتيا) . واذا رغب المسلمون البوسنيون أن يظلوا داخل الدولة اليوغوسلافية الجديدة ، فسيسمح لهم بفعل ذلك . لأنهم حاولوا أن يسلخوا وجب عليهم أن يعرفوا تماما . أن الدولة المسلمة البوسنية ستكون معاملة بالأراضي الصربية من كل جانب . »

وقد كتبت تعقبا على هذا الخطاب في ذلك الحين : « وعلى ذلك تكون خطة المستر ميلوشيفيتش انما تهدف الى انشاء دولة يوغوسلافية بالاسم فقط ولكنها في الحقيقة صربيا الكبرى . مع استثناء واحد هو دولة مسلمة ضعيفة في الوسط على غرار دويلات السود في جنوب افريقيا ايان نظام الفصل العنصري السابق » (٤٠) . وسوف تطرق الأساح هذه المقترحات مرات ومرات أثناء المناقشات حول مستقبل المسلمين البوسنيين في ١٩٩٢ .

وقوبلت هذه التصريحات الواضحة عن نيات صربيا في الحرب بتجاهل تام من معظم زعماء الغرب ومن المفوضين المعين من قبل المجموعة الاقتصادية الأوروبية وحر اللورد كارينجتون ، حيث ظلوا على اعتقادهم بأنه لا يزال من الممكن قيام مسودة ممكنة أكثر قليلا ليوغوسلافيا الفيدرالية القديمة . وفي سبتمبر فرضت الأمم المتحدة حظرا على الأسلحة على كل اتجاه الأراضي اليوغوسلافية ، ولم يكن لذلك الحظر أدنى أثر

على الجيش الفيدرالي اليوغوسلافي بترسانته الضخمة ، وصناعاته العسكرية الهائلة ، ولكنه اصحف القوات الكرواتية . التي كانت آنذاك قد شرعت في إيقاف تقدم الجيش الفيدرالي في أجزاء كثيرة من غرب كرواتيا وشمالها الشرقي . ولو اهم كانوا صليحين التسليح الصحيح لجاز ان يتكفوا من صد الهجوم على مدن من أمثال فيوكوفار ، والواقع الذي حدث هو أنهم صمدوا هناك في أماكنهم في جلد خارق للعادة إلى حد أن قادة وجنرالات الجيش الفيدرالي شرعوا يحسبون أن فتح الأراضي في كرواتيا ، عملية جاسرة . (وعندما سقطت فيوكوفار في النهاية ، وقد دمر كل بناء في المدينة تقريباً ، طهر الرجال من أنباج « أركان » المدينة تطهيراً تاماً وقتلوا المئات من سكانها) - وتمكنت الحكومة الكرواتية فعلاً في تأسيس خطوط تموين في الأسلمة من دول حلف وادسو السابق ومن الشرق الأوسط ، ونزلت ضربة ثالثة بخطط صربيا عندما صدر الاعتراف الدولي بـكرواتيا وسلوفينيا . وهو لم يلبثت في النهاية أن وافقت عليه المجموعة الاقتصادية الأوروبية تحت الحاج ألمانيا في منتصف ديسمبر ، وجرى تنفيذ العمل في ١٥ يناير ١٩٩٢ . وتمت تسوية سلمية في كرواتيا أجرى المفاوضات فيها ميروس فيانس ممثل الأمم المتحدة بعد ذلك بعدة أسابيع : وقد وضعت التسوية الأراضي التي غزتها القوات الفيدرالية وغير النظامية في مجموعة من المناطق المشمولة بحماية الأمم المتحدة . وهي مناطق ظل الوضع بها على المدى الطويل شديد الغموض .

وقد أدى الاعتراف بـكرواتيا إلى انهيار الحرب بتلك الجمهورية . وكان على كل حال اعترافاً بالحقيقة الواقعة : فإن أية فكرة تقول بأنه كان بإمكان كرواتيا أن تعود للانضمام إلى يوغوسلافيا الفيدرالية ، بعد أن تحولت مدن مثل فيوكوفار إلى حطام وأطلال ، كانت فكرة غير واقعية على الإطلاق . ومع ذلك فإن هناك عاقبة لهذه الحركة هي أنه أصبح الآن ضرورياً للبوسنة أن تسمى وراء الاستقلال هي الأخرى ، ولا وقعت تحت الهيمنة الصربية . وكانت المجموعة الاقتصادية الأوروبية متفهمة لذلك تماماً مقبلاً . وكانت تدعو إلى تقديم طلبات استقلال من الجمهوريات الأخرى ، وتطالب البوسنة كشرط أساسي للاعتراف بها أن تجري استفتاء على تلك المسألة . وقد شكك اللورد كلويسجتون من أن المجموعة « قد وأنت خطته الرامية إلى الوصول إلى تسوية عامة في الجمهوريات الست جميعاً داخل إطار يوغوسلافيا العامة » لكن الأمر الواضح أن خطته لم يكن من الممكن قبولها من الكروات أو السلوفينيين ، ولا كانت أيضاً بمستطاعة أن ترضى طامع صربيا وطموحاتها (٤١) . والأمر الوحيد

الضريح هنا ، هو أن الجبهة البوسنة صوب الاستقلال ، كان ذريعة تفرع
بها ميلوفيتش وكراجييتش لبدء المرحلة العسكرية لتزيق البوسنة -

وكان التخطيط العسكري ممكنا . فقد احتل الجيش في خريف
١٩٩٠ ، مراكز الاتصالات المهمة للبوسنة - واثبتت مواقع المدفعية
الثقيلة حول المدن البوسنية الكبيرة بما في ذلك سراييفو نفسها ، في
شباط ١٩٩١ - ١٩٩٢ . وبانحصار القتال في كرواتيا في يناير وفبراير .
« سميت » منها طواير دبابات ومدفعية الجيش الفيدرالي . بموافقة
الأمم المتحدة ، إلى البوسنة . ومن العيب أن الرئيس عزت بيجوفيتش
سمح للجيش بمصادرة الأسلحة التي لدى وحدات الدفاع المحلي : وكأنه
كان يحاول بذلك أن يؤكد لقواد الجيش ويطمنهم بوابه السلبية التي
يكنها . وربما كان هو أيضا ضحية التضليل ، كما كان مقصودا بكل تأكيد
« مصادرة » الجيش لبعض الأسلحة من بعض القوات الصربية شبه
العسكرية (٤٢) . أما أن الجيش لم يكن غير منحاز وغير سياسي الاتجاه ،
فأمر لوضوحه تماما أحداث يومي ٢٩ فبراير وأول مارس ، عندما فقد
الاستفتاء في البوسنة - قيسا كانت قوات حرب كراجييتش الديمقراطية
الصربية تمنع الصربيين من التصويت في ذلك الاستفتاء وتقيم نقاطا في
الطرق لمنع صناديق الانتخاب من دخول مناطق البوسنة التي كانت تحت
هيمنتها . فإن كثيرا من طائرات الجيش أسقطت على الناس منشورات
تؤيد المقاطعة . ولكن الذي حدث هو أنه مع ذلك تقدم فعلا للادلاء بأصواتهم
ما يقارب ٦٤٪ من مجموع الناخبين بما فيهم آلاف من الصربيين في المدن
الكبرى . وذلك للإجابة على سؤال في ورقة انتخاب يقول : هل تؤيد قيام
دولة البوسنة والهرسك ذات سيادة واستقلال ، تكون دولة من أفراد
مساوين من المواطنين والقوميات المسلمين والصرب والكروات وغيرهم
من يعيشون فيها ؟ « وكان التصويت بهجاء الآراء تقريبا هو « نعم » .

وفي صبيحة الثاني من مارس ١٩٩٢ وهو اليوم الذي أعلنت فيه
نتائج الاستفتاء ، أقام أعضاء من القوات الصربية شبه العسكرية المواتع
والمخاريس ومواقع القنصية قرب مبنى البرلمان في سراييفو . وانقضت
٢٤ ساعة بدا فيها أن الصربيين استولوا على السلطة في البوسنة .
بيد أن مئات من مواطني سراييفو خرجوا إلى الشوارع - أمام القنصية -
وقاموا بمظاهرات . ولسبب ما أجهض الانقلاب - وكان العيب المعلن
والظاهر لذلك العمل هو مقتل صربي بالرماس على يد شابين مسلمين
في حافلة زفاف في سراييفو في اليوم السابق . وكان مقتل ذلك الصربي
الذي يبدو أنه وقع نتيجة لاحتدام طفاخي بلا تدبير مسبق . اتخذ ذريعة

للتقشير بـ « الاحزاب » الاسلامي (١٤) - لقد كاد التكتيك هنا لوضح من الشمس . كما أنه من طبيعة الحال لم يكن يدور بفكر أحد ولم يفكر احد في اقامة المتاورس في سرايفو احتجاجا على اعمال قتل المسلمين على كثرتها ومثلها من الحوادث في الأشهر السابقة . فعلى قتل محمد جانيبيجوفيتش على يد جماعة من شبه العسكريين الصربيين في خييفو في يوم ٧ أكتوبر او اطلاق المدافع الرشاشة على مسجد محمد علي بمدينة توزلا من جانب الجند الاحتياط بالجيش اليوسلافي في ١٣ أكتوبر (١٤) .

وبعد هذا كله بقي اختيار سكن واحد امام السياسيين الصربيين : فاما ان يمزقوا البوسنة ارضا بالوسائل العسكرية ، او ان يمزقوها بالطرق السياسية التي يدعها تهديد القوة العسكرية . على ان هذه الطريقة الثانية ظلت احتمالا حتى الأسبوع الأخير من مارس ، كما انها كانت تتوقف كثيرا على موقف الكروات البوسنيين . ودعيت درجة ما من السيمتري والتوازن منذ طريقة جدا بين المواقف الصربية والكرواتية حول البوسنة : ففي مارس ١٩٩١ التقى الرئيسان ميلوشيفيتش وتودجيان للتباحث في الوسائل الممكنة لتقسيم يوغوسلافيا ، وكان تقسيم البوسنة في جدول الاعمال المطروح امامهم (١٦) . ولكن غريب السيمتري لم يكن الا على وجه جزئي فقط : فان صربيا تقدمت نحو الامام شوطا كبيرا وبمكة أكثر كثيرا . وبينما كان الصربيون البوسنيون يقيمون مناطق مستقلة ذاتيا في مايو ١٩٩١ و « برغاليا » في أكتوبر ١٩٩١ (منهم بعضه ذلك الى اعلان « جمهورية صربية بوسنية » في ٢٧ مارس ١٩٩٢) ، اما المقابل الكرواتي وهو « اللجنة الكرواتية للبوسنة والهرسك » فلم تعلن الا في يوليو ١٩٩٢ ، بعد انقضاء ثلاثة اشهر على الصلوات العسكرية الصربية على البوسنة . وكان زعيم الحزب الكرواتي في البوسنة وهو ستيفان كليوتش ، يؤثر الاحتفاظ بحدود البوسنة . ومن ثم فان حربه صوت بالموافقة على استقلال البوسنة . اما فكرة تحويل البوسنة الى كونفيدرالية على غرار سويسرا الى الى مجموعة من « الكانتونات » ، فلم تنل موافقة زعامة الاتحاد الديمقراطي الكرواتي . وبوصفه السكرتير العام للحزب ، قال ايضا ماركيتش في أكتوبر ١٩٩١ : « انه حتى فيما يسمى باسم المنطقة « الصربية » كيانا لوكا ميلا يوجد مائة وعشرون ألف كرواتي . وليس من الممكن تقسيم البوسنة الى كانتونات قومية » فاما ما جرى في سويسرا . فان الكانتونات كانت موجودة أولا لم تكوّن سويسرا من هذه الكانتونات . ولكن الكانتونات

في اليوغوسلافية ليس لها إلا جنى واحد هو تقسيم النظر وليس بمستطاع
لن ينجح ذلك إلا بحرب (٤٧) -

١٩٤٨ هـ ، ما بين موقعا من الكروات الهرسكيين يتزعمهم ماتى يويان
أبجد يزيد من نفوذه داخل الحزب حتى انتهى به الأمر في يناير ١٩٩٢ ،
في حركة شجاع أن تدبرها تم على يد الرئيس الكرواتي توجسان ، ليحل
يويان محل كرويتش يوصفه وعبا لحزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي
اليوميني (٤٨) - وكان لكروات الهرسك بعض الحق في أن يكونوا أكثر
تتمدا بمعد الذي شهدوه من عمليات العنف العسكري وتأسيس
المنطقة الصربية المستقلة ذاتيا ، هناك ، (ولقد كانوا أيضا على اتصال
وثيق بانجاد الدفاع الكرواتي ، وفي أواخر ١٩٩١ رفضوا أن يسلبوا
أسلحة دفاعهم المحل للجيش الفيدرالي ، ثم شرعوا يشككون استمداداتهم
المسكينة الخاصة) (٤٩) ، ولو استعرضنا النموذج العام للأحداث ،
مسواء أكانت عسكرية لم سياسية ، لوجدنا أن تحركات الكروات
كانت ردودا على تحركات الصرب ، كما أنهم كانوا إلى حد ما يفلتوهم
في كل حركاتهم ، وهكذا عندما حدث أن الحرب الديمقراطي الصربي
المصدر خريطة مقترحا تقسيم اليوغوسلافية إلى كانتونات (مع جل ٧٠ ٪ من
الأراضي تقريبا كانتونات صربية) ، رد الاتحاد الديمقراطي الكرواتي
في ديسمبر ١٩٩١ على ذلك في معلن غير بعيدة بخريطة خاصة به هي
نفسها ، (تنطوي على ما يقارب ٣٠ ٪ من الكانتونات الكرواتية) (٥٠) -
وكان واضحا تماما أن ما كان يبتغيه الصرب بالتقسيم إلى كانتونات هو
انشاء بنية دستورية يستطيعون استغلالها في تنفيذ الانفصال الكامل
الذي طلبوه في الماضي ، وعندما ذهب دادوفان كراوجيتش إلى النمسا في
أواخر فبراير ١٩٩٢ للتباحث في مستقبل اليوغوسلافية مع ميلوشيفيتش
وتوجسان ، كان الذي يتحدثون عنه هو التقسيم لا الاتحاد الكونفيدرالي
الكانتونى (٥١) ، ولكن المجموعة الاقتصادية الأوروبية واللورد كارينجتون
حاولوا الحفاظ على قصة الكانتونات ، فاشتركا في رئاسة عدة جلسات
مفاوضات حول هذه النقطة بين الأحزاب اليوغوسلافية الكبرى الثلاثة هي
كل من يروكسل ولشبونة أثناء شهر مارس ، وفي اليوم التاسع من
مارس كان الوفد الصربي هو الذي رفض قبول خطة تقضى بانقضاء
دستور فيدوال يوسني ، يكفل فيه لكل مجموعة « عرقية قومية » حق
الليقوى أى الرقض في كل مسألة كبرى سياسية أو اقتصادية (٥٢) -
وفي وقت متأخر من ذلك الشهر عرفت المجموعة الاقتصادية الأوروبية عن
حواشيها على فكرة خطة « كانتونات » مبنية على صورة معدلة من الخريطة
الصربية ، وقبل الحوائط الثلاثة الخطة بأدى الرأي ، ورفضوا أن تتخذ

أساساً لمفاوضات تالية ، ثم عقد حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي
 رفضها في يوم ٢٤ مارس - وتبعه حزب عزت ييجوفيتش (حزب الحركة
 الديمقراطية البوسنية) في اليوم التالي لأن الكروات كانوا من رفضها .
 ولستنا ندعش لأن الكروات كانوا أول من رفضها ، وذلك لأنها لم تكن
 تطعيم إلا ١٧٪ من أرض البوسنة ، وتركزت ٥٦٪ من السكان الكروات
 في كانتونات لا كرواتية (٥٣) ؛

والشيء الذي أظهرته كل هذه الحطط مجتمعته في نهاية الأمر ، هو
 استحالة القيام بأي شيء من هذا النوع من التقسيمات بطريقة لا تشقى
 مئات الآلاف من المواطنين البوسنيين ، ومهما يكن الأمر ، فإن غالبية
 سكان البوسنة صوتوا من أجل بوسنة ديمقراطية ومستقلة يسكنها
 مواطنون متكاثرون متساوون ، ولو غضبنا الطرف عن تباين الدعاية
 البلاغية في الإعلام الصربي الذي صصور البوسنة واقعة في قبضة
 « تحالف أصول أوستاشي » ، فلا يوجد أي دليل يشير ولو من بعيد
 إلى وجود قوائم عنصرية تمييزية في البوسنة أو حتى يجعلنا نصدق أن
 الحكومة البوسنية كانت عازمة على إصدارها أو فكرت فيها ، ولكن
 نوعاً ما من الجنون والاضطراب المثل السياسي حلقه الصرب ورجال
 السياسة الصربيون والإعلام الصربي حول قضية « الدماغ » عن « حقوق »
 الصرب البوسنيين ، بحيث كف الناس حتى عن التساؤل والتمحيز
 عما إذا كانوا عرضة حقاً للهجوم والاعتداء ، حتى إذا تم لهذا الهوس
 أن يستقر في الأذهان تماماً ، باتت الخطوة النهائية وهي التحريك
 الصربي قاب قوسين أو أدنى .

الفصل السادس عشر

تلخيص البوسنة

١٩٩٢ - ١٩٩٣

• في اليوم السادس من أبريل ١٩٩٢ تم اعتراف المجموعة الاقتصادية الأوروبية بالبوسنة كدولة مستقلة . وقد مرت على البوسنة لحظات عظيمة قصمت فيها بما يشبه الاستقلال الذاتي أو شبه الاستقلال التام أثناء القرنين الأخيرين - فإن فترة الصعود التي مر بها حسين قابيطان في ١٨٣١ والحكومة القومية في سراييفو في يوليو ١٨٧٨ ، وتسليم الباراون ساركوفيتش السلطة إلى المجلس الوطني البوسني في نوفمبر ١٩١٨ - ولكن لو شئت القول الصحيح ، فإن هذا كان أول ظهور للبوسنة بوصفها دولة مستقلة منذ ١٤٦٣ . وسارع المقبول إلى توضيح أن البوسنة قضت هذه السنوات الخمسينية والتسع والعشرين وهي جزء من امبراطوريتين ثم مملكة ثم جمهورية شيوعية . وقد ادعوا أن البوسنة لا يمكن أن تكون دولة ، لأنها إنما تحتوي ثلاث قوميات مختلفة ، وأظهر التاريخ أنها لا يمكن أن تعيش إلا كجزء من كل أعظم منها . وغالط الادعاء الأول حين ادعى أن الدول الأممية وحدها هي التي يحق لها الوجود - ولو كان الأمر كذلك ، فإن غالبية الأعضاء الذين يقررون المادة والسبعين في هيئة الأمم المتحدة ينبغي أن توسم بيسم عدم الصلاحية للعيش . أما التاريخ ، فلا يملأنا أنه ينبغي للبوسنة الخضوع لدولة أكبر لأنها من تمير نفسها من الداخل ، بل إن الأمر يكاد يكون على العكس من ذلك : فإن الشيء الوحيد الذي ظل طوال الأيام بعد البوسنة بالاختار لم يكن هو التوترات الداخلية الحقيقية ، وإنما كان مطامع الدول الأكبر منها والولايات المجاورة لها . وبحثنا تاريخ البوسنة أنه ، لو طرحنا جانباً ذلك الصراع الاقتصادي بين ملاك الأراضي والفلاحين ، لوجدنا العداوات القومية داخلها لم تبلغ قطرة تصل إلى المصنف العنصري إلا نتيجة للضغوط الأتية من خارجها . ومن الأمور ذات الدلالة الواضحة أنه حتى الصراع

بين ملاك الأراضي والفلاحين كان بطريقة موهبة - وربما حاسمة أيضا - .
يشهد بسبب الوضع الدولي السياسي أثناء القرن التاسع عشر ، وذلك
بصورة متوازنة مع قيام صربيا حديثة كمنتج بلون من ألوان الحكم
الدائمي ، وخلق ذلك احساسا بالحرلة في نفوس الطبقة الحاكمة المسلمة
بالبوسنة

وأدت عملية طويته من التنافس القومي بين صربيا وكرواتيا منذ
أخريات القرن التاسع عشر فصاعدا الى جعل السياسات الداخلية
البوسنية شائكة حيث قامت البوسنيين الكاثوليك والاثوذكس أنهم
لا بد أن يفكروا في انفسهم بوصفهم صربيا او كرواتيا . وبعد أن جعلتهم
يوغوسلافيا في قطر واحد مع صربيا وكرواتيا سنة أربع وسبعين سنة .
كان من الطبيعي أن كثيرا من أفراد هذين المجتمعين بالبوسنة لا بد أن
يربطوا هويتهم بهذين الاثنين من أرض الأجداد . ولكن الآن وقد انتهت
يوغوسلافيا من الوجود ، فإن نفس الطبيعة التي جعلت الحفاظ على
البوسنة أمرا شاقا - وهي سكانها المختلطون عرقا واجناسا - جعلت ذلك
الأمر استحياء لا مفر منه . فقد اختلط هذان الشعبان مع شحوب ثالث
لم يكن له أرض أولى ولا أجداد يطلع اليها . اختلاطا كان من الصعب
بحيث أن التفرقة بينهم لم يكن من الممكن الوصول اليها الا بشئ رهيب
لا يمرر له في الوقت الذي كان يمكنهم جميعا العيش بما يسلم وولام .
لو توافر قدر صغير من حسن النية وسلامة الطوية . وكانت الاغلبية تود
العيش في سلام ، ولكن أقلية كانت تعمل بتوجيه من دولة مجاورة ،
لم تكن ترى ذلك ، وكانت تملك البنادق .

وفي يوم الاعتراف الدولي ، كررت القوات غير النظامية الصربية
العسكرية التي اجهضت في سراييفو قبل ذلك بشهر . وفي هذه المرة
اجتمع ما يتراوح بين خمسين ألفا ومئة ألف من البوسنيين ، مع كافة
المجموعات القومية ، وخرجوا الى الشوارع احتجاجا على ما يجري . وأوردت
الانباء على لسان أحدهم : « فليذهب جميع المتصبين الصرب الى صربيا ،
ويذهب جميع الأوستاشا الكروات الى كرواتيا ؛ فانا انما نريد
البقاء هنا بعضنا مع بعض » - نريد أن نحفظ بالبوسنة وحيث
متماسكة . لكن قوله هذا قطعته دغصات من طلقات الأسلحة النارية
التي صوبت على المدنيين (١) . ولم تكن عمليات إطلاق النار هذه - مع
ذلك ، الأولى من نوعها - فقد حدثت في مدى أكثر من أسبوع عمليات
إطلاق نيران وتجهيز قنابل في كثير من المدن البوسنية : بانيا لوكا
وبوسانسكي وموستار . وفي المدينتين الأوليين كان واضحا أن القوات

غير النظامية الصربية بدأت بإطلاق النار ، أما في موستار فقد انفجرت سيارة صهريج لتقل البترول قرب معسكرات الجيش الفيدرالي وربما كان ذلك من عمل القوات غير النظامية الكرواتية ، أو أنه كان محاولة عليها الصربيون لإثبات أن الجيش الفيدرالي كان عرضا للتهديد (٢) - وفي الثلاثين من مارس أعلن قائد الجيش الفيدرالي ، وهو الجنرال أدجيتش ، قبل الأولين وكأنه يتنبا ، أن جيشه مستعد للتدخل لحماية الصرب ، ضد العدوان الصربي ، (٣) -

لكن لموا تطور في الأيام الأولى من أبريل كان وصول قوات ، أركان ، غير النظامية إلى مدينة بيلينا الواقعة في الشمال الشرقي من البوسنة - هؤلاء الرجال المدججون بالسلاح ، ومعظمهم من الصرب وليحموا من الصرب اليوغوسلافيين ، فرغوا لتوهم من عمليات التطهير في نيكوفار ، وقد اختل بعض منهم إلى باياليوكا عند نهاية شهر مارس ، حيث بسطوا هيمنتهم على المدينة ، وألقوا المتاريس في الطريق ، وراحوا يتجولون في الشوارع بفخلفات تقابل اليد ومسدسات سكوربيون الأتوماتيكية ، (٤) - ثم وصلوا إلى بيلينا المدينة المسالمة التي يطلب على سكانها المسلمون ، وشرعوا في « تفرير » شبرا منها تباطة للمسجد الرئيسي - وهوجم المسلمون بعنف وطردوا وارتقوا بالفارات المتكورة ، وحاول عضو مسلم من أعضاء الرئاسة البوسنية هو فكرت أديتش دخول المدينة ، فرد تحت تهديد البنادق ، وفي اليوم الرابع من أبريل أعلن أن موارد الماء والكهرباء قطعت وأن أجساد القتلى ترفد في الشوارع (٥) - وواضح أن الهدف الأساسي من ذلك كان : أولا إرهاب المسلمين المحليين حتى يفروا من المدينة ، ولأنها تمت روح التطرف القومي في نهر الصرب من السكان من تجديد بعض شبابهم لينضموا إلى صفوف جيش الاحتلال الفوضوي الضعيف هذا ، ابتغاء تأسيس الهيمنة الصربية على المنطقة بأكملها - ومن أجل هذين الغرضين لم يكن القتل أو الدبح الجساعي ضروريا ، وكان يكفي عدد من عمليات القتل العشوائي - وجاء في تقرير آخر بعد ذلك أن عدد القتلى المسلمين يقدر بـ ١٠٠٠٠ ، وكما ستدله أحداث الأسابيع التالية ، فقد وقع للاختيار على بيلينا قبل غيرها بسبب أهميتها الاستراتيجية - فانها كانت النقطة المحورية القريبة من الحدود الصربية التي كانت تمتد منها الشققتان الرئيسيتان من الأراضي التي لابد للقرات الصربية من الاستيلاء عليها : وهي شقة بمرضة من الأرض تمتد عبر شطلي البوسنة ، وتوصل ما بين سربيا وبين القاعدة العسكرية في باياليوكا وهي « الكراييتا » البوسنية ، والمنطق المنحطة من كرواتيا ، ثم بعد ذلك قطاع في الجانب الشرقي من

اليومنة يمتد امتدادا طويلا في جبه الحدود البوسنية الصربية () وبذلك يتضمن نقاط الدخول الحيوية لخطوط الإمدادات للوارفة. من صربيا (إلى المناطق العرقية الصربية الموجودة في شرق الهرسك (٧) .

وفي مدى بضعة أيام بعد ذلك انضمت عدد كبير آخر من المدن ذات العدد الأكبر من السكان المسلمين في تلك الكشقة الشرقية من البوسنة ، ولجنت المعاملة نفسها . وبالإضافة إلى « نصور أركان » ، استأجنت الجماعات الأخرى غير النظامية من الجتود بما في ذلك « النصور البيضاء » التي يقودها ميركو بومتش والتشيتنيك الذين يقودهم شيشيتيل (٨) . وحدثت في حالات كثيرة من الهجوم الذي تعرضت له سلوفينيك في الأسبوع الثاني من أبريل ، أن استأجنت وحدات المدفعية التابعة للجيش الفيدرالي لقصف المدينة عدة أيام متتالية ، وعمليا استأجنت ، أرسل عليها الحشد غير النظامي ، ليتعاملوا مع السكان . ولم تكن سيكولوجية الرعب والإرهاب التي أدخلها قواد الجتود غير النظاميين في تلك الأماكن قاصرة على تخويف المسلمين المحليين حتى يفروا من ديارهم . وإن نجسوا في هذا تماما . وقدر عدد الذين مروا من ديارهم عند نهاية أبريل من مسلمي زقورنيك وبيجراد وفوتشا بحزمة وتسعين في المئة (٩) ، فهناك جانب منها لا يقل شأنا ، وهو اقناع الصرب المحلي بأنه مضطر إلى أن « يدافع » عن نفسه من عدوان جيرانه المسلمين . ولقد جهد السبيل لذلك بطبيعة الحال ، ما كانت تبهته اذاعات راديو وتليفزيون بلجراد ، محذرين الصرب من الأوبستاشا ومذابحهم المنظمة التي يلعب شحيتها الآمنون ، ويحذرون فيهم اللعسر من المباحدين الأصوليين ، وحيث أنهم شهدوا بأعين رؤوسهم مناظر حقيقية من القتل والقنل والمدن المشتعلة بالنيران في كرواتيا على امتداد الشهر النجمة الأخيرة ، فلن يسطا الفلاحين وسكان المدن اقتنعوا بسهولة تامة بأن تلك التهديدات كانت حقيقية فعلا . وكل ما كان الأمر يحتاجه لا يتجاوز بضخ تفصيلات محلية قليلة لاستكمال الصورة . وهناك تقرير عسلي يجسد الدم في العروق بحث به مراسل رويتر أندريا جوميتشيتش بين كيف تم الأمر على وجهه المطلوب :

سالتني امرأة صربية قاتلة : « أترى ذلك القنل ؟
(مشيرة إلى مرج مترام مجوار نهر الدرينا) . لقد كان
مطبوخا أن « الجهاد » سيبدأ هنا . . وكان المقرر أن تصبغ
فوتشا هي « مكة » الجديدة . وكنت قوائم بأمنه الضرب

(*) الشيشيتيل : هم اتباع الزعيم ماتيسلاف شيشيتيل - (المرجع) -

الذين يجب القضاء عليهم . . ذلك ما قالته المرأة مكرره بذلك اعتقادا سري بين أهل المدن وحسلة البنادق . . لقد كان لولاي مكتوبين في تلك القائمة التي تقول انها سيذبحان كالحنازير . فاما انا فقد ادرجت فيها تحت بند الاغتصاب . . وعنى عن البيان ان احدا منهم لم ير القائمة ولكن ذلك شيء لا يمنع في فرد من الاعتقاد بمصدق كله الاراجيف دون ان يكلف نفسه عنه التحقق من وجودها (٩) .

٠ فهل كان القائد العام للجيش الفيدرالي يشرق البوسنة وهو الكولونيل ميلان يوفافوتيتش يصدق كل تلك الحكايات ؟ . . ذلك ما نشك فيه . . وحينما كان رجاله يطردون المسلمين من بيوتهم في مدينة فيشيجراد ، فانه ابلغ جنديا بريطانيا انه واقف على ارض يوغوسلافية ، واضاف الى ذلك قوله : . . كان هناك ثمره قام به المسلمون . . وكانوا يمدون له منذ وقت طويل سببيا للفضله على الصرب . (١٠) . على ان الشيء الواضح تماما هو ان هذه العملية المشتركة بين القوات النظامية وغير النظامية هي التي كان يجري اعدادها منذ مدة طويلة في الزمن . والمسألة . كما جاء في عبارة احد المحللين الكبار : . . بالنظر الى السرعة التي تم بها اعداد وتسليم هذه البضوع ، والمستوى العالي من التنسيق والتآزر الذي تكلف للبيان . . حان من الواضح الجدل ان هذه العمليات لم تكن تلقائيا (١١) . اذ بفضل امتهنظام مزاي الحاجة من ناحية ، والتطوق الساحق الجارف من ناحية أخرى ، تمكن الجيش الفيدرالي ومساعدوه اللا نظاميون من ان يقتطعوا في جنس ستة أو سبعة الأسابيع الأولى منقلة تقدر مساحتها بأكثر من ٦٠٪ من مساحة اقليم البوسنة كله .

وجندت بعض القوات الصربية المحلية من بعض المناطق الصربية المستقلة ذاتيا . من البوسنة ، فانضمت أيضا الى هذه العمليات بمناطق كثيرة من البلاد . ولكنه من الواضح تماما ان الغزو انما تم في معظمه على يد قوات الجيش الفيدرالي (بما في ذلك الطائرات التي استخدمت لكصف هدف كوبريس ودوبوي وتوزلا وكلها تدار من بلجراد) ، وكثائب الجنود غير النظاميين الوافدين من صربيا . وبصرف آخر ، فانه ولو كان بعض الجنود الذين يخدمون في الجيش الفيدرالي كانوا من صرب البوسنة . ومع انهم كانوا يتسلقون ، في تآزر تام مع عناصر صربية متفرقة في بعض المناطق ، فإن الشيء جرى كان قليل كل شيء غزوا لبوسنة موجها من الارض الصربية ذاتها . وفي أثناء الأسابيع الأولى للغزو ، كانت البيانات الرسمية التي يصدرها ميلوشيفيتش وقلة الجيش الفيدرالي تروج لانتهازين كلاهما

كاذب وزائف . اولهما ان الجيش انما يصل كحائط على السلام للتفريق بين المقاتلين المحليين . وثانيهما ان وحدة صربية واحدة لم تكن لتجبر الحدود الى داخل البوسنة (١٢) . والواقع انه لم تكن هناك فقط قوات غير نظامية سمير الحدود الى داخل الاقليم فقط بل وايضا . كما عبر شاهد عيان من منطقة الحدود . حشد الجيش الفيدرالي في غضون هذا الاسبوع على حين بفتة ارتقلا من الرجال والمدفعية والدبابات على طول الطريق الواصل من صربيا عند انزلاقه بالبوسنة (١٣) .

ومع ذلك ، ففي يوم ٢٧ أبريل أعلن الرئيس ميلوشيفيتش وحكومة الجبل الأسود . قيام دولة فيدرالية جديدة ليوغوسلافيا تتكون من هاتين الجمهوريتين وحدهما . وذلك امر اوقع الجيش الفيدرالي في البوسنة في موقف حرج غريب . وذلك لانه لم يعد يستطيع ان يدعى انه يتخذ صفة حافظ السلام في الاراضي اليوغوسلافية . وفي اوائل مايو أعلن ميلوشيفيتش انه سوف يسحب من البوسنة كل جنود الجيش متى كانوا من مواطني هاتين الجمهوريتين ، اما من هم من صرب البوسنة فسيفتلون معهم جميع اسلحتهم وعملتهم . الى ما يسمى « بالجمهورية الصربية » حيث سيوضحون تحت امرة الجنرال راتكو ملاديتش الذي كان ميلوشيفيتش ، هو من عينه في منصبه القيادي كما ان هذا التغير الضالع بأكمله كان مناورة تجبيلية - ولم يكن امام أي مراقب اجنبي أية وسيلة للناك من صحة ان الجنود الصربيين وجنود الجبل الأسود قد سحبوا من البوسنة حقا . وفي ٢٠ مايو ادعت السلطات ان اربعة عشر الفا خرجوا من البلاد ، ولكن ذلك كان ممثلا ترك ثمانين الفا من الجند على الأقل هناك (١٤) . ولو اطمنا على الشهادات التي ادل بها ضحايا الحرب في زمن متأخر من ١٩٩٢ ، لصادفنا عديدا من الانتارات الى جند من صربيا والجبل الأسود . وليس من الممكن لنا ان نتفقد ان الجيش الذي كان يقاتل في البوسنة منذ اواخر مايو فصاعدا كان يتكون بأكمله من الصرب البوسنيين . وبالتالي للجند المنتسبين الى البوسنة فلان هذا التغير لم يحدث أي تغير جوهري في خطتهم : فقد واصلوا القتال بنفس أسلحة الجيش الفيدرالي ، واستمر تلقيهم لامدادات من المؤن والخبيرة والطعام والوقود من صربيا وواصلوا العمل في تعاون تام مع القوات غير النظامية من صربيا ، وحافظوا على الاستراتيجية الشاملة التي وضعها الزعيم الصربي . ولم يظهر الا بعد أحد عشر شهرا ، يوم ان اختلق ملاديتش مع ميلوشيفيتش ، حول تقبل خطة فانس - أوين ، ان هناك اختلافا بين استراتيجية « صرب البوسنة » وبين زعامة بلجراد وسياستها .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا المحاولة التحيلية آتت آثارها المرجوة ، فإن السياسيين المرزوقين الغربيين مثل وزير الخارجية البريطاني دوجلاس هيد ، سرعان ما أخذوا يصفون القتال الناشب في البوسنة بأنه « حرب أهلية » - كما أن محررا سابقا مبرزا في جريدة التايمز نشر عددا من المقالات وصف فيها القتال بأنه « حرب أهلية » بمعنى الكلمة . وظلت الاداعة البريطانية تشير باستمرار الى كل جوانب ذلك الصراع ، بما في ذلك الحكومة البوسنية نفسها بأنها « أحزاب متناحرة » ، ووصفت الحرب بأنها « انهيار للقانون والنظام » - (إذ حدث في مناسبة ما في أبريل ١٩٩٢ ، عندما قطعت الطريق على ست سيارات للأمم المتحدة قوات غير نظامية صربية ، أعلنت الاداعة البريطانية أن « جهود تقديم المساعدة للاجئين تحول دونها انهيار للقانون والنظام » ، ولعل هذا هو الحادث الأول من نوعه والوحيد في التاريخ الذي يشهد فيه إلى اختلاف مسيرة محملة بالأغدية على يد انهيار القانون والنظام (١٥) . ولم يكن يوسع بريطانيا أن مهم ما كان يحدث هناك لسبب آخر وهو أنه في الأيام الحرجة الحاسمة الأولى في أبريل ١٩٩٢ كانت بريطانيا تبحثار انتخابات عامة ، ومن ثم لم يكن في المستطاع الالتفات إلى ما كان يجري في البوسنة إلا من جانب قلة من الحلفين والساسة ، وأخيرا عندما تنبها إلى وجود حرب حقيقية ناشبة في ذات الإقليم لم يستطيعوا أن يروا الامسوحة من المتفائلين المتشابهين تماما في التراسمة . يناقشون بعضهم بعضا من أجل أسباب لا مسبيل إلى فهمها ، فلما في الولايات المتحدة ، فإن موعد انتخابات الرئاسة كان يعد سمة أشهر ، ولكن إدارة بوش حرصت على تجنب أية سياسة تنطوي على التورط ، وتؤثر على نتيجة الانتخابات ، وكانت قائمة بقبول رأى زعماء المجموعة الاقتصادية الأوروبية ، الذين كانوا ادعوا منذ بداية الحرب اليوغوسلافية أن هذه إنما هي « مسألة أوروبية بحتة » .

وأحدث قوات الدفاع المحلية التابعة للحكومة البوسنية على غرة ، وربما كان عدد رجالها لا يتجاوز ٣٥٠٠ رجل في مجموعها كله) ، ولكنه حاولت بالفعل أن تظهر شيئا من المقاومة أثناء شهر أبريل . ولكن في هذه الفترة المبكرة كانت المقاومة الرئيسية من جانب الكروات - ففي غرب الهرسك ، كان الكروات قد اغفوا بعض العدة ، وانضم إليهم رجال من القوات الكرواتية غير النظامية - فقد كانت هذه القوة متمتزة بالجيش الكرواتي امتزاجا رسميا أثناء حرب ١٩٩١ - ١٩٩٢ التي دارت رحاها في كرواتيا ، حتى إذا انتهت تلك الحرب أو أوشكت ، ذهب كثير من اعضائها إلى الهرسك كوسيلة للهرب من رقابة الجيش الكرواتي عليهم . وفي أبريل ١٩٩٢ شكلوا ما يقارب ٥٠٠٠ من تلك القوة ذات الخمسة عشر ألف

رجل من المقاتلين الكروات ، التي كانت مجتمعة بتلك المنطقة : لما الكروات المحليون فانهم ظفروا تحت رعاية « مجلس الدفاع الكرواتي » • وبدلوا في نهاية مايو في القيام بهجوم مضاد ميج • بعد أكثر من شهر من القتال • في دفع قوات الجيش الفيدرالي بعيدا عن منطقة موستار • وانضم اليهم في تلك المدينة ما قد يصل الى خمسة عشر ألفا من قوات الجيش النظامي من داخل كرواتيا • وقد جلبوا معهم كمية صغيرة من الدبابات ووضع قطع من المدفعية • وفي ١٦ يونيو وقع الرئيس عزت ييجوفيتش مع توجان سخاله بين قطريهما تبجح استخدام كل من قوات الجيش الكرواتي وقوات مجلس الدفاع الكرواتي المحلية (١٦) • وفي أجزاء من شمال البوسنة أيضا • وبخاصة بمنطقة بوسانيينا • تمكنت مقاومة القوات الكرواتية • من وقف التقدم الصربي تماما • كما أنها تمكنت في بعض الأماكن الأخرى من رده على أعقابها •

وكانت النوايا السياسية لزعماء الكروات والبوسنيين الكروات • عرضة لبعض الشكوك • فانهم اقاموا لجنة استبايع وهم يحاربون عزت ييجوفيتش أن يعلن قيام دولة كونفدرالية بين البوسنة وكرواتيا • ولكنه كان يرفض على الدوام فعل ذلك • اما لأنه كان يخشى من امتصاص البوسنة في النهاية في داخل كرواتيا أكبر منها • أو لأنه ظن أن حركه كهذه ستعطى تبريرا لصحج الصرب • وتفكره هذا يدل على أنه كان يعتقد في ضرورة أن تمثل حكومته الصربيين • كما تمثل المسلمين والكروات • بل الواقع أنه احتفظ فعلا بالوزراء الصرب في وزارته طوال مدة الحرب بأكملها • ولكن محاولة عزت ييجوفيتش أن يكون متوازنا • أثارت عليه الكروات • الذين كان هدفهم الاستراتيجي العسكري واضحا في تلك المرحلة • كما انه اغضبهم • بأن عين في القيادة العامة للجيش • الضباط المسلمين القلائل الذين ارتقوا الى رتبة الجنرال في الجيش اليوغوسلافي الفيدرالي • وهو شعب حلالوفيتش • وله سابقة قيادة وحدات آلية كثيرة هاجمت كرواتيا أثناء الحرب السابقة • وطوال يونيو ويوليو ظل زعيم حزب الاتحاد الكرواتي الديمقراطي في البوسنة • ماتى بويان يضغط على عزت ييجوفيتش عسى أن يوافق على قيام الدولة الكونفدرالية • وذلكه اما بتهديده بسحب قواته أو بسد الطريق على امدادات الجيش • وفي اوائل يوليو أعلن بويان قيام « مجتمع الهوسك والبوسنة الكرواتي » • أي تأسيس إقليم كرواتي يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي • وادخلت فيه الصلة الكرواتية ورفع فيه العلم الكرواتي • ثم حدث فيما بعد أن صدر بيان رسمي على لسان أحد مشعري بويان أكد فيه أن ذلك إنما هو إجراء

مؤقت . وأن المنطقة لابد انها ستكون في نهاية الأمر . جزءا لا يتجزأ من البوسنة . مرة أخرى (١٧) .

فاما ان يوبان نفسه كان يريد حقا لهذه المنطقة أن تنضم الى كرواتيا . فامر ظاهر يمكن افتراضه مقدما . ولكن اعلانات الرئيس توجمان الرسمية استمرت تطرى فكرة الحفاظ على سلامة الحدود البوسنية . على أن بعض مستشاري توجمان المقربين . وبخاصة وزير دفاعه الهرسكي المولد . جويكو شوشاك . كان يحبذ اقتطاع بعض مناطق من البوسنة . بيد ان كثيرا من الوزراء الآخرين ومعظم حرب الممارسة في كرواتيا كانوا معارضين لذلك . ولعل من العدل أن نقول ان موقف توجمان الخاص كان يسطو على موقف انتحاري عقلاني . فلو أنه أعطى لشارات واضحة من العالم الخارجي . بأنهم لن يسمحوا بهزيمة البوسنة وتطهيرها . فسيضي لهذا يتلك السياسة . ولكن اذا كان الصالح مستعدا أن يسمح للصرب بأن يستولوا على الأراضي ويستعمسكوا بها . فإنه كان يرجو أن ينال نصيبه من الكعكة هو أيضا . لكن المجتمع الدولي لم يسطه أية إشارة واضحة تدل على عزمه على الحفاظ على وحدة البوسنة في حين أن مستقبل المناطق المأهولة بالصرب في البوسنة كان غامضا . مع صدور اجراءات متعاقبة مماثلة كسبا للوقت . كان المقصود منها سيطر اقتصاد الامم المتحدة عليهم . وذلك ما اتاح لتوجمان سببا اضافيا للمساومة على أرض البوسنة .

وعلى الصوم كان رد فعل المجتمع الدولي مرتبكا أو سلبيا . وعندما بدأ القتال في البوسنة كانت الامم المتحدة في بداية انشاء حجر قيادة عاليا في سراييفو . فضلا عن قواعد في بعض مدن البوسنة الشمالية . لكي تدير عمليات حفظ السلام في كرواتيا . وفي اوائل مايو رفض الامن الصام بطرس بطرس غالي استخدام قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في البوسنة . وفي يوم ١٦ مايو سحب معظم قوة الامم المتحدة الموجودة أصلا في سراييفو . وبعد ذلك بأسبوعين أصدر بطرس غالي تقريراكرر فيه الخط الأساسي لمبادرة ميلوشيفيتش . وهي أن الجيش والقوات شبه النظامية بالبوسنة كانت « مستقلة » ولا علاقة لها بيلجراد . كان الهدف من وراء هذا التقرير هو الحاجة ضد فرض العقوبات على صربيا . وهو اجراء اقترحه الحكومة الأمريكية . ولكن قاومته كل من فرنسا وبريطانيا اللذين قالوا انهما يريدان اعطاء ميلوشيفيتش « فرصة أخرى لإيقاظها بحري في البوسنة من عتف » (١٨) . (والواقع أن العقوبات قد وضعت على صربيا في ٣٠ مايو . ولكن لم يكن لها أي تأثير في الجهد الحربي

الصربي . كما أنها قوضت تقويضا شديدا بما سلم من المتروك وغيره من الإمدادات ، التي كانت تصل برا من اليونان أو ترسل عبر الدانوب من روسيا وأوكرانيا .

كانت نقطة الاختفاق الجوهرية التي وقع فيها المسألة الفرييون . هي أنهم لم يكونوا ينظرون الا الى أعراض الحرب ، ولم يكونوا ينظرون الى أسبابها : وكانوا لم يكونوا يريدون حتى أن يفهموا طبيعة مشروع ميلوشيفيتش . لقد أصروا على معالجة الحرب بوصفها هي جوهرها مشكلة عسكرية أكثر منها مشكلة سياسية . ولم يعد اقتسام المسئولية أو توقيع اللاتمة الا مجرد الإشارة بالأصبع الى أقوام يتبادلون إطلاق البنادق ، ولما كانت هناك الآن جبهتان تتبادلان ذلك الإطلاق وقع اللوم عليهما كليهما . وبذلك تقع اللاتمة على كل فرد ازاء ما يحدث في البوسنة والهرسك ، ذلك ما صرح به مفوضي المجموعة الاقتصادية الأوروبية . لورد كارينجتون . في إحدى ملحوظاته التي قدمتها عن عدم فهمه للموضوع . وقال : « وبمجرد الوصول الى تنفيذ إيقاف تبادل النار ، لن تكون هناك حاجة الى لوم أي جانب من الجانبين » (١٦) . والتسليم عند حد إيقاف تبادل النار - وهو أمر تم خرقه أكثر من مرة أثناء الجذب - الباقي من السنة - أصبح أوضح دليل وأكبر عارضا على سوء الفهم السياسي .

ونظرا لأن الحرب كانت تزداد في جوهرها مجرد مشكلة عسكرية وحسب ، سببه شيء ما يسمى « العنف » الذي « انفجر فجأة » من كل من الجانبين على السواء . - فإن جهود الغرب كانت موجهة الى ما كان يوصف آنذاك « بتقليص حجم القتال » . ومن هنا جاء شعار البوسنة وكان أكبر عامل في ذلك رفض رفع حظر توريد السلاح على الحكومة البوسنية . لقد فرض ذلك « الحظر » من جانب الأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٩١ على يوغوسلافيا بأكملها التي كانت لا تزال في تلك المرحلة من التناحيه الرسمية دولة واحدة . وبالرغم من أن الأمم المتحدة اعترفت بالبوسنة وأدخلتها دولة عضوة متميزة ومستقلة عن يوغوسلافيا في ٢٢ مايو ١٩٩٢ ، فإنها استمرت في تطبيق الحظر كانوا لم يحدث أي تغيير . وهي بطبيعة الحال قد استمرت في تطبيقه على صربيا أيضا . بيد أن صربيا كانت تمسك بكلتا يديها معظم أكدمس الأسلحة المتبقية عن الجيش الفيدرالي السابق ، كما أنها كانت تمتلك صناعة سلاح ضخمة خاصة بها . (ومن بين صناعات الأسلحة الرئيسية العظمى في البوسنة ما كانت قائمة في المناطق العرقية للصربيين : مثل مصنع قنابل المدفعية القائم في المنطقة الصربية فوجوتشا

خارج سرايفو ، وهو المصنع التي استولت عليه القوات الصربية عند بداية الحرب) . وبالإضافة الى ذلك ، فإن الجيش اليوغوسلافي اشترى مقداراً ضخماً يقدر بأربعة عشر ألف طن من الأسلحة من الشرق الأوسط قبيل تنفيذ قرار حظر السلاح في ١٩٩١ (٢٠) . وكان القواد العسكريون الصربيون يفتخرون ، في أحيان كثيرة ، بأن لديهم من الأسلحة والسحبة ما يكفي لمواصلة الحرب في البوسنة ست أو سبع سنوات أخرى ، ولم يكن في إمكان الحظر والحالة هذه ، أن يكون له أدنى أثر حقيقي على قدرتهم العسكرية . ولكن ذلك الحظر كان بالنسبة لقوات الدفاع اليوغوسلافية قراراً بالاعتماد على المدى الطويل .

ومن المسلم به أن امدادات قليلة من الأسلحة كانت تصل الى البوسنيين بالفعل ، وذلك على يد كرواتيا في غالب الأمر رغم ذلك الحصار المضروب على الساحل الكرواتي عند يوليو ١٩٩٢ من جانب حلف شمال الأطلسي والاساطيل الصغيرة التابعة لاتحاد غرب أوروبا . وبقيت بقية مصانع أسلحة قليلة داخل المناطق التي تسيطر عليها الحكومة البوسنية ، وظل بعضها قادراً على الإنتاج رغم الاضطراب في الامدادات . وفي بعض الأحيان كانت قوات الحكومة البوسنية تسفول أيضاً على بعض المواد من الجيش الصربي : ومن أبرز تلك الصلصات بشمال توزلا الاستيلاء على طابور مدرع بأكمله . ولكن الشيء الذي كان يميز البوسنيين على الدوام هو المدرعات الثقيلة والمدفعية ، والأسلحة المضادة للدبابات . وفي سبتمبر قدر أنهم يمتلكون دبابتين واثنتين من حاملات الجنود المدرعة وذلك بينما كان الجيش الصربي في البوسنة يمتلك ثلاثين دبابة ومئتين من حاملات الجنود المدرعة وثمانين قطعة مدفعية وأربعين طائرة (٢١) . ثم جاء تقدير آخر صدر في يونيو ١٩٩٣ ، وهي يحدد الأسلحة التي استولى عليها البوسنيون بأنها تصل الى أربعين دبابة وثلاثين حاملات جنود مدرعة بالإضافة الى عدد ضخم من قطع المدفعية الخفيفة ، وكان المظنون أن القوات الكرواتية تمتلك ما يقرب من خمسين دبابة وأكثر من مئة قطعة مدفعية (٢٢) .

ومع هذا ، ورغم الفارق الكبير في التوازن التسليحي ورغم الفرض المستمر لوقوف الاعداد الموجه الى القوات الصربية ، فإن التاريخ العسكري للحرب أثناء ١٩٩٢ ، كان تاريخ تبادل حقيقي وندي منذ اللحظة التي بدأت فيها قوات حكومتى البوسنة والكروات في تنظيم صفوفها في اواخر ١٩٩٢ . وفي الشهور التسعة التالية ، أمكن إيفاد القوات الصربية ، كما انها في بعض المناطق اضطرت الى التراجع : وبخاصة في الهرمات أثناء شهري مايو ويونير ، وحول جورازده (Gorazde)

في أغسطس . وفي صرب برنيمكو بشمال البوسنة الشرقي ، بدرجة
 منقطعة طوال الخريف ، وفي أجزاء من وادي الندينا بشرق البوسنة
 في يناير ١٩٩٢ - كان هناك فارق في التكتيكات العسكرية بين الجانبين ،
 يعبر عن فارق في السيكولوجية والدوافع . وكان التكتيك الأساسي للجانب
 الصربي هو نفس التكتيك الذي سبق استخدامه في كرواتيا ، وهو القنود
 على مسافة معقولة حذرة ، وذلك المناطق التي كانت تهاجمها بالقصف
 المدفعي ، مدة أسابيع ، بل حتى شهورا متتالية بلا توقف . وكان كثير من
 المجددين الذين يعملون في هذا الجيش الفيدرالي سابقا يعترفون إلى حافز
 يدفعهم لمهاجمة ديار المسلمين والكروات ، بينما كان (٢٣) هؤلاء لديهم
 الحافز للدفاع عنها ، ولو كانت الحكومة البوسنية قادرة على أن تمارس
 الحق الطبيعي لأية حكومة أخرى ، في الحصول على الأسلحة للدفاع عن
 شعبها ، فإن من المحتمل تماما أن المكاسب الصربية ما كانت إلا لترد على
 أعقابها في كثير من أرجاء البوسنة ، لأن لم يكن ذلك إلى حد الهزيمة المطلقة
 لزعماء الصرب ، وعند ذلك قد تكون الهزيمة إلى حد أنهم يتركون ويعلمون
 أنهم لن يستطيعوا الحصول على الأرض التي يريدون عن طريق القنح .
 وعندما ما كانت الحرب لا تنتهي فيما يحتمل في مدى أوبئة أو ستة أشهر .
 ولكن ذلك لم يحدث ، لأن تسليم الأسلحة إلى الحكومة البوسنية كان يلقى
 مقاومة شديدة من رجال من أمثال دوجلاس هيرد ، الذي كان يحتاج بأن
 السماح للبوسنيين بالدفاع عن أنفسهم لن يعود إلا ، بتطويل
 أمه القتال .

وكانت أول بادرة بإحداث تغيير ممكن في السياسة الغربية في أوائل
 أغسطس ١٩٩٢ ، بعد أن قام عدد من رجال الصحافة ومجموعة من
 مندوبي التلفزيون بزيارة أحد « مصسكرات الاعتقال » التي يديرها
 الصرب بشمال البوسنة . ولأول مرة استطاع الرجال العاديون والساسة
 أن يشهدوا بأعينهم الدلائل القاطعة التي تشهد بآساة السكان المسلمين
 بتلك المنطقة . ولم تكن الحقائق مجهولة ، أو لم يكن يحوز أن تكون
 مجهولة ، لدى الأمم المتحدة ولدى الحكومات الغربية : خاصة وأن تيارا
 ضخما من التقارير من موظفي الأمم المتحدة في المناطق المجاورة بكرواتيا ،
 أشار إلى مصسكرات الاعتقال هذه أثناء الشهرين السابقين . كما أن تقريرا
 أصدرته المنظمة العالمية لحقوق الإنسان في ٢٩ مايو ذكر أمثلة كثيرة
 للمسلمين المدنيين الذين أعتقلوا واحتجزوا بالمدارس وغيرها من المراكز ،
 فضلا عن أنهم كانوا في بعض الحالات يقتلون (٢٤) . وفي أوائل شهر
 يونيو أصدرت الحكومة البوسنية قائمة بأسماء أربعة وتسعين مكانا

لسجون ومسكرات اعتقال يديرها الصرب ، ومعها تقدير لعدد الناس الذين قتلوا حتى ذلك الحين بأنه تسعة آلاف وثلاثمائة من الألفى (٢٥) - وهذا الرقم لم يكن بأية حال قريبا من المجموع الكلى للمدنيين ممن اعتقلوا وأعدموا رميا بالرصاص : وبخس النظر عن ضحايا التصف للمدفسي ، فإن هناك كثيرا ممن اعتقلوا وأعدموا في القرى والمدن بجميع أرجاء البوسنة . وهناك حالة تدعىها وثائق جيدة بوجه خاص ، وهي حالة مدينة زاكولياتشا المسلمة (Zakopatca) ، حيث أعدم ما لا يقل عن ثلاثة وثمانين قرويا - يكادون يشكلون مجموع الرجال المسلمين بثلث القرية - حيث « نفذ فيهم حكم الإعدام بالجملة » على يد الجند غير النظاميين الصربيين في يوم ١٦ مايو ١٩٩٢ - وهاكم مثالا نموذجيا لها :

« كان زوج أختي حاسو هودجيتشي ، واقفا في الخارج أمام المنزل ، عندما اقترب منه جنه التشيتيك ويطوا بندائه بالأوستاشا » فشرح زوج أختي في السير نحوه ، فطلبوا منه تسليم أسلحته « فأخبرهم بأنه لا يملك أسلحة ، وأنه يمكنهم أن يأخذوا بقراته » وعند ذلك فتح عليه النار أحد التشيتيك فإرداء صريحا » (٢٦) -

وفي بعض الأماكن ، جرى قتل متصد لكل المسلمين المتعلمين ، ووجه المجتمع المحلي : المعلمين والأطباء والمعلمين . وقد أظهرت التقارير المفصلة التي ظهرت بعد ذلك ، في نفس السنة ، أن بعض مسكرات الاعتقال قد استخدمت أيضا مقرا للقتل المنظم . وكان هناك أيضا كثير من التقارير المدعية بالأسانيد والوثائق عن نساء يقبض عليهن ويحتجزن في سان خاصة بفرض الاعتصام المنظم (٢٧)

كان رد فعل الساسة الغربيين إزاء مشاهد السجناء المسلمين في المسكرات ، هو مجرد التمييز فقط عن القسب والاعتصام - مثال ذلك أن لورد براين وهو يكتب كعطف مستقل ، دعا إلى شن غارات جوية على القوات الصربية . فرد دوجلاس هيرد على كل هذه الدعوات إلى التدخل ببيان قال فيه : « لن هناك » مبررا « كبيرا للتدخل » وإذا قمنا أن ندخل عسكريا يستمر لمدة أيام قليلة سيضع نهاية لتلك الآلام ، فإن الأمر لن يكون مجرد « مبرر » كبير بل سيكون دافعا حائلا » (٢٨) . وهنا ، كان سيادته يعترف لأول مرة بصحة المدعى القائل بأنه ربما كان من الصواب أن « نزيد حدة القتال » في المدى القصير لكي ننهي في المدى الطويل « بيد أنه كان لا يزال يمارس باصرار تام فكرة تطبيق هذا المبدأ بالسماح للحكومة البوسنة

بالدفاع عن نفسها ، مستخدمة قواتها الخاصة وقدموا كافيًا من الأسلحة .
ولكنه كان ، شأن معظم الزعماء العربيين الآخرين ، لا يزال ينظر إلى
المقاتل على أساس أنه حرب أهلية (« وأنها حرب لا خط لجهة فيها ») .
فالفكرة منقسمة على نفسها إلى شطرين متعادين (« وفهم وواضح للميان
أنه كان كارها للتدخل بالجند البريطانيين - وهو شيء لم تكن الحكومة
البوسنية على كل حال تساله أن يفعله » .

ووقع على عاتق الحكومة البريطانية ، كمتولية لرئاسة المجموعة
الأوروبية الاقتصادية ، أن تراس مؤتمرا مشتركا للمجموعة والأمم المتحدة
حول الموقف في يوغوسلافيا بأكملها ، وهو مؤتمر عقد في لندن خلال
الأسبوع الأخير من أغسطس . ويلات الشلل الذي أصاب الغرب أوضح
كثيرا . فحصل جون ميجور على ما وعدته تعهدات جادة فاطمة من زعماء
النسب يرفع الحصار عن المدن البوسنية كبيرها وصغيرها ، وأن يضموا
أسلحتهم الثقيلة تحت إشراف الأمم المتحدة . ولكن الإشراف فسر
بمعناه الأصلي الحرفي : فسمح للمدنيين الأمم المتحدة بأن يوصلوا قطع
المدفعية الموجهة إلى سراييفو كل يوم وهي تطلق فداقها دون التدخل
للمعها . والأجراء الآخر الذي تم الاتفاق عليه في المؤتمر كان يتضمن تشديد
الضغوط على النسر عند نهر الدانوب . (وإن لم تكن هناك حتى آنذاك أية
وسيلة لإيقاف الصنادل المائلة عن التقدم بما تحمل ، اللهم إلا استخدام
مكبرات الصوت) ، وحظر تحليق الطائرات فوق البوسنة (وإن لم تم
المسدة لتنفيذ ذلك) . وتعيين اللورد لوين المقاتل المعارب ليحل محل
لورد كارينجتون في وظيفة مفاوض المجموعة الاقتصادية الأوروبية (وإن
كان اللورد لوين قد أسقط على الفور تهديده بالصل العسكري ، وبدأ يعامل
النسر بوصفهم فئة متكافئة في المفاوضات لها ادعائها الصحيحة مثل
الأطراف الأخرى تماما) .

والمررة الثانية لفصل المجتمع الدولي في أن يدور الأسباب الجوهرية
للصراع . والآن أصبح التأكيد مركزا على شيئين : الحلول العسكرية
للمشاكل العسكرية ، والحلول الإنسانية للمشاكل الإنسانية . ومع أن
مصطلح « التطهير العرقي » كان دائما على الألسن في كل مكان ، فقد ظل
الاقتراض قائما بأن المشكلة الجوهرية عسكرية بحتة ، وأن فرار السكان
المقهورين والعربيين ، لم يكن إلا نتيجة ثانوية للمقاتل . وعند ذلك أصبحت
المسألة توصف بأنها مسألة أو مشكلة إنسانية ، يمكن أن « تحل » بنقل
اللاجئين إلى معسكرات لاجئين خارج البوسنة . فلما الفى الذي لم يكن
مفهوما تماما ، فهو أن التطهير العرقي لم يكن تنجبا ثانويا للحرب ، وإنما هو

جزء، صوري أسامى من المشروع السياسي الذي كان مقصودا من الحرب أن تنجزه . وأعني بذلك خلق مناطق صربية متجانسة . يمكن في خاتمة المطاف أن تنضم إلى مناطق صربية أخرى ، بما في ذلك صربيا نفسها ، بقية خلق دولة صربية عظمى .

وأما البعثات الانسانية التي كان يرسلها العالم الخارجي ، فإنها كانت تنفذ الحياة البشرية دون أدنى مراعاة على أنها كانت لها عواقب أخرى غير مرغوبة ولكنها أيضا غير بسيطة عن العقول ولا غير متوقعة : إذ كانت الميليشيات المحلية تتعامل وإياها بوصفها مصدرا للثروة ، حيث كانت تتلقى منها بانتظام مقداراً يصل إلى ربع المقادير المسلحة للناس ، والتي كانت تمر من خلال نقط تفتيشهم ، مع ابتزاز مبالغ طائلة من الأموال أيضا (٢٩) . وبينما وكالات المونة العامة والحاصنة تبذل جهودا مضنية لجلب الطعام والأدوية إلى البوسنة أثناء النصف الثاني من عام ١٩٩٢ ، انضم اليهم عدد متزايد من جنود الأمم المتحدة (بلغوا ثمانية آلاف تقريبا عند نهاية السنة) ، وكان دورهم ، بالإضافة إلى حماية قوافل المساعدات ، غير واضح ، وكانت العاقبة السياسية لوضع هذه القوة الصغيرة الخفيفة المسلحة في البوسنة هي أنها أصبحت في وضع الرهينة ، ومن ثم صارت الدول القريبة أكثر ترددا في تبني أية سياسات قد يترتب عليها الانتقام من جانب الصرب من هذه الحشود المكشوفة من الجنود . وهكذا حدث عند حلول ديسمبر ، أن الحكومة البريطانية التي ساعدت في إقامة منطقة حظر الطيران ، فوق البوسنة ، كانت تجادل في الأمم المتحدة ضد اتخاذ أي إجراء لتطبيق الحظر ، خشية ما ربما قد يقع منه من ضرر على الجنود البريطانيين في البوسنة إذا حدث وأسقط سلاح الطيران الملكي البريطاني طائرة صربية (٣٠) .

وفي أواخر أكتوبر ١٩٩٢ قدم مفاوضا المجموعة الاقتصادية الأوروبية والأمم المتحدة وهما لورد أوين وسيرجوس فانس ، أول اقتراح تفصيلي لتسوية سياسية . كانت تلك التسوية عبارة عن « حل » وصل إلى بتتفيذ مطالب الصرب والكروات والمسلمين عن طريق رسم خطوط عرقية بين الأطراف جميعا . كانت النتيجة أن أعطى الصرب مساحة كبيرة من الأرض ، مما استفز المسلمين إلى الشعور بأن الصربيين قد كوثوا على عدوانهم ، ومما أشعر الصرب بأنهم لو استمروا في أعمالهم ، فلابد أنهم سينالون قدراً أكبر . وقد وضع هذه الخطة أصلاً دبلوماسي فنلندي اسمه مارتي اهتيساري (Martti Ahtisaari) وترمي الخطة إلى تحويل البوسنة إلى « مقاطعات ذات استقلال ذاتي » أو كانتونات تقوم بجميع وظائف

الحكومة بما في ذلك أعمال الشرطة • وتحتوي الحكومة المركزية في البوسنة مسائل الدفاع القومي والشنون الخارجية فقط • وعندئذ ضغط الصرب ضغطا أشد عندما صدرت الحطة فيما قيل انه آخر اطار نهائي لها بمدينة جيتيف في يناير ١٩٩٢ ، حتى ان شنون الدفاع انتزعت من سلطات هذه الحكومة المركزية المقترحة (٣١) •

كانت مزايا حطة فانس - أوين تنحصر في اصرارها على أن يسمح للاجئين بالعودة الى ديارهم بكل أرجاء البوسنة • واصرارها على عدم توصيل الكانتونات التابعة للمناطق التي يحتلها الصرب بطريقة تجعل من السهل عليها أن تحاول أن تنضم الى صربيا بوصفها كتلة أرضية واحدة • ومن أسف أن هذين المبدأين الجديرين بالثناء كانا متناقضين مع بنية الحطة ، ومع الواقع نفسه ! • إذ أن بقية الخطة كانت تعطي سلطات تشريعية كاملة وقضائية وتنفيذية (بما في ذلك الشرطة) للكانتونات • وهو أمر كان من المستحيل معه ان يعود اللاجئون المسلمون في امان الى الكانتونات التي يحكمها الصرب (٣٢) • كما ان واقع الأمر على سطح الأرض كان يشير الى ان المناطق التي استولى عليها الصرب كانت متصلة • وكان من المستحيل على رعمه الصرب أن يفزلوا في هذه الروابط التي كانت عنصرا أساسيا في خططهم الخاصة •

ومن العيوب الأخرى في هذه الخطة والتي تجلت في صورتها التي نشرت في يناير ، أن أعطيت الكانتونات أسماء « عرقية » على الخرائط ، رغم ان هذا الأمر لم يكن منصوبا عليه في صورتها الأصلية ، كما أنها أوضحت في نفس الوقت بأن الحدود الدقيقة على الخرائط ليست مع ذلك نهائية بعد • الأمر الذي جدد التنافس على احتياز الأرض • هل انه مما يزيده الطين بلة ، ان الخطة كانت تستمر التنافس بين القوات الكرواتية والمسلمة ، على أجزاء من وسط البوسنة ، التي يعيش فيها خليط من السكان المسلمين والكرواتيين • وهنا نكون عند • بعد قرار حظر الأسلحة على المسلمين ، قاي أهم مساهمات القرب التي أسداها في سبيل تسخير البوسنة ، إذ أنها وضعت أساسا لتطوير حرب محلية حقيقية ، واذ فعلت ذلك ، فإنها قصمت ظهر التحالف الكرواتي للمسلم ، الذي كان الحاجز الوحيد الذي يوقف الصرب عند حذرهم •

وكما رأينا آنفا ، كانت هناك توترات بالفصل بين المسلمين البوسنيين وزعمه الكروات • ففي سبتمبر ١٩٩٢ ، ظهر تقرير بأن الزعيم الكرواتي ماتو بويان كان يحض قوات مجلس الدفاع الكرواتي على أن يكفوا عن

مساعدة قوة الدفاع البوسنية ، في محاولاتها كسر الحصار حول سراييفو (٣٣) - وحدثت في أكتوبر بعض مناوشات بين الميليشيات المسلمة والكرواتية في فراقيف وبروزور ، كما حدث تبادل من مرير اللوم بين الجانبين حول سقوط ياييه في ايدي الصرب . ولكن حتى الآن لم يكن هناك أي قتال واسع المدى بينهما ، كما في التحالف العام ظل قائما . ولم يثبت ذلك الموقف أن تغير تدريجيا بتأثير حملة فانس - أوين في أوائل ١٩٩٢ - وفي فبراير حوصرت القوات المسلمة في جورني فاكوف بواسطة قوة جند مجلس الدفاع الكرواتي ، وفي المنطقة يسمى فيتير (Vitez) وكيسلياك (Kiseljak) (وهي منطقة خلاف على خريطة فانس - أوين) اشتبك كل من المسلمين والكروات في قتال وصفه تقرير بأنه « تطهير عرقي مستقل » (٣٤) . وفي أوائل أبريل ، وقعت اشتباكات من القتال الثقيل بين المسلمين والكروات بمنطقة ترافنيك - فيتير - زينيكاف في وسط البوسنة (٣٥) - وأصدر مندوب هيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ، تادوس مازوفسكي (Tadeusz Mazowiecki) تقريراً في الشهر التالي ، محذراً بوضوح أن خطة فانس - أوين كانت تغير عملية التطهير العرقي ، ولكن سبق السيف العدل (٣٦) .

واحتج الأثر المزدوج لحظر توريد الأسلحة ، وخطة فانس - أوين - فاضف بصورة قاتلة كل المقاومة العسكرية ضد الصرب - وحتى وقت متأخر هو يناير ١٩٩٢ ، كانت تنتشر تقارير عن صد القوات الصربية على أعقابها بمناطق عديدة ، وبخاصة في منطقة براتسكاف في وادي درينا (٣٧) . بيد أن قصص المحاصر كان قد أخذ بدرجة خطيرة في تحريق قوات الدفاع البوسنية . وفي الشهر الأول من ١٩٩٢ ، صنعت القوات الصربية بمرجات واضحة حملتها على عدد من الجيوب المسلمة المحاصرة داخل المنطقة التي غزاها الصرب بشرق البوسنة . وعلى الرغم من مبادرات أيجيد تدبير النهاية لها بقلم القائد العام لقوات الأمم المتحدة وهو الجنرال موريليون وبقلب القوات الحوية الأمريكية التي كانت تسقط عليها الأمدادات والأغذية بالمظلات ، فإن هذه الجيوب لم تستطع أن تصمد طويلا - وهنا انقلبت ميريديكا ، التي كانت في آخريات المصور الوسطى أعظم مدن البلقان الغربية رغدا لاجتواها على عمال مناجمها الألماف وتجارها المراحوزيين ورهبانها المرتسيسكان ، إلى مصير عملاق للاجئين النساء - أما زيبا (Zepa) ، ماها لما دخلها المراقون الأجانب ، وجدوها مهجورة - فمتدما غدت ذخيرة المتأففين عنها ، قر سكانها إلى التلال المظلة عليها وعاشوا في الكهوف على التربة التي كانت الطائرات الأمريكية تسقطها عليهم (٣٨) .

وتحت هذا الضغط العسكري ، تحركت الحكومة البوسنية ، خلال
 مارس وأبريل ، نحو تقبل خطة فانس - أوين . إذ تيقنت علم اليقين
 يومئذ ، بإسقاط الأمل في أن يزول القرب السبب الأساسي في ضعف
 البوسنة العسكرية ، وهو حظر الأسلحة عن البوسنة : وقد عبرت كل من
 الحكومتين الأمريكية والألمانية بإيجاز مختصر عن استقرار نيتهما على
 الفنان ، ولكن سمي دوجلاس ميرد المجدد لديهما اقتنعوا بأن يضرا
 رأيهما (٤٩) ، وحتى التسلل الصريح الواضح من جانب الليدي ناشر في
 التليغرافيون البريطاني والأمريكي في منتصف أبريل ، لم يستطع أن
 يبرز سياسات كل من حكومتى هاتين الدولتين . وكانت الحكومة البريطانية
 بوجه خاص مفتوحة بخطة سلام فانس - أوين . ولا تقبل مطلقا النظر في
 أي تغيير أو حركة ، يمكن أن تعرض هذه الخطة للخطر . والأمر في ذات
 المرحلة لم يكن يحتاج إلى أي نوع من الفراسة للقول ، بأنه حتى الآن
 يرى أن خطة فانس - أوين لا يمكن تنفيذها على الإطلاق . (٥٠) .

والطريقة الوحيدة التي كانت تستطيع بها خطة فانس - أوين أن
 تحصل ولو على قبول رمزي من الصرب ، هي أن تكون محطة على طريق
 الانعصال الكامل للمناطق التي غزاها الصرب . على هذا الأساس قام
 رادوفان كاراجيتش ، بتشجيع من سلويودان ميلوشيفيتش ، بالتوقيع على
 الخطة في اجتماع خاص عقد في أثينا في الثاني من مايو ١٩٩٣ . وموقف
 صربيا هذا ، شرحه دراجوسلاف راتشيتش ، وهو المتحدث الرسمي لدعاية
 القومية الصربية دوربكا تشوسيتش (الذي كان قد أصبح رئيسا لصربيا
 والجبل الأسود) ، بقوله ، « أنها مجرد المرحلة الأولى ، وانها لن تدوم
 طويلا - وأنه حتى اللورد أوين نفسه لا يؤمن بها » - وأضاف إلى ذلك
 قوله أن المسلمين سيحصلون في النهاية أنهم يعيشون في معازل كالسود
 في جنوب أفريقيا » ، وأن الصرب سيحصلون على كل شيء يريدونه (٤٦) .
 ومع هذا فإن كثيرا من سياسيين وقادة صرب البوسنة كانوا يعتقدون بأنهم
 يستطيعون أن يحصلوا على ما يشاؤون دون أن يكلفوا أنفسهم بتأييد خطة
 فانس - أوين . وكانت المعارضة قوية بوجه خاص من أولئك السياسيين
 الصرب ، الذين أصبحوا في واقع الأمر الحكام التتبعيين لقطاعيات
 أضخم حجما ، ولا يرغبون أن تقطع سلطتهم بأي تدخل إداري (٤٧) .
 فرفضوا الخطة التي وقها كاراجيتش في أثينا ، ونظروا استفته في
 الخامس عشر من مايو تمكنوا بفصله من اقتناع الجنود والفلاحين الصرب
 أن يرفضوها أيضا . وعقد موقفهم هذا ، الجنرال ملايتش ، الذي يبدو
 أنه كان على خلاف مع ميلوشيفيتش حول هذا التكتيك ، وظل ميلوشيفيتش
 بضمة أيام وهو يصر علنا على أنه سيتفقد الحدود بين صربيا والبوسنة .

ولكنه رفض أن يسمح للمراقبين الدوليين بأن يرصدوا الحدود - ولم يمد
أسبوعين عاد فيض المؤن والإمدادات سيرته الأولى (٤٤) .

على أن شهادة الوفدة النهائية للبوسنة كتبت يوم ٢٢ مايو في
واشنطن في اجتماع عقد لوزراء خارجية بريطانيا وروسيا وفرنسا
والولايات المتحدة . والآن نسقط تماما كل حديث عن الضربات الجوية
التي استخدم تهديدا للصرب أثناء التمهيد لقد اجتماع اتينا - بل أن
فكرة فرض خطة فانس - نوين بالقوة قد ثبتت تماما هي أيضا . وتقرر
بدلا من ذلك أن يسمح للقايا المليونين من مسلمي البوسنة بالتجمع في
عدد ما يسمى « بالمناطق الآمنة » ، حيث لا يضمن أحد في الواقع سلامتهم
ثم انهم سيستمتعون بحراسة قوات الأمم المتحدة الذين كان دخول لهم
حق أن يردوا على إطلاق النار . ليس عند إطلاق النار على المسلمين ، بل
عندما يتعرضون هم أنفسهم (أي جنود الأمم المتحدة) لأي هجوم (٤٤) .
وعندما منح الرئيس عزت بيجوفيتش منحيا هذه الاتفاقية - حيث
لم يكلف وزراء الخارجية أنفسهم مشقة مجرد استشارته في الأمر - أصدر
البيان التالي : « إذا لم يكن المجتمع الدولي مستعدا للدفاع عن المبادئ ،
التي سبق وأعلن أنها أساساته ، فليقل ذلك صراحة ، لكل من شعب
البوسنة وشعوب العالم بأجمعها . وليطلى صيارا جديدا للأخلاقيات تكون
فيه القوة العانية هي أول وآخر حجة » (٤٥) . وفي أثناء شهر الصيف
التالي ، أقدم الذين يارسون تلك الحجة - وهم سلوبودان ميلوشيفيتش
وفرانكو توجمان واللورد أوير ، على وضع شروطات حطت أشد فجاجة
وأكثر انكشافا وعريا ، في مناقب صديق ، لتقسيم البوسنة الى ثلاث دول .
وسواء أتم الاحتفاظ بورقة اثنت ، المسماة دولة البوسنة الكونفيدرالية
الشاملة ، أم لم يتم الاحتفاظ بها ، فامر لا يكاد يستحق أي اعتبار . فإن
كل شكل لتلك الخطة لابد أن يخلق دولة مسلحة على غرار مناطق جنوب
افريقيا لا يمكن العيش فيها ، وهي تسوية لن يقبلها حتى أكثر الجنود
المسلمين ابتعادا عن التراث الاسلامي ومثل هذا الطمع ، بكل ما يحويه
من عدم استقرار طويل المدى يسببه أي استقطاع من اراضي البوسنة ،
وصفه اللورد أوين بأنه « ليس حلا مثاليا ، ولأجل أن تكون أكثر دقة ،
فهو ليس حلا على الإطلاق » .

ولو نظرنا خلفا واستعرضنا تاريخ هذه الحرب ، لوحدنا أن الأسباب
الحقيقية لتدمير البوسنة لم تكن تجري من الداخل ، وإنما من خارج
البوسنة نفسها . كما أنها جاءت على هذا الوجه مرتين متتاليتين : فجاءت
أولا في صورة السياسات الاستراتيجية التي اتخذتها زعامة الصرب ،

ثم جاءت ثانية في صورة سوء الفهم والتدخل الأخرق من قبل زعماء الغرب - ومع هذا فإن كل مشاهد ظور يياصرته الى تلك الفظائع التي لا يتصورها عقل ، والتي ارتكبت أثناء تلك الحرب ، (وهي فظائع ارتكبت في المقام الأول ، وبدرجة فاحشة جائرة على المسلمين والكروات ، ثم عادت فعمت على الصرب أيضا) ، لا يسعه أحيانا إلا التعجب والتساؤل : ألا يتطوى سكان البوسنة في مجموعهم على شيء من الفزع العقل انتهى في خاتمة المطاف الى الظهور على السطح ؟ فلن يستطيع أحد أن ينكر أنه كانت هناك بعض الممارسات البشعة ، كالتشيل بالقتل ، وهو تقليد قديم يرجع الى أيام الحروب الأولى وتحدثنا عنه المرويات الشعبية ، والقصص التي تسكن عن المارتولوس المخيمين في القرن السادس عشر . وكان لا يزال هناك في البوسنة رجال أميد مسنون يستطيعون تذكر هذه الفظائع وأمثالها منذ عهد الحرب العالمية الثانية ولكن الظن بأن هذه الحرب البوسنية انما تعتبر ضربا تلقائيا من مواهب الحرب الأهلية العرقية التي شهدتها يوغوسلافيا أيام الحرب العالمية الثانية ، فكانما هو ضرب من تلاوة جديدة لذلك السيناريو الذي أعده كل من كاراجيتش وميلوشفيتش .

إن فظائع البوسنة في ١٩٩٢ ، لم يكن يرتكبها كهول ، ولا حتى شبان يريمون آثارة الاتحاد السوفيتية ولادة الحرب العالمية الثانية . وقد بدأ النموذج بالفرد عصايات من شمان من سكان المنفى يضحون على أعينهم نظارات شمسية غالية الثمن ، ويطلقون من صربيا ، ولعني بهم اراد القوات شبه النظامية أو الميليشيات التي جندها أركان وغيره ، وبالرغم من أن الأفراد الذين يرتكبون هذه الأعمال البشعة ربما كانوا يحصلون منها على لذة سادية ، فإن كل ما كانوا يفعلونه هو تنفيذ استراتيجية عقلانية مدروسة ، يملها عليهم قادتهم السياسيون - وهي استراتيجية محسوبة بعناية وحرس كاملين ، لفخ مجموعة عرقية من السكان خارجا ، وتصيئة مجموعة ثالثة بالتطرف حتى جنورها - ذلك اني بعد ان تجولت في جميع أنحاء البوسنة امة خمسة عشر عاما ، أقمت بفرق مسلحة وكرواتية وصربية ، فاني غير مستطيع أن أصلق الادعاء القائل بأن ذلك القطر ظل منذ الأزل وسيظل الى الأبد ، يفل بالكراهية والبغضاء العرقية ، ولكني بعد ان استمعت وشاهدت راديو وتليفزيون بلجراد في المدة بين ١٩٩١ و ١٩٩٢ ، أستطيع أن أقوم للذا أصبح الصربي البوسني البسيط يعتقد أنه معرض للتهديد من جحافل الأوستاشا ، ومن الأصوليين المسلمين أو غيرهم . والأمم انما هو كما وصفه الصحفي البلجاري المستقل ، ميلوش قاسيتش . أمام جهود من الأمريكيين : كانا استولت

جمعية الكوكلوكس كلان على جميع المحطات التليفزيونية : « تصودوا
ولايات متحدة وقد اتخذت كل محطة تليفزيونية نفس خط الاذاعة
والتحريض - الذي يليه دافيد ديوك - قلو تم ذلك لتثبيت الحرب في
بلادكم في مدى خمس سنوات » (٤٦) « على أنه ربما كان خير تعليق على
تكتيكات ميلوشيفيتش وكلاواجيتش وعلى ما احرزاه في البوسنة من
انجازات - حوثة وخسب ألف قتيل ، وأكثر من مليوني نازح من
ديارهم ، وقرى بلد ملئ ناكلها تحرق حرقا وتنهب ، وعدة مئات من
المساجد والكنائس تنسف عمدا - ذلك كله حكم من مؤرخ آخر على خلة
جوروجة في الدم لتطر آخر :

وكان على البلشفيك - شأن الدعاء في رواية
دستوفسكي (المسوم) - أن ينفكوا الماء لكي يحكموا
الرباط بين اتباعهم المترددين بحبل متين من الذنب الجماعي .
فكلما زاد عدد الضحايا الأبرياء الذين ضهم الحزب الشيوعي
الى شعوره ووعيه لآثمه ، زاد يقين الأفراد العاديين من
البلاشفة بأنه ليس هناك أي مجال للتراجع ولا التردد .
ولا المساومة ولا الحلول الوسط ، وانهم مرتبطون ارتباطا
لا فكك منه الى زعمائهم ، وليس أمامهم ثمة طريق الا السير
مهم قسما الى « العصر النهائي » بغض النظر عن
النم (٤٧) .

معجم توضيحي

هذه القائمة بالمعجم التوضيحي تحوى المصطلحات التى يكثر وجودها فى ثلثيا الكتاب. فحيثما ذكرت أكثر من صورة لنفس الكلمة استخدمنا هنا حرفى ت و ك للدلالة على التركى والمصريوكرواوى على الترتيب.

الاتحاد للدفاع الكرواوى H.O.S، وهو قوة كرواوية غير نظامية.

الاتحاد الديمقراطي الكرواوى H.D.Z، وهو الحزب الوطنى الكرواوى برئاسة فراتيو توجمان فى كرواوتيا، الذى نشأ منه فرع فى البوسنة يقوده ستيفيان كليويتش أولاً، ثم ترعاه متى بويان.

آجان Agan: موظف وإدارى محلى منتخب.

أسپر Asper: وحدة نقدية عثمانية، وهى عملة معدنية كانت فى الأصل تحتوى على ثلاثة جرامات من الفضة، ولكنها تعرضت لتخفيضات كثيرة فى القيمة (إلى أقل من جرامين فى منتصف القرن السادس عشر، وأقل من جرام واحد عند عام ١٦٠٠).

أغا Aga: المعنى الأصلى: السيد أو المولى، أو الضابط الإتكشارى الكبير. والمعنى الأول فى التاريخ البوسنى هو السرى مالك الأرض الذى ينتسب إلى الطبقة السرية الأخض فى طبقتى ملاك الأرضى.

أغالوك Agaluk: المعنى الأصلى فى التاريخ البوسنى: الأرض المملوكة لأحد "الأغوات" (حيث كانت علاقات صاحب الأرض بالفلاح يحكمها القانون الإقطاعى التقليدى). والمعنى الخاص: قسم أو مقاطعة أرضية من البوسنة يحكمها "أغا".

أقلاتى (فلاتش) Vlachs: أحد سلالة سكان البلقان المرميين، قبل السلافيين.

أوستاشا Ustaša: الحركة الوطنية الإرهابية المتطرفة التى يتزعمها أنتى بافلويتش، وهى التى تسلمت السلطة فى دولة كرواوتيا المستقلة.

إمام **Imam**: الذي يلام المسلمين في الصلاة.

إتكشاري **Janissary**: جندي عثماني، كان في الأصل يجند رقيقاً للسلطان من خلال "الدوشرمة"، ولكن منذ منتصف القرن السابع عشر كان يجند من بين المسلمين العاديين.

ولاية **Eyalet**: الولاية في الإمبراطورية العثمانية (وهي أعظم قسم إداري في الدولة، يقابل قطراً عسكياً أو أكثر من قطر).

باتارين **Patarin**: مصطلح استخدمه الراجوزيون والإيطاليون للإشارة إلى أعضاء الكنيسة البومانية، (ويستخدم في إيطاليا أيضاً للدلالة على الكاثاريين الإيطاليين).

باشا **Pasha**: اسم عام يطلق على الحاكم العام للمنطقة.

باشالوك **Pashaluk**: المنطقة التي يحكمها الباشا.

بان **Ban**: مصطلح كرواتي، استخدم أيضاً في البوسنة القروسطية، للدلالة على الحاكم. وأعيد استخدامه في ١٩٢٩، عندما قسمت يوغوسلافيا إلى "بانونيات"، يحكم كل منها "بان".

بالنور **Pandur**: الجندي، رجل ميليشيا محلي.

بانونينا **Banovina**: منطقة يحكمها أو يديرها "بان".

بك أو بيج **Beg**: سيد أو سري أو مالك أرض، ينتمي إلى الطبقة الأعلى من طبقة مالك الأراضي.

بكر بك **Beglerbeg** (ك)، أو بلربك **Beylerbeyi** (ت): أعلى طبقة في رتبة باشا، وهو الوزير أو حاكم البوسنة.

بكلبك **Beglik**: الملكية التي يملكها "بك" (حيث لم تكن القوانين الإقطاعية التقليدية تهيمن على علاقات السيد صاحب الأرض بالفلاح).

بوتور Potur: الفلاح الصلاحي العادي في البوسنة الذي هدى للإسلام (ولمها مشتقة من الكلمة التركية "بوتور" ومعناها ضرب من المراويل التي يرتديها أولئك الفلاحون).

بوجوميل Bogomil: المثنوي البغاري الهرطيق في العصور الوسطى.

بومانتشيك Bosantchica: هو الخط الذي كان يستعمل في البوسنة القروسطية، وهو مرتبط بالخط السيريليكى ولكنه مختلف عنه.

بزمستان Bezistan: سوق الأكمشة أو السوق المسقوفة.

تشيتنيك Chetnik: مصطلح صربي تقليدى للمقاتل غير النظامي أطلق على القوات بقيادة دراجا ميهايلوفيتش في الحرب العالمية الثانية، يستعمل عادة للإشارة إلى كل غير النظاميين من الجند الصربيين المقاتلين في الهرسك والبوسنة في ١٩٩٢-١٩٩٣ (كما يستخدم بنوع خاص جدا للإشارة إلى غير النظاميين الصربيين بقيادة فوسلاف شوشيلي).

تشيفليك Chiflik: مزرعة كبيرة خاصة.

تروكونا Tretina: تسدود موالى الأرض ثلث المحصول إلى مالك الأرض.

تيمار (ت) Timar: مزرعة إقطاعية.

تيماريوت Timariot: حاكم التيمار.

تلكية Tekke: محل إقامة الدراويش.

جد Djed: هو رئيس الكنيسة البوسنية ومعناها الحرفي "الجد أو أبو الأب".

جروشن Grochen: وحدة عملة نمسوية.

جرينتسر Grenzer: جندي نمسوى مجرى لحراسة الحدود، ساكن بمنطقة لتخوم التي تحد الإمبراطورية العثمانية.

الجزية Gizye: ضريبة الرووس التي يدفعها غير المسلمين.

جوياء Djupia: قسم إدارى فى الفترات السلافية الأيكر عهداً.

الجويان Djupian: حاكم الجوياء.

جوست Gost: عضو فى هرم هيئة الكهنوت فى الكنيسة البوسانية (ومعناها الحرفى هو "المضيف").

الحجة Hidja: بيت دبرى يقع الكنيسة البوسنية.

حزب الحركة الديمقراطية S.D.A. ، وهو الحزب الذى يقوده على عزت يوجوفيتش.

حزب الصرب الديمقراطى S.D.S. ، وقد ألف أولاً فى منطقة كنين فى كرواتيا. ثم أعيد تكوينه فى البوسنة، حيث كان زعمه هو رانوفان كاراجيتش بإشراف سلوبودان ميلوشيفيتش فى بلجراد.

حمام Hammam: هو الحمام التركى.

الخراج Harag: ضريبة الرؤوس التى يدفعها غير المسلمين (وهى فى الأصل ضريبة الأراضى، ولكنها مزجت مع الجزية لتشكل ضريبة رؤوس متدرجة).

لقتر Defter: سجل الضرائب.

لوشرمة Devshirme: جزية الصبيان، وهى جمع للصبيان الذكور المسيحيين لكى يحولوا إلى الإسلام ويصبحوا إكشارية وموظفين إمبراطوريين.

مؤلة كرواتيا المستقلة N.D.H. ، وهى الدولة الأعرية التى كانت تشمل على معظم كرواتيا والبوسنة ١٩٤١-١٩٤٥.

رئيس العلماء Reis ul-ulema: كبير أو شيخ الجماعة الإسلامية الدينية.

رعية **Raya**: وهي في الأصل الشعوب الخاضعة غير العثمانية (سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين)؛ وفي القرن التاسع عشر أصبح معناها على العموم الرعايا المسلمين فقط.

سباهي **Spahi**: الخيال أو القارس.

ستارك **Starac**: عضو في هرم هيئة الكهنوت في الكنيسة البوسنية (معناها الحرفي "الأكبر من")

ستروينيك **Strojnik**: عضو في هرم هيئة الكهنوت في الكنيسة البوسنية. (معناها الحرفي "المسقى").

ستيتشاك **Stetchak** (الجمع ستيتشي **Stetchi**): شواهد قبور بوسنية من العصور الوسطى.

سنجق بك **Sandjak-beg**: حاكم السنجق.

السنجق **Sandjak**: كبر قسم في "إيالة" وهو في الأصل يدل على منطقة عسكرية.

شريعة **Sheriat**: القوانين الإسلامية.

عهدنامه **Abd-name**: منحة من السلطان بامتياز ما.

فوينوك **Vojnuk**: قاطع الطريق أو جندي مشاة مسيحي (سواء أكان صربيا أو اللاتيفيا).

كابتيتان **Kapetan**: هو في الأصل مدير عسكري على منطقة حدود. والمعنى الأصلي لهذه الكلمة في التاريخ البوسني: مدير لأحد المناطق التقسيمية في البوسنة، وله سلطات واسعة جداً، ووظيفته ورقية.

الكابتيتانية **Kapetanija**: المنطقة التي يحكمها "كابتيتان".

القاضيانية Kadizadeh: أعضاء في فرقة إسلامية شديدة التمسك بالأصولية.

قاضيوية Kadılık: المنطقة التي تقع في منطقة اختصاص "القاضي".

قانون الرعية Kanan-i raya: مجموعة القوانين التقليدية المطبقة على "الرعية".

كارافلاك Karavlaçh: عجري من أصل روماني في البوسنة.

كازا Kaza: انظر "قاضيوك".

كايماك Kaimek: مدير يقوم بدور الممثل العسكري للوالي.

كرايينا Krajin: منطقة حدودية.

كرومستواي (أو مسوحي) Kristian: مصطلح استخدم في السجلات العثمانية للدلالة على الضرر المعادي في الكنيسة البوسنية.

كرومستواين (أو مسوحي) Krzjanin: عضو يدير في الكنيسة البوسنية. ومنهاا الحرقى مسوحي).

كسوت Kmet: مولى أرض أو فلاح.

مارتولوس Martolos: مسيحي محلي (سواء أكان من الأقلاق أو الصربيين). من قطاع الطرق من البيادة أو المشاة.

المتووين Manichean, Manichee: وهم في الأصل من أتباع مانى، معلم المعتقد المتنوى غير للمسيحي في القرن الثالث. ثم أصبح يستخدم فيما بعد مصطلحاً يطلق على الهرطقة المتووين في المسيحية.

مجلس الدفاع الكرواتي H.V.O.، وهو المنظمة العسكرية التي أقامها "الاتحاد الديمقراطي الكرواتي" في البوسنة.

محلة Mahala: قسم صغير من المدينة.

مدرسة Medresa: معهد دراسة الشريعة الإسلامية.

مكتب Mekleb: كتاب لينداتى إسلامي.

المنظمة البوسنية المسلمة M.B.O، وهي الحرب الذي يتزعمه عادل نو القنار باشيتش.

مورلاتش Morlach: نوع الأطلاق المقيم في دالماتسيا، وبخاصة منطقة "الحدود" (الكرائينا) الكرواتية.

موسيليم Mosselim: مدير يقوم بدور ممثل للحاكم العلم.

هتزدوك Hazduk: لص أو قاطع طرق، أو محارب حرب عصابات.

هاس Hass: مزرعة إقطاعية ضخمة.

وزير Vizier: أعلى رتبة في المديرين والموظفين في الإمبراطورية العثمانية.

الوقف Vakuf: هو المؤسسة الدينية الخيرية، التي تحبس الأرض إلى الأبد على أعمال الخير.

للولاية Violet: القسم الكبير من الإمبراطورية العثمانية (التي حلت محل "الإيالة" في ١٨٦٤).

الفصل الأول: الأجناس والأساطير والأصول: القرون حتى ١١٨٠

- ١- خير استعراض عصري للبيئة الأثرية والتاريخية والأغنية هو كتاب ويلكس Wilkes, *Illyrians*. انظر أيضاً ستيفنشتاين *Stipoevic, Illyrians* وروسو *Russo, Illyri* وستانمولا *Stadtmüller, Forschungen zur albanischen Frühgeschichte*.
- ٢- ويلكس, *Illyrians*, ص ١٢٤٤ وستيفنشتاين, *Illyrians*, ص ١٢٧.
- ٣- ويلكس, *Illyrians*, صفحات ٢٠٥-٢١٢.
- ٤- انظر ويلكس *Dalmatia*, صفحات ٢٦٦-٢٨٠ و *Geschichte Bosniens*, صفحات ٤٨-٤٩ و *Die Handelsverhältnisse* في *Die Handelsverhältnisse* و *Estays on the Latin Orient*.
- ٥- ماركوتش *Markotic, "Archaeology"*, صفحات ٤٥-٤٦.
- ٦- ألفولدي *Alfoldy, Bevölkerung der Provinz Dalmatien*, صفحات ١٨٤-١٨٨.
- ٧- ديو كاسيوس *Deo Cassius*, الذي أخذ عنه ويلكس في كتابه *Illyrians*, ص ٢٦٠.
- ٨- ستيفنشتاين, *Illyrians*, ص ٨٠.
- ٩- درهام *Some Tribal Origins*, Durham, ص ١٠٢. انظر أيضاً تروهلوكا *Trubelka, "Die Tatowierung"*.
- ١٠- انظر ستيفنشتاين, *Illyrians*, ص ٧٤١, عن النظرية حول الموسيقى المتعددة الأصوات التي طورها عالم الموسيقى الإثنولوجية الإسرائيلي سفيثكو ريتمان *Svethko Rihman*. ولا شك في الصغر الكلاسيكية إلا مجرد أن الإليريين كانوا مغرمين بالموسيقى.
- ١١- لإطلاق مصطلح "الإليريين" على القبائل الجنوبية تاريخ طويل، يعود إلى الكتب الإفساني في القرن الخامس عشر الميلادي: انظر *Hatzijahic*, *"Die Anfänge der nationalen Entwicklung"*, صفحات ١٧١-١٧٢.
- ١٢- ستانمولا, *Geschichte Südosteuropas*, ص ٢١.
- ١٣- عن موضوع *Libellus Gothorum*, انظر المقدمة التي كتبها فريدو شيشوش *Friedo Schischusch*, *Sisic*, لترجمته للمدونة *The Chronicle, Letopis popa Dukljanina* و *Die Chronik* و *Die Chronik* في *Istorija Srba* المجلد الأول، صفحات ١٦٦-١٦٧. ونص المدونة مطبوع في *von Schwandor, Scriptores rerum Hungaricarum* المجلد الثالث، صفحات ٤٧٦ ٥٠٩: انظر صفحات ٤٧٦-٤٧٧ عن هجرة القوط.

- ١٤- لورينسي *Il Regno de gli Slavi*، من ٩٧. وعن لورينسي نظير رانويتشيتش *Radovic, Srpska istorija Mavra Orbanija*، صفحات ٥-١١١ وعن 'القرطية' في عمله وأعمال غيره من الكتاب الرانجوزيين، نظير زلاتار *Zlatar, Our Kingdom Come*، صفحات ٣٦٥-٣٧١. ولابد أن نظرية لورينسي قد لاحت بعيدة الاحتمال حتى في ذلك الوقت، ولكنها لا بد أن تقدم في سياق النظريات الأخرى لتلك الفترة التي كانت تتسبب فحولة أو أهمية للأجناس الجرمانية-الاسكندنافية. وكان العلامة اليهودي جرونديوس *Gronovius* يذهب إلى أن الأجناس الأصلية بأمریکا الشمالية كانت اسكندنافية أصلاً. وادعى المنظر القلمكي جورنيوس بيكفوس *Coropius Becanus* أن الألفوية كانت اللغة المنسححة في جنة عدن.
- ١٥- راجيتش *Radzic, Muslimansko autonomastvo*، من ٧٢. (ولدت المنكرة كذلك، لأن تسعين بالمئة من اليوسنيين شرق شرق) حكما أن لداعات معقدة ذكرت عن الكروات بواسطة فتى بهاريتش في ١٩٤١: *Didjic et al., History of Yugoslavia*، من ٥٧٧.
- ١٦- كوفاتشيتش *Kovacevic, Istoriya Crne Gore*، صفحات ٢٨٦-٢٨٨.
- ١٧- ماركونيتش، 'Archaeology'، من ٤٩. وقد انتمرت مملكة آثرية صغيرة قائمة في باتونيا (المجر الجنوبية) حتى قضى عليها شارلمان نهائياً في تسعينيات السبعمنة.
- ١٨- أندجيليتش *Andjelic, 'Periodi u kulturnoj historiji'*، من ٢٠٠.
- ١٩- مالينجوديس *Malinoudis, Slavic ste mesaronike Ellada*، من ٣٩.
- ٢٠- يوجد في الواقع بيفان مختلف حول تلك الأحداث في كتاب قسطنطين. نظير المناقشة في كتاب فيلي *File, Early Medieval Balkans*، صفحات ٤٩-٥٩.
- ٢١- روستوفتسيف *Rostovtsef, Iranians and Greeks*، صفحات ١٢٥-١٤٦.
- ٢٢- كاولفوس *Kaulfuss, Die Slaven*، صفحات ٦-٩.
- ٢٣- جيمبيوتس *Gimbutas, Slavs*، من ٦١.
- ٢٤- فليين، *Early Medieval Balkans*، من ٥٦.
- ٢٥- أوبولنسكي، *Obolensky, Byzantine Commonwealth*، من ١٢٦؛ وجولدسكو *Guldecca, Political History*، من ٨٦.
- ٢٦- جيمبيوتس *Gimbutas, Slavs*، صفحات ١٤٠-١٤١. وعن موضوع *Zadruga* انظر ميكاو *Sicard, La Zadruga sud-slave*، وجرس *Bynnes, ed., Communal Families in the Balkans*.
- ٢٧- جيمبيوتس *Gimbutas, Slavs*، صفحات ١٦٥-١٦٨؛ وماركونيتش، 'Archaeology'، من ٥٢.
- ٢٨- دافورنيك *Dvornik, Byzantine Missions to the Slavs*، صفحات ٩-٢٠.
- ٢٩- تشوروفيتش *Corovic, Historija Bosne*، صفحات ١٢٣-١٢٤.
- ٣٠- هليجراميتش *Hadzjrahach, 'Smekretisticka elementa'*، صفحات ٢٠٤-٢٠٥ (لعمد الجبال)، صفحات ٣٠٩-٣١٢ (أسماء الآلهة).
- ٣١- أندجيليتش *Andjelic, 'Periodi u kulturnoj historiji'*، صفحات ٢٠٢-٢٠٣.

- ٣٢- فلين ، *Early Medieval Balkans* ، صفحات ١٥٩، و ٢٦٢-٢٦٥؛ أوبولنسكي، *Obolesky, Byzantine Commonwealth* ، صفحات ١٥٩-١٦٠.
- ٣٣- قسطنطين بورغيزوجينيتوس ، *De administrando imperio* ، ص ١٦٠ ('ka i Desnek') و من المحتمل أن نيسنيك المذكورة هي نيسنيك العصرية (على الرغم من أن بيريتشيك، على أنها نيشاني Tishani الواقعة على نهر لوسورا (Usora))، وكثيرا ما في القلب قرية كوتور أو كوتوراك العصرية، بالقرب من سراييفو: انظر بيريتشيك، *Die Handelsstrassen* ، صفحات ٢٩ ٢٠؛ وسكاريتش *Skaric, Sarajevo i njegova okolina* ، ص ١٢٢ وتشوروفيتش *Corovic, Historija Bosne* ، ص ١١٢.
- ٣٤- فلين، *Early Medieval Balkans* ، صفحات ٢٠١ و ٢٧٨-٢٨٠؛ أوبولنسكي، *Obolesky, Byzantine Commonwealth* ، صفحات ٢٨٧-٢٨٨.
- ٣٥- فلين، *Early Medieval Balkans* ، ص ٢٨٨.
- ٣٦- كيلموس *Cusumak, Epitome* ، ص ١٠٤، (الكتاب الثالث، الفصل السابع).
- ٣٧- أنديليتش 'Periodi u kulturnoj historiji' ، صفحات ٢٠٤-٢٠٥.
- ٣٨- تشيركوفيتش *Cirkovic, 'Die bosnische Kirche'* ، صفحات ٥٤٧-٥٤٨.
- ٣٩- تشوروفيتش *Corovic, Historija Bosne* ، ص ١١٢ و د. مانديتش *Mandic, Etnicka povijest Bosne* ، ص ٣٢.

الفصل الثاني: الولاية البوسنية القروصية ١١٨٠-١٤٦٣

- ١- تروهيلكا *Truhelka, 'Das mittelalterlicher Staatswesen'* ، ص ١٧٢ فلين، *Late Medieval Balkans* ، صفحات ١٨-٢١.
- ٢- ينكر أوريبي محاولة ألفت في مهدها خلال حكم ستيفن كوتروميتش: *Regno de gli Slavi* ، صفحات ٣٥٤-٣٥٥.
- ٣- ميلار *Essays on the Latin Orient* ، ص ٤٦٨ والمثل المأثور : 'عاشت أيام بلان كيولين'، مجلة أيضاً أوريبي في ١٦٠١ : *Regno de gli Slavi* ، ص ٣٥١.
- ٤- ميلار *Essays on the Latin Orient* ، ص ٤٦٨ كوكيل *Coquelle, Histoire du Montenegro* ، ص ٨٢.
- ٥ - انظر الخطب لدى أرسله فولكاتوس من ريتا (فيوكان) *Vulcanus of Zeta (Vukan)* إلى البابا إيوست الثالث في سبتمبر ١١٩٩، في *Fermendzin, ed., Acta Bosnae* ، ص ٥.
- ٦ فلين، *Late Medieval Balkans* ، صفحات ٤٣، ٤٤ و عن تحليل مفصل عن مجلس بولينو بولوي، انظر فلين، *Bosnian Church* ، صفحات ١٢٦-١٣٤. وواقعة الارتداد مطبوعة في مينج *Ming, ed., Patrologia latina* ، المجلد ٢١٥، علمزد ١٥٢-١٥٥.
- ٧- *Fermendzin, ed., Acta Bosnae* ، صفحات ٨-١١.

- ٨- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ١٤٤-١٤٥. ويحدد الأيروديسور فلين هذه بأنها مدينة فرهيوسنا (مرايفو العصرية)؛ ولكن الإشارة بالتأكيد لمنطقة فرهيوسنا، حيث إن المدينة لم تكن وجدت بعد. وهناك تقرير في ١٧٤٤ ينكر أن 'جويبا' فرهيوسنا كان مركزها في مدينة برودو Brdo، التي كلفت مقر حكم قبان والأسقف الكاثوليكي (ومن المحتمل إنها قرية بلان برودو Baa-Brdo للعصرية)؛ انظر بيريتشيك، *Die Handelsstrassen*، ص ٣١.
- ٩- فلين، *Late Medieval Balkans*، ص ١٤٦.
- ١٠- فلين، 'Was the Bosnian Banate Subjected to Hungary?'
- ١١- ميلار *Essays on the Latin Orient*، ص ١٤٧٢ فلين، *Late Medieval Balkans*، ص ١٤٨.
- ١٢- عن فترة التشويش، انظر مالوزي *Studien zur Geschichte Bosniens*، *Thallosy*، صفحات ٤٦-٤٨.
- ١٣- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٢٦٥-٢٧٩.
- ١٤- د. مانديتش *D. Mandić, Franjevačka Bosna*، صفحات ١٧، ٣٩.
- ١٥- *Fernandezin, ed., Acta Bosnae*، ص ٢٨.
- ١٦- فلين، *Late Medieval Balkans*، ص ٢٨١.
- ١٧- المرجع السابق، صفحات ٢٨١-٢٨٢.
- ١٨- المرجع السابق، صفحات ٣٦٨-٣٧٠.
- ١٩- المرجع السابق، صفحات ٣٨٤-٣٨٦؛ كلايتش *Kluc, Geschichte Bosniens*، صفحات ٢٠١-٢٠٣؛ شيركوفتش *Cirkovic, Istorija bosanske drzave*، صفحات ١٢٥-١٤٠.
- ٢٠- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٣٩٤-٣٩٨؛ كوكيل *Coquelle, Histoire du Montenegro*، صفحات ١١٢-١١٨.
- ٢١- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٤٠٨-٤١١؛ فمرث *Emmert, 'The Battle of Kosovo'*. وعن استعراض موجز عن مألوفات كوسوفو في القسم العلمي القشوي (الصربوكوتي والألباني)، انظر لورد *Lord, 'The Battle of Kosovo'*.
- ٢٢- لو بوفيه *Le Bouvier, Le Livre de la description*، ص ٧٢.
- ٢٣- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٤٥٣-٤٦٩ فلين، *Bosnian Church*، صفحات ٢١٠-٢٤١.
- ٢٤- عن النظرة التقليدية، انظر ميكرتش *Stkarić, Sarajevo i njegova okolina*، صفحات ٣٥-٣٦ (وهي تكذب أيضاً إلى أن فرهيوسنا وهو يوجد Hodidjed أخضعت أولاً للأتراك بمقتضى اتفاقية في ١٤٢٨، ثم ضاعت من أيديهم ثم استعادوها في ١٤٣٥). وعن النظرة المعدلة، انظر شاباتوفتش *Sabanovic, 'Pitajno turske'*، وصف شاباتوفتش التطورات في تلك المنطقة في 'Bosansko krajiste'.

- ٢٥- كلوزي Thaloczy. *Studien zur Geschichte Bosniens*، صفحات ١٤٦-١٥٩؛
 فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٥٧٧-٥٧٨.
- ٢٦- Fernandez, ed., *Acta Bosnae*، ص ٢١١.
- ٢٧ فلين، *Bosnian Church*، صفحات ٢٢٢-٢٢٣. والمؤرخون السابقون (مثل ميلار *Essays on the Latin Orient*، ص ١٨٥) أخطوا في تفسير هذا الدليل، حيث ذكروا أن عدد اللاجئين كان أربعين ألفاً بدلاً من أربعين فقط.
- ٢٨- فلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٥٨٢-٥٨٤ (موجهاً للبابا)؛
 Fernandez, ed., *Acta Bosnae*، ص ٢٥٢ (موجهاً إلى البندقية).
- ٢٩- Lachmann, ed., *Memorien eines Janitscharen*، صفحات ١٣٩-١٤١،
 واستطاعت أرملة الملك، الملكة كاترينا، الفرار إلى روما؛ وتوفيت هناك في ١٤٧٨،
 ولا تزال مقبرتها تشهد إلى يومنا هذا في كنيسة سانتا ميريا في أراكولي Aracelli،
 على الكاليفين: انظر Thaloczy. *Studien zur Geschichte Bosniens*،
 صفحات ١١٠-١٢٠، و J. Turcinovic, ed., *Povijesto-teolodsko smpozij*.
- ٣٠- ويرجع بيريتشيك تاريخ وصولهم إلى القرن الثالث عشر (*Die Handelsstrassen*،
 ص ٤٣). ومن المؤكد أن عمل المناجم الساكسون قد وصلوا إلى صربيا حوالي
 النصف الثاني من القرن الثالث عشر: انظر تكلنكس Takacs، 'Sachsische
 Bergleute im mittelalterlichen Serbien'، على أن أشد الدراسات العصرية لأعمال
 المناجم في البوسنة القروسطية، لا تستطيع أن تجد بيئة وثقافة تقدم من ١٣١٢
 (معجم تريشنيكا)، و ١٣١٩ (إلى ليبسك): دينيتش Dinic، *Za istoriju rudarstva*،
 ص ٤٦.
- ٣١- دينيتش Dinic، *Za istoriju rudarstva*، صفحات ٧-٨.
- ٣٢- لكافة التفاصيل السابق ذكرها، انظر بيريتشيك، *Die Handelsstrassen*، صفحات
 ٤١-٤٩ وفلين، *Late Medieval Balkans*، صفحات ٢٨٢-٢٨٤.
- ٣٣- بينك وتشوفيتش Benac and Covic، *Kulturna istorija Bosne*، ص ٤١١.
- ٣٤- يشق مصطلح "كميت" kmet من اللفظة اللاتينية *comitatus*، وهي كلمة وضعت
 في المزارع (وهي على الأرجح دورية) التي كانوا يعملون عليها. على أنها في
 صربيا تطورت إلى معنى محلف، حيث تشير إلى كبير قرية.
- ٣٥- فريلمدن، 'Patrius robatus ex esclavage'.
- ٣٦- عن كل هذه الطبقات والرتب، انظر تروهلكا Truhelka، 'Das mittelalterlicher
 Stauswesen'، صفحات ٩٠-١٠٥.
- ٣٧- وأهمية هذا المجلس أكدها كل من تشيركوفيتش Cirakovic، *Istorija*
 srednjovekovne drzave، صفحات ٢٢٤-٢٢٥) وأنديلييتش (i) Barons Regi
 'drzavno vijeće'، وشكك فيها فلين *Late Medieval Balkans*، صفحات ٤٥٣-
 ٤٥٤.
- ٣٨- تروهلكا Truhelka، 'Das mittelalterlicher Stauswesen'، ص ١١٠. ولاحظ
 تروهلكا أيضاً وجود "الإستريونس" 'istronos' في بلاط تورتكو الثاني في ١٤٤٠،

وتعامل عن معنى هذا المصطلح؛ وكلن بالتأكيد إشارة إلى 'البيستوريون' 'bistronics'، أو معكوا للمرح.

٢٩- أنديليتش Andjelic، 'Periodi u kulturnoj historiji'، ص ٢٠٩. وطبيعة البيوستريكا كانت موضوع مجادلة بحثية معقدة بين العلماء؛ انظر الدراسة الممتازة التي أعدها تروبولكا 'Trabelka, Die Bosnische'، والمناقشة الحديثة في ليدلت Lehtfeldt، *Das serbokroatische Aljamiado-Schrifttum*، ويقدم تاندرينش Tandanc بعض البيئات التي تشهد أن الجلاجوليتية (وهي البديل البلقاني الغربي المبكر للمسيريلايكية) كانت تستخدم أيضاً في البيوسنة القروسطية المبكرة ('Gilagoljska pismenost'، ص ٤٣)؛ على أن البيئة التي يقدمها عن استخدامها في بيوسنة القرن الخامس عشر إنما تحي من مناطق كانت عندئذ جزءاً من كرواتيا-المجر.

٤٠- بينك وتشوفيتش Benac and Covic، *Kultura i istorija Bosne*، ص ٤٢٢-٤٣١.

٤١- تشوروفيتش Corovic، *Historija Bosne*، ص ٩.

الفصل الثالث: الكنيسة البيوسنية

١- عن استعراض حديث جيد لمجالات المؤرخين، انظر Draga، *Die 'bosnische Kirche'*، صفحات ١-٦٨؛ وهناك تقرير تاريخي هام أقدم عهداً في سيداك Sidak، 'Problem "bosnische crkve" u historiografiji'، كما أن هناك مجموعة مراجع غنية في لافن، *Bosnian Church*، صفحات ٢٩٢-٤٣٤، يمكن أن يضاف إليها مراجع أخرى في الملاحظات في Okoc، 'Lex Kristians de Bosnie'.

٢- راتشكي Ratiski، *Bogomili i patareni*.

٣- المراجع الممتازة العامة عن البيوجوميل هي رانسيمان Runciman، *Medieval Manichee*، صفحات ٦٢-٩٢، ولوبولنسكي Obolensky، *Bogomils*، وعن البيوجوميلية في صربيا انظر سولوفيف Solovjev، 'Svodocanstva pravoslavna i izvora'، وتوجد دراسة فائقة عن البيوجوميلية في باماريا في أنجلوف، *Angelov, Bogomilstvo*؛ ولكن معالجته للبيوسنة (صفحات ٤٢٠-٤٢٨) ضئيلة وغير دقيقة. وعن المعتقدات المانوية، انظر ليو Litu، *Manichaeism*، وكان مثلي رجلاً فارسياً من القرن الثالث، وقد شملت تعاليمه المتنوية كل من الزرادشتية والفضوسطية الإغريقية-اليهودية والمسيحية.

٤- عن الكاتاريين، انظر بورست Borst، *Katharer*، وديفرنوي Duvernoy، *Le Catharisme*. ولم تكن الكاتارية مجرد شكل للبيوجوميلية منقول إلى أوروبا الغربية؛ لأنها نمت على تقاليد محلية قوية للفرقة شبه الفضوسطية (انظر بويتش Puech، 'Catharisme et Bogomilisme').

٥- يبدو أن أول كتب اتصل بالبيوجوميلية كان شوميت دي فوسمييه في عمله المنشور في ١٦١٦ (شامبيتش *Les Voyageurs français*، ص ١٢١)، وعن الكتب

الكثوليك المبكرين، انظر ماتسوفيتش Matasovic, "Tri hramista o petrovinima" وفلين، *Bosnian Church*، صفحات ٦٢-٧٢.

٦- بترتوفيتش Petrovovic, Bogomili, crkva bogomska i krstjani.

٧- وليد جوشاك النظرية في ١٩٧٤ ("Srednjovekovna crkva")، ولكن هاجمها شديد في ١٩٣٧ ("Problemi "bogomske crkve" u historiografiji").

٨- انظر ثبت المراجع، ولقائمة أكثر اكتمالاً لإصدارات سولوفيتش، انظر فلين، *Bosnian Church*، صفحات ٤٢٨-٤٢٩.

٩- أهم شراح هذه النظرية هما الأب ليو بترتوفيتش (*Kršćani bogomske crkve*)، ويلروسلاف شويك (*Studije o "crkvi bogomskoj"*) بالرغم من إقرار متراد بالمبول الهرطوقية في كتابه المنقذ.

١٠- انظر الفصل الخامس، تحول البوسنة للإسلام.

١١- عن ملخص مختصر عن الإحصائيات والجغرافية والتاريخ، انظر كتاب M Wenzel, 'Bosnian Tombstones'، صفحات ١٠٢-١١٥، والكتورة ونزل أصدرت أيضاً تطويلاً جغرافياً مفصلاً عن المونيفات المختلفة المستحقة: *Utrasti motivi*. وعن مناطق التوزيع الخارجية، انظر المراجع في فلين، *Bosnian Church*.

١٢- انظر فون أسبوت von Asboth, *Bosnien und die Herzegowina*، صفحات ٩٤-١١٨ وسولوفيتش 'Le Symbolisme'، و-*Bogumilientum und Bogumilengra-*، *ber*.

١٣- جايلا *Draga, Die "bosniache Kirche"*، صفحات ٢٥-٢٦.

١٤- م. ونزل M. Wenzel, 'Bosnian Tombstones'، ص ١٠٣.

١٥- فون أسبوت *Bosnien und die Herzegowina*، ص ١٠١. ويقر سولوفيتش أن الصليب لا يظهر على ٨٥ متبقشى على الأكل: *Simbolika srednjovekovnih spomenika*، ص ١٧.

١٦- من التصميمات الوثنية، انظر م. ونزل M. Wenzel's 'Medieval Mystery Cult'، وعن تسميات شعرات النبالة والألقاب، انظر كتابها 'Bosnian Tombstones'. (وعن هوية الألقاب، انظر الفصل السادس). وهناك تفقادات أخرى لسطرية سولوفيتش وردت في ص. رادويشيتش S. Radovic, 'Reljefi bosanskih stecaka'. ويلخص فلين مجالاً رحباً من الاعتراضات في *Bosnian Church*، صفحات ٨٨-٩٣.

١٧- فلين، *Bosnian Church*، صفحات ٤٨-٦٢.

١٨- المصدر هو مخطوط صربي من القرن الخامس عشر نقل عنه روسي في ١٨٥٩. ولم ينشر العلامة الروسي أصل النص أبداً، ومنذ ذلك الحين لفتني الأصل بطريقة ملهمة! ولا يوجد مخطوط آخر بقي عن نص العمل متضمناً كلمة "بوجوميل" (انظر المرجع السابق ص ٤٤).

١٩- المرجع السابق، صفحات ٢١٢-٢١٣.

٢٠- ماتسوفيتش 'Trī harmonizirani o putarenima'، ومن المحتمل في بعض الحالات أنه كان هناك تلاعب متعمد بالألفاظ يشير إلى 'الموناشي' البوسنيين (قريهين) على أنهم 'مقيشسي' (مقيشيين أو مقيشين): انظر دراجيولوفيتش (Dragojlovic, Krtjani i jereticka crkva، ص ١٥٤، ومصطلح 'الموناشيين' (الموناشيين) لستمر يستخدم، ولو أنه كان ذا معنى عام، في الكتابات الفيزنطية؛ وفي تلخيص توفانين جستونيان يرجع إلى القرن الرابع عشر، تم استخدام هذا المصطلح بمثابة مرادف لـ 'كلهرطقة' (Laca, Monichasteln، ص ١٧٧). وأنه يظهر فعلاً في إعلان بولولو بولوي في ١٢٠٢ كمصطلح للدلالة على الهرطقة للذين وعد الرهبان البوسنيين ألا يقدموا لهم الملوى.

٢١- يقدم فافن مثالا واضحاً لاستخدام الكلمة منسوبة إلى البوسنيين (Bosnian Church، ص ٢٤٨)، ولكنه أساء فهم اللاتينية. فالمعنى ليس 'هيئة كهنوت مملكة البوسنة' يدعون بـ 'قارتارين' بواسطة البوسنيين أنفسهم، ولكن 'قارتارين' يدعون 'الدينين' (أي 'القريهين') في مملكة البوسنة بواسطة البوسنيين أنفسهم. وعن الأصل اللاتيني، انظر ميليتيتش (Miletic, I 'Krtjani' di Bosnia، ص ١٥٧ وعن معنى وأهمية 'الدينين' Relegions، انظر المرجع السابق، صفحات ٥٦-٦٢).

٢٢- عن تاريخ المصطلح، انظر توزيليه Thouzellier, Heresie et heretiques، صفحات ٢٠٤-٢٢١. ويكتب لامبرت أنه استخدم في المرسوم القابوي ضد الهرطقة في ١١٨٤ بوصفه 'مصطلحاً شاملاً يشير للهرطقة الإيطالية، وينطبق في الأعم الأغلب على الكتائر' (Medieval Heresy، الطبعة الأولى، ص ٨٤)؛ والمرسوم المذكور كان ضد الكتائر والولدانيين والهيوميليتيين Huiuhito، وكلهم كانوا يوجدون في الأراضي الإيطالية، وعلى ذلك لم تكن هناك مطابقة لاهوتية 'غنية' لـ 'قارتارين' مع المذاهب المنشوبة التي كانت غريبة على الكتائر.

٢٣- توزيليه Thouzellier, Heresie et heretiques، ص ٢١٦؛ وهذا ملخص لمطلب كبير الأساقفة ورد في خطاب آخر من البجا.

٢٤- عن المناظرة التاريخية حول هذه القصة، انظر فافن، 'Aristodios and Rastodije'.

٢٥- شيداك 'Sidak, Studije o 'crkvi bosnanskoj'، صفحات ١٧٧-١٢٠٩، فافن، Bosnian Church، صفحات ١١٨-١٢١، لامبرت، Medieval Heresy، الطبعة الثانية، صفحات ١٢٨-١٣١. وذهب دراجيولوفيتش إلى أن 'ecclesia slavonica' كانت هي الكنيسة البوسنية، و 'ecclesia dalmatica' كانت تشير إلى الهرطقة في صربيا (Krtjani i jereticka crkva، صفحات ١٢٤-١٢٧)؛ ولكن البنية تبدو شديدة الاضطراب بحيث لا نستطيع أن ندعم مثل هذه العلاقة المتبادلة المقصدة.

٢٦- عن التمس، انظر موني Mugue, ed., Patrologia latina، مجلد ٢١٥، عمود ١٥٣-١٥٥.

٢٧- جلوا 'Dzaja, Die 'bosnische Kirche'، ص ٥٥.

٢٨- فافن، Bosnian Church، ص ١٦٤ ماتسوفيتش، 'Trī harmonizirani o putarenima'، صفحات ٢٢٧ و ٢٤٠.

- ٢٩- ميلونيتش *Milotic, I 'Krstjani' di Bosnia*، صفحات ٥٠-٦٦، و ١١٧-١٢١. ويلاحظ دراجولوفيتش أنه في الأدبيرة السلافية المبكرة كان مصطلح *gost* (جوست) يستخدم أحياناً لربوس اللدير (*Krstjani i jereticka crkva*)، من ١٥٧). وقابل بعض تعقيلات مفيدة على الطبيعة الأدبيرة للإعلان (*Bosnian Church*، صفحات ١٢٦-١٢٤)، ولكن قصور الرئيسي في كتابه هو أنه لم يكن يعلم بعمل ميلونيتش عندما كتبه.
- ٣٠- تقدم ميلونيتش الدليل في *I 'Krstjani' di Bosnia*، صفحات ٥٢-٥٣؛ قبلها تلاحظ أن كلمة *'christianus'* كانت تستخدم أيضاً بهذا المعنى في بعض المصادر السلافية المبكرة من كريف وراج (صفحات ٦٥-٦٦). انظر أيضاً دراجولوفيتش *Krstjani i jereticka crkva*، صفحات ١٥٠-١٥١.
- ٣١- ميلونيتش، *I 'Krstjani' di Bosnia*، ص ١٠٢؛ ويضيف فاين (*Bosnian Church*)، ص ١٥٥) أنه كان مستخدماً كلقب للرئيس الأعلى للدير في كرواتيا القرن الحادي عشر.
- ٣٢- كنيولد *Kniewald, 'Hierarchie und Kultus'*، صفحات ٥٨٨-٥٨٩.
- ٣٣- انظر ميلونيتش *I 'Krstjani' di Bosnia*، ص ١١٢ للنص الأصلي ومعه الترجمة (وهي أفضل من تلك التي في فاين، *Bosnian Church*، ص ٢٦٦).
- ٣٤- إيجول متى ١١:٨ (في كتابين ميلتون من المشرق والمغرب ويتكون مع يروهم وإسحق ويخوب في ملكوت السموات)؛ وإيجول لوقا ١٩:١٦-٣١ (قصة داليس ولمازور). وإذا كنت مصيباً، فإن رأى فاين أن هذا النقش في حد ذاته يثبت قبول العهد القديم (*Bosnian Church*، ص ٢٦٦) يصبح أقل إقناعاً.
- ٣٥- فاين، *Bosnian Church*، صفحات ٢٥٦-٢٦٠.
- ٣٦- المرجع السابق، صفحات ١٧٦-١٧٧.
- ٣٧- عن نظرية الكفار، انظر لوس *Loos, Dualist Heresy*، صفحات ٢٩٨-٣٠٢.
- ٣٨- انظر بيريتشوك *'Die Romanen in den Städten Dalmatiens'*، Jirecek، الجزء الأول، صفحات ٥٠-٥٧.
- ٣٩- كنيولد *Kniewald, 'Hierarchie und Kultus'*، ص ٦٠٠. وقد حرمت الكنيسة بناءاً لية "أدبيرة مزدوجة" جديدة في ٧٨٧ (ميلونيتش *I 'Krstjani' di Bosnia*، ص ٥٦)، ولكن ربما غدا هذا التحريم غير ممكن للتنفيذ، ما دامت الأدبيرة التي كانت موجودة سمح لها بالاستمرار.
- ٤٠- لامبرت، *Medieval Heresy*، الطبعة الأولى، صفحات ٣٧٧-٣٧٨.
- ٤١- جاليا *Dzaja, 'Die bosnische Kirche'*، ص ٣٥. واستمرت الصلوات الجلاوليتية في أجزاء كثيرة من دالماتيا وكرواتيا حتى قامت حركة الإصلاح المصلا: انظر ريمرمان *Zimmermann, Reformation bei den Kroatien*، صفحات ٥ و ٢٠.
- ٤٢- جاليا *Dzaja, 'Finska interpretacija'*، صفحات ٥٨-٥٩.
- ٤٣- فاين، *Bosnian Church*، صفحات ١٢٧-١٥٠.

- ٤٤- عن التميمين، انظر سولوفيف 'Solovjev, La Messe cathare'؛ وعن تصحيح هام للتصوير لإحدى الجمل، انظر ويكفولد وإيمانز، الهيرطقلت، Wakefield and Evans، ٧٨١-٧٨١. والمخطوط يشير إلى 'ليام الجذ راتكو'، وعلى ذلك فإنه من المعطون أنه يأتي من داخل الكنيسة البوسنية. ويمكن أن يكون تاريخه يعود إلى منتصف القرن الخامس عشر، ولكن النص منسوخ من مصدر أقدم عهداً.
- ٤٥- دراجولوفيتش Dragoljovic, *Krstjani i jereticka crkva*، صفحات ٢٠٨-٢١٣.
- ٤٦- لامبرت، *Medieval Heresy*، الطبعة الثانية، ص ١٠٩ (الكتابين) أوريوني *Ortusi, Regno de gli Slavi*، ص ٣٥٤ (الكنيسة البوسنية).
- ٤٧- دراجولوفيتش Dragoljovic, *Krstjani i jereticka crkva*، صفحات ١٧٣-١٧٤.
- ٤٨- كل هذه النقاط (وغيرها) موقفت في فاين، *Bosnian Church*، صفحات ٣٥٧-٣٦١، فيما عدا البينة المستخرجة من وصية جوست رافين (لهذا الدليل، انظر لامبرت، *Medieval Heresy*، الطبعة الأولى، صفحات ٣٧٤-٣٨٠) ومن السجلات التركية (انظر أوكيش، 'Les Kristians de Bosnie'، ص ١٢٥). ولمزيد من الاختلافات، انظر دراجولوفيتش Dragoljovic, *Krstjani i jereticka crkva*، صفحات ١٦٥-١٧٧، و ١٩٩-٢٠١.
- ٤٩- فاين، *Bosnian Church*، صفحات ٢٦٤-٢٧٥.
- ٥٠- لامبرت، *Medieval Heresy*، الطبعة الأولى، صفحات ٣٧٥-٣٧٦؛ والملاك ماثيئس Mathias هو ماثيئس كورنفيوس Mathias Corvinus المجرى.
- ٥١- لاسبيتش *Laspeyres, De vita et operibus S. Iacobi*، ص ١٢٨. وهذه هي أقل المعجرات الأربعة التي أُلحقت بالكنيسة جاكوب في البوسنة جداراً بالحمد.
- ٥٢- كنيوآلد Kniewald, 'Vjerodostojnost latinskih izvora'، صفحات ١٥٦-١٦٣.
- ٥٣- Fermandzin, ed. *Acta Bosnae*، صفحات ٢٨، و ٢٤٨.
- ٥٤- لوس 'Lous, Les Derniers Cathares'.
- ٥٥- كنيوآلد Kniewald, 'Vjerodostojnost latinskih izvora'، صفحات ١٦٨-١٦٩.
- ٥٦- انظر تميميات فاين، *Bosnian Church*، صفحات ٥٦-٥٨.
- ٥٧- المرجع السابق، صفحات ٥٨ و ٢٠٨-٢٠٩؛ وانظر مالتسوفيتش Matasovic, 'Tri humanista o polarenima'، والجدل الذي أثاره بيكولاس لوبيز مارتينيير أن توركمادا كان لديه دون شك معلومات تفصيلية عن البوسنة، غير مقلع على الإطلاق (توركمادا *Symbolum pro informatione manicheorum*, 'Introduccion'، صفحات ٧٠-٧٣).
- ٥٨- دراجولوفيتش Dragoljovic, *Krstjani i jereticka crkva*، صفحات ١٠٩-١١١.
- ٥٩- Fermandzin, ed. *Acta Bosnae*، ص ٢٢٥.
- ٦٠- فاين، *Bosnian Church*، ص ٣٢٤.
- ٦١- أوكيش 'Olich, 'Les Kristians de Bosnie'، صفحات ١٢٩-١٣٠.

- ٦٦- المرجع السابق، ص ١١٥. وبعض هؤلاء الموحدين (*bristianlar*) مسجلون مع أبنائهم (ص ١٢١) ونحن نطمح أن كلا من الرهبان البوسنيين والبروجوميل "المختارين" (*electi*) كان المقصود أن يكونوا عرباً.
- ٦٧- دولقوفيتش، *Izveštje apostolskog vizitatora*، ص ١٤. ومع ذلك، فإن مسار التقى ضمن في تقريره ملة عن البقاريين سبق له جمعها من مصادر مكتوبة ليكر (فلين، *Boaneti Church*، صفحات ٦٥-٦٨)؛ ولم يتضح أى من تخيلاته حولهم قدمت معلومات أصيلة أو معاصرة.

الفصل الرابع: الحرب والنظام العثماني ١٤٦٣-١٦٠٦

- ١- لاشمان *Lachmann, ed., Memoiren eines Jontscharen*، ص ١٤٠.
- ٢- من بيان دراسيتكى عن بعثة لإحضار الأغنية إلى جابس، انظر ج. ونزل *G. Wenzel, ed., Marino Samko vlogotronicskajmak tudostanai*، المجلد الثالث (٢٥-)، صفحات ٣٣٢-٣٤٢.
- ٣- شيركوفيتش *Cirkovic, Herceg Stefan Vukcic-Kasaca*، صفحات ٢٦٠-٢٦٧.
- ٤- شليخوفيتش *Sebanovic, Boaneti pashalik*، صفحات ٤٤-٤٧، فإن *Medieval Balkans*، صفحات ٥٨٥-٥٨٩.
- ٥- عن بيان مهمل ولكنه تفصيلي عن التوسع العثماني، انظر شو، *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الأول، صفحات ٥٥-٩٤ روتنبرج، *Austrian Military Border*، صفحات ١٧-٣٩.
- ٦- شو، *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الأول، صفحات ١٨٤-١٨٧؛ وروتنبرج، *Austrian Military Border*، صفحات ٥٢-٦١؛ وانظر الفصل السادس فيما بعد.
- ٧- عن موجز ولف عن النظام العسكري، انظر شو *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الأول، صفحات ١٢٢-١٣١. وعن النظام في البوسنة، انظر شليخوفيتش، *Vojna vrodjenje Bosne*، وخاصة صفحات ٢١٦-٢١٩ عن القوات الاحتياطية.
- ٨- أفضل بيان عن هذا النظام هو بابوليا *Papoulia, Ursprung und Wesen der Babulien*، 'Knabenlese'.
- ٩- كونت *Kunt, 'Transformation of Zimmi into Askeri'*، ص ٦٢.
- ١٠- يورد بيايتوبه قائمة بأسماء الصندور الأعظمين ويلاحظ أنه كان يوجد ٦٥ ولاية للبوسنة من موقود البوسنة فيما بين ١٤٨٨ و ١٨٥٨: *Pellicier, Sarajevo*، ص ٧٥.
- ١١- شوجار *Sugar, Southeastern Europe under Ottoman Rule*، ص ١٥٨ وشو، *History of the Ottoman Empire*، المجلد الأول، ص ١١٤.

١٢- رايبكوت *Rycaut, Present State of the Ottoman Empire* ، من ١٩٧. وآخر
 دوشسمة في صربيا كان في ١٦٢٨ (توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants*
Politics, and Economic Change). وربما حدثت محاولة لإخواته: فان السيد
 نولاكرواه، وهو سكرتير السفارة الفرنسية في لمبنتويل كتب في ١٦٨٤ أنه بعد
 الآن كل عشر سنوات (*Memoires* ، من ٢٠١-٢٠٢).

١٣- شوجار ، *Sugar, Southeastern Europe under Ottoman Rule* ، من ٥٦.

١٤- ليفلدت *Lehfeldt, Das serbokroatische Alfabetisch-Schriftum* ، من ١٤٨
 هوتنجر *Hottinger, Historia orientalis* ، من ٤٦٢.

١٥- شو *Shew, Ottoman View of the Balkans* ، صفحات ٦٩-٧٠.

١٦- عن التفاصيل، انظر شوجار *Sugar, Southeastern Europe under Ottoman Rule* ،
 صفحات ٢٧-١٢٨ ورايبكوت *Rycaut, Present State of the Ottoman Empire* ،
 صفحات ١٧٢-١٧٣.

١٧- عن نظام التيمار، انظر توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants, Politics, and Economic Change*
Sugar, Southeastern Europe ، صفحات ٢٨-١٣٢ وشوجار ،
under Ottoman Rule ، صفحات ٩٨-٩٩ ، و ٢١٢.

١٨- فان ، *Fine, Late Medieval Balkans* ، من ٥٨٢.

١٩- توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants, Politics, and Economic Change* ، من ٧٤.

٢٠- كونت *Kunt, Transformation of Zimts into Askeri* .

٢١- كان يمكن تقسيم القاضيلوكية إلى ناحيتين *Nahije* أو أكثر يحكم كل منها نائب
 قاض، وفي البوسنة كانت تلك تتبع الحدود القديمة للجوبا. انظر كريسفيليكوفيتش
Kreshevljakovich, Kapetanije u Bosni ، صفحات ٩-١٠.

٢٢- لوما هذا منجيتات بوجيجا *Pozega* (في سلاكونيا) وزفورنيك، اللتان كانتا في إمارة
 بودا *Buda* من ١٥٤١ حتى ١٥٨٠: انظر المرجع السابق، من ١٠.

٢٣- عن التفاصيل، انظر المرجع السابق، صفحات ٩-١٠، وديورديف، *Djordjević, Bosna*
 ، من ١٦٦٣.

الفصل الخامس: اعتناق البوسنة الإسلام

١- مازورافيتش *Mazuravitch, Sufismen im Dienste des Islams* ، صفحات ٢١-١٢٧
 هو كيتش *Hakac, ed., Islam i muslimani u Bosni* ، صفحات ٢٠-٧١.

٢- بلانكش *Blanc, Des unbekante Bosnien* ، صفحات ٨٤-٨٩.

٣- فريبوفيتش *Filipovic, Napomene o islamizaciji* ؛ جاليا *Dzija, Die 'bosnische Kirche'* ، صفحات ٧١-٧٣. ولدلائل أخرى، من وثائق وشواهد جبر، تظهر أن
 سرافيفو كان بها سكان مسلمون قبل ١٤٦٣، انظر هادزيهاش *Hadzizahic, Porijeklo bosanskih Muslimana* ، من ٦٦.

٤- لو كيتش *Otok, Les Kristians de Bosnie* ، صفحات ١١٨-١١٩.

- ٥- جليا 'Dzaja, Die 'bosnische Kirche' ، ص ٧٤.
- ٦- فلين، *Bosnian Church* ، ص ٢٨٤. والأرقام التي قمنا د. مانتويتش (*Enicka* povijest Bosne ، ص ١٥٤) غير صحيحة. وعند السكان الإجمالي مصوباً من مائة عشرين ألف، وخمسة لسنجقات البوسنة وزقورتوك والهوسك هو ٢١١٥٩٥ من المسيحيين و ١٢٢٧٩٥ من المسلمين (هالجاويتش، *Hadzizahic* Porijeklo bosanskih Muslimana ، ص ١٦٥).
- ٧- هالجاويتش *Hadzizahic, Porijeklo bosanski Muslimana* ، ص ٧٨. ويلاحظ د. مانتويتش أيضاً اعتقاداً لسرع للإسلام في نواحي كونييتش ولوتشا في أوائل القرن السادس عشر: *Enicka povijest Bosne* ، ص ١٦١.
- ٨- د. مانتويتش *D. Mandic, Enicka povijest Bosne* ، ص ١٥٢-١٥٨.
- ٩- هالجاويتش *Hadzic, Tuzla i njena Okolina* ، صفحات ١١٨-١٢٢ و ١٢٦-١٢٧. انظر أيضاً مناقشة هذا الموضوع في جليا 'Dzaja, Die 'bosnische Kirche' ، صفحات ٨٠-٨٨.
- ١٠- د. مانتويتش *D. Mandic, Enicka povijest Bosne* ، ص ٢١١. وكان اسم القسمين 'أثاناسيوس جورجيسو' 'Athanasio Georgicev' ، الذي يطلقه المؤرخون المصريون بصور مختلفة: جرجيسويتش *Grigicev* ، (وهو نطق خاطئ بكل تأكيد)، وجورجيفيتش *Georgjevic* و يوريفيتش *Jurjevic* . والبوسنة في تقرير القرن السابع عشر تلك تعني كل المقاطعة القرويسكانية التي تحمل ذلك الاسم، وتطابق تقريباً 'بيلة' البوسنة، وهي مساحة أكبر كثيراً من سنجقة البوسنة.
- ١١- دراجوفيتش *Draganovic, Izvjesce apostolskog vizitatora* ، ص ٤٣، حيث ذكر التالي: 'De Turchi saranno tre parti, et a pena de Catholicici una, Schismatici saranno per la meta di Catholicici, de quali saranno cento cinquanta mila anime in circa' [sic]. وهناك ملخص وصيح في أول التقرير (ص ١٠)، بواسطة كاتب آخر، شرح ذلك خطأ بأنه يعني ١٥٠٠٠٠ أرثوذكسي و ٢٠٠٠٠٠ كاثوليكي (وبمعنى ذلك ٩٠٠٠٠٠ مسلماً) وقد نبهه في ذلك جميع من تلاه من للكتاب بقرينة.
- ١٢- كلمة *Turkush* مشتقة من *turk usakli* ، وتعني في التركية.
- ١٣- كيوليتش *Kulisc, 'Razmatranje o porijeklu Muslimana'* ، صفحات ١٤٥-١٤٧؛ هالجاويتش *Hadzizahic, Porijeklo bosanskih Muslimana* ، صفحات ١٢٨-١٤١ فلين، *Bosnian Church* ، ص ٢٨٢؛ جليا *Dzaja, Konfessionalizam and Nationalitat* ، ص ٥٧. والسلي كل بحر حول هذا الموضوع هو البحث الموجود في محفوظات إستانبول والذي أعده عبر نطقى باركان، الذي لم يجد دليلاً واحداً على أي سلطان لمجاميع من الترك أو المسيحيين في البوسنة؛ انظر بحثه 'Les deportations comme methode de peuplement'.
- ١٤- جليا 'Dzaja, 'Die Bosnische Kirche' ، ص ٨٤.

- ١٥- سميلوفيتش *Semilovic, Muslimanska imena* ، صفحات ٥٠-٥٤؛ ويورد بلاو قائمة بألقاب المسلمين ويلاحظ أن بعضها أيضاً كان مشتقاً من أسماء الأماكن: *Reisen in Bosnien* ، صفحات ٦٢-٦٣.
- ١٦- انظر شوجار ، *Sugar, Southeastern Europe under Ottoman Rule* ، صفحات ٤٥-٤٦.
- ١٧- عن المنحة والعهد نامة أو فرمان حماية الوضع القانوني، انظر باتينيتش *Batinc* *Djelavange franjevacu u Bosni* ، المجلد الأول، من ١٣٢.
- ١٨- ج. ونزل *Marino Samia vlagotromakayank tudastat u Bosni* ، G. Wenzel, ed. ، المجلد الأول (١٤٠)، من ١٥٥.
- ١٩- جلاي *Dzaja, Konfessionalitat und Nationalitat* ، صفحات ١٥٩-١٦٤.
- ٢٠- *Fernendzin, ed., Acta Bosnae* ، صفحات ٤٧٧-٤٧٨.
- ٢١- *Fernendzin, ed., Acta Bosnae* ، من ٢٤١.
- ٢٢- جلاي *Dzaja, Die 'bosnische Kirche'* ، من ٩٢.
- ٢٣- باليتش *Balic, Das unbekannte Bosnien* ، صفحات ٩٢-٩٤.
- ٢٤- غلين ، *Bosnian Church* ، صفحات ٢٨٥-٢٨٥.
- ٢٥- جلاي *Dzaja, Die 'Bosnische Kirche'* ، من ٩١.
- ٢٦- ويلر ، *Wheeler, Journey into Greece* ، من ٤٤١.
- ٢٧- غلين ، *Bosnian Church* ، من ١٣.
- ٢٨- بورديو ، *Bordeaux, La Bosnie populaire* ، من ٥٢. ومن دراسة أكثر تفصيلاً لاستخدام المسلمين في اليوسعة التماثل والكتابات لوقية، انظر *Kriss and Kriss-Hennrich, Volksgläube* ، المجلد الثاني، صفحات ٩٩-١٠٣. وطبع إيفانز رسوما لبعض التماثل المونجية، ولاحظ (وهو يكتب في ١٨٧٦) أن تجارة الكتابات لوقية "مصدر منظم للدخل لدى قرويين الفرنسيين": *Through Bosnia* ، صفحات ٢٨٩ و ٢٩٢. وعن ممارسات ومعتقدات شعبية أخرى، انظر درهام *Durham, Some Tribal Origins* ، صفحات ٢٤٨-٢٧٤، وإليك *ilek. "Vjerske starnie"*.
- ٢٩- بالاجيا *Balagija, Les Musulmans yougoslaves* ، من ٣١. ويفرق ماجياهيتش *Hadzizahic ("Sukretusucki dementi")* ، صفحات ٣١٦-٣٢٢، بين مختلف الطرق التي كان المسلمون يحفظون فيها بالأعياد المسيحية، ويلاحظ أن للكثير منها أصولاً سابقة على المسيحية.
- ٣٠- ماجياهيتش *Hadzizahic, "Sukretusucki dementi"* ، صفحات ٣٢٦-٣٢٧ (البقوة للحرارة في لولوهر)؛ جيبونز ، *Gibbons, London to Sarajevo* ، من ١٨١ (كنيسة سانت أنطونيوس الكاثوليكية في سراييفو. "حيث الأرثوذكس واليهود والمسلمون جميعاً يذهبون إليها للصلاة")؛ شوميت دي فوسيه ، *Chaumette-des-Fosses, Voyage en Bosnie* ، صفحات ٧٤-٧٥ (عن القداست من أجل العرض، ملاحظاً أن المسلمين كل لهم نوع من أنواع التماثل الكاثوليكية).

- ٢٠- Ferncaštin, ed., *Acta Bosnae*, ص ٥٢٥-٥٢٦.
- ٢١- ف. و. هزلوك، *F. W. Hasluck, Christianity and Islam*، المجلد الأول، صفحات ٧٧ (الدرويش)، ٦٩ (هبلس). ويلاحظ هزلوك أيضاً سجلاً في ١٦٢١ عن الكتولوك والأرثوذكس والمسلمين ينتجعون صورة للعنقاء قداماً للشفاء (ص ٦٦).
- ٢٢- ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء صفوت بك، باشاجيتش وشيرو تروهيلكا؛ انظر هاجيايتش *Hadzjahuc, Porijeklo bosanskih Muslimana*، صفحات ٩١-٩٢.
- ٢٣- شو، *History of the Ottoman Empire*، المجلد الأول، ص ١١٤ (بالطفاً ياما 'بوتور').
- ٢٤- عن كل هذه المصادر التركية، انظر هاجيايتش *Hadzjahuc, Porijeklo bosanskih Muslimana*، صفحات ٨٧-٩٠.
- ٢٥- *Akademus e shikencave, Fjalor igjehes se some Shqipe*، وعن صورة لبوتور أليقي، انظر ستارت ودرهم، *Start and Durham, Durham Collection of Garments*، ص ٣٥.
- ٢٦- د. مانتيتش *D. Mandic, Etnicka povijest Bosne*، ٢٠٧-٢٠٨ و ٢٢٥.
- ٢٧- المرجع السابق، ص ٢١١. و"الفار" هنا هي، بالطبع، عقاب الرنة عن الإسلام، ولهمت معاملة عامة للمسيحيين على إطلاقهم.
- ٢٨- عن أمثلة عثمانية أخرى، انظر ف. و. هزلوك، *Christianity and Islam*، المجلد الثاني، صفحات ٤٦٩-٤٧٤ ودوكيز *Dawkins, 'Crypto-Christians of Turkey'* وأمانتوس *Amantos, Schepes Ellenen kai Tourkon*، صفحات ١٩٣-١٩٦.
- ٢٩- رايكوت، *Rycaul, Present State of the Ottoman Empire*، صفحات ١٢٩-١٣١ (الكتاب الثاني، الفصل ١٢).
- ٤٠- سولوفييف، *Solovjev, 'Le Temoignage de Paul Rycaul'*.
- ٤١- رايكوت، *Rycaul, Present State of the Ottoman Empire*، وعن البكتاشية، انظر ف. و. هزلوك، *F. W. Hasluck, Christianity and Islam*، المجلد الثاني، ويرج، *Birge, Bekiahi Order*.
- ٤٢- قبل جورج ويلر في ١٦٧٦ بولندي تحول للإسلام يعمل ترجماناً، وقال إنه كان من أهم مصادر معلومات رايكوت: *Journey into Greece*، ص ٢٠٢.
- ٤٣- هاجيايتش *Hadzjahuc, Porijeklo bosanskih Muslimana*، صفحات ٩٠-٩١.
- ٤٤- ستانجيفيتش *Stanogjevic, 'Jedan pomen o krstjanima'* وهذا التقرير، الذي يرجع إلى ١٦٩٢، والذي كثيراً ما يستشهد به في الدراسات العصرية عن اللبوسنة، لا يذكر لبوتور، وهو في الواقع من دالماتيا.
- ٤٥- يوكيتش *Jukic, Zemljopis i poviestica Bosne*، ص ١٤٣، وقد نقل عنه أندريتش، *Andric, Development of Spiritual Life in Bosnia*، ص ٢٠.
- ٤٦- تشويريلوفيتش *Cubrilovic, 'Poreklo muslimanskog plemstva'*.
- ٤٧- سكاريتش *Skaric, Sarajevo i njegova okolina*، ص ٤٢.

- ٤٨- ب. زلاتار 'O nekim muslimanskim feodalnim porodicama' .B. Zlatar, ٧٦ ص.
- ٤٩- سكاريتش Skaric, Sarajevo : njegova okolina, ص ٧٦.
- ٥٠- برلرزل Brundel, Mediterranean, المجلد الأول، صفحات ٤٢٠-٤٢١، و ٥٩٥.
- ٥١- كيرر بيريتش Kuripesc, *Itinerarium der Botschaftsreise*, ص ٤٤.
- ٥٢- عن الدور العام للدوشرمة في عملية اعتناق الإسلام، انظر باوليا Papoula, 'Ursprung und Wesen der 'Knabenreise'', صفحات ٩٨-١٠٨.
- ٥٣- عن نمس 'القافور'، انظر اندريتش Andric, *Development of Spiritual Life in Bosnia*, صفحات ٢٣-٢٤؛ ونشره روشكيتش أيضاً وعلق أن كثير من مواده لم تعد مطبقة قبل إبعاده في ١٨٣٩ بزمين ماويل: *Studien über Bosnien*, صفحات ٢٥١-٢٥٢.
- ٥٤- د. مانديتش D. Mandic, *Etnicka povijest Bosne*, صفحات ٢٤٦-٢٤٧. وعن اختطاف القوات المسيحية للأطفال المسلمين من لبوسنة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، انظر 'Klen, Pokrstavanje "Turske" djece'.
- ٥٥- هانديتش Handzic, 'O gradskom stanovnistvu u Bosni', صفحات ٢٥٢-٢٥٣.
- ٥٦- هراباك 'Izvoz plemenitih metala iz Bosne'.
- ٥٧- سكاريتش Skaric, Sarajevo : njegova okolina, صفحات ٣٦-٣٨؛ بانسايتش وروشكيتش Pasalic and Musevic, eds., *Sarajevo*, ب. زلاتار 'Une ville typiquement levantine'.
- ٥٨- بيليتيه Pelletier, Sarajevo, ص ٧٦.
- ٥٩- سكاريتش Skaric, Sarajevo : njegova okolina, ص ٥١.
- ٦٠- شوجار Sugar, *Southeastern Europe under Ottoman Rule*, ص ٥١.
- ٦١- ب. زلاتار 'Une ville typiquement levantine' B. Zlatar, ص ٩٦.

الفصل السادس: الصرب والأتراك

- ١- فلين, *Bosnian Church*, ص ١٧٢.
- ٢- المرجع السابق، صفحات ٣٠٥-٣٠٧؛ جليا Dzaja, *Konfessionalitat und Nationalitat*, ص ١١٥٨. د. مانديتش D. Mandic *Etnicka povijest Bosne*, صفحات ٤٥٦-٤٦٧.
- ٣- جليا Dzaja, *Konfessionalitat und Nationalitat*, صفحات ١٢٥-١٢٦.
- ٤- فلين, *Bosnian Church*, ص ٣٧٩.
- ٥- عن تقرير عن عام ١٤٥٥، انظر *Acta Bosnae*, ed. Ferrendzin, صفحات ٢٢٤-٢٢٦.
- ٦- فلين, *Bosnian Church*, صفحات ٣٧٩-٣٨٠؛ جليا Dzaja, *Konfessionalitat und Nationalitat*, ص ١٢٩.

- ٧ جليا *Draga, Konfessionalität und Nationalität* ، صفحات ١٢٦-١٢٧ ؛ سكاريتش
 Skaric, *Sarajevo i njegova okolina* ، ص ٥٦ . ومع ذلك، فإن أول دليل مؤكد
 عن الكنيسة الأورثوذكسية في سراييفو يعود إلى ١٦١٦ : سكاريتش *Skaric, Srpski pravoslavni u Sarajevu* ، ص ١ .
- ٨ عن لينتات لادافا على التحول الديني، انظر د. مانديتش *D. Mandić, Etnička povijest Bosne* ، صفحات ١١٧-١٩٤ . وكانت هناك أيضاً تحولات من
 الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية.
- ٩- جليا *Draga, 'Die Bosnische Kirche'* ، صفحات ٧٥-٨٢ .
- ١٠- فاسيتش *Vasić, 'Etnička kretanja'* ، صفحات ٢٢٢-٢٢٩ ؛ وعن تقرير حول
 طاعون خطير في ١٥٨٤ ، يقال عنه إنه قُسم على مئة ألف في البوسنة والهرسك
 وصربيا، انظر *Fernandezin, ed., Acta Bosniae* ، ص ٣٢٨
- ١١- كوربيشيتش *Kurpesic, Itinerarium der Botschaftsreise* ، صفحات ٣٤-٣٥ .
 وميديروفو (*Smolodrovo*) مدينة في شمال صربيا، جنوب شرقي بلغراد. ووجد
 كوربيشيتش أيضاً صربيين أثناء الشطر الثاني من رحلته بين سراييفو وكوسوفو
 وهو يشير إلى هؤلاء ببساطة على أنهم صربيون (ص ١٢).
- ١٢- روشكفيتش *Roskiewicz, Studien über Bosnien* ، ص ٧٧ .
- ١٣- فاشيتش *Vasić, 'Etnička kretanja'* ، ص ٢٢٨ ؛ شابكوفيتش *Sabanovic, 'Vojna etnografija Bosne'* ، صفحات ٢١٨-٢١٩
- ١٤- كوربيشيتش *Kurpesic, Itinerarium der Botschaftsreise* ، ص ٤٢ . وغير كثير
 من الأتلاق الحدود إلى الجانب النمساوي بعد هزيمة العثمانيين في مييساك في ١٥٩٣
 (*Guscic, 'Wer sind die Morlaken?'* ص ٤٦١) .
- ١٥- انظر روتنبرج *Rotherberg, Austrian Military Border* ، وعن حلاصة مفيدة، انظر
 كتابه *Military Border in Croatia* ، صفحات ٦-١١ .
- ١٦- المؤلفات عن الأتلاق ضخمة العدد، كما أنها في معظم شأنها غير مرضية. وعن
 مراجع وفيرة العدد، انظر ناستوريل *Nasturel ed., Bibliografie macedo romana* .
 ولا تزال خير مقدمات عامة هي فليجاند *Weigand, Die Aromunen* و ويس
 وطومسون *Wace and Thompson, Nomads of the Balkans* . كما أن أفضل
 دراسة عصرية هي وينيفرث *Winnifirth, Flachs* ؛ ثم إن ناندريس *Nandris, 'Aromani'*
 بعد أيضاً دراسة قيمة.
- ١٧- جفوني *Gjovani, 'La Transhumance des Vlaques'* .
- ١٨- بارتوميس *Bartasis, Late Byzantine Army* ، صفحات ٢١٦ و ١٢٥٦ ؛ ناستوريل
Nasturel, 'Les Vlaques balkaniques' ، ص ١١٠ .
- ١٩- د. رادوييتش *D. Radojicic, 'Bulgaralbansnobles'* .
- ٢٠- ينبغي أن أوضح أني لم أتمكن من الرجوع إلى البيان الكامل للأب مانديتش عن
 نظريته *Postanak Vlahi* ، الذي نشر في يونس ليريس؛ وكان اعتمادي على

الملخص الوارد في كتابه 'Ethnic and Religious History of Bosnia' ، صفحات ٣٨٢-٣٨٦.

٢١- هناك مؤلفات قوية واسعة عن العلاقات بين الرومانية والألبانية. انظر بوجه خاص Du Nay، *Ethnic, Linguistic studie* وعن ملخصات صربية جيدة، انظر دو ني، *Early History of Rumanian* و *Illyes, Ethnic Continuity* ، صفحات ١٩١-٢٩٠.

٢٢- انظر هارمان *Haarman, Der lateinische Lehnwortschatz*، وتدل البينة أن نوع اللاتينية المتأخرة التي تطورت إلى اللغة الرومانية كانت على صلة وثيقة بالألبانية، وإن كانت بعض الكلمات الألبانية المستعارة جاءت أيضاً من لاتينية ليكر.

٢٣- إن قائمة أعظم العلماء المستقلين (أي غير اليقافيين) امتيازاً تتضمن بيريشوك وفليجند وستيمرلر. وعن مسيح نافع (وإن اتجه بطبيعة الحال إلى تأكيد الأصول الجغرافية الألبانية للألبان)، انظر تشابي *Cabej, 'Problem of Place of Formation'*. وحلول بعض الكتب الرومانيين أن يمكسوا الأوضاع بلزعم بأن الألبان قدموا من رومانيا. وكان لمرحل وسط هو الذي وصفه مارييسكو (Mariesescu)، الذي ذهب إلى أن الخصائص الإثنية للغة إنما اكتسبها أولاً وقبل كل شيء للجد الرومانية في مقدونيا، وهم رجال أعدد نطقهم إلى شمالي القادوب (*Iliru, macedo-romanu si albanesi*)، صفحات ١٥٢-١٥٤.

٢٤- بيريشوك *Jirecek, 'Die Romanen in den Städten Dalmatiens'* ، الجزء الأول، صفحات ٢٥-٤٠ وجوشيتش *Gusic, 'Wer sind die Morlaken?'* ودرجومير *Dragomir, Vlahi si Morlaci* ، صفحات ١٥-٥٢. وعن السجلات البندقية للاتلاق ائداراً أسفل الساحل في الجبل الأسود وشمال ألبانيا، انظر فالنتيني *Valentini, 'L'elemento vlah nella zona scutaria'*.

٢٥- درجومير *Dragomir, Vlahi din nordul peninsulei balcanice* ، صفحات ٤٩-٥٢ والخريطة رقم ١.

٢٦- إ. بوبوفيتش *I. Popovic, 'Valachos-erbia'* ، (وقد صححت وجاء بوبوفيتش لكلمة *tirziu*) صفحات ٢٧٦-٢٧٤، هول *Huld, Basic Albanian Etymologies* ، ص ٥٧. وفي الرومانية العصرية تعني كلمة *tirziu* "متأخر" وكلمة *zari* تعني "شرش" أو "كلين الرقيب". وعن بيبة على الرغويات الألبانية في دالماتيا، وعلى مجاميع ذات أصل ألباني بين فلاق الهرسك وصربيا، انظر جوشيتش *Gusic, 'Wer sind die Morlaken?'* ، ص ١٤٥٦. و *Jirecek, 'Die Romanen in den Städten Dalmatiens'* ، الجزء الأول، صفحات ٤١-٤٣. وم. فيليبوفيتش *M. Filipovic, 'Struktura i organizacija katuna'* ، صفحات ٥٠-٥٨.

٢٧- وربما كان أحفادهم عقيس في صورة الرعاية القرونسهيومات المحولين للإسلام، واثنين يمرغون عامة باسم بالوجي، في المنطق القاتية من البوسنة. انظر *Balagija, 'Les Musulmans yougoslaves'* ، صفحات ٨٢ ٨٣؛ كوليوشيتش *Kulisc, 'Razmatranje o porijeklu Muslimana'* ، ص ١٥٢. وهناك عائلة من باليجي *Balije* بحثها فلوجند، انظر أنها فيما يحتمل من أصل تركماني (*Rumanen und*)

'Aronian in Bosnien', صفحات ١٩١-١٩٧؛ ولكن الواضح أن معظمهم من أرومة بلقانية.

٢٨- جوشيتش 'Wer sind die Morlaken?' Classic, من ١٥٧. انظر كمثال لذلك شكوى كتبت في ١٤٠٢ في Fermentz, ed., Acta Bosniae, ص ٨٥.

٢٩- يطابق نوفلوكوفتش Novakovic, في (Selo, ص ٢٢) أيضاً بين Ornogunji و Sarakatsani, الذي ربما جاء اسمهم من الكلمة التركية Karakazan التي تعني "المتنهر الأسود" ولكن الملوكانسونيين، الذين من الواضح أنهم ظفروا يتحدثون اليونانية ربما طويلاً كما هم سر آخر.

٣٠- يذكر يوفوس لوسيوس التروجرى (يفان لوكيتش) مؤرخ القرن السابع عشر أن المصطلح كان يستخدم تقريبا لمصطلح 'Bili-Vlahi, id est Albi Latini' (الأفلاق البيض) (انظر Schwandner, ed., Scriptores rerum hungaricarum, المجلد الثالث، ص ١٥٩)؛ على أنى لم نر أية عبارة تعبر عن الأفلاق البيض - مقبضتهم أى مصدر مبكر. ويرى بيريتشك أن الراجوريين والدالماتيين وصعوا وسيلة التمييز ليعرفوا أنفسهم (الذين يسمون أيضاً بالأفلاق بسبب لغتهم المصطنعة باللاتينية) عن أفلاق المناطق الدالطية، ويرى جوشيتش أنهم كانوا يميزون بين أفلاقهم الأصليين المحليين (الذين كانوا يرتدون اللباس) وبين موجة من القادمين الجدد. وعندي أن كلا الفئتين غير مقبضة، إذ ليس ثمة سبب في أن يستخدم الراجوريين أو الدالماتيون الآخرون لالة اليونانية. وكان لوشيوس التروجرى مقبضها على الأكل إلى هذه المسألة، ذهب إلى أن مصطلح Mavrovlachos أعاد نقله البنادقة (الفيسيون) من اليونان.

٣١- وتجن كلمة Morovlach في المراجع الراجورية مشيرة إلى الأفلاق المحليين بدءاً من القرن الثالث عشر، انظر بيريتشك Jirecek, 'Die Romanen in den Städten Dalmatiens', الجزء الأول، ص ٣٥. ولا شك أن الأثر الشعبي في نطق للكلمة إنما حدث قرب أحريات القرن الثامن عشر، عندما أشار قسيس ديوكيا إلى الموروفلاتش 'Morovlachu' (والى كان على ذكر من أن المعنى كان اللاتيني الأسود 'nigri Latini')؛ لمون شولندر von Schwandner, ed., Scriptores rerum hungaricarum, المجلد الثالث، ص ١٧٨. ويتناقض كلا هذين التفسيرين للبيبة مع الحجة المقدمة في جوشيتش 'Wer sind die Morlaken?' Gusic, صفحات ٤٦٠-٤٥٩.

٣٢- فورتيس Fortis, Travels into Dalmatia, صفحات ٥٢ و ٨٥. وقد بقيت كثير من ملاحظات فورتيس (على أن تلك لم تكن من بينها) معارضة في عمل أواخر وأتمس على يد كاتب أوتي معرفة محلية أجود كثيراً، انظر Lovrich, Osservazioni. انظر باليتش Wilson, Life of Balic, Das unbekannte Bosnien, ص ١١٧٥ ويليوس of 'ut Karadic, صفحات ١٩٢-١٩٤. وترجمت ويليوس الخلاصة وردت في صفحات ٣٦١-٣٦٣.

٣٤- بلتيسكو Beldiceanu, 'Les Valaques de Bosnie'.

٢٥- بلديساقو Beldiceanu, 'Sur les valaques des balkans slaves', من ١٩٧: بلديساقو
 وبلديساقو ستانهر Beldiceanu-Stanher, 'Quatre actes de ستانهر', من ١١١٨: نظر أيضاً ماجوييتش Hadzibegic, 'Dzaga ili karac', الجزء الأول, من ٦٨. ومع هذا، فقد أخريات القرن ثامن عشر، كإي أحمد
 الأتلي في منطقة حدود البوسنة يصفون الخراج فعلاً: نظر لوفريتش Lovrich, 'Osservazioni', من ٨٢.

٢٦- نظر بلديساقو Beldiceanu, 'Sur les valaques des balkans slaves', من ١٩٤: ماجوييتش
 Hadzibegic, 'Portjeklo basmactik Mustimomo', من ١٢٧. تاريخ ملحوظة كوريتشيتش أعلاه (ملش ١١).

٢٧- جاليا Daga, 'Die "basmactik Kirche"', من ٧٥.

٢٨- بلديساقو Beldiceanu, 'Sur les valaques des balkans slaves', من ٩١. ويحدد
 تريفونوفسكي Trifunovski تاريخ التغيير نحو الاستقرار في قرية مفردة إلى القرن
 الخامس عشر: 'Geografike karakteristike katuna', صفحات ٢٦-٢٧.

٢٩- لوفريتش Lovrich, 'Osservazioni', صفحات ١٧٤ و ١٧٥.

٤٠- وكان مؤسس هذا التفسير هو ستويان بولكوفيتش Stojan Novakovich مؤرخ القرن
 التاسع عشر: نظر كتابه Seto, صفحات ٢٩-٣٠. وكذلك يرى المؤرخ الروسي:
 ب. نوموف E. P. Naumov أيضاً أن الأفلاق لم يطبقوا بالمصباح الإسلامي القوي في
 زمن مبكر يرجع إلى القرن الثالث عشر: نظر 'Balkanskiye vliaki'. على أن
 القتاب الصربيين الذين يتكلمون قرأى القائل بأن الأفلاق هوية إتيية (عرقية) مختلفة،
 لم تصدق تلك الحقيقة المجردة إذ من العجيب أن مؤرخاً صربياً معاصراً يكتب:
 'حتى الأفلاق أنفسهم وطردتهم في الحياة أصبحوا عرضة للتهديد حتى لقد انضموا
 للصرب لكي ينفذوا حياتهم، كما أنهم في أثناء تلك العملية ساعدوا في الاحتفاظ
 بالهوية الإثنية والدينية والثقافية للصرب واستمرواها'. (نظر بفلوفيتش Pavlovich, 'Serbians', من ٧٨).

٤١- بلديساقو Beldiceanu, 'Les valaques de Bosnie', من ١٢٢.

٤٢- م. فيليپوفيتش M. Filipovic, 'Struktura i organizacija katuna', من ٥٢ (أسماء)
 بيريتشيك Jirecek, 'Die Romanen in den Städten Dalmatiens', الجزء الأول, من
 ٤٠ (جريدة)؛ نوجر Niger, 'Geographiae commentariorum libri', من ١٠٣
 (لاتيني القاصد)؛ نادرش Naders, 'Aromani', من ٢٨ (كلمت الحد).

٤٣- بيريتشيك Jirecek, 'Die Romanen in den Städten Dalmatiens', الجزء الأول,
 من ٤١.

٤٤- د. ماندليتش D. Mandic, 'Etnicka povijest Bosne', من ٥١٦.

٤٥- ويمكن الترق في أسلوب النطق الحثكي لبعض الحروف المتحركة: قبل 'الإيكليفية'،
 المتحدث بها في صربيا، تنطق كلمة 'الين' 'aleko', بينما 'لييكليفية' (المتحدث بها
 في البوسنة والهرسك) تنطقها 'mljeko' or 'mljeko'.

- ١٦- رومشيد د. مافيتش بالإحصاء كليل على استمرار التثبث بالانكلاوية في (Etnicka povijest Bosne ، من ١٥١٦) فيليبسكو Filipescu, Colonille romane din Bosnia.
- ١٧- فايجاند 'Karavasi' Weigand, Rumantsch und Aromanen in Bosnien. وعن 'Karavasi' انظر القسم عن الفجر في الفصل التاسع.
- ١٨- على أن د. مافيتش يذكر بنقطة عجيبة زرقاء أن النسبة ٥٠-٥٦ % (Etnicka povijest Bosne ، من ٥١٦).
- ١٩- جايلا Džaja, Konfessionalität und Nationalität ، من ٨٢.

الفصل السابع: الحرب والثقلون السلطانية في البوسنة العثمانية ١٦٠٦-١٨١٥

- ١- كونت Kunt, Sultan's Servants ، من ٨٢.
- ٢- كلوسولد Clissold, ed., Short History ، من ١٩.
- ٣- Ferenczin, ed., Acta Bosniae ، صفحات ١٧٩ - ٥٠١.
- ٤- شو Shaw, History of the Ottoman Empire ، المجلد الأول، من ٢١٢.
- ٥- ا. بوبوفيتش A. Popovic, L'Islam balkanique ، من ٢٥٩.
- ٦- جايلا Džaja, Konfessionalität und Nationalität ، ومع هذا فإن بيلينيا Peledija يكتب أن العدد الإجمالي للأجناس المسلمين من الأراضي التي استرجعها آل هابسبرج بلغ مئة وثلاثون ألفاً، لم يكونوا جميعاً يسكنون البوسنة، فنظر (Bosanski ejalet) من ٥٠.
- ٧- نيورديف Djurdjev, 'Bosna' ، من ١٢٦٧.
- ٨- ميراز Miraz, Prinz Eugen ، من ٤٠.
- ٩- د. مافيتش D. Mandac, Etnicka povijest Bosne ، من ٥١٤.
- ١٠- على أن بعض الكاثوليك عاشوا فعلاً بعد أن أعطيت السلطات العثمانية البوسنة في ١٦٩٩: انظر بيلينيا Peledija, Bosanski ejalet ، من ٥١.
- ١١- جايلا Džaja, Konfessionalität und Nationalität ، من ٩٨.
- ١٢- وأخيراً تم تحديد خط الحدود هذا بين البسنية والبوسنة خلال الفترة ١٧٢١-١٧٣٣: انظر Clissold, ed., Short History ، صفحات ٤٥ و ٥٠. ويقول شو مخطئاً أن المعاهدة حدثت التحوم على نهر سافا (History of the Ottoman Empire ، المجلد الأول، من ٢٣٢).
- ١٣- ا. بوبوفيتش A. Popovic, L'Islam balkanique ، من ٢٥٩.
- ١٤- جايلا Džaja, Konfessionalität und Nationalität ، من ٩٦. ويلاحظ جايلا أيضاً تمردات حدثت قبل الحرب في ١٧١٠ و ١٧١١.
- ١٥- مانجيتش Handzic, 'Bosansko namjesnik' ، صفحات ١٤٤-١٤٥.
- ١٦- المرجع السابق، من ١٥٢-١٦٣.
- ١٧- نيورديف Djurdjev, 'Bosna' ، من ١٢٦٧.
- ١٨- مانجيتش Handzic, 'Bosansko namjesnik' ، صفحات ١٦٤-١٨٠.

- ١- هاجياهيتش 'Hadzizahic, Die Kämpfe der Ajanen'، ص ١٢٠.
- ٢- سوتشيسكا 'Socetska, Osmanli imperatoringenda Bosna'، ص ٤٤١.
- ٣- هاجياهيتش 'Hadzizahic, Die privilegierten Städte'، ص ١٥٦.
- ٤- دزيجا 'Dziza, Konfessionalität und Nationalität'، ص ٩٨.
- ٥- ب. بيلاتوفتش 'B. Jelavich, History of the Balkans'، المجلد الأول، ص ٩٠.
- ٦- روتبرج 'Rothberg, Military Border in Croatia'، صفحات ٧٢-٧٣.
- ٧- شو 'Shaw, History of the Ottoman Empire'، المجلد الأول، ص ٢٥٩.
- ٨- شاميتش 'Samic, Les Voyageurs français'، صفحات ١٤٦-١٤٩.
- ٩- ديبوف 'Desbours, Souvenirs'، صفحات ١٢٢-١٢٣.
- ١٠- بافلوفيتش 'Pavlovitch, 'Society in Serbia'، صفحات ١٤٤-١٤٥ ويلاحظ بويوفيتش أن أعمالاً كهذه استمرت ببطء متجدد بعد ١٨١٥ (انظر *L'Islam balkanique* ص ٢٦٧).
- ١١- كريشيفليكوفايتش 'Kresavljakovic, Kapetanije'، صفحات ١٣ و ٢٧.
- ١٢- المرجع السابق، صفحات ٥٢-٦٤.
- ١٣- كان من الممكن أن توصف البوسنة بأنها 'بشلوكية'، ولكن ذلك كان مصطلحاً عاماً يشمل جميع أنواع الأراضي التي يحكمها باشا. وحيث أن البوسنة كانت تابعة لها لم تكن على نفس مستوى البشلوكية بالجراد مثلاً، التي كانت منجوة فقط. وعن الامتيازات التي يتمتع بها هؤلاء ذي القبول الثلاثة، انظر دوسون *d'Osson*، *Tableau de l'Empire ottoman*، المجلد السابع، ص ٢٨٥.
- ١٤- شاميتش 'Samic, Les Voyageurs français'، صفحات ١٨٦-١٨٧؛ كريشيفليكوفايتش 'Kresavljakovic, Kapetanije'، ص ١٧.
- ١٥- شاميتش 'Samic, Les Voyageurs français'، ص ١٨٨.
- ١٦- هاجياهيتش 'Hadzizahic, Die privilegierten Städte'، صفحات ١٣٢-١٣٤. وقد رأس المسلمون النقابات ولكنها ضمت أيضاً أعضاء من المسيحيين واليهود. وكان لغالب المسلمين كسبهم داخل النقابة. انظر كريشيفليكوفايتش 'Kresavljakovic, Esnaf i abri'، ص ١٤٩ مكرتس *Esnaf i abri*، ص ١٣٤.
- ١٧- شوميت دي فوسيه 'Chamette-de-Fosses, Voyage en Bosnie'، ص ١١٤.
- ١٨- هاجياهيتش 'Hadzizahic, Die privilegierten Städte'، ص ١٢٧.
- ١٩- المرجع السابق، صفحات ١٥٦-١٥٧.
- ٢٠- عن أحداث البوسنة، انظر المرجع السابق؛ سوتشيسكا 'Socetska, Bedeutung des Begriffes 'A'yan'، هاجياهيتش 'Hadzizahic, Die Kämpfe der Ajanen' وعن الطبيعة الأصلية للوظيفة، انظر بلون 'Blon, 'Ayan' وعن استخدام المصطلح في أماكن أخرى، انظر شوجار 'Sugar, Southeastern Europe under Ottoman Rule'، ص ٢٢٨.

- ١- يحال توماسيفيتش الاستخداًم الخاص لهذه المصطلحات في البوسنة في: *Peasants, Politics and Economic Change*، صفحات ٩٩-١٠٠. ويسلي شوجار ييلاً مختلفاً وأكثر عمومية في: *Sugar Southeastern Europe under Ottoman Rule*، صفحات ٢١٤-٢١٨.
- ٢- وتحول إلى المزارع الكبيرة الخلسة (الشونيك) في جميع أنحاء الإمبراطورية لهو موضوع ضيق بحوط الفصوص حوالب كثيرة منه. ولاستعراض قيم عن هذه الموضوعات، انظر ماكجوان *McGowan, Economic Life in Ottoman Europe*، صفحات ٥٧-٧٩. وتصف موتفتونا *Mutafchieva* الشكلى التقاليدى الذى كانت المزارع الكبيرة الخلسة تمتع بهما (للموسوليين و"الفارين" أو الأبطال الصكرين)؛ وتلاحظ أيضاً شكلاً خاصاً لهذه المزارع مستفراً من الممتلكات الإقطاعية القديمة في البوسنة في: (*K'm vprosa za obiltnost*)، صفحات ٣٦-٤٢.
- ٣- انظر ملاحظات هوتنجر على تولدهم في أدرنة في خمسينات الألف وستة في: *Hottinger, Historia orientalis*، ص ٤٦٣.
- ٤- ماكجوان *McGowan, 'Food Supply and Taxation'*.
- ٥- شاميتش *Samic, Les Voyageurs francals*، ص ٢١٨.
- ٦- ماكجوان *McGowan, Economic Life in Ottoman Europe*، صفحات ٨٣-٨٦.
- ٧- جابا *Dzaga, Konfessionalitat und Nationalitat*، صفحات ١٠٥-١٠٦ و ١٥١ و ١٦٨. ويذهب تقرير الأب مارافيتش عن البوسنة في ١٦٥٥ إلى أن عدد السكان الكاثوليك هو ١٣٦٠٦ روحاً: *Fernandez, ed., Acta Banae*، ص ٤٧٦.
- ٨- سكاريتش *Skaric, 'Popes bosanskih opshizja'*.
- ٩- ب. يلاتشيتش *B. Jelavich, History of the Balkans*، المجلد الأول، ص ٩٠.
- ١٠- والأرقام عن الذكور البالغين من غير المسلمين المسجلين في إيالة البوسنة من دافى الجزية: ١٢٥٠٠ في سنة ١٧٠٠ (شاملة الهرسك وزفورنيك)، و ٣٩٢٠٠ في ١٧١٨ (غير متضمنة الهرسك وشاملة زفورنيك)، و ٦٣٤٤٠ في ١٧٤٠ (غير متضمنة الهرسك وشاملة زفورنيك)، و ٩٨٣٢٩ في ١٧٨٨ (شاملة الهرسك وسنجدية غير مطرومة) و ١٠٣٨٨٣ في ١٨١٥ (شاملة الهرسك وسنجدية غير مطرومة): ماكجوان *McGowan, Economic Life in Ottoman Europe*، ص ٩٠. ويبدو الرقم الأول منخفضاً بصورة غير محتملة؛ ويحتمل أنه يدل على الإدارى البوسنية لم تسبق من الحرب، ولم تستطع إجراء الإحصاءات الكاملة. وكان ذلك هو الرقم الأول الذى تم تجميعه على أساس جديد، وهو حسب عدد الذكور البالغين بدلاً من عدد العائلات.

- ١١- أرقام كراما محمد هاجيايتش واستشهد بها جليا في *Konfessionalist and Nationalist*، ص ٨٧.
- ١٢- فالجاند *Wegand, Rumannen und Aromunen*، ص ١٧٨.
- ١٣- سكراتش *Skaric, Srpski pravoslavni narod*، ص ١٠٠.
- ١٤- د. ماتيتش *D. Mandic, Etnicka povijest Bosne*، ص ١٥١٤ هاجيايتش *Hadziahic, 'Die privilegierten Stadte'*، ص ١٢٦.
- ١٥- هاجيايتش *Hadziahic, 'Die privilegierten Stadte'*، ص ١٢٥.
- ١٦- تشيليبي *Celeba, Putopis*، صفحات ١٠٦ و ١١٦. ويعتد علامة عصرى أن أرقام تشوليبي يبلغ فيها، وهو يقارن بها برقم أقل كثيراً من دفتر لعام ١٨٤١ (تاجا) تقريره في ١٦٥٥ يعطى رقماً أكبر قليلاً من رقم تشيليبي: ٢٠٠٠٠ عائلة مسلمة و ١٠٠٠ عائلة مسيحية *Fermentzin, ed., Acta Bosnae*، ص ٤٧٦). (ومن الجدير بالذكر أن بيان مارايتش يتضمن أن هذه المئة عائلة تشمل ٦٠٠ روحاً، مما يوحي بأنه استخدم مضاعفاً أكبر مما يستخدمه المؤرخون المعاصرون) ومن الواضح أن سراييفو كانت لمصر في القرن الثامن عشر مما كانت عليه في القرن السابع عشر، ويحتمل أنها تضاهت أكثر في أوائل القرن التاسع عشر.
- ١٧- كيكليه *Quicet, Voyages*، صفحات ٦٨-٧٠ و ٧٩. وقد علق بيتر ماسارييتش على النوعية الفاتكة للجيول فيوسنية في ١٦٢٤: انظر *Draganovic, 'Izvesce Perna Masarechija'*، ص ٤٧.
- ١٨- بيليتيه *Pelletier Sarajevo*، ص ٦٩.
- ١٩- شوميت دي فوسيه *Chauvettie-des-Fosses, l'oyage en Bosnie*، ص ١٣٣.
- ٢٠- هاجيايتش *Hadziahic, 'Die privilegierten Stadte'*، ص ١٢٥.
- ٢١- وقد لوحظ القسويون بغياء رسم استيراد على تجارهم ولم يعرضوا رسماً مماثلاً على الرعايا العثمانيين الذين كانوا يستوردون نفس البضاعة- انظر ماكجوان *McGowan, Economic Life in Ottoman Europe*، صفحات ٢٣-٢٤.
- ٢٢- على أن معرض لبيزج للتجاري مار من صمطاً على تحار البوسة وأجزاء أخرى من البلقاني خلال تلك الفترة: انظر بلسكليا *Paskaleva, 'Osmanski balkan eyaletlerinin ticareti'*، صفحات ٤٧-٤٩.
- ٢٣- عن استخراج معدن الحديد، انظر شوجار *Sugar, Industrialization of Bosnia*، ص ١٦. وينكر تقرير كتبه هوركا في ١٨١٣، مع ذلك، تصدير نوع من المعادن إلى فرنسا: هو الأوربييفت (الزرنخ الأصفر)، وهو مادة كيميائية طبيعية تستخدم في صناعة الصبغات. *Vacatopoulos, 'Tendances du commerce de la Bosnie'*، ص ٩٥.
- ٢٤- دوسون *D'Osson, Tableau general de l'Empire ottoman*، المجلد السابع، ص ٢٩٦.
- ٢٥- بوتر *Porter, Observations on the Turks*، المجلد الأول، ص ١٣٣.

- ٢٥- المرجع السابق، المجلد الثاني، صفحات ٤٧ و ٥٦. وقد ذكر أنطون هانجي Anton Hanci، الذي كتب في تصورات الألف وثلاثمائة درجعة عن الرحلة في البوسنة، تعبيراً مقلداً حول الألف والخمسة والعشرون في مولييفو، حيث عاش لمدة عام بدون خلق ونتاج أباه، على حد قوله (*Die Muslim's in Bosnien*)، ص ٧. وقد لاحظ الرحلة البيروني هـ. ص. طومسون H. C. Thomson في ١٨٩٧: "يمكن الاعتماد على كلمة المسلم في البوسنة بثقة تامة في مسائل البيع والشراء" (*Outgoing Turk*)، ص ١٦٢).
- ٢٦- موييتش Mojic, *Trilog proucrvanje uzivanja alkoholi pica*، ص ٢٤٢.
- ٢٧- شاميتش Samic, *Les Voyageurs francais*، ص ٢٤٢.
- ٢٨- بيلوتيه Pelletier, *Sarajevo*، ص ١١٨.
- ٢٩- أندريش Andric, *Development of Spiritual Life in Bosnia*، صفحات ٦٢-٦٣.
- ٣٠- جليا Djaja, *Konfessionalitat und Nationalitat*، ص ١١٤٩ شاميتش Samic, *Les Voyageurs francais*، ص ٢٤٢.
- ٣١- درلجانيوفيتش Draganovic, *Izjescje Petra Marmochujst*، ص ١٤٦. مقلدش D. Mandic, *Emucka povijest Bosne*، ص ٢٧٥.
- ٣٢- Fermentiz, ed., *Acta Bosniae*، ص ٥٦٦.
- ٣٣- المرجع السابق، ص ٤٧٩.
- ٣٤- شوميت دي فومسيه Chaumette-des-Fosses, *Voyage en Bosnie*، صفحات ٧٠-٧٤.
- ٣٥- فرا لوفرو سيوفيتش 'أخوة الجحيم' Fra Lavro Sirovic, *Pisna od pekla*؛ والقصيدة نفسها على هيئة الشعر الشعبي، وعلى ذلك فمن المحتمل أنها كُتبت بها أن تحمل صفة. ويحجب أندريش بأنها تختلف فقط عن القصائد الحقيقية في الشعر الشعبي في أنها غير منتظمة باستمرار ولا تحوي أي جمال: *Development of Spiritual Life in Bosnia*، ص ٥٠. وعن المراجع الكاثوليكية الأخرى، انظر المرجع السابق، صفحات ٤٧-٥١.
- ٣٦- المرجع السابق، ص ١٥٠ هاجيافيتش Hadzizahic, *Od tradicije do identiteta*، ص ٣٢.
- ٣٧- Fermentiz, ed., *Acta Bosniae*، صفحات ٥٠٣-٥٠٤. وعن المحاولات الأخرى، انظر جليا Djaja, *Konfessionalitat und Nationalitat*، صفحات ٢٠٨-٢٠٩.
- ٣٨- شوميت دي فومسيه Chaumette-des-Fosses, *Voyage en Bosnie*، ص ٧٥.
- ٣٩- شاميتش Samic, *Les Voyageurs francais*، ص ١١٢.
- ٤٠- شوميت دي فومسيه Chaumette-des-Fosses, *Voyage en Bosnie*، ص ٧٥.
- ٤١- أندريش Andric, *Development of Spiritual Life in Bosnia*، ص ٣٨.
- ٤٢- جازيتش Gazic, *Les Collections manuscrites*، ونوحى تقارير من سراييفو إلى المجموعة الكاملة في المعهد الشرقي قد تم تغييرها بواسطة المتفحفة المربية.

٤٢- انظر لوفات *Lehfeldt, Das verbokroatische Aljamiado-Schrifttum* ، صفحات ٤٥-٥٢.

٤٤- عن ملخص ثمين، انظر باليتش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، صفحات ٢٧١-٢٨١. وأحدث دراسة، التي لم تمكن من الرجوع إليها، هي هوكوفيتش *Hukovic, Aljamiado knizevnost i njeni stvaraoi*.

٤٥- انظر باليتش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، صفحات ١٦٥-١٩٠.

٤٦- لوفات *Lehfeldt, Das verbokroatische Aljamiado-Schrifttum*، ص ٥٠؛ وعن *Elascokija's chronicle*، انظر جازيتش *Gazic, 'Les Collections manuscrites'*.

٤٧- هاجيافيتش *Hadzizahuc, Od tradicije do identiteta*، ص ٧. وعن أمثلة كثيرة لكتب يسمى لعهم اليومنية، انظر المرجع السابق، صفحات ٢٤-٣١.

٤٨- أوربيني *Orbins, Regno de gli Slavi*، ص ٣٧٧.

٤٩- ويلسون *Wilson, Life and Times of Karadzic*، ص ٢٨٩.

٥٠- عن تفاصيل أكثر عن هؤلاء الكتب وكثيرون غيرهم، انظر باليتش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، صفحات ٢٢١-٢٦٤.

٥١- انظر المرجع السابق، صفحات ٣٠٠-٣١٦؛ وعن تفاصيل عن مصنفين بوسنيين من القرن الثامن عشر راعين بصغة خاصة بواسطة إبراهيم شيهوفيتش وحسين بوشنيك *Ibrahim Schovic and Husen Bosnyak, 'Les Collections manuscrites'*.

٥٢- وهناك دراسة عامة عن طرق الدراويش في الإمبراطورية العثمانية أعدها ميرميرلوغلو *Mirmiruglou, Oi Dervissai*. وهناك مادة مفيدة في رايكوت *Rycaut, Present State of the Ottoman Empire*، صفحات ١٣٥-١٥١ و ف. و. هارلوك *F W Hasluck, Christianity and Islam in the Order* وترينجهام *Triningham, Sufi Orders in Islam*.

٥٣- هاجيتش *Handzic, 'U ulazi dervisa'*.

٥٤- بيانوشيه *Pelletier, Sarajevo*، صفحات ٨٢-٨٩. وهناك وصف كامل عن هذه التكتلات في سيغيريتش *Sikiric, 'Derviskolostorok es szem szrok'*، ولكن سيغيريتش أخطأ عندما وصف تكية إسكندر بأنها الأكبر (صفحات ٥٧٧-٥٧٨).

٥٥- تشيلبي *Celiba, Putopis*، ص ١١٠.

٥٦- انظر الوصف في ألبار *Algar, 'Notes on the Naqshbandi Tarikat'*، صفحات ٧٣-٧٧.

٥٧- بالاجيا *Balagya, Les Musulmans yougoslaves*، ص ١٠٣؛ انظر أيضاً ف. و. هارلوك *F W Hasluck, Christianity and Islam*، المجلد الثاني، ص ٥٥١.

٥٨- باليتش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، صفحات ١٠٤-١٠٥؛ وهاجيافيتش *Hukic, ed., Islam i Hukic, 'Uldio Hamzev ija u atentatu'*، صفحات ٩١-٩٨.

- ٥٩- تشيلبي Celbi, Putopus ، ص ١١٦ .
- ٦٠- انظر مثلاً شوميت دي فوسيه Chaumette-des-Fosses, l'oyage en Bosnie صفحات ٥٥-٦٣ . ويلاحظ شوميت دي فوسيه أيضاً، كغيره من المراقبين الانطام الحقيقي لتعدد الزوجات.
- ٦١- هاجيايهيش Hadzjehic, Od tradicije do identiteta ، ص ١٩ .
- ٦٢- كيكليه Quiclet, Les Voyages ، صفحات ٧٢ ٧٣ .
- ٦٣- شوميت دي فوسيه Chaumette-des-Fosses, Voyage en Bosnie ، صفحات ٤٩-٥١ .
- ٦٤- برتوزيه Pertusier, La Bosnie ، ص ٩١ .

الفصل التاسع: يهود وغجر البوسنة

- ١- جولدمستين Goldstein, ed., Jews in Yugoslavia ، صفحات ٢٧-٢٨ .
- ٢- المرجع السابق، صفحات ٧٥-٧٦ .
- ٣- ليفي Levy, Die Sephardim in Bosnien ، ص ٢ ويكتب فريدنريش Freudenreich أن سجلات المحاكم تلك تشير إلى ما بين عشر وخمسة عشر عائلة يهودية (Jews of Yugoslavia ، ص ١٢)؛ ولكن هذا هو فقط تخمين إيهي حول حجم المجتمع اليهودي في ذلك الوقت.
- ٤- شو Shaw, Jews of the Ottoman Empire ، ص ٥٢ .
- ٥- لاحظ بيليتيه في ١٩٢٤ أن المسجلات في سراييفو كل لا يبيها تقريبا إلا اليهود Sarajevo ، صفحات ٤٨-٤٩ . ويذهب سكاريتش إلى أن يهود سراييفو جاؤوا أصلاً من سكوبيي: Sarajevo i njegova okolina ، ص ٦٠ .
- ٦- شو Shaw, Jews of the Ottoman Empire ، ص ٥٢ .
- ٧- ليفي Levy, Die Sephardim in Bosnien ، صفحات ٦-١٠ .
- ٨- جولدمستين Goldstein, ed., Jews in Yugoslavia ، ص ١٧٢ فريدنريش Freudenreich, Jews of Yugoslavia ، صفحات ١٢ و ٢٧ . وقد خرق الحوش في حريق ١٨٧٩ ، ولم يبق ثلثة . وعن وصف كامل عن الحى اليهودي في سراييفو وخريطة للشوارع، انظر ليفي Levy Die Sephardim in Bosnien ، صفحات ٨٥-١١١ .
- ٩- ليفي Levy, Die Sephardim in Bosnien ، ص ١١١؛ وقد حرق تماماً في ١٧٩٤ ثم أعيد بناؤه.
- ١٠- فريدنريش Freudenreich, Jews of Yugoslavia ، ص ١٢ .
- ١١- تشيلبي Celbi, Putopus ، صفحات ١٠٥-١٠٦ .
- ١٢- ليفي Levy, Die Sephardim in Bosnien ، صفحات ٥٢-٥٥ و ١١٦ فريدنريش Freudenreich, Jews in Yugoslavia ، صفحات ١٤-١٥؛ جولدمستين Goldstein, ed., Jews in Yugoslavia ، ص ٦٥ .

- ١٢- شولم Scholem, *Sabbatai Sevi*، ص ٥٦٠.
- ١٤- عن هالون، انظر ليفي Levy, *Die Sephardim in Bosnien*، صفحات ١٥-١١٧ شولم Scholem, *Sabbatai Sevi*، صفحات ٩٠٦-٩٠١؛ شولم Scholem, *Major Trends in Jewish Mysticism*، صفحات ٣٦١-٣٦٤ وعن الأشتكاري انظر فريدلر لوش Freidenreich, *Jews of Yugoslavia*، ص ١٢.
- ١٥- ليفي Levy, *Die Sephardim in Bosnien*، ص ٨٨.
- ١٦- المرجع السابق، صفحات ١٩-٧٠. وقد نهب المعبد الرئيسي لطائفة السقريم والمكتبة القديمة والمخطوطات التي كان يحتويها فور وصول القوات الألمانية إلى سراييفو في ١٥ أبريل ١٩٤١ [انقتال *faustichih* Levtal, ed., *okupatora*، ص ٦٤].
- ١٧- شو Shaw, *Jews of the Ottoman Empire*، ص ٥٢.
- ١٨- المرجع السابق، ص ٥٢. ويرجع شو تاريخ وصول يارنو إلى ١٧٥٢؛ ويرجعه فريدلر لوش إلى ١٧٦٥ ويرجعه ليفي إلى ١٧٦٨. وكلهم يتفقون على أنه رحل إلى فلسطين في ١٧٨١.
- ١٩- انظر الوصف وصورة ملونة للمخطوط بأكمله في روث Roth, ed., *Sarejevo Haggadah*.
- ٢٠- فلكالوبولس Valcalopoulis, 'Tendances caracteristiques du commerce de la Bosnie', ص ٩٩. ويذهب برتوزيه أيضاً إلى أن فرغم الإجماع هو ٢٠٠٠ لتروسة Pertusier, *La Bosnie*، ص ٧٨. على أن شوميت دي فومسيه يذهب إلى أنه ١٢٠٠ Channetto-des-Foncs, *Voyage en Bosnie*، ص ٢٩٧.
- ٢١- وقال برتوزيه، الذي زارها في ١٨١٢، إن مكان ترافيك كانوا بأجمعهم من المسلمين فيما عدا قليل من العائلات اليهودية 'La Bosnie'، ص ٢٩٧؛ على أن شوميت دي فومسيه، الذي عاش هناك لسبعة أشهر في ١٨٠٨، ذكر أنهم كانوا يشملون ١٠٠٠ أرثوذكسي و ٥٠٠ كاثوليكي و ٢٠٠ مجري و ٦٠ يهوديا. وفي ١٨٩٨ دعى ويليام ميلر ترافيك بأنها 'بعض المدن الإسلامية النقية في البلاد' (*Travels and Politics*، ص ١٥٥).
- ٢٢- تومل Thomsen, *Geschichtliche Beschreibung*، ص ١٢٠.
- ٢٣- ليفي Levy, *Die Sephardim in Bosnien*، صفحات ٦٢-٦٣.
- ٢٤- فريدلر لوش Freidenreich, *Jews of Yugoslavia*، صفحات ١٥-١٦.
- ٢٥- بيرنر ليفر Baernreuther, *Bosnische Eindrücke*، ص ٢٦.
- ٢٦- فريدلر لوش Freidenreich, *Jews of Yugoslavia*، ص ٢١٣.
- ٢٧- كيرثيس Curtis, *Turk and his Lost Provinces*، ص ٢٧٦.
- ٢٨- فريدلر لوش Freidenreich, *Jews of Yugoslavia*، صفحات ١٩-٢٢.
- ٢٩- شو Shaw, *Jews of the Ottoman Empire*، ص ١٢٥ [انقتال *faustichih* Levtal, ed., *okupatora*، صفحات ٧٠-٧١.

- ٢٠- عن كل التفاصيل السابقة، انظر ميويش 'Mujic, 'Polozaj cigana', صفحات ١٤٠-١٤٤، وسوليس 'Soultis, 'Gypsies in the Byzantine Empire'. ويلاحظ فريزر في Fraser, 'Gypsies', ص ٥٧، أن مصطلح *cingarije* في مرسوم صربي كان من المحتمل أنه يعني 'يسكتي'.
- ٢١- فريزر Fraser, 'Gypsies', ص ٨٢.
- ٢٢- ميويش 'Mujic, 'Polozaj cigana', صفحات ١٤٧-١٤٦.
- ٢٣- فيوكتوفيتش 'Vukanovic, 'Le Firman relatif aux tsiganes'.
- ٢٤- فليجاند 'Wegand, 'Romanen und Aromunen', ص ١٧٤. وكلمة *Aromen* من كلمة المجرية *beas* بمعنى 'يخفر'.
- ٢٥- كيوربيشيتش 'Kurpesic, 'Itinerarium', ص ١٢١ ويقول كذلك أن مثل هؤلاء العمال كانوا يوجدون في أجزاء أخرى كثيرة من البوسنة (ص ٤٤). والطريقة المعتادة لم تكن بئسلا الترف عن المعدن بل دجر جرة من صوف الخراف على قاع الجنول أو النهر.
- ٢٦- م. هازلوك 'M. Hasluck, 'Firman regarding Gypsies', ص ٢.
- ٢٧- فريزر Fraser 'Gypsies', صفحات ١٢٢-١٢٤.
- ٢٨- شوجار 'Sugar, 'Southeastern Europe under Ottoman Rule', صفحات ٧٧ و ٨٦ و ١٠٣.
- ٢٩- م. هازلوك 'M. Hasluck, 'Firman regarding Gypsies', صفحات ١٠ و ١١.
- ٤٠- Fernendzin, ed. 'Acta Bosniae', ص ٤٧٦.
- ٤١- ميويش 'Mujic, 'Polozaj cigana', ص ١٤٩.
- ٤٢- شوميت دي هوسبييه 'Chaumette-des-Fosses, 'l'ovage en Bosnie', ص ١٣٠.
- برفوزيه 'Perusser, 'La Bosnie', ص ٧٨.
- ٤٣- ثومسل 'Thoenemel, 'Geschichtliche Beschreibung', صفحات ٧٦-٧٧ (عن ١٨٦٥)؛ ماورر 'Maurel, 'Eine Reise durch Bosnien', ص ٢٧٢ (عن أخريات ستيفات الألف وثلاثمائة)؛ ميويش 'Mujic, 'Polozaj cigana', ص ١٧٠ (عن ١٨٧٠).
- ٤٤- ميويش 'Mujic, 'Polozaj cigana', ص ١٥٧؛ شوميت دي هوسبييه 'Chaumette-des-Fosses, 'l'ovage en Bosnie', ص ٢٨. ولاحظ روشكفيتش Roskiewicz حوالي ١٠٠٠ عجرة في مارييفر هي ستيفات الألف وثلاثمائة ('Studien über Bosnien', صفحات ١٧٩-١٨٠).
- ٤٥- وأمل أن يكون الوصف الذي جمعه في هاتين الفترتين تحليلًا دقيقًا لبعض البيئات المتعززة. وأجود الأبحاث التي استقيت منها هي: جيليات-سميث 'Gilliat-Smith, 'The Dialect of the Gypsies of Serbo-Croatia'؛ ولتيفيات في 'Gluck, 'Zur physischen Anthropologie der Zigeuner in Bosnien', ص ٤٠٥؛ ومقالة لكانت 'Filipescu, 'Bosnische Post', لعام ١٨٩٥، مترجمة في فيلييسكو 'Coloniile romane din Bosnia', ص ٧٠٥. ويرفص فيلييسكو نفسه حجة المؤلف.

- ويست نظريته الخاصة "الرومانية الخاصة" في صفحات ١٩٩-٢٩٣. ويبحث
فلجاند فيليبسكو في 'Rumanen and Arumunen'; ويعلق لوكوود بلجارد
موسوعي لفجر البيض و *cergea* في *European Muslim*، صفحات ٣٠-٣١.
٤٦- فريزر *Fraser, Gypsies*، ص ٢٣١.
٤٧- طومسون *Thomson, Ongoing Turk*، صفحات ١٧٠-١٧١.
٤٨- فريزر *Fraser, Gypsies*، صفحات ٥٨-٥٩.
٤٩- أوليك 'Uhlík, 'Serbo-Bosnian Folk-Tales, no. 8'، صفحات ٩٢-٩٣.
٥٠- أوليك 'Uhlík, 'Serbo-Bosnian Folk-Tales, no. 9'، صفحات ١١٦-١١٧. ومسلم
الذين ألبوا كانوا غوراً كروتين، وكانوا كلهم تقريباً أرثوذكس.

الفصل العاشر: المقاومة والإصلاح ١٨١٥-١٨٧٨

- ١- شاميتش *Samic, Les Voyageurs français*، صفحات ١٩٣-١٩٤ و ٢٠١.
- ٢- بويه *Bouc, La Turquie d'Europe*، المجلد الرابع، ص ١٢٧٤ ديوردييف
'Djordjevic, 'Bosna'، ص ١٢٦٨.
- ٣- وعن هذه الحوادث، انظر لويس *Lewis, Emergence of Turkey*، صفحات ٧٨-٨٣؛
شو *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الثاني، صفحات ١٩-٢٤.
- ٤- بويه *Bouc, La Turquie d'Europe*، المجلد الرابع، صفحات ٣٧٥-٣٧٧.
- ٥- روتنبرج *Rothenberg, Military Border in Croatia*، ص ١٢٠.
- ٦- بويه *Bouc, La Turquie d'Europe*، المجلد الرابع، صفحات ٣٧٨-٣٨٨.
- ٧- للمرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٨١.
- ٨- توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants, Politics, and Economic Change*، ص
١٠٣.
- ٩- شوبان وأوربوسيتي *Chopin and Urbiciu, Provinces danubiennes*، ص ٢٤٢.
- ١٠- كريشيفلاكوفيتش *Kresevljakovic, Kapetanije u Bosni*، صفحات ٦٨-٦٩؛ شليو
Sljivo, Omer Pasa Latas، ص ١١٠ ديوردييف 'Djordjevic, 'Bosna'، ص ١٢٦٨.
- ١١- عن التنظيمات، انظر لويس *Lewis, Emergence of Turkey*، صفحات ١٠٦-١٢٨؛
شو *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الثاني، صفحات ٥٨-١٢٣.
- ١٢- موير ماكغزي وليري *Muir Mackenzie and Lby, Travels in the Slavonic*
Provinces، المجلد الأول، ص ١٣.
- ١٣- بويه *Bouc, La Turquie d'Europe*، المجلد الثالث، ص ٥٣.
- ١٤- شيشيتش *Sisic, ed., Bosna za vazarovanja Omer-pase*، ص ٢٧.
- ١٥- بويه *Bouc, La Turquie d'Europe*، المجلد الرابع، ص ١١٩.
- ١٦- شليو *Sljivo, Omer-Pasa Latas*، صفحات ٥٠-٥١.

- ١٧- توماسوفيتش *Tomasovich, Peasants, Politics, and Economic Change*، ص ١٠٤؛ ولوصف أكثر تفصيلاً عن محاولات طاهر باشا للإصلاحات المصراثية، انظر شليوف *Sljivo, Omer-Pasa Latas*، صفحات ١٨-٢٤.
- ١٨- شليوف *Sljivo, Omer-Pasa Latas*، صفحات ٥٠-٥١.
- ١٩- شابانوفيتش *Šabanović, Bosanski pašalik*، ص ٩٦.
- ٢٠- شيشيتش *Sisic, Bosna za vezrovanja Omer-pase*، ص ١١١.
- ٢١- المرجع السابق، صفحات ٢٣٥ و ٢٤٧ و ٢٥٧.
- ٢٢- المرجع السابق، صفحات ٣٠٢-٣٠٧.
- ٢٣- جافرانوفيتش *Gavranović, Bosna 1853-1870*، ص ٤٢.
- ٢٤- لويس *Lewis, Emergence of Turkey*، ص ١١٦.
- ٢٥- جافرانوفيتش *Gavranović, Bosna 1853-1870*، صفحات ٤٣ و ٢٨-٢٩ و ٨١-٨٥ على الترتيب.
- ٢٦- شيشيتش *Sisic, Bosna za vezrovanja Omer-pase*، ص ٣٥٨؛ أندريتش *Andric, Development of Spiritual Life in Bosnia*، صفحات ٦٤-٦٥؛ تومل *Thömmel, Geschichtliche Beschreibung*، صفحات ١١٤-١١٦؛ جافرانوفيتش *Gavranović, Bosna 1853-1870*، ص ٤٤.
- ٢٧- تومل *Thömmel, Geschichtliche Beschreibung*، صفحات ٩٩ و ١٠٢.
- ٢٨- ماورر *Maurer, Eine Reise durch Bosnien*، صفحات ٣٦١-٣٦٥؛ قارن تعقيبات ألتاسكوفيتش *Altaszkovic* في ١٨٥٣: جافرانوفيتش *Gavranović, Bosna 1853-1870*، ص ٤٤.
- ٢٩- من تقرير يوفانوفيتش، خلف ألتاسكوفيتش، في ١٨٦٢: جافرانوفيتش *Gavranović, Bosna 1853-1870*، ص ٢٨٠.
- ٣٠- انظر أندريتش *Andric, Development of Spiritual Life in Bosnia*، صفحات ٥٣-٥٤ (يوكيتش)؛ وإماموفيتش *Imamović, 'O historiji bosnjackog pokretstva*، ص ٤١ (بترتوفيتش ومطير)؛ الكاتوليكي كلميت بوجيتش المترجم في القسامة اليروسية)؛ وكوتشيت *Kočičet, Osman Pascha*، صفحات ٢٢-٢٤ (بيلاجيتش). وعن سيرة بيلاجيتش اللاحقة المناهضة للحوية، ولقي شملت فترات من القتل ليس دولتر المهاجرين اليوسيين في بلجراد وبوخارست، انظر كوبريتش-امرين.
- ٣١- روتبيرج *Rothenberg, Military Border in Croatia*، ص ١٦٦.
- ٣٢- عن ترجمة لهذا النص، انظر جرمك *Grmek et al., eds., Le voyage ethnique*، صفحات ٤٢-٥٣.
- ٣٣- المرجع السابق، صفحات ٦٤-٨٠، وبخاصة صفحات ٧٥ و ٧٨ وعن عروض أخرى من جارتشين لقيام بالدعاية في البوسنة، انظر سليتشيتش *Sljepčević, Pitanje Bosne*، صفحات ٢١-٢٢.
- ٣٤- انظر بلاك *Blanc, National Question*، صفحات ٨٥-٨٩.

- ٢٥- ويخاطب شو بين هذه الحملة العسكرية لعمر باشا وبين حكمه للبوسنة في ١٨٥٠-١٨٥٢: *History of the Ottoman Empire*، المجلد الثاني، ص ١٤٩.
- ٢٦- كوتشيت *Kotschet, Osman Pascha*، صفحات ١-٥ و ١١-١٧.
- ٢٧- المرجع السابق، ص ١٧. ويلاحظ كوتشيت بالمصيفة أن كل الإدارة المالية للولاية كانت تتكون من مدير ومرهب وخمسة عشر كاتباً. وعن قانون الإصلاح الروسي، انظر شو *Shaw, History of the Ottoman Empire*، المجلد الثاني، صفحات ٨٨-٩١.
- ٢٨- ب. ييلافيتش ومن. ييلافيتش *B. Jelavich and C. Jelavich, Establishment of the* *Balkan National States*، ص ١٤٢.
- ٢٩- لوصف أكثر تفصيلاً عن إصلاح ١٨٥٩، انظر توماسيفيتش *Tomasevitch, Peasants, Politics, and Economic Change*، صفحات ١٠٥-١٠٦.
- ٣٠- كوتشيت *Kotschet, Osman Pascha*، ص ٦.
- ٣١- المرجع السابق، صفحات ٢٤-٢٥. وعن هذا النوع من التزعمات، المعروفة باسم *taferlic*، والتي كانت لا يزال يمارسها الكثيرون في ثلاثينيات القرن وتسعينات، انظر بيليتيه *Sarajewo*، ص ١٤٢.
- ٣٢- كوتشيت *Kotschet, Osman Pascha*، صفحات ٤٦-٤٩. ولم يوجد أي منها، ولكن يوجد كثير من الدلائل على الاهتمام الروسي (بل للتدخل) في شؤون البوسنة خلال تلك الفترة في بيرليف وإكميتشيتش *Pisarev and Elmcovic, Osvobodilacstvo borba narodov Bosni i Hercegovine*، ص ٢٥.
- ٣٣- كوتشيت *Kotschet, Osman Pascha*، ص ٥٥.
- ٣٤- ماير *Maier, Deutsche Siedlungen in*، ص ١٩ أندرسون *Anderson, Miss Irby*، صفحات ٦٠-٦٧ بيليتيه *Pelletier, Sarajewo*، ص ١٢٨.
- ٣٥- بيليتيه *Pelletier, Sarajewo*، ص ١١٩.
- ٣٦- وقد وصف آرثر ليفلز، بالرغم من موافقه العمالية للمسلمين، الكلمة بأنها "مصرح مختل ممتاز" عندما رآها في ١٨٧٥: "لم يكن المسيحيون راضين عن السماح لهم ببناء كنيسة في أبرز مكان في أحد الشوارع الرئيسية بالمدينة، ولكنهم بالضرورة نصبوا عودياً مبنياً متظاهراً ضخماً يقف في الظلال لكبر أحد مقبى مسجد لو تريد... ولم يكن من المتوقع أبداً أن ينظر الجهة المنتصيون من المسلمين بقرآن إلى هذا الإعلان المسيحي الأخير بإذلالهم" (*Through Bosnia*، ص ٢١٧).
- ٣٧- كوتشيت *Kotschet, Osman Pascha*، ص ٥٥.
- ٣٨- المرجع السابق، ص ٧٦.
- ٣٩- م. ماندليتش *M. Mandic, Povijest okupacije*، ص ٧.
- ٤٠- ليفلز *Evans, Through Bosnia*، صفحات ٢٢٧-٢٢٨، وكوتشيت *Kotschet, Aus Bosnien letzter Turkenzeit*، صفحات ٦-٨. وتعرف هذه باسم اضطرابات *Novemrinje*، ولكن أول مكان عرف أنه قام بالتمرد كان قرية جانيلا

Gubela في ٣ يوليو ثم تبعها نيفيسكي بعد أسبوع ولدت (MacKenzie, Serbia and Pan-Slavism من ٣٠).

٥٢- عن الاشتباكات بين العثمانيين والجل الأوسود في ١٨٥٧-١٨٥٨ و ١٨٦٠-١٨٦١ و ١٨٧٤، انظر شو Shaw, History of the Ottoman Empire، المجلد الثاني، من ١٥٠، و م. مانديتش M. Mandić, Povijest okupacije، من ٨.

٥٣- م. مانديتش M. Mandić, Povijest okupacije، من ٩.

٥٤- تشويرلوفيتش Cibrilovic, Bosanski ustanak، صفحات ٦١-٦٧. ويكتب ليفنر أن المصلين المسلح في الهرسك كان بصورة رئيسية حرياً زراعية (Through Bosnia، من ١٢٤) ويكتب بيتر شوجار: "لا يوجد هناك لنبي شك أن المشكلة الزراعية هي التي أشعلت هذه الثورة" (Peter Sugar, Industrialization of Bosnia، من ٦٦).

٥٥- كوتشيت Koetschel, Aus Bosniens letzter Turkenzeit، صفحات ١٢ و ١٣٣ وقد سمع ليفنر، أثناء عوره إلى البوسنة في أوتل أغسطس، عن كثير من الكروات والسلوفينيين من زغرب وماريبور وإيولينا ككروا في طريقهم إليها (Through Bosnia، من ٨٧).

٥٦- مانديتش M. Mandić, Povijest okupacije، من ٢٢ (مئة ألف)؛ ليفنر Evans, Illyrian Letters، من ٤ (مئتين وخمسون ألفاً) ويذكر التقرير للموسى الرسمي أنه كان هناك ما يزيد على مئة ألف بالأراضي الممسوة وحدها (Abtheilung für Knopsgeschichte, Die Occupation Bosniens، من ٣٦). وعند نهاية مايو ١٨٧٨، قدر جوستاف ثومل مئة وخمسون ألفاً بالأراضي الممسوة وسبعون ألفاً في الجبل الأسود وعشرة آلاف في صربيا (Kaplancic, Hercegowacki ustanak، من ٢٩).

٥٧- من خطاب كتبه لاجن بوسني في سلاكونيا في مارس ١٨٧٧، ولقبته موير ماكري ولرابي في Travels in the Slavonic Provinces، المجلد الأول، من ٣٦.

٥٨- ليفنر Evans, Through Bosnia، من ٣٣٧.

٥٩- Abtheilung für Kriegsgeschichte, Die Occupation Bosniens، من ٤١.

٦٠- ليفنر Evans, Illyrian Letters، من ٥٥.

٦١- كوتشيت Koetschel, Aus Bosniens letzter Turkenzeit، صفحات ٧٨-٧٩.

٦٢- المرجع السابق، صفحات ٨٦-٨٨؛ م. مانديتش M. Mandić, Povijest okupacije، صفحات ٢٨-٣٠.

٦٣- كوتشيت Koetschel, Aus Bosniens letzter Turkenzeit، صفحات ٩٠ و ٩١ و ١٠٩ م. مانديتش M. Mandić, Povijest okupacije، صفحات ٣٠-٣١.

٦٤- عن عدد القوات، انظر Abtheilung für Kriegsgeschichte, Die Occupation Bosniens, appendix, Beilage ٨ (٨٦١١٣ رجلاً و ١٢١٣ فرساً)، وقد طبع المصاح، ستيرك Sterck، بعض نتائج أبحاثه في ١٨٧٧ (Geografische Verhältnisse).

- ٦٥- كوتشيت *Koetschet, Aus Bosniens letzter Turbenzeit*، صفحات ١٠٦-١٠٩
 ٦٥- *Abtheilung für Kriegsgeschichte, Die Occupation Bosniens*، ص ١٥٠
 (لقباس) ١ م. ملنيتش *M. Mandic, Povjest okupacije*، صفحات ٦٤-٧١ و ٩٧-٩٩.

الفصل الحادى عشر: البوسنة تحت الحكم النمساوى-المجرى ١٨٧٨-١٩١٨

- ١- ميوتون ولطسون *Seton Watson, Role of Bosnia*، ص ١٩.
- ٢- شوجار *Sugar, Industrialization of Bosnia*، ص ٢٠. ويتكرر الوزير المجرى يوربان بعد ذلك قتلاً: "عندما قيل فدرسى الانقلاب لاحتكك البوسنة والهرسك فى مؤتمر برلين، فلن رأى العلم فى كل المملكة تقريباً كلى ضده" *Anstria in Dissolution*، ص ٢٩١.
- ٣- شميت *Schmitt, Annexion of Bosnia*، ص ١٢ شو *Shaw, History of the Ottoman Empire*، للمجاد لثقى، ص ١٩٢.
- ٤- شميت *Schmitt, Annexion of Bosnia*، ص ٣.
- ٥- عن موجز معد، فطر شوجار *Sugar, Industrialization of Bosnia*، صفحات ٨ و ٢٦-١٣٦ وعن المحكم الشرعية، فطر أيضاً ١. بويوفيتش *A. Popovic, L'Islam balkanique*، صفحات ٢٧٦-٢٧٧. وعن شرح واف للهيئة الإدارية، فطر شميد *Schmid, Bosnien*، صفحات ٥٤-٦٠.
- ٦- *Abtheilung für Kriegsgeschichte, Der Aufstand in Herzegovina*، صفحات ٩-١١.
- ٧- كاپيديتش *Kapidac, Hercegovacki ustanak*، صفحات ٣٤-٣٥.
- ٨- *Abtheilung für Kriegsgeschichte, Der Aufstand in Herzegovina*، صفحات ٤٢-٤٨ كاپيديتش *Kapidac, Hercegovacki ustanak*، صفحات ١٠٩-١٢٠.
- ٩- *Abtheilung für Kriegsgeschichte, Der Aufstand in Herzegovina*، ص ١٠٢ كاپيديتش *Kapidac, Hercegovacki ustanak*، ص ١١٠.
- ١٠- *Abtheilung für Kriegsgeschichte, Der Aufstand in Herzegovina*، ص ١٢٩.
- ١١- دونيا *Donia, Islam under the Eagle*، صفحات ٧٢-٧٦.
- ١٢- شميد *Schmid, Bosnien*، صفحات ٢٤٩-٢٥٠. وقد تباهى شميد، الذى كان يعمل رئيساً لمكتب الإحصاء فى سراييفو، بل مجرة المسلمين البوسنيين كانت أقل من تلك الأرمن التى كانت تنصق للدولة العثمانية سابقاً مثل بلغاريا، وإذا كلى ذلك صحيحاً فمن السهل تفسيره: فلن مسلمي البوسنة كانوا أقل الناس احتياجاً لأن يهاجروا إلى تركيا، لأنهم لم يكونوا يتكلمون التركية.
- ١٣- هاجيايتش *Hadziahic, Uz priloz Bogocenvica*، ص ١٩١ (مصرأ على ٣٠٠٠)؛ بايتش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، ص ٥١ (عن نقلج ليحت الجغرافى سليمان سملاتيتش *Suleyman Smilatic*).

- ١٤- بوجيتشيفيتش Bogicovic, 'Emigracije muslimana'. أ. بوبوفيتش A. Popovic, *L'Islam balkanique*, ص ٢٧٢. ومن المؤكد أن هذا التقدير ٨٠٠٠ قليل جداً. فلي فريبنغد شميد، الذي كان حريصاً على عدم المبالغة في التقدير، اعتقد أن حوالي ٨٠٠٠ قد هاجروا فيما بين إعلان قانون الجيش في نوفمبر ١٨٨٢ وبين إدخال نظام تصاريح الخروج في أكتوبر ١٨٨٣ (Bosnien, ص ٢٤٩).
- ١٥- كاپيديتش Kapidzic, 'Pokret za iseljavanjem', ص ١٦٣.
- ١٦- درهام Durham, *Twenty Years*, ص ١٦٣.
- ١٧- لونيأ Donia, *Islam under the Eagle*, صفحات ٢٥-٢٧؛ نوماسيفيتش Tomasevich, *Peasants, Politics, and Economic Change*, صفحات ١٠٨-١٠٩.
- ١٨- ميللر Miller, *Travels and Politics*, ص ٧.
- ١٩- شوجار Sugar, *Industrialization of Bosnia*, صفحات ٤٣-٥٠. وقد شيد توبال عثمان بقايا قبل ذلك مسافة قصيرة من خطوط السكك الحديدية من يافيا لوكا حتى الحدود ولكن في ١٨٧٨ تمت الضماتش على الخطوط ومازالت البوسنة بدون قطار واحد (Miller, *Travel and Politics*, ص ١٠٨).
- ٢٠- شميد Schmid, *Bosnien*, صفحات ٥٧٩ و ٥٨٦.
- ٢١- درهام Durham, *Twenty Years*, ص ١٢٠. وعن وصف للحالة المرورية للطرق خلال العقد النهائي للحكم العثماني، انظر سنزرك Sternock, *Geographische Verhältnisse*, صفحات ٢١-٢٢.
- ٢٢- شوجار Sugar, *Industrialization of Bosnia*, صفحات ١٠٢-١١٣ و ١٢٣-١٢٩ و ١٦٧.
- ٢٣- المرجع السابق، صفحات ١٨٩-١٨٥؛ ويلاحظ كوبريتش-أرمين أنه بحلول ١٩١٢ فإن ١٠ ٪ من ائصال البوسنيين كانوا نفايين وكان ٤٣ ٪ من ائصال في سراييفو (Die Oppression in Bosnien, صفحات ١٥٣-١٥٧).
- ٢٤- انظر مثلاً ديدجير Dedijer, *Road to Sarajevo*, ص ٢٠٢، حيث تسمى القنوص الاجتماعية الأكبر.
- ٢٥- ميللر Miller, *Travel and Politics*, صفحات ١٠١-١٠٣.
- ٢٦- طومسون Thomson, *Outgoing Turk*, ص ١١٠. وكنت المادة قد اوقفت بسبب عدد من الإصابات الشديدة التي أحدثتها للجوكية.
- ٢٧- درهام Durham, *Twenty Years*, ص ١٥٤.
- ٢٨- ماير Mayer, *Die deutschen Siedlungen*؛ شميد Schmid, *Bosnien*, صفحات ٢٤٨-٢٤٩.
- ٢٩- شميد Schmid, *Bosnien*, ص ٢٤٥ وكان عدد الجنود في كل حالة حوالي ٧٠٠٠ عند نهاية القرن (كورتيس Curtis, *Turk and his Last Provinces*, ص ٢٨١).
- ٣٠- ميللر Miller, *Travels and Politics*, ص ٩٧. وعن تفاصيل نظام التعليم، انظر المرجع السابق، ص ١٩٨. أ. بوبوفيتش A. Popovic, *L'Islam balkanique*, صفحات ٢٨٠-٢٨٣ و ٢٨٠-٢٨٣؛ شميد Schmid, *Bosnien*, صفحات ٦٩٥-٧٤٠.

- ٣١- عن كل التفاصيل السابقة، انظر بياليتيه Pelletier, *Sarajevo*، صفحات ١٣٧-١٤٠.
- ٣٢- ميللر Miller *Travels and Politics*، ص ٩١.
- ٣٣- كيرتيس Curtis, *Turk and his Lost Provinces*، ص ٢٧٥.
- ٣٤- دونيا Domia, *Islam under the Eagle*، صفحات ١٢٠-١٢٤.
- ٣٥- المرجع السابق، ص ١٨٩.
- ٣٦- المرجع السابق، صفحات ٢٢-١٢٤؛ بويوفيتش A Popovic, *L'islam balkanique*، ص ٢٧٥.
- ٣٧- دونيا Domia, *Islam under the Eagle*، صفحات ١٢٠-١٢٤.
- ٣٨- المرجع السابق، صفحات ١٢٤-١٦٦. وأكثر وصف تفصيلي هو هلوبتمان Hauptmann, *Borba muslimana za autonomiju*.
- ٣٩- إماموفيتش Imamovic, 'O historiji bosnjackog pokusaja'، صفحات ٣٥-٣٦.
- ٤٠- دونيا Domia, *Islam under the Eagle*، صفحات ١٢٠-١٢٤، Banac *National Question*، ص ١٣٦؛ إماموفيتش Imamovic, 'O historiji bosnjackog pokusaja'، ص ٤١.
- ٤١- طومسون Thomson, *Outgoing Turk*، صفحات ١٨٠-١٨١.
- ٤٢- بيرزانتز Baernreither, *Bosnische Eindrücke*، ص ٢٥.
- ٤٣- شميت Schmitt, *Annexation of Bosnia*، ص ١٢؛ درهام Durham, *Twenty Years*، ص ١٦٤.
- ٤٤- ب. بيلافيتش B. Jelavich, *History of the Balkans*، ص ١١١؛ دودجير Doderer, *Road to Sarajevo*، ص ١٨٠.
- ٤٥- شميت Schmitt, *Annexation of Bosnia*، ص ٧١.
- ٤٦- عن شروط الاتفاقية، انظر المرجع السابق، ص ١١٩؛ وعن الأزمة، المرجع السابق، صفحات ١٤٤-٢٢٩.
- ٤٧- دونيا Domia, *Islam under the Eagle*، صفحات ١٦٩-١٧٥.
- ٤٨- والأرقام وردت في Naval Intelligence Division, *Jugoslavia*، المجلد الثاني، ص ٥٧. وكان عدد السكان في ١٩١٠ (١٨٩٧٩٦٢) ٤٣,٥ ٪ أرثوذكس، ٤,٤ ٪ مسلمين و ٨,٢ ٪ كاثوليك و ٦,٠ ٪ يهود.
- ٤٩- بلانك Banac, *National Question*، وأصبحت جازيت موالية للصرب في ١٩٠٩ (١).
- ٥٠- كيوبريتش-ألمرين Cupric-Amreia, *Die Opposition in Bosnien*، صفحات ٦٦-٦٧ و ٧٥-٧٦ و ١٠٢.
- ٥١- دونيا Domia, *Islam under the Eagle*، ص ١٧٧. ويحكم يدعو بلانك حكماً مطلقاً منتهياً إلى أن "الغالبية العظمى من المسلمين العائدين نأى عن عملية لتسليم" (*National Question*، ص ٢٦٦).
- ٥٢- كيوبريتش-ألمرين Cupric-Amreia, *Die Opposition in Bosnien*، ص ٢٩٢. وقد ولد أندريتش لعائلة كاثوليكية في ترافنيك؛ وقد اتخذ موقفاً مالياً ليوغوسلافياً كان

- في حقيقته موقفاً موقفاً للصرب. وقد وصفه ستيفن كاشفا أنه كاثوليكي صربي من اليوسنة" (Hawkesworth, *Ivo Andric*, ص ١٨).
- ٥٣- ويتفق كثير الأساقفة المتخصصين الآن على أن الشرح الممتاز لأذى وصنع بوسنة فيزيتين مثلشيشا Vescelin Mesleca أسماء فهم ملادا بوسنا Milada Bosna عندما صورت على أنها تجمع صربي قومي (Milada Bosna, ص ١١٦ مثلاً).
- ٥٤- دينيير Dedić, *Road to Sarajevo*, ص ٢٤١.
- ٥٥- المرجع السابق، صفحات ٢٣٦-٢٤٥.
- ٥٦- المرجع السابق، صفحات ٢٦٢-٢٦٥.
- ٥٧- المرجع السابق، ص ٢٧٧.
- ٥٨- Carnegie Endowment, *Report on the Balkan Wars*, صفحات ١٤٨-١٥٨.
- ٥٩- دينيير Dedić, *Road to Sarajevo*, ص ٢٧٨؛ دوبا Donia, *Isaan under the Eagle*, ص ١٨٠.
- ٦٠- دينيير Dedić, *Road to Sarajevo*, صفحات ٢٠٦-٢٠٧.
- ٦١- المرجع السابق، صفحات ٣١٩-٣٢١.

الفصل الثاني عشر: الحرب والمملكة اليوسنة ١٩١١-١٩١٤

- ١- بيوريفترا Putivatra Nacionalni i politicki razvitak, ص ١٢٤.
- ٢- دينيير Dedić, *Road to Sarajevo*, ص ٢٢٨.
- ٣- المرجع السابق، صفحات ٢٨٩-٢٩٤ و ٣٨٨-٣٩٠.
- ٤- المرجع السابق، صفحات ٤١٨-٤١٩.
- ٥- وعن ملخص جيد النظرة التاريخية الأحداث، انظر ستون Stone, *Europe Transformed*, صفحات ٣٢٦-٣٢٩.
- ٦- سكاريتش Skaric et al., *Bosna pod austro-ugarskom upravom*, صفحات ١٦٠-١٦١.
- ٧- المرجع السابق، صفحات ١٥٧-١٥٨.
- ٨- هوكسورث Hawkesworth, *Ivo Andric*, صفحات ١٥-١٧.
- ٩- سكاريتش Skaric et al., *Bosna pod austro-ugarskom upravom*, صفحات ١٥٧-١٥٨؛ كاپيدزيتش Kapidzic, 'Austro-ugarska politika', ص ١٧.
- ١٠- عن المتطوعين المسلمين، انظر بالاجيا Balagija, *Les Musulmans yougoslaves*, ص ١٢٥.
- ١١- كاپيدزيتش Kapidzic, 'Austro-ugarska politika', ص ٩.
- ١٢- وعن لصن شرح لجميع هذه الحجج، انظر يلاف Banac, *National Question*, صفحات ١١٥-١٢٥.
- ١٣- كاپيدزيتش Kapidzic, 'Austro-ugarska politika', صفحات ٢٤-٢٦ و ٣٥.
- ١٤- كريزمان Krizman, *Hrvatska u prvom svjetskom ratu*, ص ٢٥٥.

- ١٥- بيوريفترا *Purvatra, Nacionalni i politicki razvitak* ، ١٣٤.
- ١٦- كريزمان *Križman, Hrvatska u prvom svjetskom ratu* ، صفحات ٢٤٨-٢٤٦.
- ١٧- المرجع السابق، صفحات ٢٥٥-٢٥٧.
- ١٨- المرجع السابق، صفحات ٣١٦-٣١٧.
- ١٩- المرجع السابق، صفحات ٣١٧-٣٢٠.
- ٢٠- وأعد الصحفي شارل ريفيه *Charles Rivié* نشر الحديث في *Chez les slaves liberes*، صفحات ١٦٩-١٧٤، ونظر بيوريفترا *Purvatra, Nacionalni i politicki razvitak*، صفحات ١٥٠-١٥١. وقد كانت هناك أيضاً بعض التقارير في نهاية ١٩١٨ عن مسلمين من شمال غربي اليوسنة يفرون على القوى الصربية في النواحي الكرواتية المجاورة (باتاك *Batak, National Question*، ص ١٣٠).
- ٢١- توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants, Politics, and Economic Change*، ص ٢٥٥.
- ٢٢- باتاك *Batak, National Question*، ص ٣٦٧.
- ٢٣- أ. بوبوفيتش *A. Popovic, L'Islam balkanique*، ص ٣٧٩.
- ٢٤- عن جابر، انظر المرجع السابق، ص ٢٨٥؛ بالاجيا *Balogija, Les Musulmans yougoslaves*، صفحات ١٢٦-١٢٧. وعن المجموعة الموالية للصرب في منظمة المسلمين اليوغوسلاف، انظر بيوريفترا *Purvatra, Nacionalni i politicki razvitak*، ص ١٦٥.
- ٢٥- وتعليقات برويتش *Prolic* مسجلة في مذكرات النحات إيفان ميشتروفيتش *Ivan Mestrovic*؛ وعندما يعبر جيشا نهر النريما، سقطت الأتراك مهلة ٢٤ أو ٤٨ ساعة للرجوع إلى عقبة أسلقتهم. وأي واحد يرفض سيتم دمه، كما سبق أن فعلنا في صربيا (جرماك *Grimack et al., eds., Le Nettoyage ethnique*، ص ١٢٦).
- ٢٦- ريفيه *Rivié, Chez les slaves liberes*، صفحات ١٥٤-١٦١ و ١٧٧.
- ٢٧- بيوريفترا *Purvatra, Nacionalni i politicki razvitak*، ص ١٨١؛ وعن تفاصيل عن عينات التصويت داخل اليوسنة، وعن الصعف المنتهي للأحزاب المسلمة الأخرى، انظر باتاك *Batak, National Question*، صفحات ٢٧٠-٢٧١.
- ٢٨- توماسيفيتش *Tomasevich, Peasants, Politics, and Economic Change*، صفحات ٣٤٧-٣٥٥.
- ٢٩- باتاك *Batak, National Question*، ص ٢٧٠.
- ٣٠- عن موجر مفيد عن لستور فيوفدلي، انظر *Naval Intelligence Division, Jugoslavia* المجلد الثاني صفحات ٣٢٢-٣٢٨.
- ٣١- ماشيك *Macek, Struggle for Freedom*، ص ٩٤.
- ٣٢- باتاك *Batak, National Question*، صفحات ٢٧٤-٢٧٥.
- ٣٣- ليفترز *Evans, Through Bosnia*، ص ١٩١.
- ٣٤- أ. بوبوفيتش *A. Popovic, L'Islam balkanique*، صفحات ٢٧٩ و ٢٨٣؛ ييلافيتش *Yelavitch, Les Musulmans de Bosnie*، ص ١٢٨.

- ٣٥- باليتش Balic, *Das unbekannte Bosnien*، ص ٢٤٢.
- ٣٦- لويس Lewis, *Emergence of Modern Turkey*، ص ١٠١. وقد حل محل العملة.
- ٣٧- باليتش Balic, *Das unbekannte Bosnien*، صفحات ٣٤٥-٣٤٦.
- ٣٨- كيرتس Curtis, *Turk and his Lost Provinces*، وقد شجبه آرثر ليفاتز بطريقة ممثلة بالمظهر الإسلامي الدقيق للمسيحيين، بنسبهم المحجبات ورجالهم بالعمائم ذات الغنية (طراف السلسلة المتكلى على العنق): *Through Bosnia*، ص ١٢٢.
- ٣٩- جيونز Gibbons, *London to Sarajevo*، ص ١٨٠.
- ٤٠- هورنبي Hornby, *Balkan Sketches*، ص ١٥٢. والأرغول *gusle* عبارة عن آلة موسيقية وترية تستخدم لمصاحبة الأغاني الملحمية.
- ٤١- دراجنيش Dragnich, *First Yugoslavia*، صفحات ٣٠ و ٤٨-٤٩.
- ٤٢- ديدجير Dedijer et al., *History of Yugoslavia*، صفحات ٥٤٤-٥٤٢.
- ٤٣- ب. بيلاكوفتش B. Jelavich, *History of the Balkans*، المجلد الثاني، صفحات ٢٠٠-٢٠١.
- ٤٤- دراجنيش Dragnich, *First Yugoslavia*، ص ١٩٤ كليمسو Clissold, ed., *Short History of Yugoslavia*، صفحات ١٨٤-١٨٢.
- ٤٥- أ. بوبوفتش A. Popovic, *L'Islam balkanique*، صفحات ٣١٨-٣١٩.
- ٤٦- المرجع السابق، ص ١٣٢٢ ديوردجيف Djordjevic, 'Yugoslav Phenomenon'، ص ٣١٩.
- ٤٧- 'Statuto della comunita musulmana'.
- ٤٨- ستويادينوفتش Stojadinovic, *Ni rat ni pakt*، صفحات ٣٤٤-٣٤٦.
- ٤٩- هوبنر Hoptner, *Yugoslavia in Crisis*، صفحات ١٢٨-١٢٩.
- ٥٠- ماشيك Macek, *Struggle for Freedom*، ص ١٨٨.
- ٥١- المرجع السابق، صفحات ١٩٠-١٩٢ كليمسو Clissold, ed., *Short History of Yugoslavia*، صفحات ١٩٨-٢٠٠.
- ٥٢- دراجنيش Dragnich, *First Yugoslavia*، صفحات ١١٦ و ١٢٧.
- ٥٣- هوبنر Hoptner, *Yugoslavia in Crisis*، صفحات ١٩٨-١٩٩.
- ٥٤- عن ملخص لهذه الأحداث مؤكدا استمرار مؤسسات حكومة ما بعد الانقلاب، انظر ب. بيلاكوفتش B. Jelavich, *History of the Balkans*، المجلد الثاني، صفحات ٢٣٥-٢٣٧.

الفصل الثالث عشر: الهوسنة والحرب العالمية الثانية ١٩٤١-١٩٤٥

- ١- وقد حسب المؤرخ المصري بوجوليوب كوتشوفيتش Bogoljub Koczovic أنه كان هناك ١٠١٤٠٠٠ قتل في يوغوسلافيا (Zrtve u Jugoslaviji، ص ١٢٤). والعلامة الكرواتى فلاديمير زربيفيتش Vladimir Zerpivic وصل بطريقة ممثلة إلى عدد ممثل هو ١٠٢٧٠٠٠ (باليتش Balic, *Das unbekannte Bosnien*، ص ٧).

- ١- هوري وبرزات Hory and Broszat, *Der kroatische Ustascha-Staat*, صفحات ٨٩ و ٩١.
- ٢- لفتال Levatal, ed., *Zlocini fašističkih okupatora*, من ٦٤.
- ٣- روت Roth, ed., *Sarajevo Haggadah*, من ٨.
- ٤- لفتال Levatal, ed., *Zlocini fašističkih okupatora*, صفحات ١٥ و ١١ و ٧٠.
- ٥- ب. يلافيتش B. Jelavich, *History of the Balkans*, المجلد الثاني، من ٢٦٣.
- ٦- هوري وبرزات Hory and Broszat, *Der kroatische Ustascha-Staat*, صفحات ٩٩ و ١٠٢. ويدعي جرمك أن لوقل أحدث القتل بعد الفوز الألماني كلفت للكروات والمسلمين، وأن المذبحة الصرب حدثت بعد ذلك (*Le Nettoyage ethnique* من ١٨٧). وحيث أنهم لم يحتلون تواريخ هذه الأحداث، فلي من قصير الحكم على الأمر، ولكنه من الواضح أن قتل و/أو طرد الصرب كان هدفا رئيسيا للأوستاشا، وليس رد فعل عرضي لأحداث أخرى.
- ٧- ديدجير Dedijer et al., *History of Yugoslavia*, صفحات ٥٩١-٥٩٢؛ ديدجير وميليتش Dedijer and Miletic, *Genocid nad Muslimana*, صفحات ٦-٨. وفي شرح ديدجير وميليتش فإن هذه المذابح بواسطة الصرب المحليين مأسوية بطريقة غير محتملة الوقوع إلى "التبتيك".
- ٨- ديدجير Dedijer et al., *History of Yugoslavia*, من ٥٩٦.
- ٩- يوجد أفضل شرح عن منظمة ميهالوفيتش في روبرتس Roberts, Tito, Mihailovic and the Allies وتوماسيفيتش Tomasevich, *Chetniks* وميلازو Milazzo, *Chetnik Movement* وكازيمير Karchmar, *Drava Mihailovic*.
- ١٠- عن القمامات، انظر روبرتس Roberts, Tito, Mihailovic and the Allies، من ٢٦، وديروك Deroc, *British Special Operations*، من ٢١٠.
- ١١- بفلوريتش Pavlovitch, Tito، من ٢٦.
- ١٢- المرجع السابق، من ٢٤؛ ديلات Dيلات, *Warline*، من ٤.
- ١٣- انظر الخريطة في توماسيفيتش Tomasevich, *Chetniks*، من ١٦٩ (وليساً تشمل الأراضي التي صوبت تحت من المجر ورومانيا وبلغاريا).
- ١٤- والنص مطبوع في ديدجير وميليتش Dedijer and Miletic, *Genocid nad Muslimana*، صفحات ٨-١٦ (مع خريطة كروكية في من ١٥)، وترجم إلى جرمك Gruck et al., *Le Nettoyage ethnique*، صفحات ١٩١-١٩٧.
- ١٥- ديدجير وميليتش Dedijer and Miletic, *Genocid nad Muslimana*، صفحات ٣٣ و ٣٤.
- ١٦- عن الوثيقة، انظر المرجع السابق، صفحات ٦٥-٢٠ (حيث كتبت على أنها أصلية). وعن نسخ ضوئية لسفحتين، انظر Drzava komisija, *Dokumenti*، المجلد الأول، صفحات ١١ و ١٢. وقبلها توماسيفيتش على أنها أصلية (*Chetniks*، من ١٧٠)؛ على أن لوسيان كاشمار قدم أسباباً تمصيلية ومقنعة لاعتقاده بأنها مزيفة، استناد إليها

القائمان لإعطاء تضييها ترضياً أقوى لأعمالهما (Draz Mihalovic ، صفحات ٣٩٧ و ٤٢٨-٤٣٠).

١٨- زيورنيك Zbornik ، المجلد الأول، الكتاب الثاني، من ١٣٧٧ وتاريخ تلك الوثيقة غير مؤكد، ولا يمكن استبعاد إمكانية تكون إما مزيفة أو منسوبة نسباً خاطئاً.

١٩- مارتن Martin, Web of Disinformation ، من ٥١.

٢٠- كارشمار Karshmar, Draz Mihalovic ، من ٥٧٥.

٢١- ديروك Deroc, British Special Operations ، من ١٢٦٦ بالقويوش Pavlowitch, Tito ، صفحات ١٧-٢٢.

٢٢- هوبكن Hopken, Die Kommunisten und die Muslime ، من ١٨٧.

٢٣- المرجع السابق، صفحات ١٨٨-١٨٩.

٢٤- إيرفين Irwin, 'Islamic Revival' ، من ٤٣٩.

٢٥- بوريفيتش Parivatra, Nacionalni i politicki razviti , صفحات ١٥٥-٥٢ هوبكن Hopken, Die Kommunisten und die Muslime ، من ١٨٩.

٢٦- هوبكن Hopken, Die Kommunisten und die Muslime ، صفحات ١٩٤-١٩٢.

٢٧- لطر الخطيبات إلى The Times Literary Supplement من ألبرت ميتون (١٩ مايو ١٩٧٢) ونورملي ستون (٢٨ مايو ١٩٩٣).

٢٨- ليز Lenz, Rape of Serbia ، صفحات ٨٤-٨٥.

٢٩- روبرتس Roberts, Tito, Mihalovic and the Allies ، من ١٠٠.

٣٠- توماسيفيتش Tomasovich, Chetniks ، صفحات ٢٢٣-٢٢٤.

٣١- هوتل Hotl, Secret Front ، من ١٧١. وكان هوتل (المعروف أيضاً باسم 'والتر ملجن') هو صابط المخابرات الألمانية الأعلى ليوغوسلافيا. وقد لاحظ أيضاً رسالة وكنت في يد المخابرات الألمانية من ستالين إلى تيتو، يلمز «بالتعاون مع الألمان ضد الحلفاء في حلة فزاهم. وهذه الملاحظات بين البارتيزان والألمان كانت تجري في سرية تامة حتى ظهور تقرير هوتل في الخصيفيات؛ ومنذ ذلك الحين نكرم روبرتس في (Tito, Mihalovic and the Allies ، صفحات ١٠٨-١٠٩) وأخيراً اعترف بها أحد المشتركين، ديلاس (Djilas ، صفحات ٢٣١-٢٣٧).

٣٢- نوبيلشر Neubacher, Sonderauftrag Sudost ، صفحات ١٧٩-١٨٠.

٣٣- ميلازو Milazzo, Chetnik Movement ، من ١٢٣.

٣٤- توماسيفيتش Tomasovich, Chetniks ، صفحات ٢٥٢-٢٥٣ و ٣٢٩. وعن لتوتز تشديد بين سياسة الإيطاليين والألمان تجاه التشيتيك في ذلك الوقت، انظر ميلازو Milazzo, Chetnik Movement ، من ١٢٧.

٣٥- ديكن Deakin, Embattled Mountain ، صفحات ١-٢٠.

٣٦- ولأيد من التفرقة بين التواطؤ المباشر وبين «التواطؤ المتوازي». وحتى وقت متأخر هو صوف ١٩٤٣، فإن مقتضات من الإشارات الألمانية لم تظهر أية «بينات على تواطؤ التشيتيك مع الألمان» وأول علامات على مثل هذا التواطؤ ظهرت في

لكتوير ونوفيسر (هينسلي *Hinsley et al. British Intelligence* ، المجلد الثالث؛ الجزء الأول، صفحات ١٤٦ و ١٥٤-١٥٥). وذكر تقرير ديكنز الرئيسي في أغسطس ١٩٤٣، الذي أقر على سبلة الحقاء، أن توليو تشيتيك مع ألمانيا كان صليبا ومستمرا ومعتزلا خلال السنتين السابقتين (المرجع السابق، ص ١٥٠). على أنه من المشكوك فيه أن تشيتيك اليوسنين المزعومين الذين رآهم ديكنز في أغسطس ١٩٤٣ كانت لهم أية علاقة بقوات ميهايلوفيتش (روبرتس *Roberts, Tito Mihailovic and the Allies* ص ١٢٠).

٢٧- ذوالفقار باتيش *Zulfikarpasic, Bosanska Muslimani* ، ص ١٤.

٢٨- بالوش *Balic, Das unbekannte Bosnien*، ص ١٣٤٥ وعن المجتمعات الثقافية انظر ذوالفقار باتيش *Zulfikarpasic, Bosanska Muslimani* ، ص ١٤.

٢٩- هوبكنز *Hopkern, 'Die Kommunisten und die Muslime'* ، ص ١٩٠.

٤٠- رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، ص ١٤.

٤١- المرجع السابق، ص ١٥.

٤٢- هوبكنز *Hopkern, 'Die Kommunisten und die Muslime'* ، ص ١٩٠. ذوالفقار باتيش *Zulfikarpasic, Bosanska Muslimani* ، صفحات ٢١-١٢٢ رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، صفحات ١٦ و ٣٠.

٤٣- بيوريفترا *Purvis, Nacionalni i politicki razvitak* ، صفحات ١١٦-١١٤ رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، ص ٥٢.

٤٤- هوبكنز *Hopkern, 'Die Kommunisten und die Muslime'* ، ص ١٩١. ١- بيوريفترا *A. Popovic, L'Islam balkanique* ، ص ٣٤٢.

٤٥- رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، ص ٥٩.

٤٦- ديدجير وميليتش *Dodjic and Miletic, Genocid nad Muslimana* ، ص xvi-xviii و ٣٨٣.

٤٧- رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، ص ٥٥.

٤٨- المرجع السابق، صفحات ٦٠-٦١؛ أفليكوموفيتش *Avakumovic, Mihailovic prema nemackim dokumentima* ، ص ٧١-٧٢. والتقدير الرقمي مبني على ادعاء ميهايلوفيتش أن ٧٤٪ من رجاله كانوا أرثوذكس و ٨٤٪ كانوا "صربيا" (ص ٧١). ومن المحتمل أنه لحال في الحساب "صربيا كاثوليك"؛ بيد أنه كان من المحتمل وجود بعض الأرثوذكس غير الصربيين أيضا.

٤٩- أفليكوموفيتش *Avakumovic, Mihailovic prema nemackim dokumentima* ، ص ٧١. ويلاحظ رجيته أن القرية المسلمة "محدودة" بواسطة بويوفاك كان يدافع عنها قوة كبيرة من المسلمين المتطوعين (*Muslimansko autonomastvo* ، صفحات ١٠٥-١٠٦).

٥٠- رجيته *Redzic, Muslimansko autonomastvo* ، ص ٦٨.

٥١- المرجع السابق، صفحات ١٣١ و ١٦٠.

٥٢- المرجع السابق، صفحات ٧١-٧٤.

- ٥٢- سندهاوسن 'Zur Geschichte der Waffen-SS in Kroatien' صفحات ١٩١-١٩٢.
- ٥٤- رجيتش Redzic, *Muslimansko autonomstvo* صفحات ٨٧ و ١١٩-١٢٠ و ١٥٥. وكان هناك نسعة ضابط مسلمين في الفرقة بأكملها (ص ١٨٩).
- ٥٥- المرجع السابق، ص ١٨٩ سندهاوسن 'Waffen-SS in Kroatien' من ١٩٢.
- ٥٦- رجيتش Redzic, *Muslimansko autonomstvo*، من ١٩٢ إرنوك Erignac, *La Revolt des Croates*.
- ٥٧- رجيتش Redzic, *Muslimansko autonomstvo*، صفحات ١٤٠ و ١٤٧ و ١٧٧-١٧٨.
- ٥٨- المرجع السابق، صفحات ١٢٨-١٢٩: بورنيقارا Parivatra, *Nacionalni politicki razvitiak* من ١١٤.
- ٥٩- رجيتش Redzic, *Muslimansko autonomstvo*، صفحات ١٦٦-١٦٧ و ١٨٢.
- ٦٠- المرجع السابق، صفحات ١٩٠-١٩٦ سندهاوسن 'der Waffen-SS in Kroatien' من ١٩٢.
- ٦١- باليتش Balic, *Das unbekannte Bosnien*، ص ٧.
- ٦٢- دوديجر وميليتيچ Dodjic and Miletiac, *Genocid nad Muslimanima*، صفحات ١٠٠-١٠٠٠.
- xxxx ذولتشار بتشيتش Zollikarpac, *Bosanski Muslimani*، صفحات ١٩-٢٠.

الفصل الرابع عشر: الموصفة في يوغوسلافيا تيتو ١٩٤٥-١٩٨٩

- ١- كاراباجيتش Karapendzich, *Bloodiest Yugoslav Spring*، ص ٢٠.
- ٢- مقبسة في بيلوف Beloff, *Tito's Flawed Legacy*، ص ١٢١.
- ٣- ديوردجيتش Djordjevic, *Yugoslav Phenomenon*، ص ٣٢٩.
- ٤- روسينوف Ruzinov, *Yugoslav Experiment*، ص ٢٨. وعن مشروع 'سنگه جديد' لشطب، فنكر طومسون Thompson, *Paper House*، صفحات ١١٨-١٢٠.
- ٥- وعن شرح موجز وانسج الأسلوب عن ستاليونية تيتو، فنكر بيلوويتش Pavlovitch, *Tito*، صفحات ٥٠-٦١.
- ٦- لابينا Lapanja, *'Suverenitet i federalizam'*، صفحات ١٧-١٨.
- ٧- وهذه العملية مشروحة تلمأ في كوشونيك و تشقوشكي Koshonika and Cavoski, *Party Pluralism or Monism*.
- ٨- روسينوف Ruzinov, *Yugoslav Experiment*، صفحات ٣٥-٣٦.
- ٩- تشامويك Chamwick, *Christian Church in the Cold War*، ص ٢٧.
- ١٠- بولتون Boulton, *Balkans*، ص ٤٢.

- ١١- وعن مجموع هذه التغيرات، انظر بافيتش Balic, 'Der bosnisch-herzegowinische Islam', صفحات ١٧٠ و ١٧٨-١٧٦، و أ. بوبوفيتش A. Popovic, *L'Islam balkanique*, صفحات ٣٥٣-٣٤٧.
- ١٢- ملكوفيتش McPartland, *Yugoslavia*، ص ٧٩.
- ١٣- وقد بذلت الحركة بذوراً بقانون في ألبانيا في ١٩٥٥ ووضع تيتو نفسه على رأس الحركة في الأمم المتحدة في ١٩٦٠، وأعلن أن مبادئها هي سياسة يوغوسلافية في ١٩٦١. والطبيعة الحقيقية للحركة كانت واضحة لأغلب المراقبين حتى قبل أن يصبح نيكول كسترو رئيسها في ١٩٧٩. انظر بافلوفيتش Pavlovitch, *Tito*، صفحات ٦١-٦٥، ميلوفيتش Milivojevic, *Descent into Chaos*، صفحات ٢٠-٢١، و إيفانوفيتش Ivanovic, 'Reforma vanjske politike'.
- ١٤- إروين Irwin, 'Islamic Revival'، صفحات ٤٤١-٤٤٧، و أ. بوبوفيتش A. Popovic, *L'Islam balkanique*، صفحات ٣٥٤-٣٥٣.
- ١٥- بافيتش Balic, 'Der bosnisch-herzegowinische Islam'، ص ١٢٥.
- ١٦- هوبكن Hopken, 'Die Kommunisten und die Muslime'، ص ١٩٤.
- ١٧- المرجع السابق، ص ١١٩٥. وقد استخدمت التقسيم التفصيلي لأرقام ١٩٤٨ الموجود في يوريفيتش Parvatra, *Nacionalni i politički razvitak*، صفحات ٣٢-١٣٣ ويذكر هوبكن رها إجمالياً للمسلمين "صرب" و"كروفت" (١٧٠٠٠٠)، وهو رقم غير صحيح؛ ومن الممكن أن يكون خطأ مطبعياً للمعد الإجمالي لتسلس هؤلاء المسلمين لكل أرجاء يوغوسلافيا (١٩٠٠٠).
- ١٨- هوبكن Hopken, 'Die Kommunisten und die Muslime'، صفحات ١٩٩-٢٠١. ويعتبر ص. راميت سقوط رافكوفيتش على أنه حاسم: S. Ramet, *Nationalism and Federalism*، صفحات ١٧٨-١٧٩. وعن هزيمة الصرب في اليوسنة في الفترة ١٩٤٥-١٩٦٥، انظر بيروش Peroche, *Histoire de la Croatie*، ص ٣٦٧.
- ١٩- هوبكن Hopken, 'Die Kommunisten und die Muslime'، صفحات ١٩٩-١٩٧، و إروين Irwin, 'Islamic Revival'، ص ٤٤٣.
- ٢٠- بافيتش Balic, 'Der bosnisch-herzegowinische Islam'، ص ١٢٤.
- ٢١- هوبكن Hopken, 'Die Kommunisten und die Muslime'، صفحات ١٩٨-٢٠٠، و إروين Irwin, 'Islamic Revival'، ص ٤٤٤.
- ٢٢- هوبكن Hopken, 'Die Kommunisten und die Muslime'، ص ٢٠٠.
- ٢٣- عن الخلاف الطويل مع مقدونيا حول هذه المسألة، انظر ص. راميت S. Ramet, *Nationalism and Federalism*، صفحات ١٨٢-١٨٤.
- ٢٤- هادزجيتش Hadzjagic, *Od tradicije do identiteta*، صفحات ٦٧-٦٨.
- ٢٥- عن هذه النقطة، انظر أ. بوبوفيتش A. Popovic, 'Islamische Bewegungen'، ص ٢٨١، و إروين Irwin, 'Islamic Revival'، صفحات ٤٤٥-٤٤٦.

- ٢٦- وقد بدأ عزت بيغوفيتش إعداده في ١٩٦٦-١٩٦٧، وانتهى من كتابته في النصف الأول من ١٩٧٠ (ذو القلندر بلشيتش *Zulfikarpasic, ed., Sarajevski proces*، ص ٢٢٩).
- ٢٧- ب. رامت *P. Ramet, 'Die Muslimen Bosniens'*، ص ١١١١. بويوفيتش *A. Popovic, L'Islam balkanique*، ص ١٣٥١، مطومات من مايو تورولوفك *Majo Topolovac*.
- ٢٨- روسينوف *Rosinow, Yugoslav Experiment*، ص ١٠٠.
- ٢٩- المرجع السابق، صفحات ٩٩ و ١١٠ و ١١٩. رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*، صفحات ١٢٨-١٤٤.
- ٣٠- وكل هذه الإحصائيات (المسجلة بصفة رئيسية من إحصاء ١٩٧١) توجد في بربرنيك *Breznek, ed., Population of Yugoslavia*. وكانت لوفيفودينا أكثر منطقة تنفق إليها السكان؛ فقد كانت السيادة ليس قط الإجماع محل ٢٠٠،٠٠٠ من عرقية ألمانية الذين قتلوا أو طردوا، بل صمان أغلبية صربية مطلقة.
- ٣١- من. رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*، ص ١٤٤.
- ٣٢- المرجع السابق، صفحات ٩٨-١١٥.
- ٣٣- المرجع السابق، ص ١٧٤.
- ٣٤- المرجع السابق، صفحات ١٠٥ و ١٢٥.
- ٣٥- انظر ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، صفحات ٣٧ و ٤٧. والادعاء بأن أكثر من مئة ألف صربي غادروا كوسوفو في السنة ١٩٦٨-١٩٧٨ (بيروف *Beloff, Tito's Flawed Legacy* ص ٢١٢) لهو ادعاء باطل. فقد سجلت الإحصاءات ٢٢٧،٠١٦ صربياً في كوسوفو في ١٩٦١ و ٢٧٨،٢٦١ في ١٩٧١ و ٢،٩٤٩٧ في ١٩٨١ (إسلامي *Islamic, Fshati, Kosovo*، ص ١٧٦).
- ٣٦- توماسيفيتش *Tomashevich, 'The Serbian Question'*، ص ٣٩.
- ٣٧- سيرك *Sirc, 'The National Question'*، ص ٨٨.
- ٣٨- ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، ص ٥٠.
- ٣٩- جرملك *Orrock et al., eds., La Nettoyage ethnique*، صفحات ٢٣٦-٢٦٩، ولقبسات من صفحات ٢٥٦ و ٢٦٥.
- ٤٠- بويوفيتش *A. Popovic, L'Islam balkanique*، ص ٣٥٥؛ إروين *Irwin, 'Islamic Revival'*، صفحات ٤٤٨-٤٥١.
- ٤١- ذوالقادر بلشيتش *Zulfikarpasic, Sarajevski proces*، وخاصة صفحات ٢٤٠-٢٤١ و ٢٤٩؛ بولتون *Poulton, Balkans*، صفحات ٤٢-٤٣.
- ٤٢- وأحسن شرح لهذه المسألة، وهو الذي نستخمته هنا، هو ليدال *Lydall, Yugoslavia in Crisis*، صفحات ١٦٨-١٧١ (القبلي في ص ١٧١)؛ وانظر أيضاً ماكفرلين *McFarlane, Yugoslavia*، صفحات ١٧١-١٧٢، وماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، ص ١١١-١١٢.
- ٤٣- ليدال *Lydall, Yugoslavia in Crisis*، صفحات ٨٥-٨٦.

- ٤٤- المرجع السابق، صفحات ٩١-٩٢ و ٢٢٠-٢٢٢؛ ميليفوييتش، *Milivojevic, Descent into Chaos*، صفحات ١١-١٢.
- ٤٥- ليدال *Lydall, Yugoslavia in Crisis*، ص ٢١٧.
- ٤٦- ميليفوييتش *Milivojevic, Descent into Chaos*، ص ١٠؛ رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*، صفحات ٢٢٦-٢٢٤؛ طومسون *Thompson, Paper House*، صفحات ١٦٣-١٦٥؛ ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، صفحات ١٩٧-٢١٣ و ٢٢٧-٢٣٤.

الفصل الخامس عشر: البوسنة وثنية يوغوسلافيا ١٩٩٢-١٩٨٨

- ١- وقد ذكرت وسائل الإعلام الرسمية، على نحو منافي للعقل، أن ثلاثة ملايين شخص كانوا حاضرين. وقد حضرت الاجتماع الحاشد، وقدرت عدد الحاضرين بأنهم ما بين ثلثمئة ألف و خمسمئة ألف.
- ٢- جلبي *Glenny, Fall of Yugoslavia*، ص ٣٥.
- ٣- ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، ص ٢٤١. وحسبما أوضحت يراكا ماجاش، فإن عائلة راتشان في الحقيقة أعماها الأوستاشا خلال الحرب.
- ٤- رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*، ص ٢٤٤.
- ٥- المرجع السابق، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، صفحات ٢٢٤-٢٢٦؛ جار *Gow, Legitimacy and the Military*، صفحات ٧٨-٩٤.
- ٦- عن جميع هذه الأحداث، انظر بوتون *Poulton, Balkans*، صفحات ٢٤-٢٧؛ ماجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*، صفحات ٢٩٣ و ٣١٣؛ جلبي *Glenny, Fall of Yugoslavia*، صفحات ١٣-١٩.
- ٧- إروين *Irwin, Fate of Islam in the Balkans*، ص ٣٩٧.
- ٨- رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*، صفحات ٢٣٣ و ٢٤٣.
- ٩- طومسون *Thompson, Paper House*، ص ٩٩.
- ١٠- عزت يوجوفيتش *Izibegovic, Islamska deklaracija*، ص ٣٧.
- ١١- المرجع السابق، ص ٢٢.
- ١٢- المرجع السابق، صفحات ٣٧-٣٨.
- ١٣- المرجع السابق، صفحات ٢٤-٢٦ و ٢٠.
- ١٤- وعن تحليل واضح لأحد العلماء البارزين، انظر إسبوريثو *Esposito, Islam and Politics*، وخامسة صفحات ٢٦٩-٣٠١.
- ١٥- عزت يوجوفيتش *Izibegovic, Islamska deklaracija*، صفحات ٣٤-٤٢.
- ١٦- المرجع السابق، ص ٧.
- ١٧- المرجع السابق، ص ٣١.

- ١٨- عزت يوجوفيتش *Zapada izmedju Istoka i Zapada*, *Izmedju Istoka i Zapada*, صفحات ١٠٧-١٠٩ و ١٢٦ و ٢٥١-٢٦٤.
- ١٩- حسين *Hussein, 'Communist Yugoslavia's Fear of Islam'*, ص ٢٤.
- ٢٠- بولتون *Poulton, Balkans*, ص ٤٣.
- ٢١- سوز لبي *Sorabji, Bosnia's Muslims*, صفحات ٥-٦.
- ٢٢- بولتون *Poulton, Balkans*, ص ٤٤.
- ٢٣- المرجع السابق، صفحات ٢٧-٢٨.
- ٢٤- ملجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia*, صفحات ٢٧٦ و ٢٨٣-٢٩٢ (انجلى من ص ٢٩٢). وتعلمى برالكا ملجاش شرحاً شديداً للوضوح لهذه الأحداث.
- ٢٥- س. رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*, ص ٢٥٩.
- ٢٦- مازور *Mazower, War in Bosnia*, ص ٤.
- ٢٧- فرى *Frey, 'Bully of the Balkans'*, ص ١٢.
- ٢٨- أليوند *Almond, Blundering in the Balkans*, صفحات ٤ و ٢١. وقد أظن أمد مندوبى المجموعة الاقتصادية الأوروبية، بعد إعلان الاستقلال، أن المجموعة الاقتصادية الأوروبية سوف "ترفض الاتصالات على المستوى العالى" مع الجمهوريتين. وحسبما يوضحه مارك أليوند، فإن المجموعة الاقتصادية الأوروبية كانت ستضرب أكثر من مجرد المبدأ: فإنها قد منحت الحكومة الفيدرالية فى بلجراد فروصاً قيمتها ٧٢٠ مليون يوكو (صفحات ٢٠-٢١).
- ٢٩- وأحسن ملخص وتطيل لهذه الأحداث فى جلو *Gow, 'One Year of War'*, صفحات ٧-١.
- ٣٠- مور *Morse, 'Question of all Questions'*, ص ٢٨.
- ٣١- مازور *Mazower, War in Bosnia*, صفحات ٥-٦.
- ٣٢- سيرك *Sirc, 'National Question'*, صفحات ٨٨-٨٩.
- ٣٣- تقرير ديسكو دودر *Report by Dusko Dodger, European* ٧ يناير ١٩٩٢.
- ٣٤- جريك *Grack et al., Le Nettoyage ethnique*, صفحات ٢٠٤-٢٠٥.
- ٣٥- س. رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism*, ص ٢٦٠.
- ٣٦- جلو *Gow, 'One Year of War'*, صفحات ٧-٨.
- ٣٧- المرجع السابق، ص ١٨. رامت *S. Ramet, Nationalism and Federalism* ص ٢٦١.
- ٣٨- مالكوم *Malcolm, 'Waiting for a War'*, صفحات ١٥-١٦.
- ٣٩- ملجاش *Magas, Destruction of Yugoslavia* ص xv.
- ٤٠- مالكوم *Malcolm, 'Waiting for a War'* ص ١٦. وقد نكت الانجلى من حديث مازكوفيتش من تقرير فى *Barbo* و *Politika*.
- ٤١- انظر مثلاً التقرير الذى أعده روبرت بوز عن الاعتراضات السلوفينية والكرواتية على خطة كارينجتون فى جريدة التايمز بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٩١. وقد خلص بوز إلى أنه توجد شروخ فى أساس الخطة.

٤٢- جلو 'Gow, 'One Year of War'، من ٨. وكد ألوحى (وهذا غير حقيقى) أن وزير الداخلية البوسنى على ديامسطينتش كان يعمل فى ذلك الوقت مع إدارة المخابرات العسكرية لقيودالية.

٤٣- مازور Mazower, War in Bosnia، من ١٧ ماجاش، *Magan, Destruction of Yugoslavia*، من xviii.

٤٤- وأوضح شرح لهذه الحادثة فى روجو 'Rogo, Holocausto en los Balcanes'، صفحات ١٤٥-١٤٦.

٤٥- *Mimo informativni bilten*، ٤ نوفمبر ١٩٩١.

٤٦- هايدن 'Hayden, 'Partition of Bosnia'، صفحات ٢-٤.

٤٧- وقد أجريت الحديث بنفسى فى مارييف فى ١١ أكتوبر ١٩٩١.

٤٨- تقرير جودى ديمبسى فى *Financial Times* فى ٨ يوليو ١٩٩٢.

٤٩- جلو 'Gow, 'One Year of War'، صفحات ٨-٩.

٥٠- هايدن 'Hayden, 'Partition of Bosnia'، صفحات ٤-٦.

٥١- تقرير مايكل موناجومري Michael Montgomery فى *Daily Telegraph* فى ٢٩ فبراير ١٩٩٢.

٥٢- تقرير جون بالمر فى صحيفة الجارديان فى ١٠ مارس ١٩٩٢.

٥٣- هايدن 'Hayden, 'Partition of Bosnia'، من ٧.

الفصل السادس عشر: تدمير لايومنة ١٩٩٢-١٩٩٣

١- تقرير مايكل موناجومري فى *Daily Telegraph* فى ٧ أبريل ١٩٩٢.

٢- تقرير روجال تشازان فى الجارديان فى ٢٧ مارس ١٩٩٢ وتهم جوداه وديسا تريغيزان فى القتل فى ٤ أبريل ١٩٩٢.

٣- تقرير مراسل الديلى تلجراف فى ٣٠ مارس ١٩٩٢.

٤- Helsinki Watch, War Crimes in Bosnia، من ١٤٩. وفريق Helsinki Watch الذى قبل هؤلاء القاتلة فيما بعد، وجد قائد UNPROFOR المحلى فى فندق لايومنة. وقد قال أنه لم يكن على علم بأن المدونة قد تم تعويضها بالمقرس، وأنه شيئ ليس من اختصاصه على أى حال.

٥- تقرير تيم جوداه وديسا تريغيزان فى القتل فى ٤ أبريل ١٩٩٢.

٦- تقرير أن مكلفوى فى القتل فى ٢٠ أبريل ١٩٩٢.

٧- نظر القتل فى مازور Mazower, War in Bosnia، صفحات ١٠-١١.

٨- المرجع السابق، من ١٣.

٩- مكتسب فى جوفى 'Glenny, Fall of Yugoslavia'، من ١٦٦.

١٠- تقرير ايليب شيرويل فى الديلى تلجراف فى ١٦ أبريل ١٩٩٢.

١١- جلو 'Gow, 'One Year of War'، من ٨.

- ١٢ - انظر مثلاً تقرير لجان غرينوف في الجارديان في ١٧ أبريل ١٩٩٢، وأن مكلفوى في التمييز في ٢٠ أبريل ١٩٩٢.
- ١٣- تقرير فيليب شلاروف في الديلي تلغراف في ١٦ أبريل ١٩٩٢.
- ١٤- مازور Mazower, *War in Bosnia*، ص ١٥.
- ١٥- انظر ما اقتبسته من هذا التقرير في *The Spectator* في ٢ مايو ١٩٩٢.
- ١٦- عن جميع التفاصيل السابق ذكرها عن القوات العسكرية، انظر جلو Gow, 'One Year of War', صفحات ٨-١٩، وعن اتفاقية ١٦ يونيو، انظر المجلد الذي يشره ديفال بيتلهم Daniel Bethlehem ومارك ولر Marc Weller, *The Yugoslav Crisis in International Law* (Cambridge, 1993 or 1994).
- ١٧- عن التفاصيل السابق ذكرها، انظر Helsinki Watch, *War Crimes in Bosnia*، صفحات ٤٣-٤٥، والبيان المطبوع على الآلة للكتابة المعنوي كملفاً أنشئ المجتمع الكرواتي في الهرسك، الذي أصدره فلادو بوجارتشيتش Vlado Pogarcic مستشار الشؤون الخارجية لمتى يوبلي، في يونيو أو يوليو ١٩٩٢.
- ١٨- Helsinki Watch, *War Crimes in Bosnia*، صفحات ١٥٠-١٥٢.
- ١٩- انظر تقريري في *The Spectator* في ٢ مايو ١٩٩٢.
- ٢٠- Helsinki Watch, *War Crimes in Bosnia*، ص ١٥٩.
- ٢١- US Congressional Record في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٢.
- ٢٢- جلو Gow, 'One Year of War'، صفحات ٢-٣.
- ٢٣- وبطبيعة، فإنه مع تطور الحرب، كانت هناك حالات كثيرة لمسلمين وكروات يهاجمون منازل الصرب؛ ولكن بقي الاختلال في التوازن في الامتزازات والتكتيكات كما هو.
- ٢٤- Helsinki Watch, *War Crimes in Bosnia*، صفحات ١٦٨-١٦٩ ISHR (القسم البريطاني)، *Human Rights and Serbia*، (تقرير منسوخ على الآلة للكتابة ١٩٩٢).
- ٢٥- Bosnian Government Information Centre، كلمة بمسكرات الاعتقال والسجون في أراضي جمهورية البوسنة والهرسك (منسوخ على الآلة للكتابة).
- ٢٦- Helsinki Watch, *War Crimes in Bosnia*، صفحات ٥٠-٥٥، وهنا صفحات ٥٢-٥٣. وأصبح الآن مصطلح 'قتلبيتيك' يستخدم كمصطلح عام يطلق على جميع القوات الصربية غير النظامية.
- ٢٧- انظر تقارير تادبوس مازوفسكي Tadeusz Mazowiecki, *Medecins sans frontieres* and Amnesty International التي جمعها بوشيه في Bouchet, ed., *Le Livre noir*. وعن لشهادة الاقتصادية المروعة التي قدمتها امرأة احتجزت في معسكر للاغتصاب في فوتشا، انظر تقرير فوكتوريا كلارك في الأوبزيرفر في ٢١ فبراير ١٩٩٢. ويرى بعض المصنّون أن مسألة الاغتصاب المنظم مثيرة للزجاج. وقد جمعت الحكومة البوسنية تفاصيل ١٣٠٠٠ حالة؛ وتكررت بضعة المجموعة الاقتصادية الأوروبية الرقم التقديرى بأنه ٢٠٠٠٠ حالة في يناير ١٩٩٢ (المراجع السابق) ص

٤٦٠). ومن الواضح أن الاعتصاف كمن يستخدم في أماكن كثيرة كجزء من سياسة علمة السرب ضد السكان المدنيين، ولم يكن مجرد تصرفات فردية لجنود مختلفين بانتظام.

٢٨- مقالة دوجلاس هيرد في *Adel on Sunday* في ٩ أغسطس ١٩٩٢.

٢٩- تقرير توماس لويرين لوكالة المصونة الأمريكية في يناير ١٩٩٣ لاحظ أن ... القادة العسكريين الصربيين قد خصص لهم ٢٣٪ من المصونة المخصصة للمدن المحاصرة (شارب *Sharp, Bankrupt in the Balkans*، ص ١١).

٣٠- تم الاتفاق من ناحية المبدأ على المنطقة المحظورة للطيران فوقها في أغسطس ١٩٩٢، وأعلنتها الأمم المتحدة في أكتوبر، وتم أخيراً في أبريل ١٩٩٣ توفير الوسائل لوضعها موضع التنفيذ، ولكن الانتهاكات لها بصورة روتينية دلت على حدوث بعد ذلك.

٣١- شارب *Sharp, Bankrupt in the Balkans*، صفحات ١٦-١٧ هيلدن Hayden, 'Partition of Bosnia', صفحات ٩-١٠.

٣٢- المقالات ١ و ٢ (مترجمتين على الآلة الكتابة) من *International Conference on the Former Yugoslavia, 'Agreement for Peace in Bosnia and Herzegovina'*

٣٣- تقرير في *East European Reporter*، المجلد الخامس، العدد السادس (نوفمبر-ديسمبر ١٩٩٢)، ص ٦٤.

٣٤- تقرير روبرت فوكس في *الدبلي* تلجراف في ٢ مايو ١٩٩٣.

٣٥- مور *Moore, 'Endgame in Bosnia'*، ص ٧٠.

٣٦- تقرير مايكل بليزن في *التايمز* في ٢٠ مايو ١٩٩٣.

٣٧- تقرير تيم جوداه في *التايمز* في ٧ يناير ١٩٩٣.

٣٨- تقرير جويل براد في *التايمز* في ١١ مايو ١٩٩٣.

٣٩- تقرير روبن جودي في *الدبلي* تلجراف في ١٨ نوفمبر ١٩٩٣: قال المستر هيرد أنه أوضح أنه لا بد من إقامة توازن بين وجهة النظر الألبانية بأن سداً من الأسلحة يرسل للمسلمين كان طريقة العاقلة الوحيدة للسماح لهم بالانسحاب عن أنفسهم، وبين خطر تصعيد القتال. ولم يوضح المستر هيرد لماذا يمكن أن يوصف إقناع ألبانيا بالتعشي مع الثاني من هذين التوازنين المتناقضين بأنه ضرب ميزان بينهما.

٤٠- أرجو أن يفر لي القارئ ليرى هذا الاقتباس من مقال نشرته بصحيفة *الدبلي* تلجراف (في ٢ أبريل ١٩٩٣). ولجلب عنه وزير الخارجية بخطاب نشر في نفس الصحيفة بتاريخ ٥ أبريل، سيك فيه مصطلح "نسوية حقل القتال"، وصفاً لمواقف رفع حظر السلاح. والواقع أن عبارة "حقل القتال" قد اخترعت لوصف مواقف سياسة مماثل تلك الذي كان أنفاً بين ألبانيا، وذلك بفضل السياسة التي كان يساندتها المستر هيرد، بمناطق كثيرة من البوسنة.

٤١- تقرير تيم جوداه في *التايمز* في ٣ مايو ١٩٩٣.

٤٢- وقد أكد هذه النقطة لي كمال كورسباميتش رئيس تحرير جريدة *Oslobodjenje* أثناء محادثة معه.

- ٤٣- تقرير ملوك مونتهنجرى فى الدبلى تلجراف فى ٨ مايو ١٩٩٣ .
- ٤٤- Foreign Office News Department, communiqué .
- ٤٥- Bosnian Government Information Centre, statement .
- ٤٦- تقرير فى نيو يورك فى ١٥ مايو ١٩٩٣ .
- ٤٧- ريتشارد بايس Richard Pipes ، مقبى فى ليفن *Lioven, Nicholas II* ، ص ٢٤٦ .

ثبت المراجع

يقتصر هذا القيت على مورد الأعمال الواردة في متن هذا الكتاب لو هوامشه (بمنز
النظر عن تقارير الأخبار والبيانات لو البلاغات التي أعطيت عنها مراجع كاملة في
الهولمش). والترتيب الأبجدي فيجلى وليس مبروكرو تيا.

Abteilung für Kriegsgeschichte des k. k. Kriegs-Archivs, *Die Occupation
Bosnien und der Herzegowina durch k. k. Truppen im Jahre 1878* (Vienna,
1879)

*Der Aufstand in der Herzegowina, Süd-Bosnien und Süd-Dalmatien
1881-1882* (Vienna, 1883)

Akademski otkazivanje e R.P.S. et Shopperist: izvori i izdaci obo i
izvori, *Fjeler i izdaci obo Shopper* (Tirana, 1980)

Alberty, G., *Bevölkerung und Geschichte der römischen Provinz Dalmatien*
(Budapest, 1965)

Algar, H., 'Some Notes on the Naghibandi Tariqa in Bosnia', *Studies in
Comparative Religion*, vol. 9 (1975), pp. 69-96

Alford, M., *Shattering on the Balkans: the European Community and the
Yugoslav Crisis* (Oxford, 1991)

Amantia, K., *Schwarz Elbische des Turbide apo ten andelsten siden moderi ten
1821* (Athens, 1955)

Anderman, D., *Miss Irby and Her Friends* (London, 1966)

Andjelic, P., 'Periodi u kulturnoj historiji Bosne i Hercegovine u srednjem
vijeku', *Glasnik nametajnog univeta Bosne i Hercegovine u Sarajevu, n.s.*,
vol. 25 (1970), pp. 119-212

'Barons Regis i dclavno vijele srednjovjekovne Bosne', *Prilozak na
istovijez*, vol. 11-12 (1975-6), pp. 39-48

Andrić, I., *The Development of Spiritual Life in Bosnia under the Influence of
Turkish Rule* (Durham, North Carolina, 1990)

Angelov, D., *Byzantinismus v B'garija* (Sofia, 1969)

von Aschöth, J., *Bosnien und die Herzegowina: Reisebilder und Studien*
(Vienna, 1888)

Avakumović, L., *Admiralstvo pravo nametajnog debelmentine* (London, 1969)

Baczkoewicz, J. M., *Bosnische Geschichte* (Vienna, 1908)

- Belagija, A., *Les Musulmans yougoslaves (étude sociologique)* (Algiers, 1940)
- Belić, S., 'Der bosnisch-herzegowinische Islam', *Der Islam*, vol. 44 (1968), pp. 115-37
- Das unbekannte Bosnien: Europas Brücke zur islamischen Welt* (Cologne, 1992)
- Berac, L., *The National Question in Yugoslavia: Origins, History, Politics* (Ithaca, New York, 1984)
- Burić, H., *Lingvističke analize, Naučno društvo n.i.e. Bosne i Hercegovine, djela*, vol. 1 (Sarajevo, 1954)
- Burkars, O. L., 'Les déportations comme méthode de peuplement et de colonisation dans l'Empire ottoman', *Revue de la faculté des sciences économiques de l'Université d'Istanbul*, vol. 11 (1949-50), pp. 67-131
- Burnas, M. C., *The Late Byzantine Army: Arms and Society, 1204-1453* (Philadelphia, 1992)
- Burić, M. V., *Djelovanje frangijaca u Bosni i Hercegovini na prvim listovima vjernih bosanaca*, 3 vols. (Zagreb, 1881-7)
- Beldiceanu, N., 'Sur les valaques des balkans slaves à l'époque ottomane (1480-1550)', *Revue des études slaves*, vol. 34 (1966), pp. 83-132
- 'Les Valaques de Bosnie à la fin du XVe siècle et leurs institutions', *Turcica*, vol. 7 (1975), pp. 122-34
- and I. Beldiceanu-Sanherr, 'Quatre actes de Mehmed II concernant les valaques des balkans slaves', *Selbstforschungen*, vol. 34 (1965), pp. 102-18
- Beckoff, N., *Tim's Flower Legacy: Yugoslavia and the West, 1939 to 1984* (London, 1985)
- Benac, A., Čović, B., et al., *Kulturna utarija Bosne i Hercegovine od najstarijih vremena do početka turke vladavine* (Sarajevo, 1966)
- Birge, J. K., *The Bekiride Order of Dervishes* (London, 1937)
- Blau, O., *Reisen in Bosnien und der Herzegowina: topographische und pflanzengeographische Aufzeichnungen* (Berlin, 1877)
- Bogdanović, V., 'Emigracije muslimana Bosne i Hercegovine u Tursku u doba Austro-Ugarske vladavine 1878-1918 godine', *Historijski zbornik*, vol. 3 (1950), pp. 175-88
- Bordeaux, A., *La Bosnie populaire: paysages, coutumes et costumes, légendes, chants populaires, mœurs* (Paris, 1904)
- Borst, A., *Die Katharer* (Stuttgart, 1953)
- Bouchet, P., ed., *Le Livre noir de l'ex-Yugoslavie: purification ethnique et crimes de guerre* (Paris, 1993)
- Boud, A., *Les Turcs d'Europe*, 4 vols. (Paris, 1840)
- Bowen, H., 'Ayyas', in *The Encyclopedia of Islam*, 2nd edn., ed. H. A. B.

- Gibbs, J. H., Kramers, E. Lévi-Provençal and J. Schacht, 6 vols. (Leiden, 1960-), vol. 1, p. 778
- Brande, B., 'Foundation Myths of the Millet System', in B. Brande and B. Lewis, eds., *Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Functioning of a Plural Society*, 2 vols. (New York, 1982), vol. 1, pp. 69-88
- Brandeis, F., *The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II*, tr. S. Reynolds, 2 vols. (London, 1972)
- Breznič, D., ed., *The Population of Yugoslavia*, publication of the Demographic Research Centre, Institute of Social Sciences (Belgrade, 1974)
- Buridan, S., *Austria as Despotism*, tr. B. Lunn (London, 1925)
- Byrnes, R., ed., *Constitutional Families in the Balkans: The Zadruga: Essays by Philip Maury and Essays in his Honor* (Notre Dame, 1976)
- Çabej, E., 'The Problem of the Place of Formation of the Albanian Language', in A. Buda, E. Çabej, et al., *The Albanians and their Territories* (Tirana, 1985), pp. 63-99
- Carnegie Endowment for International Peace, *Report of the International Commission to Inquire into the Causes and Conduct of the Balkan Wars* (Washington, DC, 1914)
- Čelebi, Evlija, *see* Evlija
- Chadwick, O., *The Christian Church in the Cold War* (London, 1992)
- Chauvette-des-Fontès, A., *Voyage en Roumélie dans les années 1807 et 1808* (Berlin, 1812)
- Choput, J., and A. Urbicium, *Provinciae romanicorum et rumunorum* (Paris, 1856)
- Connarius, *Epitome rerum ab Ianne et Alexo Comitatibus gestarum*, ed. A. Mommsen (Braun, 1836)
- Čirković, S. M., 'Die bounische Kirche', in *L'Oriente cristiano nella storia della civiltà*, Accademia nazionale dei Lincei, quaderno 62 (Rome, 1964), pp. 547-75
- Herceg Štefan Vukčić-Kosača o njegovu dobu*, Srpska akademija nauka i umetnosti, posebnost izdanja, vol. 376 (Belgrade, 1964)
- Istorijski radnjavostovne bratstva dubrave* (Belgrade, 1964)
- Clairmont, S., ed., *A Short History of Yugoslavia from Early Times to 1906* (Cambridge, 1968)
- Constantine Porphyrogenitus, *De administrando imperio*, ed. G. Moravcsik, tr. R. J. Jenkins (Washington, DC, 1967)
- Coquelle, P., *Histoire du Monténégro et de la Bosnie depuis les origines* (Paris, 1895)
- Ćorović, V., *Historija Bosne*, Srpska književna akademija, posebnost izdanja, vol. 129 (Belgrade, 1940)
- Croix, Sieur de la, *Mémoires* (Paris, 1684)

- Čubrilović, V., 'Poreklo crkveničanskog plemena u Bosni i Hercegovini', *Jugoslavenski istorijski časopis*, vol. 1 (1935), pp. 368-403
- Bosanski narodni 1875-1878, Srpska kraljeva akademija, posebna izdanja*, vol. 23 (Belgrade, 1936)
- Čopić-Aueria, M. M., *Die Opposition gegen die österreichisch-ungarische Herrschaft in Bosnien-Herzegowina (1878-1914)* (Bern, 1967)
- Curtis, W. E., *The Turk and his Last Provinces* (Chicago, 1903)
- Dawkins, R. M., 'The Crypto-Christians of Turkey', *Byzantium*, vol. 2 (1933), pp. 247-75
- Deakin, F. W. D., *The Embattled Mountain* (London, 1971)
- Dodjic, V., *The Road to Sarajevo* (London, 1966)
- Dodjic, V., and A. Milenc, *General and Mandates, 1941-1945: istorijsko dokumentarno i regionalno* (Sarajevo, 1990)
- Dodjic, V., Bolić, L., Čerović, S., and M. Ekanović, *History of Yugoslavia* (New York, 1974)
- Donac, M., *British Special Operations Explored: Yugoslavia in Turmoil, 1941-1943, and the British Response* (Boulder, Colorado, 1983)
- Desbois, Capistrano, *Souvenirs*, ed. C. Desbois (Paris, 1902)
- Dinić, M. J., *Za istoriju radništva u srednjostavnoj Srbiji i Bosni, Srpska akademija nauka, posebna izdanja*, vol. 240 (Belgrade, 1955)
- Djika, M., *Warrior*, tr. M. B. Petrovich (London, 1977)
- Djordjević, D., 'The Yugoslav Phenomenon', in J. Held, ed., *The Columbia History of Eastern Europe on the Twentieth Century* (New York, 1992), pp. 306-44
- Djordjević, B., 'Bosna', in *The Encyclopedia of Islam*, 2nd edn., ed. H. A. R. Gibb, J. H. Kramers, E. Lévi-Provençal and J. Schacht, 6 vols. (Leiden, 1960-), vol. 1, p. 1261-75
- Donna, R. J., *Islam under the Double Eagle: The Muslims of Bosnia and Herzegovina 1878-1914* (Boulder, Colorado, 1981)
- Draganović, K., 'Ispravke apostolskog vizitatora Petra Masarekija o prelazima katoličkog naroda u Bugarskoj, Srbiji, Srijemu, Slavoniji i Bosni g. 1623 i 1624', *Starine jugoslavenske akademije znanosti i umjetnosti*, vol. 39 (1938), pp. 1-48.
- Dragulich, A. N., *The First Yugoslavia: The Search for a Viable Political System* (Stanford, California, 1983)
- Draguljović, D., *Krstaši i prvobitni orlovi bosanske, Srpska akademija nauka i umjetnosti: balkanološki institut, posebna izdanja*, vol. 30 (Belgrade, 1987)
- Dragović, S., *Vladai pi Markući: studii din istoria românilor din balcanii* (Chi, 1924)
- Vladai din nordul peninsulei balcanice în erul mediu* (Bucharest, 1959)

- Država kominja za utvrdjivanje složenih odnosa i njihovih pomaga, *Dokumenti o seljačkim Društvu Mihaljević, vol. 1* (Belgrade, 1945)
- Du Noy, A., [pseudonym] *The Early History of the Rumanian Language*, Edward Sapir monograph series in Language, Culture and Cognition, vol. 3 (supplement to *Forum Linguisticum*, vol. 2, no. 1, August 1977) (Lake Bluff, Illinois, 1977)
- Durbani, M. E., *Twenty Years of Balkan Tangle* (London, 1920)
- , *Some Tribal Origins, Laws, and Customs of the Balkans* (London, 1928)
- Duverney, J., *Le Catharisme*, 2 vols. (Toulouse, 1976–9)
- Dvornik, F., *Byzantine Missions among the Slavs* (New Brunswick, New Jersey, 1970)
- Đelija, S., *Das 'ethnische Karst' und das Identifizierungsproblem Bosniens und der Herzegovina in den Forschungen nach dem zweiten Weltkrieg* (Munich, 1978)
- ‘Finova interpretacija bosanske sredovjekovne konfessionalne povesne’, in J. Turčoković, ed., *Povijesno-etnološki skupni u povodu 500. obljetnice smrti bosanske kraljice Katarine* (Sarajevo, 1979), pp. 52–9
- Konfessionalität und Nationalität Bosniens und der Herzegovina: vortempestarische Phase 1463–1804*, Südosteuropäische Arbeiten, vol. 80 (Munich, 1984)
- Fennell, T. A., ‘The Battle of Kosovo: Early Reports of Victory and Defeat’, in W. S. Vucovich and T. A. Fennell, eds., *Kosovo: Legacy of a Medieval Battle* (Minneapolis, Minnesota, 1991), pp. 19–40
- Érignac, L., *Le Révêlé de Crato de Villefranche-de-Rouergue* (Villefranche-de-Rouergue, 1980)
- Esposito, J. L., *Islam and Politics*, 3rd edn. (New York, 1984)
- Erza, A. J., *Through Bosnia and the Herzegovina in 1875*, 2nd edn. (London, 1877)
- , *Illyrian Letters: A Revised Selection of Correspondence from the Illyrian Frontier of Bosnia, Herzegovina, Montenegro, Albania, Dalmatia, Croatia, and Slavonia, addressed to the 'Manchester Guardian' during the Year 1877* (London, 1878)
- Erlija Črlabi, *Priopis odnosa u jugoslavinskim zemljama*, ed. and tr. H. Šabanović (Sarajevo, 1973)
- Fernández, E., ed., *Acta Romanae pontificatus ecclesiastica cum iuribus ecclesiarum decemvenerunt regibus ab anno 925 usque ad annum 1752*, Monumenta spectantia historiam slavorum meridionalium, vol. 23 (Zagreb, 1892)
- Flăpăru, T., *Calendar românesc din Bosnia: studiu etnografic și antropogeografic* (Bucharest, 1906)

- Filipović, M., 'Struktura i organizacija srednjovekovnog kotura', in Filipović, M., ed., *Simpozijum o srednjovekovnom koturu održan 24 i 25 novembra 1961 g.* (Sarajevo, 1963), pp. 45-108
- Filipović, N., 'Napomene o identifikaciji u Bosni i Hercegovini o 15. vijeku', *Godišnjak etnografske nauke i umjetnosti Bosne i Hercegovine* vol. 7 (= Centar za balkanološka ispitivanja, vol. 5) (1970), pp. 141-67
- Fitz, J. V. A., 'Aristodios and Barmadje - A Re-examination of the Question', *Godišnjak društva istoričara Bosne i Hercegovine*, vol. 16 (1965), pp. 223-9
- 'Was the Bosnian Bosnian Subjected to Hungary in the Second Half of the Thirteenth Century?', *East European Quarterly*, vol. 3 (1969), pp. 167-77
- The Bosnian Church: A New Interpretation. A Study of the Bosnian Church and its Place in State and Society from the Thirteenth to the Fifteenth Centuries* (Boulder, Colorado, 1975)
- The Early Medieval Balkans. A Critical Survey from the Sixth to the Late Twelfth Century* (Ann Arbor, Michigan, 1983)
- The Late Medieval Balkans: A Critical Survey from the Late Twelfth Century to the Ottoman Conquest* (Ann Arbor, Michigan, 1987)
- Fortis, A., *Travel into Dalmatia* (London, 1778)
- Fraser, A., *The Gypsy* (London, 1992)
- Fret, M., 'The Bully of the Balkans', *The Spectator*, 17 August 1991, pp. 11-13
- Freudenreich, H. F., *The Jews of Yugoslavia. A Quest for Community* (Philadelphia, 1979)
- Gavranović, B., *Bosna i Hercegovina od 1853-1870 godine* (Sarajevo, 1956)
- Gazd, L., 'Les Collections des manuscrits orientaux à Sarajevo', *Prilozak za orijentalnu filologiju*, vol. 30 (1980), pp. 153-7
- Gibbons, J., *London to Sarajevo* (London, 1930)
- Gilliat-Smith, B., 'The Dialect of the Gypsies of Serbo-Croatia', *Journal of the Gypsy Lore Society*, 3rd series, vol. 27 (1948), pp. 139-44
- Ginsburas, M., *The Slave* (London, 1971)
- Glenney, M., *The Fall of Yugoslavia: The Third Balkan War* (London, 1992)
- Glück, L., 'Zur physischen Anthropologie der Zigeuner in Bosnien und der Hercegovina', *Wissenschaftliche Mittheilungen aus Bosnien und der Hercegovina*, vol. 5 (1897), pp. 403-33
- Glukac, V., 'Srednjovekovna "bosanska crkva"', *Prilozak za književnost, jezik, istoriju i folklor*, vol. 4 (1924), pp. 1-65
- Goldman, S., ed., *Jews in Yugoslavia* (Zagreb, 1989)

- Gow, J., *Legitimacy and the Military: The Yugoslav Crisis* (London, 1992)
- 'One Year of War in Bosnia and Herzegovina', *Radio Free Europe/Radio Liberty Research Report*, vol. 2, no. 23 (4 June 1993), pp. 1-13
- Goucek, M., Gjukan, M., and N. Simic, eds., *Le Monténégro ethnique: documents historiques sur ses origines arbes* (Paris, 1993)
- Gubiceo, S., 'Political History to 1526', in F. M. Bratovich and C. Spaldino, eds., *Croatia: Land, People, Culture*, 2 vols. (Toronto, 1964), vol. 1, pp. 76-130
- Gulic, B., 'Wer sind die Mischlingen im adriatischen Raum?', *Balkanica*, vol. 4 (1973), pp. 453-64
- Gyden, M., 'La Transhumance des Vlapques balkaniques au moyen age', *Dyastomolovos*, vol. 12 (1951), pp. 29-42
- Haarmann, H., *Der lateinische Lehnverzicht im Albanischen*, *Hamburg philologische Studien*, vol. 19 (Hamburg, 1972)
- Hadžibegić, H., 'Džupa ili herce?', *Prilozak za orijentalnu filologiju i istoriju jugoslovenskih naroda pod turkum vladavom*, vol. 1, vols. 3-4 (1952-3), pp. 55-135, part 2- vol. 5 (1954-5), pp. 43-102
- Hadžipahić, M., 'Uz priloz profesora Vojislava Bogićevića', *Istorijski zbornik*, vol. 3 (1950), pp. 189-92
- 'Učelo Hantovija u završeno na Mehmed-paša Solakovića', *Prilozak za orijentalnu filologiju i istoriju jugoslovenskih naroda pod turkum vladavom*, vol. 5 (1954-5), pp. 325-30
- 'Die privilegierten Seiden zur Zeit des osmanischen Feudalismus', *Selbstforschungen*, vol. 20 (1961), pp. 130-58
- 'Die Anfänge der nationalen Entwicklung in Bosnien und in der Herzegowina', *Selbstforschungen*, vol. 21 (1962), pp. 168-92
- 'Die Kämpfe der Ajane in Mostar bis zum Jahre 1833', *Selbstforschungen*, vol. 28 (1969), pp. 123-81
- Oil tradicije do idrostatiz. gromna nacionalnog pisanja bosanskih muslimana* (Sarajevo, 1974)
- 'Sinkretistički element u latinskom u Bosni i Hercegovini', *Prilozak za orijentalnu filologiju*, vols. 28-9 (1978-9), pp. 301-28
- Povijest bosanskih Muslimana* (Sarajevo, 1990)
- Handžić, A., 'Bosansko namjensnik Hekim-oglu Ali-paša', *Prilozak za orijentalnu filologiju i istoriju jugoslovenskih naroda pod turkum vladavom*, vol. 5 (1954-5), pp. 135-80
- Tuzla i njena okolica u 16. vijeku* (Sarajevo, 1975)
- 'O gradskom stanovništvu u Bosni u XVI vijeku', *Prilozak za orijentalnu filologiju*, vols. 28-9 (1978-9), pp. 247-56
- 'U ulici dervisa u formiranju gradskih zajednica u Bosni u XV vijeku',

- Prilog za opretnost filologu*, vol. 31 (1981), pp. 169-78
- Hangg, A., *Die Muslimen in Bosnen-Herzegowina: ihre Lebensweise, Sitten und Gebräuche* (Sarajevo, 1907)
- Hausack, F. W., *Christianity and Islam under the Sultans*, ed. M. M. Hausack, 2 vols. (Oxford, 1929)
- Hausack, M. M., 'Firman of A.H. 1013-14 (A.D. 1604-5) Regarding Gypsies in the Western Balkans', *Journal of the Gypsy Lore Society*, 3rd series, vol. 27 (1948), pp. 1-12
- Hauptmann, F., *Bosnia muslimana Bosna i Hercegovina sa opštom muslimansko-muslimanskom autonomijom* (Sarajevo, 1967)
- Hawkesworth, C., *Two Andras: Bridge between East and West* (London, 1984)
- Hayden, R. M., 'The Partition of Bosnia and Herzegovina, 1990-1993', *Radio Free Europe/Radio Liberty Research Report*, vol. 2, no. 22 (28 May 1993), pp. 1-14
- Helank Watch, *War Crimes in Bosnia-Herzegovina* (New York, 1992)
- Hurley, F. W., et al., *British Intelligence in the Second World War*, 5 vols. (London, 1979-90)
- Höpfen, W., 'Die jugoslawischen Kommunisten und die bosnischen Muslime', in A. Kappeler, G. Simon and G. Brunner, eds., *Die Muslime in der Sowjetunion und im Jugoslawien: Identität, Politik, Widerstand* (Cologne, 1989), pp. 181-210
- Hoptner, J. B., *Yugoslavia on Cross, 1934-1941* (New York, 1962)
- Hornby, L. G., *Railton Sketches: An Artist's Wanderings in the Kingdom of the Seris* (Boston, 1927)
- Hory, L. and M. Bronzai, *Der kroatische Usnaden-Staat* (Stuttgart, 1964)
- Hortenger, J. H., *Historia orientalis* (Zurich, 1660)
- Hötel, W., *The Secret Fronts* (London, 1953)
- Hrabak, B., 'Izvor plemenskih metala iz Bosne u Dubrovnik u vreme osmanlijske vlasti', *Godišnjak društva naučnika Bosna i Hercegovina*, vols. 28-30 (1977-9), pp. 75-85
- Hukuf, A., ed., *Islam i muslimani u Bosni i Hercegovini* (Sarajevo, 1977)
- Huković, M., *Alhamdulillah književnost i opšti stvarnost* (Sarajevo, 1986)
- Huld, M. E., *Basic Albanian Etymology* (Culverton, Ohio, 1983)
- Hussein, A., 'Communism Yugoslavia's Fear of Islam', *Issues in the Islamic Movement*, vol. 4 (1983-4), pp. 34-5
- Ibáñez, E., *Ethnic Continuity in the Carpatho-Danubian Area* (Boulder, Colorado, 1988)
- Imanović, M., 'O historiji boljševičkog pokreta', in A. Purvata, M. Imanović and R. Mahmutović, *Muslimani i Boljševici* (Sarajevo, 1991), pp. 31-70

- Kniewald, D., 'Vjerodostojnost latinskih izvora o bosanskim krstjanima', *Rad jugoslavenske akademije znanosti i umjetnosti*, vol. 270 (1949), pp. 115-276.
- 'Hierarchie und Kultus bosnischer Christen', in *L'Oriente cristiano nella storia della civiltà*, Accademia nazionale dei Lincei, quaderno 62 (Rome, 1964), pp. 579-605.
- Kočović, B., *Životni događaji srpskog naroda u Jugoslaviji* (London, 1985).
- Koetscher, J., *Aus Bosnien's letzter Türkenzeit*, ed. G. Graßl (Vienna, 1905).
- Ottoman Bosnia, der letzte große Wiener Balkan, und seine Nachfolger*, ed. G. Graßl (Sarajevo, 1909).
- Kotkurica, V., and K. Čvorkić, *Party Pluralism or Monism. Social Movements and the Political System in Yugoslavia, 1944-1949* (Boulder, Colorado, 1985).
- Kuvadžić, J., *Isprava Crne Gore* (Tisingrad, 1967).
- Kreševljaković, H., *Kapetanije u Bosni i Hercegovini*, Naučno društvo n.r. Bosne i Hercegovine, djela vol. 5 (Sarajevo, 1954).
- Evangelj i običaji u Bosni i Hercegovini*, Naučno društvo n.r. Bosne i Hercegovine, djela vol. 17 (Sarajevo, 1961).
- Kretz, R., and H. Kretz-Hennrich, *Volksgläubige im Bereich der Islam*, 2 vols. (Wiesbaden, 1960-2).
- Kristijan, B., *Hercegovina u prvom svjetskom ratu i bosansko-hercegovački politički sistem* (Zagreb, 1989).
- Kulić, Š., 'Razmatranja o porijeklu Muslimana u Bosni i Hercegovini', *Glasnik zemaljskog namjesnika u Sarajevu*, n.s., vol. 8 (1953), pp. 145-58.
- Kunt, I. M., 'Transformation of Zaimi into Ashraf', in B. Braude and B. Lewis, eds., *Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Functioning of a Plural Society*, 2 vols. (New York, 1982), vol. 1, pp. 55-67.
- The Sultan's Servants: The Transformation of Ottoman Provincial Government, 1550-1650* (New York, 1983).
- Kurpiczki, B., *Itinerarium der Botschaftsreise des Juref von Lamberg und Niclas Jurekovic durch Bosnien, Serbien, Bulgarien nach Konstantinopel 1530*, ed. E. Lamberg-Schwarzenberg (Innsbruck, 1910).
- Lachmann, R., ed. and tr., *Memoiren eines Janitscharen oder Türkenlehrers Christ, Slavische Geschichtsschreiber*, vol. 8 (Graz, 1975).
- Lambert, M. D., *Medieval Heresy: Popular Movements from Bogomil to Hus* (1st edn., London, 1977, 2nd edn., London, 1992).
- Lapenna, L., 'Suverenitet i federalizam u ustavu jugoslavije', in V. Ivanović and A. Džilas, eds., *Demokratske reforme* (London, 1982), pp. 9-30.
- Lanić, D., *De vita et operibus S. Lucii de Marchis: studium et recensio quorundam registorum* (Ancona, 1974).

- Ladrić, F. ('Philippus ab Orthevia'), *Epistolarum selectarum domini provinciar* (Venice, 1765)
- Le Bouvier, G., *Le Livre de la description des pays* (Paris, 1908)
- Loeb, M., *The Rape of Serbia: The British Role in Tito's Grabs for Power 1943-1944* (San Diego, California, 1990)
- Lehfeldt, W., *Das serbokroatische Aljamade-Schrifttum der bosnisch-herzegowinischen Muslime. Transkriptionsprobleme, Beiträge zur Kenntnis Südosteuropas und des Nahen Orients*, vol. 9 (Munich, 1969)
- Levital, Z., ed., *Zbirka rukopisnih aljamiada i njekih perzijskih pisama iz Jugoslavije* (Belgrade, 1952)
- Levy, M., *Die Sephardim in Bosnien. ein Beitrag zur Geschichte der Juden auf der Balkan-Halbinsel* (Sarajevo, 1911)
- Lewis, B., *The Emergence of Modern Turkey*, 2nd edn. (Oxford, 1968)
- Lien, S. N. C., *Manichaeanism in the Later Roman Empire and Medieval China: A Historical Survey* (Manchester, 1985)
- Leven, D., *Nicholas II Emperor of All the Russias* (London, 1993)
- Ljilic, E., 'Vjerske starine iz Bosne i Hercegovine', *Glasnik zemaljskog muzeja*, vol. 6 (1894), pp. 141-66, 259-81, 365-88, 631-74
- Lockwood, W. G., *European Muslims: Economy and Embassy in Western Bosnia* (New York, 1975)
- Look, M., *Dualist Heresy in the Middle Ages* (Prague, 1974)
- 'Les Derniers Cathares de l'occident et leurs relations avec l'église cathare de Bosnie', *Historijski zbornik - Srednjo vjekovje*, vols. 29-30 (1976-7), pp. 113-26
- Lord, A. B., 'The Battle of Kosovo in Albanian and Serbo-Croatian Oral Epic Songs', in A. Pipa and S. Repišić, eds., *Studies on Kosovo* (Boulder, Colorado, 1984), pp. 65-83
- Lovrich, G., *Observationes super diversis partibus del viaggio in Dalmatiam del signor Alberto Fortis* (Venice, 1776)
- Lydall, H., *Yugoslavia in Crisis* (Oxford, 1989)
- Maček, V., *In the Struggle for Freedom*, tr. E. and S. Gato (London, 1957)
- McFarlane, B., *Yugoslavia. Politics, Economics and Society* (London, 1988)
- McGowan, B., 'Food Supply and Taxation on the Middle Danube (1508-1579)', *Archivum Ottomanicum*, vol. 1 (1969), pp. 138-96
- Economic Life in Ottoman Europe. Taxation, Trade and the Struggle for Land, 1600-1800* (Cambridge, 1981)
- MacKertze, D., *The Serbs and Rumanian Pan-Slavism 1875-1878* (Ithaca, New York, 1967)
- Magaš, B., *The Destruction of Yugoslavia: Tracking the Break-up, 1980-1992* (London, 1993)

- Mayer, H., *Die deutschen Siedlungen in Rumänien* (Stuttgart, 1924)
- Malcolm, N. R., 'Waiting for a War', *The Spectator*, 19 October 1991, pp. 14-15
- Malingoudis, F., *Slaves at noon: the Etrian* (Salonica, 1991)
- Mandić, D., *Putovanje Vlahi prema novom pravcu istraživanja* (Bucuresti, 1956)
- 'The Ethnic and Religious History of Bosnia and Herzegovina', in F. M. Eterovich and C. Spulacu, eds., *Croatia: Land, People, Culture*, 2 vols. (Toronto, 1964), vol. 2, pp. 362-93
- Etničke grupe Bosne i Hercegovine* (Rome, 1967)
- Frangovanja Bosne: ratovi i upraviteljske vlasti i provincije 1340-1735* (Rome, 1968)
- Mandić, M., *Putovanje slavnosti Bosne i Hercegovine (1878)* (Zagreb, 1910)
- Martenscu, A. M., 'Istorijske, macedo-române și albaneze diseminare istorice', *Analele Academiei române*, series 2, vol. 26 (1903-4), pp. 117-69
- Markotić, V., 'Archaeology', in F. M. Eterovich and C. Spulacu, eds., *Croatia: Land, People, Culture*, 2 vols. (Toronto, 1964), vol. 1, pp. 20-75
- Martin, D., *The Web of Deformation: Churchill's Yugoslav Illusion* (San Diego, California, 1990)
- Matković, V., *Mlada Bosna* (Belgrade, 1945)
- Matković, J., 'Tr humanista o putarstvu', *Glasnik Slavonske filozofije*, vol. 1 (1930), pp. 235-51
- Mayer, F., *Eine Reise durch Bosnien, die Sandständer und Ungarn* (Berlin, 1870)
- Mazower, M., *The War in Bosnia: An Analysis* (London, 1992)
- Mihuranić, V., *Selakovići im Društvo des Istara (von X. bis XVI. Jahrhunderts): ein Forschungsbericht*, ed. and tr. C. Lucerna (Zagreb, 1928)
- Migne, J.-P., ed., *Patrologiae cursus completus, series latina prima*, 221 vols. (Paris, 1844-64)
- Milazzo, M. J., *The Chetnik Movement and the Yugoslav Resistance* (Baltimore, 1975)
- Milerić, M., *I Krstjani' di Bosnia alla luce dei loro monumenti di guerra*, *Orientalia christiana antiqua*, vol. 149 (Rome, 1957)
- Milivojević, M., *Deceit into Crime: Yugoslav's Warning Crime* (London, 1989)
- Müller, W., *Travel and Politics in the Near East* (London, 1890)
- Essays on the Latin Orient* (Cambridge, 1921)
- Mirmiroglou, V., *On Dervishes* (Athens, 1940)
- Morse, P., 'The "Question of all Questions": Internal Borders', *Radio Free*

- Europe/Radio Liberty Report on Eastern Europe*, vol. 2, no. 38 (20 September 1991), pp. 34-9
- 'Endgame in Bosnia and Herzegovina', *Radio Free Europe/Radio Liberty Report on Eastern Europe*, vol. 2, no. 32 (13 August 1993), pp. 17-23
- Mraz, G., *Prins Engen: sein Leben, sein Wirken, seine Zeit* (Vienna, 1985)
- Muir Mackenzie, G., and A. P. Leby, *Traffic in the Slavonic Provinces of Europe*, 3rd edn., 2 vols. (London, 1877)
- Mupč, M., 'Političar cigana u jugoslavenskom acemilama pod osmanskom vlašću', *Prilog za orientalističku filologiju i istoriju jugoslavenskih naroda pod turskom vladavom*, vols. 3-4 (1952-3), pp. 137-91
- 'Prilog proučavanju uživanja alkohola pića u Bosni i Hercegovini pod osmanskom vlašću', *Prilog za orientalističku filologiju i istoriju jugoslavenskih naroda pod turskom vladavom*, vol. 5 (1954-5), pp. 286-98
- Mutašchieva, V., 'K'm vprosa za chufatse v osmanskata imperiya prez XIV-XVII v', *Istoričeski pregled*, vol. 14 (1958), pp. 34-57
- Nagata, Y., *Monsters on the Bosnian Frontier*, *Senka culture studies*, no. 11 (Tokyo, 1979)
- Nandrić, J. G., 'The Arumani: Approaches to the Evidence', in R. Rohr, ed., *Die Arumunen. Sprach-Geschichte-Geographie* (Hamburg, 1987), pp. 15-71
- Nisard, P. S., 'Les Valaques balkaniques aux Xe-XIIIe siècles (mouvements de population et colonisation dans la Roumanie grecque et latine)', *Byzantinische Forschungen*, vol. 7 (1979), pp. 89-112
- ed., *Bibliografie macedo-rumelini* (Freiburg, 1984)
- Naumov, E., 'Balkanskiye vladu i formirovaniye drevneserbtskoi narodnosti', in Ivanov, V. V., Korolyuk, V. D., and E. P. Naumov, eds., *Eticheskaya istoriya slavenskiy romanstev: drevnii srednji vek* (Moscow, 1979), pp. 18-61
- Naval Intelligence Division, British Admiralty, *Seydlers*, Geographical Handbook series, B.R. 393, 3 vols. (London, 1944)
- Neubacher, H., *Sonderausflug Sölden 1940-1945*, 2nd edn. (Göttingen, 1957)
- Niger, D. M., *Geographiae constantinorum libri XI (Band, 1557)*
- Novaković, S., *Selo* (Belgrade, 1965)
- Obolensky, D., *The Byzantine: A Study in Eastern Neo-Manichaeism* (Cambridge, 1948)
- The Byzantine Commonwealth: Eastern Europe, 500-1453* (London, 1974)
- d'Onson, M., *Traité général de l'Empire ottoman*, 7 vols., Paris, 1788-1824

- Oloç, T., 'Les Kristians (Bogomiles Parfaits) de Boume d'après des documents turcs inédits', *Südostforschungen*, vol. 19 (1960), pp. 108-33
- Orbani, M., *Il Regno de gli slavi boggi convertimento detti Schismati* (Pesaro, 1601)
- Papoulia, B. D., *Ursprung und Wesen der 'Knaibulcs' im osmanischen Reich*, *Südosteuropäische Arbeiten*, vol. 59 (Munich, 1963)
- Palaić, E., and R. Midević, eds., *Savajeri* (Sarajevo, 1954)
- Paskaleva, V., 'Osmanli balkan eyaletlerinin avrupali devletlerle ticaretleri tarihine kanku (1700-1850)', *İstanbul universitesi islam fakultesi mecmuasi*, vol. 27 (1967-8), pp. 37-74
- Pavlovich, P., *The Serbians: The Story of a People* (Toronto, 1983)
- Pavlovitch, S. K., 'Society in Serbia, 1791-1830', in R. Clugg, ed., *Balkan Society in the Age of Greek Independence* (London, 1981), pp. 137-56
- Peja, Yugoslav's Great Dictator: A Renaissance (London, 1992)
- Peledija, E., *Bosnians' tales of barbarism: the paleontology of war 1699-1718* (Sarajevo, 1989)
- Pelletier, R., *Savages et régnés: chez les Yngoules de la Seine à l'Afrique* (Paris, 1934)
- Pertiche, G., *Histoire de la Croatie et des nations slaves du sud, 395-1992* (Paris, 1992)
- Pertuiser, C., *La Bosnie considérée dans ses rapports avec l'Empire Ottoman* (Paris, 1822)
- Petrancović, B., *Bogomili, crkva bosanska i krstjan* (Zadar, 1867)
- Petrović, L., *Kristianstvo bosanske crkve* (Sarajevo, 1953)
- Pinarev, Y. A., and M. Ekmoćić, *Ornamentationen der bosnischen Bosni i Gerstgoren i Rostin*, 2 vols. (Moscow, 1985-8)
- Popović, A., *L'Islam balkanique les musulmans du sud-est européen dans la période post ottomane*, *Orienteuropa-Institut an der freien Universität Berlin balkanologische Veröffentlichungen*, vol. 11 (Berlin, 1986)
- 'Islamische Bewegungen in Jugoslawien', in A. Kappeler, G. Simon and G. Brunner, eds., *Die Missionen in der Sowjetunion und in Jugoslawien: Identität, Politik, Widerstand* (Cologne, 1989), pp. 273-86
- Popović, I., 'Valacho-serbia. der rumänische Spracheneinfluss auf das Serbo-kroatische und dessen Geographie', *Südostforschungen*, vol. 21 (1962), pp. 370-93
- Porphyrogenitus: see Constantine Porphyrogenitus
- Porter, Sir James, *Observations on the Religion, Law, Government, and Manners, of the Turks* (London, 1768)
- Poulton, H., *The Balkans: Minorities and States in Conflict* (London, 1991)
- Puech, H. C., 'Catharisme médiéval et Bogomilisme', in *Oriente et occident nel medioevo* (Rome, 1957), pp. 84-104

- Puvion, A., *Nationalism i politički razvrat sredinoveka* (Sarajevo, 1972)
- Quincy, Monnier, *Les Voyages de M. Quincy à Constantinople par Tiers* (Paris, 1664)
- Radu, F., *Regum i pitarova*, Srpska književna akademija, posebna izdanja, vol. 87 (Belgrade, 1931)
- Radović, N., *Srpska utvaja Mlava Orlanija*, Srpska akademija nauka, posebna izdanja, vol. 152 (Belgrade, 1950)
- Radović, S., 'Reljefi busanskih i hercegovačkih arhiva', *Letopis Matice Srpske*, year 137, vol. 287 (1961), pp. 1-15
- Radović, D., "Bulgarabarmatoblahos" et "Serbalbaninobulgaroblahos" - deux caractéristiques ethnoques du sud-est européen des XIVe et XVe siècles. Nicodim de Timana et Grégoire Cambak', *Romanianism*, vol. 13 (1966), pp. 77-9
- Ramer, P., 'Die Muslime Bosniens als Nation', in A. Kappeler, G. Samon and G. Brunner, eds., *Die Muslime in der Sowjetunion und in Jugoslawien: Identität, Politik, Widerstand* (Cologne, 1989), pp. 107-14
- Ramer, S. P., *Nationalism and Federalism in Yugoslavia, 1962-1991*, 2nd edn (Bloomington, Indiana, 1992)
- Redžić, E., *Muslimanska autonomnost i 15. SS divizija: autokratija Bosne i Hercegovine i Hitlerov traži vođe* (Sarajevo, 1987)
- Rivet, C., *Chou les slaves libérés en Yougoslavie* (Paris, 1919)
- Roberts, W. R., *Tito, Milanković and the Allies, 1941-1945*, 2nd edn. (Durham, North Carolina, 1987)
- Royo, A., *Yugoslavia, Holocausto en las Balcanes: la agonía de un estado y por qué se matan entre si sus habitantes* (Barcelona, 1992)
- Rothiewicz, J., *Studien über Bosnien und die Herzegovina* (Leipzig, 1868)
- Rostovtzeff, M., *Iranians and Greeks in Southern Russia* (Oxford, 1922)
- Roth, C., ed., *The Serbian Haggadah* (London, 1963)
- Rothenberg, *The Austrian Military Border in Croatia, 1522-1747*, Illinois Studies in the Social Sciences, vol. 48 (Urbana, Illinois, 1960)
- The Military Border in Croatia 1740-1881* (Chicago, 1966)
- Runciman, S., *The Medieval Marches: A Study of the Christian Doublet History* (Cambridge, 1947)
- Rusnow, D., *The Yugoslav Experiment, 1948-1974* (Berkeley, California, 1978)
- Rutu, I. I., *Iliric istoria, timba p. evanion, romonovos* (Bucharest, 1969)
- Rycaut, P., *The Present State of the Ottoman Empire* (London, 1668)
- Šabanović, H., 'Pitanje turaka vlasti u Bosni do pohoda Mehmeda II 1463 godine', *Glasnik društva istoričara Bosne i Hercegovine*, vol. 7 (1955), pp. 37-51

- 'Bosansko krajšine 1448-1463', *Godišnjak istorijskog društva Bosne i Hercegovine*, vol. 9 (1957), pp. 177-219
- Bosanski pokoljak: postanak i upravljanje pokolja, Naučno društvo n.r. Bosne i Hercegovine, djela, vol. 14 (Sarajevo, 1959)
- 'Vojno uređenje Bosne od 1463. g. do kraja XVI stoljeća', *Godišnjak istorijskog društva Bosne i Hercegovine*, vol. 11 (1960), pp. 173-223
- Sarrailh, M., *Les Voyageurs français en Bosnie à la fin du XVIII^e siècle et au début du XIX^e et le pays tel qu'ils l'ont vu* (Paris, 1960)
- Schrand, F., *Bosnien und die Herzegovina unter der Verwaltung Österreich-Ungarns* (Leipzig, 1914)
- Schwartz, B., *The Annexation of Bosnia 1908-1909* (Cambridge, 1937)
- Scholem, G., *Major Trends in Jewish Mysticism* (London, 1955)
- Subbotai Sen, *The Mystical Methods, 1626-1676* (London, 1973)
- von Schwandner, J. G., ed., *Scriptores rerum hungaricarum, delationarum, croaticarum, et slavonarum veteris ac recentis*, 3 vols. (Vienna, 1746-8)
- Seton Watson, R. W., *The Role of Bosnia in International Politics (1875-1914)* (London, 1933)
- Sharp, J. M. O., *Bomburst in the Balkans. British Policy in Bosnia* (London, 1993)
- Shaw, S. J., 'The Ottoman View of the Balkans', in C. Jelavich and B. Jelavich, eds., *The Balkans in Transition: Essays on the Development of Balkan Life and Politics since the Eighteenth Century* (Berkeley, California, 1963)
- History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, 2 vols. (Cambridge, 1976-7)
- The Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic* (London, 1991)
- Sizant, E., *La Zadruga sud-slave dans l'histoire du groupe domestique* (Paris, 1943)
- Šidak, J., 'Problem "bosanske krize" u našoj historiografiji od Petranovića do Gluška', *Rad jugoslavenske akademije znanosti i umjetnosti*, vol. 259 (1987), pp. 147-67
- Studije o "krizi domaćinstva" i domaćinstvu* (Zagreb, 1975)
- Silinski, S., 'Dervishkonstanzek és szent sírok Bosznában', *Távirás*, nos. 9-10 (November-December 1918), pp. 574-607
- Sirc, L., 'The National Question in Yugoslavia', *The South Slav Journal*, vol. 9, nos. 1-2 (1986), pp. 80-93
- Škabić, F., ed. and tr., *Lepos papa Dubjanska* (Belgrade, 1928)
- Bosna i Hercegovina na vremenima Omer-paše Latasa (1850-1852)* (Subotica, 1938)

- Štarić, V., *Srpski pravoslavni narod i crkva u Sarajevu u 17. i 18. vijeku* (Sarajevo, 1928)
- 'Popis bogomskih upalja iz 1123 (1711) godine', *Glasnik zemaljskog muzeja*, vol. 42 (1930), pp. 1-99
- Sarajvo i njegovo okruženje od najstarijih vremena do austro-ugarske okupacije* (Sarajevo, 1937)
- Štarić, V., Nur-Hadžić, O., and N. Stojanović, *Bosna i Hercegovina pod austro-ugarskom upravom* (Belgrade, c. 1918)
- Štjepčević, D., *Pisame Bosna i Hercegovina u XIX veku* (Cologne, 1981)
- Šljivo, G., *Ostro-Palo Latas u Bosni i Hercegovini 1850-1852* (Sarajevo, 1977)
- Štreljović, L., *Monumentalna umjetnost arhitekture perizida u Bosni i Hercegovini* (Sarajevo, 1977)
- Sokolov, A., 'La Mecque cathare', *Cahiers d'études caennaises*, vol. 3, no. 12 (1951-2), pp. 199-206
- 'Le Témoignage de Paul Rychart sur les routes des Bogomiles en Bosnie', *Dynasties*, vol. 23 (1953), pp. 73-86
- 'Svedočanstva pravoslavnih uvoza o bogomilstvu na Balkanu', *Glasnik istorijskog društva Bosna i Hercegovina*, vol. 5 (1953), pp. 1-103
- 'Le Symbolisme des monuments funéraires bogomiliques', *Cahiers d'études caennaises*, vol. 5, no. 18 (1954), pp. 92-114
- 'Le Témoin symbolique en Bosnie', *Cahiers d'études caennaises*, vol. 5, no. 19 (1954), pp. 157-63
- 'Simbolika srednjovekovnih spomenika u Bosni i Hercegovini', *Glasnik istorijskog društva Bosna i Hercegovina*, vol. 8 (1956), pp. 5-65
- 'Bogumilismus und Bogomilengräber in den südwestlichen Ländern', in W. Gölisch, ed., *Völker und Kulturen Südosteuropas* (Munich, 1959), pp. 182-6
- Sorabji, C., *Bosnian Muslims: Challenging Past and Present Misconceptions* (London, 1992)
- Soulis, G. C., 'The Gypsies in the Byzantine Empire and the Balkans in the late Middle Ages', *Dumbarton Oaks Papers*, no. 15 (1961), pp. 142-65
- Stichmüller, G., *Geschichte Südosteuropas* (Munich, 1950)
- Forschungen zur albanischen Frühgeschichte*, 2nd edn. (Wiesbaden, 1966)
- Stanojević, G., 'Jedan posvet o krstjanstvu u Dekraciji iz 1692 godine', *Glasnik istorijskog društva Bosna i Hercegovina*, vol. 11 (1960), pp. 273-4
- Starr, L. E., and M. E. Durham, *The Durham Collection of Gemstones and Enamelwork from Albania and Yugoslavia* (Halifax, 1939)

- 'Statuto della comunità musulmana della ex Jugoslavia (24 ottobre 1936)', *Oriente moderno*, vol. 22 (1936), pp. 44-64
- Steinack, H., *Geographische Verhältnisse, Communicationsverhältnisse und der Raum in Bosnien, der Herzegovina und Nord-Montenegro* (Vienna, 1877)
- Šćepčević, A., *The Illyrians*, tr. S. Čulić Burton (Park Ridge, New Jersey, 1977)
- Stojadinović, M., *Nis sut ni pale: Jugoslavija namadju ako sutu* (Bosnia, 1963)
- Store, N., *Europe Transformed: 1878-1919* (London, 1983)
- Šućurka, A., 'Bedeutung und Entwicklung des Begriffes A'yan im Osmanischen Reich', *Südostforschungen*, vol. 25 (1966), pp. 3-26
- 'Osmanski imperatorijugunda Bosna', *Priloge za organičnu filologiju*, vol. 30 (1980), pp. 431-47
- Sugar, P. F., *The Industrialization of Bosnia-Herzegovina 1878-1918* (Seattle, Washington, 1963)
- Southeastern Europe under Ottoman Rule, 1354-1804*, A History of East Central Europe, ed. P. F. Sugar and D. W. Treadgold, vol. 5 (Seattle, Washington, 1977)
- Sundhausen, H., 'Zur Geschichte der Waffen-SS in Kroatien 1941-1945', *Südostforschungen*, vol. 30 (1971), pp. 176-96
- Tahica, M., 'Sächsische Bergleute im mittelalterlichen Serbien und die "sächsische Kirche" von Novo Brdo', *Südostforschungen*, vol. 50 (1991), pp. 31-60
- Tandarić, J., 'Glagoljska pismenost u srednjovekovnoj Bosni', in J. Turčionović, ed., *Povijest-traditija srpskosti u periodu 500 obljetnica morn bosanske kraljeve Katarine* (Sarajevo, 1979), pp. 47-51
- Thallóczy, L., *Studien zur Geschichte Bosniens und Serbiens im Mittelalter*, tr. F. Eckhart (Munich, 1914)
- Thönißmel, G., *Geschichtliche, politische und topographisch-statistische Beschreibung des Vilajets Bosnen das ist das eigentliche Bosnien, nebst türkische Ortsnamen, der Herzegovina und Raicaen* (Vienna, 1867)
- Thompson, M., *A Paper House: The Ending of Yugoslavia* (London, 1992)
- Thomson, H. E., *The Outgoing Turk: Impressions of a Journey through the Western Balkans* (London, 1897)
- Thouzelier, C., *Hérésie et hérétiques: Vaudins, Cathares, Patarins, Albigeois*, Storia e letteratura: raccolta di studi e testi, vol. 116 (Rome, 1969)
- Tortorevich, J., *Peasants, Politics, and Economic Change in Yugoslavia* (Stanford, California, 1955)
- The Chetniks: War and Revolution in Yugoslavia, 1941-1945* (Stanford, California, 1975)
- Tomashevich, G. V., 'The Serbian Question in Current Yugoslav Press

- and Literature', *The South Slav Journal*, vol. 8, nos. 3-4 (1965), pp. 32-41
- de Torquemada, J., *Synbulum pro informatione summatissima (El Esguerrismo en Boma)*, ed. N. López Martínez and V. Proaño Gil, Publicaciones del seminario metropolitana de Burgos, series B, vol. 3 (Burgos, 1958)
- Trifunovski, J., 'Geografske karakteristike srednjovekovnih karata', in Filipović, M., ed., *Sinopozijum o srednjovekovnom kartiranju Srbije 24 i 25 novembra 1961 g.* (Sarajevo, 1963), pp. 19-38
- Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam* (Oxford, 1971)
- Truhelka, Č., 'Botanika', *Glasnik zemaljskog muzeja*, vol. 1 (1889), pp. 65-83
- 'Die Titowirung bei der Katholiken Bosniens und der Herzegovina', *Wissenschaftliche Mittheilungen aus Bosnien und der Herzegovina*, vol. 6 (1896), pp. 493-508
- 'Das mittelalterliche Staats- und Gewerbewesen in Bosnien', *Wissenschaftliche Mittheilungen aus Bosnien und der Herzegovina*, vol. 10 (1907), pp. 71-155
- Turčinović, J., ed., *Povijesno-topografski opis grada i paroka 500. obljetnice smrti bosanske kraljice Katarine* (Sarajevo, 1979)
- Uhlir, R., 'Serbo-Bosnian Gypsy Folk-Tales, no. 8', in F. G. Akerley, *Journal of the Gypsy Lore Society*, 3rd series, vol. 25 (1946), pp. 92-104
- 'Serbo-Bosnian Gypsy Folk-Tales, no. 9', in D. E. Yates, *Journal of the Gypsy Lore Society*, 3rd series, vol. 26 (1947), pp. 116-27
- Vacalopoulos, C., 'Tendances caractéristiques du commerce de la Bosnie et le rôle économique des commerçants grecs au début du XIXe siècle', *Balkan Studies*, vol. 20 (1979), pp. 91-110
- Valentin, G., 'L'eletzenio rish nella zona scuzzina nel secolo XV', in F. Bard and H. Glau, eds., *Südosteuropa unter dem Halbmond: Untersuchungen über Geschichte und Kultur der Südosteuropäischen Völker während der Türkenzeit*, Beiträge zur Kenntnis Südosteuropas und des Nahen Orients, vol. 16 (Munich, 1975), pp. 269-74
- Vasić, M., 'Etnička kretanja u bosanskoj krajini u XVI vijeku', *Godišnjak istorijskog društva Bosne i Hercegovine*, vol. 11 (1960), pp. 233-49
- Verlinden, C., 'Parasites ou Bogomiles réduits en esclavage', in *Studi e memorie di Alberto Fubini*, Studi e memoriali di storia delle religioni, vol. 38 (Rome, 1967), pp. 683-700
- Vukotović, T. P., 'Le Fisman du sultan Sélim II relatif aux esclaves, ouvriers dans les mines de Bosnie (1574)', *Études slaves*, vol. 15, no. 3 (1969), pp. 8-10
- Wace, A., and M. A. Thompson, *The Nomads of the Balkans: An Account of Life and Customs among the Vlachs of Northern Pinus* (London, 1914)

- Wakefield, W. L., and A. P. Evans, eds., *Flavens of the High Middle Ages* (New York, 1969)
- Weigand, G., *Die Arumunen: ethnographisch-pädagogisch-historische Untersuchungen über das Volk der sogenannten Moehra-Rumunen oder Zana-ren*, 2 vols., Leipzig, 1894-5
- 'Rumänen und Arumunen in Bosnien', *Jahresbericht des Instituts für rumänische Sprache (rumanisches Seminar) zu Leipzig*, vol. 14 (1908), pp. 171-97
- Wenzel, G., ed., *Marino Samois südhrunischsprachige Magyarenwörter ältest südöstlichen, Magyar östereichen etc.*, vols. 14 (1869), 24 (1877), 25 (1878)
- Wenzel, M., 'A Medieval Mystery Cult in Bosnia and Herzegovina', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, vol. 24 (1961), pp. 89-107
- 'Bosnian Torbataroni - who made them and why', *Südostforschungen*, vol. 21 (1962), pp. 102-43
- Utrunac nativ na stociama* (Sarajevo, 1965)
- Wheler, G., *A Journey into Greece* (London, 1683)
- Wilkes, J., *Dalmatia (History of the Roman Province)* (London, 1969)
- The Illyrians* (Oxford, 1992)
- Wilson, D., *The Life and Times of Vuk Stefanović Karadžić, 1787-1864. Literacy, Literature, and National Independence in Serbia* (Oxford, 1970)
- Winnifrith, T. J., *The Vlachs: The History of a Balkan People* (London, 1987)
- Yelavich, I., 'Les Muzulmans de Bosnie-Herzégovine', *Revue du monde musulman*, vol. 39 (1926), pp. 119-33
- Zbornik dokumenta i podataka o narodnoslovesnikosima vrate jugoslovenskih naroda*, 14 vols. (Belgrade, 1950-60)
- Zimmermann, *Reformation und Gegenreformation bei den Kroatien an österreichisch-ungarischen Grenzraum* (Eisenstadt, 1950)
- Zlatar, B., 'O nekim osimislarskim feudalnim porocima u Bosni', *Prilozak Instituta za istoriju*, vols. 14-15 (1978), pp. 81-139
- 'Une ville typiquement levantine: Sarajevo au XVIIe siècle', in V. Han and M. Adamović, eds., *La Culture urbaine des Balkans (XVe-XIXe siècles) - la ville dans les Balkans depuis la fin du moyen age jusqu'au debut du XXe siècle. Recueil d'études* (Belgrade, 1991), pp. 95-9
- Zlatar, Z., *Our Kingdom Come: The Counter-Reformation, the Republic of Dubrovnik, and the Laboratory of the Balkan Slav* (Boulder, Colorado, 1991)
- Zuljekarović, A., *Bosanski Muslimani: Etničnost i religioznost Srba i Hrvata* (Zurich, 1986)
- Sarajevski prazni: majorski muslimanski muslimanski 1983 godine* (Zurich, 1987)

القرأ فی هذه السلسلة

احلام الاعلام والعصر افرى	برتراند رامسل
الانكرونيات والحياة العمية	ى - رانوسكيا
لقطة مقابل لقطة	الدمن فكملى
البحراليا فى مائة عام	ت - و - فريمان
الكتابة والمجسج	رايمونه وايمانز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ - ٢)	د - ج - لوريس
الارض الفاسفة	ليمسترويل راى
الرواية الانجليزية	وانسوالن
المرشد الى فن المسرح	لويس فارچاس
آلهة مصر	لرانصوا بوماس
الانسان المصرى على التمسالة	د - قبرى حفنى واخرى
للأاهرة مميلة الف ليلة وليلة	اولج لولسك
الهوية القومية فى المجتمع العربى	هاشم النحاس
مجموعات اللقود	ديفيد وايمان ماكول
الموسيقى - تعبير لغوى - ومطلق	عزیز لشلون
عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى	د - محمن جاسم المومرى
ميلاد توماس	لنراف س - بن - كوكس
الانسان ذلك الكائن الفريد	جون لومس
الرواية الحديثة	جول ويمن
المسرح المصرى المعاصر	د - عبد المولى شمراوى
على محمود طه	اتور الممدافوى
القوة النفسية للأمراض	بيل شول وانينيت
فن الترجمة	د - صفاء خلوصى
تولستوى	رالف تى ماثو
مستقبل	فيكتور برومير

الطريقا الطريق الآخر

البحر والسماء والسمين

لكون ذلك المجهول

تكنولوجيا فن الزواج

حرب المستقبل

الفلسفة الجوهرية

الإسلام التطبيقي

تبسيط المفاهيم الهندسية

فن الماييم والبانتومايم

فصول السلطة (٢ ج)

التفكير المتعدد

السيناريو في السينما الفرنسية

فن الفرجة على الأفلام

شبابا نظام النجوم الأمريكي

بين تولستوى ونيكولفسكي (٢ ج)

ما هي الجيولوجيا

الاحمر والبني والاسود

انواع الفيلم الأمريكي

رحلة الامير رودلف ٣٣ ج ٠

وحالات ماركوبولو ٣ ج

الفيلم التسجيلي

الرومانتيكية والواقعية

نظرة التصوير

تاريخ العلم والحضارة في الصين

العشب

كنوز الفراعنة

اطلالات على الزمن الاتي

الرواية لليوم

مشكلات القرن الحادي والعشرين

بإدى لوتيمود

فيليب عطية

جلال عبد الفتاح

محمد زينهم

مارتن فان كريفله

سوفندارى

فرانسيس ج ٠ يوجين

ج ٠ كلوفيل

توماس ليهارت

الذين توفلوا

ادوارد ويونسو

كريستيان ممالين

جوزيف ٠ م ٠ يوجين

بول وارن

جورج سقايز

ويليام ه ٠ ماثيوز

جاري ب ٠ ناش

ستالين جي ٠ سولومون

عبد الرحمن الشيخ

عبد العزيز جاويده

محمود سامي عطا الله

ياكرو لافرين

ليوناردو دافشى

جوزيف لينهام

ه ٠ ليويوسكاليا

ت ٠ ج ٠ ه ٠ جيمسز

د ٠ السيد نصر الدين

مالكولم براد بوى

يوسف شرارة

أعداد / مولى براج وآخرون
أدلمز غيليب
نابين جورديمر وآخرون
زيمسوت هينر
مكتفان أوزمنت
جوناثان رولى مبحث
تولى يار
بول كولندر

موريس بير برلين
الفريد ج . بتر
روبريجو غارثما
فانس بكاره
اختيار / د . ريل للصيان
بيتر فيكولز
برتراند راسل
بيارد دودج
ريتشارد شاخ
ناصر خسرو هكوى
نقلى اويس

جك كرابس جونيور
سوروت شيلر
اختيار / صبرى للفصل
أحمد محمد للشلوانى
اسحق عظيموف
لوريتوتوه
أعداد / سوريل عبد الملك
د . ايراز كسوم الله
أعداد / جابر محمد الحزاد
د . ه . و . لوز
مكتفان رانسمان
جوستاف جرونهيلم
ريتشارد هـ . بيرنون

المسلمات العبرية
دايل تكليم الكاحل
مقوط الخط والشمس المشرق
جماليات فن الانسراج
التاريخ من شطى جوليه (٢ ج)
العملة الصائبية الاولى
الامثيل للمسلمة والتقليد
العلماء اليونان فى اوربا
صناع الفنون
الكائنات اللطيفة القديمة فى مصر (٢ ج)
رحلات فارسيما
الهم يصنعون البحر (٢ ج) .
فى تلك السيماني الفولى
المسلمات للخيالية
السلطة والفره
الزهر فى الف عام
رواد الفلسفة للصحة
سفر لامة
مصر الرومانية
كتابة التاريخ فى مصر
القرن التاسع عشر
الاتصال والهيمنة الثقافية
مقارنات من الادب الاسيوية
كتب فيوت لفكر الانساني (٥ ج)
الضمون المتغيرة
مفضل الى علم اللغة
صيت اللهر
من هم التتار
ماسكروفت
معالم التاريخ الفلسفية (٤ ج)
الرحلات الصائبية
مفكرة الاسلام
رحلة بيرنون (٢ ج)

المختارة الإسلامية	أحمد مقل
الطفل (٢ ج)	أرنولد جوتل
رسائل وأبحاث من القلي	فيكتور غوجو
الجزء والكل (محاورات في مضمار	فيرتز هينريخ
للغزياء الثرية)	مستفي هوه
القرات الفاضل ماركس والماركسيون	ف . ح اندرسون
فن اللعب الروائي عند تولستوى	هادي لمبيان الهيتي
أدب الأطفال	٥ - نعمة رحيم المنزاري
أحمد حسن الزيات	٥ - فاضل أحمد الطائي
أعلام العرب في الكيمياء	جلال الجبري
فكرة المسرح	هنري باروس
البحيم	السيد حليوة
صانع القرار السياسي	جاكوب برونولسكي
التطور الحضاري للإنسان	٥ - روجر سترومان
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	كاتي ثيم
أروية اللواجن	٥ - ميسر
الولي وعالمهم في مصر القديمة	٥ - تاحوم ياترونيشي
الفصل والظف	جوزيف دامموس
سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى	٥ - لينوار تشامبرز رايت
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لزام	٥ - جون شلغار
مصر ١٨٢٠ - ١٩١٤	بيير ليبو
كيف تعيش ٣٦٥ يوماً في العمة	
المصححة	
أثر الكوميديا الإلهية لسانتي في الفن	٥ - خيروال وهمة
التشكيلي	
الأدب الروس قبل الثورة البلشفية	٥ - ريميس هوف
ويعتد	٥ - محمد تسان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم متغير	فرانكلين ل . بارمن
الفكر الأوربي الحديث (٢ ج)	
الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي	٥ - سوكات الريمي
١٨٨٥ - ١٩٨٥	

الثقافة الأسيوية والبيئة المعاصرة

هنري الفريديس

المشكلات حقائق اجتماعية وثقافية

وقضايا الأعضاء من الكلف إلى المياه

الهندسة الوراثية

تربية أسماك الزينة

الثقافة وقضايا العصر (٢ ج)

الفكر التاريخي عند الأفريق

قضايا وسلامح الفن التشكيلي

الثقافة في البلدان للثقافة

بداية بلا نهاية

الحرف والمصناعات في عصر الإسلامية

حوار حول الثقافة الرئيسيين

للكون

الزمام

الخطون

القبيلة الثالثة عشرة

التوافق النفسي

البلبل اليبسوجوالى

لغة المصورة

الثورة الإسلامية في البيان

العالم الثالث غدا

الاقتصاد الكبير

تاريخ النقود

التحليل والتوزيع الأوركسترالى

الشاهنامة (٢ ج)

المجاعة الكريمة (٢ ج)

كتابة التاريخ في مصر

٥ - محيى للمين أحمد حسين

دورلاس ماكليستوك

بيتر لورى

يوديس فيدروفيش سيرجيف

ويليام بينز

دريد المرتون

جميعها : جون ر - يود

وغيلتون جولد يتجر

أرنولد تويني

٥ - صالح رضا

٥ - كتي وآخرون

جورج جاموف

٥ - السيه طه أبو مسخرة

جالبليو جالبليو

أريك موريس وآلان هو

سيريل ألدر

أرتور كيمستلر

توماس ا - هاريس

مجموعة من الباحثين

روى أرمز

ناجى متسير

بول هاريسون

مخائيل الي - جيس ألفرد

فيكتور مورجان

أحمد محمد كمال اسماعيل

الفردوس الطوس

يسرفون يود

حكا كرابس جونيور

عن الله السيد علي الأمريكي

تواضع زواجست

تقريبات الخيام الكبرى

مختارات من الحب القصص

الحياة في النكون كيف نشأت وابن توجده

حروب الفضاء

ادارة الصراعات الدولية

الميكروكمبيوتر

مختارات من الحب اليابلي

الفكر الأدبي الحديث ٤ ج

تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

كتابة الميثاق والميثاق

الزمن والياسه

أجهزة تكيف للهواء

الخدمة الاجتماعية والتضيق الاجتماعي

سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

القبسرية اليونانية

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

العلم والطلاب والمدارس

النشاع المصرية والفكر

حوار حول القضية الاقتصادية

تخطيط الكيمية

العادات والتقاليد المصرية

التذوق للميثاق

التخطيط السياسي

البيذور الكونية

عراما الخامسة (٢ ج)

أولاد موسى

أخيار / د - غيليب عطية

ج - دافلي أندرو

جوزيف كوزنر

د - جوهان مورشنر

مناقشة من العلماء الأمريكيين

د - السيد عطية

د - مصطفى متاني

عبري الفضل

فرانكلين ل - باومر

جابريل باير

انطوني دي كرسيني

داويت مسوين

زافيلاسكي ف - م

ابراهيم للقرضاوي

بينر رداي

جوزيف داموس

م - ميسورا

د - حاصم محمد ردي

روناله د - سميسون

د - انور عبد الله

ولت وثمان رومستو

فريد ميس

جون بوركمهارت

آلان كامسبار

سامي عبد المحي

فريد هوريل

شانترا ويكراما ماسينج

حمين حلمي الهندس

المراة الفروعونية

نظرية التصوير

التربية عن طريق الفن

معجم التكنولوجيا الحيوية

البرمجة بلغة اللى

الكيمياء فى شجرة الانسان

مجموع تاريخ الطب المعاصر

نظريه الطب المعاصر

مشكلات القرن الحادى والعشرون

كنوز الفراعنة

البرنامج النووى الاسرائيلى

بحثا عن عالم القمل

العلم والاتق المسجل

كولتة التمرد

الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

كريستيان ميروش

ليوناردو دافنشى

هربرت روس

وليم بينز

روبرت لافو

رولاند جاكسون

ايفور ليفانس

ديفيد بوشنيدر

يوسف شعارة

ت • ج • د • ه • جميع

د • منصور حامد عطية

كارل يوير

اسحق عظيموف

لوسوى شاتزمان

نومان كالرك

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع جدار الكتاب: ١٣٥٠ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5179 - 3

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلاً عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعذراً لشباب هذا الجيل لعدم طبعاتها.

وفى هذا الإطار يسعى المشروع إلى إلقاء الضوء على أهم قضايا العصر الحديث. ومن أهم الكتب التى صدرت فى هذا الميدان:

ما بعد الحداثة	إنهم يقتلون البيئة
مشكلات القرن ٢١	بحثاً عن عالم أفضل
تحول السلطة	إطلاقات على الزمن الآتى
إنهم يصنعون البشر	

(انظر قائمة الإصدارات فى آخر الكتاب)

وهذا الكتاب الذى بين يدي القارئ هو أول كتاب شامل باللغة العربية يعالج بصورة موضوعية محايدة أزمة البوسنة والهرسك فى منظورها التاريخى وإطارها الحديث وتداعياتها فى عالم ما بعد الحرب الباردة الذى سيشهد فيما يقدر المراقبون بسلسلة من الأزمات العرقية الخطيرة فى شتى أرجاء العالم لا سيما عالمنا الثالث، وهو يوضح كيف للانتهازية السياسية أن تزيف أحداث التاريخ وأن تخلق الحق بالباطل، وأن تخلق أساطير وأوهام لتفريق بين أبناء الوطن الواحد وتفتقر أنهار الدماء من أجل مصالح شخصية دنيئة.

